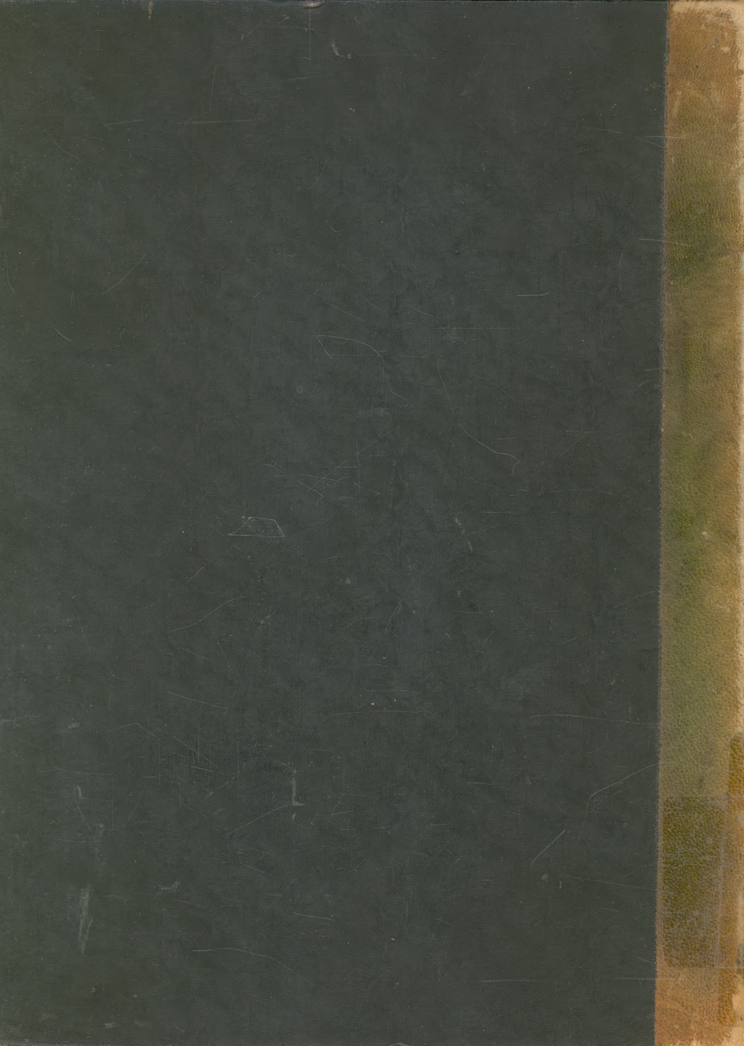
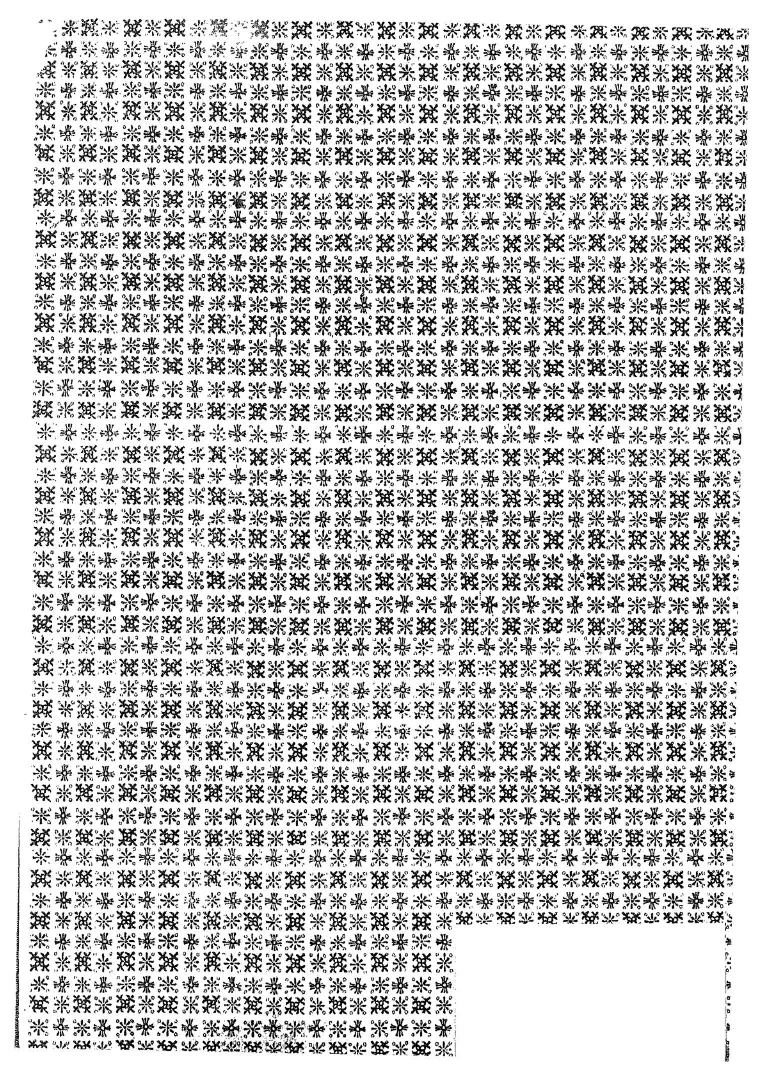
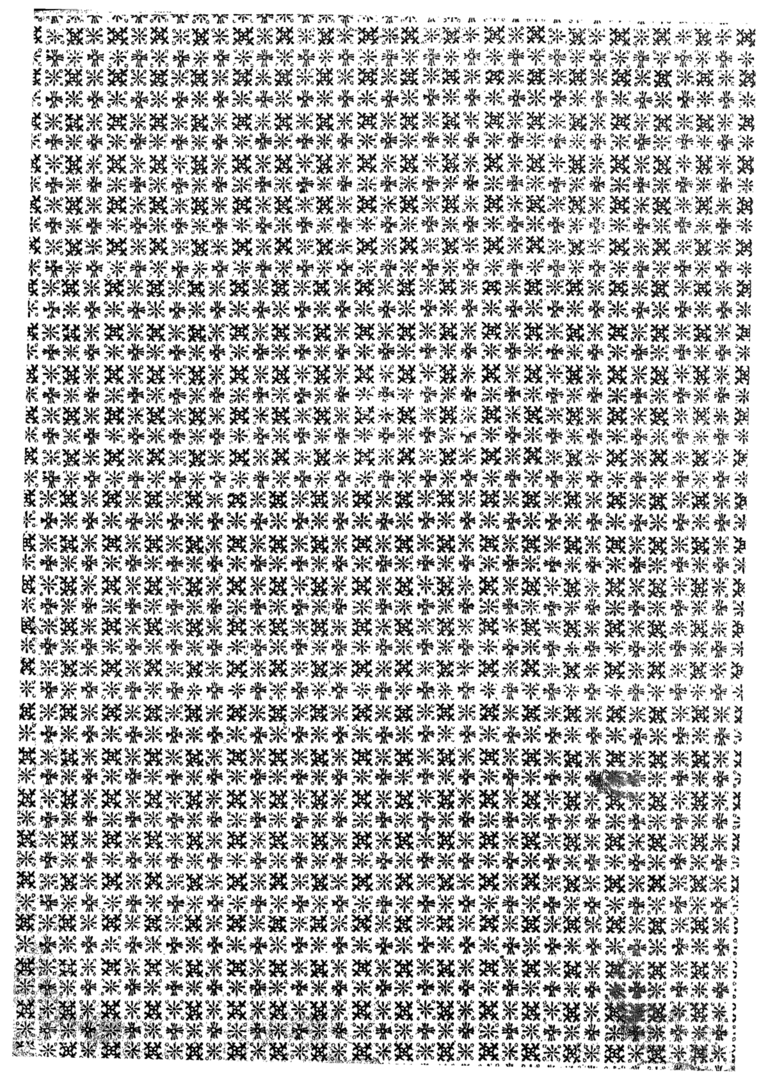






تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق
تأليف العالم العلامة الشيخ داود
الانطاكي المعروف بالاكمه
مؤلف التذكرة الطبية
طيب الله ثراه
آمين

(وبهامشه ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين)
(احمد بن ابي حجلة المغربي رحمة الله تعالى عليه)

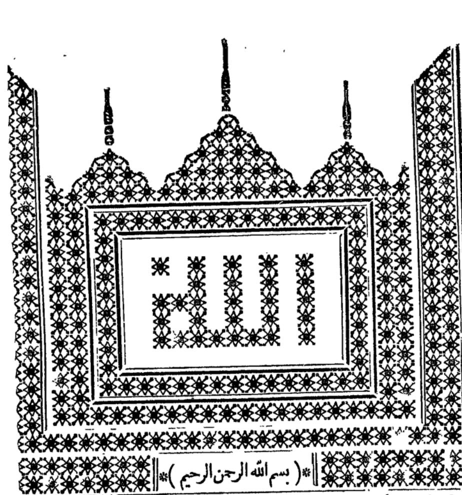
(ترجمة ابن ابي حجلة من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار)
هو شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدا الدمشقي منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن ابي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد ابي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه ونور ضريحه وكني جده بذلك لصلاح حاله وتعلق الحجل والوحوش باذياله وزاوية جده بالمغرب مشهورة واحاديث بركته مأثورة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء وقدم من المغرب مع ابويه واخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تنقلت به بعد موتهم الاحوال وشاهد بمصر بعد رؤيته الى المول الاهوال فصنف كتابه غرائب العجائب وعجائب الغرائب وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * الا الحسود فليس يعجبه العجب

وله اكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والادب وله شعر ونثر سيأتي شيء منه في اثناء ديوان الصبابة

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراجي من الله الغفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١٩ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أطلع فى بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهل فى منازل السعود بدور اللطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه نرجس اللحاظ وورد الخدود وألف بين ما نظم فى الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الابصار لذوى البصائر واطالة الافكار من اسباب الافتتان بتأمل الحسان فنزلهم وان اختلفت أغراضهم منزلة الاغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الالحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجمل وتصفية نفس زمام الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل ونصلى ونسلم على من بعث بنهى النفس عن الهوى والارشاد الى طريق العدل والاستوا والامر باعلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس فحث على تهذيب النفس الابية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكرم الاخلاق والاوصاف وأجل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق ونظرت الحدق وتأنق المفاق وتألق الفلق *(وبعد)* فلما دل تنويع اصل الايجاد وتفريع عالم الكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من اصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشئ الواحد فى كل حال واستراحتها فى اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التى هى سبب السعادة الدينية وتشييد المبانى الشرعية وجب اسعافها بالمفاكهات الانيقة والاخبار اللطيفة الرشيقة لتنشط من عقال التعب وتستريح فتعود الى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ

والاخبار

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل للعاشقين باحكام الغرام رضا وحبب اليهم الموت فى حب من يهوونه فلا تلقى ياقوتى بالعذل معترضا فكم فيهم من عاشق ومحب صادق

وأى محب فرام الوصل فامتنعوا
فسام صبرا فأعيا نيله فقضا

(أحمده) حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشبب بذكر محبوبه

ان كان تهاميا فى حجاز وشاميا فى نوى

طو رايمان اذا لاقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنانى

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد وقال لعاذله

لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق
وانك لتعلم ما نريد

ولو ان ما بى من حبيب مقنع
عذرت ولكن من حبيب معمم

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة من أخلص فى موالاته وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عندما أمرهم ولا يتعدونه ما ذر شارق وهام عاشق *(أما بعد)* فان كتابنا هذا كما قيل

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى
وسار بهم فى الحب فى كل مذهب

مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل
تشبب فيه بالرباب وزينب

فهم ما هم تعرفهم بسيماهم قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر وأصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم ما بين قتيل وشهيد

والاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما من الله تعالى على بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدقائق الحكمية بالهجرة الى الديار المصرية فمثلت بها بين يدي الاماثل وخدمت من سما فيها من ارباب الفضائل من ايضا سبحانه وتعالى كعارى عوائده السنية بتحصيل ما امكن من العلوم الشرعية بيد اني رميت في خلال الاشتغال بما شوش الفكر وغير البال وهيج اليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب * كدرت مني القوى النفسيه
فهي في كل ساعة في ازدياد * غبت منه عن مدرك الحسيه
فانا وهي في التلازم صرنا * كالهيولى والصورة الجنسيه

لا اجد من يفرج الكرب اذا شكوت اليه ولا من اعول اذا ضاق الامر عليه كأن الزمان كما قيل

فني المساوي بدا التساوي * فلا معين ولا معين

فغير ذلك ادراكي الثاقب فقصرت على بلوغ المآرب فاعملت الحيلة فيما به اريح النفس وانفي اللبس فانقدح في الفكر بعد طول التعب ان امتطي غارب الادب فارست من الاصحاب من هو له كالعناصر فمال اليه ذهني الفاتر فشرعت في جمع شئ في محاسنه المختلفه وضمها بحيث تكون في الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفه فكان اول ما سطرته واحكمت قواعده ورتبته طبقات ذكرت فيها اخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم ازل اجيل النظر في مجاميع مختلفة الى ان وقع اختياري على اختصار اسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب الى ابي بكر محمد بن جعفر البغدادي السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وطرائف نكت العشق واهله ورقيق اللفظ وجزله اذ هو صنيعة وحيد زمانه ورئيس اقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا ابي الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعي تغمده الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه الا انه كتاب طال في غير طائل وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذي هو شأن الاحاديث النبوية لتوثيق الاحكام الدينية وكالاخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التي هي بهذا الفن اعلق من الجوى باهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب اسباب وقوع بعض العشاق في شرك الحب الى غير ذلك مما يظهر للمتأمل كتابنا مع اصله اذا طرح الهوى وانتظم في سلك الانصاف واهله فالفت هذا الكتاب الذي هو في ولادة هذا الفن درة بيضاء وفي جبهة جواده غرة غراء اكملت فيه فوائده ورددت شوارده واضفت ما نبذه ظهريا ولم آت شيأ فريا فزاد على اصله بامور اثني عشر احدها وهو الاعظم تبديل ما في الباب العاشر الذي سماه بالشارع الجامع لما في المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع كجهلك الغيرة اصلا ونحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار ونحو صاحب الجارية في عرفة وتأمل الخيال ونحو من عشق في يومه الى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو غط ما بسط قبل وثانيها احسن التقسيم في الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكر ما اختلف باشارات كا ووقيل وخامسها ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تمييز

وشقي وسعيد على اختلاف طبقاتهم واشكالهم وتباين مراتبهم واحوالهم وغير ذلك مما تصبح به او راقه يانعة الثمر وتمسي به صفحاته في كل ناحية من وجهها اغر

فاذا نظرت الى الوجود باسره
شاهدت كل الكائنات ملاحا

على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب

وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

فرسم كتابنا هذا بذكر العامرية مغمور وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وانشد في تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى جلالته يخجل وصاحب منازل الاحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل

وعذرت طيفك في الجفاء لانه
يسري فيصبح دوننا بمراحل

(آخر)

فيا دارها بالخيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك اهوال

فان قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم قلت نعم في الخمر معنى ليس في العنب واحسن ما في الطاوس الذنب

فدع كل صوت بعد صوتي فانني
انا الصائح المحكي والآخر الصدا

فكم ترك الاول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

فقد سقط في يديه وقيل في الزدغليه

من جهل شيء من احواله ممن علم بـاثره فوله وأفعاله وسابعها تفصيل من علق الأحرار من أهل الرق والمسلمين من أهل الشرك وامثال ذلك من قديم ومحدث وثامنها ذكر ما في الاصل من الالفاظ اللغوية مفسرا ذلك بازائه مبدلا ذلك بأوضح منه وتاسعها شرح ما في الاشعار من الغريب وعاشرها تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية مأخوذا من الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادي عشرها ذكر تعلق هذا الفن بانواع المواليد الثلاثة وكيفية دخولها فيها وثاني عشرها الزيادات في الابواب فربما كانت أنواعا مستقلة أو تكميلا لما وجد بعضه في الجملة وربما زاد عليه باشياء غير المذكورة في مطاوي معانيه فتر عن استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكري القاصر وذهني الفاتر أو ظفرت به في كتب ربما أسمي بعضها فيه هذا كله مع اني والله لم أخل في يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندي مما سبقت الاشارة الى ذكره ولما كمل واتسق وانتظم في أكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤل أن ينفع به فيما قصد بترتيبه وان يوفقنا الى اصح القول وتهذيبه انه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما جاء فيه من الاخبار والآثار وبلى ذلك أربعة فصول الاول في الترغيب فيه والثاني في رسمه والثالث في مراتبه والرابع في علاماته ❊(والباب الاول)❊ في مصارع محبي الله تعالى وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية ❊(والباب الثاني)❊ في عشاق الجواري وهو ستة أقسام الاول فيمن اشتهر الثاني فيمن جهل الثالث في عشاق الاماء الرابع فيمن حظي بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق الخامس فيمن وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث المحبة وحل عقد المحبة وفي كل قسم أصناف وانواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام ❊(والباب الثالث)❊ في عشاق الغلمان وهو أربعة اقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثاني فيمن جهل حاله الثالث فيمن ظفر بمطلوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة ان يقضي مراده وألحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدوا للسلو عن الهوى ❊(والباب الرابع)❊ في ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول في الجن والثاني في الحيوان والنبات والمعدن والعناصر والافلاك ❊(والباب الخامس)❊ قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من اصول هذه الصناعة وقد ألزمت نفسي ان أفتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما في الطريق من القواطع والعوارض سيدي عمر بن الفارض غمرنا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعا ذلك بما تيسر من حل ألفاظه حسب ما سنح في الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع الى كلام المترسمين من أهل الظاهر وأختم الفصل بما سمحت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكره من أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بتتمة في لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك ❊(وأما الخاتمة)❊ ففي لطائف ونكت متفرقة لا ألتزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

❊(المقدمة فيما جاء في العشق من الاحاديث والآثار وفي حده ومراتبه)❊

اعلم

أفخر بآخر من كلفت بحبه
لاخير في حب الحبيب الاول
أتشك في أن النبي محمدا
ساد البرية وهو آخر مرسل
وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم
كذب الذين تحدثوا ان الهوى
لاشك فيه للحبيب الاول
مالي أحن الى خراب مقفر
درست معالمه كأن لم يوهل
فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور
كذب الذين تخرصوا في قولهم
ما الحب الا للحبيب المقبل
أفطيب في الطعم ما قد ذقته
من مأكل أو طعم ما لم يؤكل
فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول حبيب هذا
ارغب عن الحب القديم الاول
وعليك بالمستأنف المستقبل
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
كهوى جديد أو كوصل مقبل
وقال أبو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف وبقوله يجب الاعتراف لانه احسن في المقال حيث قال
زادوا على المعنى فكل محسن
والحق فيه مقالة لم تجهل
الحب للمحبوب ساعة وصله
ما الحب فيه لآخر ولا اول
على أنني لم اجد ما في منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل ولا تحملت على مصنفه فوا عجبا من قلبي المتحمل ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التاليف مواهب وان للناس فيما يعشقون مذاهب ومعلوم ان الجنون فنون وكل حزب بما لديهم فرحون ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته مندمج وبيوته من بحورها في لجج لا ابيح ما فيه

(اعلم) ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر لقربه من الكمال الذاتى فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذى نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له اقبل الحديث وعنه النفس الكلية ثم قسما الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو فى محله الى ان كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية ولشبه الشئ باصوله كما هو واضح مقرر فى محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها الى ثلاثة أقسام احدها النفوس المعدنية وهى الجامدة التى لا تعقل ما يراد منها ولا تعرف الا ما تقوم به بنيتها او يصدر عنها وذلك اما بالخاصية أو بامر اودعه صانعها فيها لمصالح يعلمها ويشهد لذلك ما يشاهد من صور فى الجبال والطين ونحوهما . ثانيها النباتية وهى أرفع من الاولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من الانواع كانقسامه فى نفسه وذلك كانقسام الاولى الى ما يكون صافى الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل والى شجاع كالاسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرفى سلسلة العلل والمعلولات لا جرم كانت مقتدرة على ان تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون حيوانية بحتة أو تعمل فى خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلى وهى النفس الملكية المقرة بالمبدأ والمعاد الخالصة من محض الكثافة المنتظمة فى سلك محض اللطافة أو تجمع بين الامرين وتؤلف بين الطريقين وهذه هى الانسان المطلق والاولى الحيوانى والثانية الملكى فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله ومميز بفعله ثم لا شبهة فى انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كماله منزلا عليه فالحكيم محتاج فى اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور أو بالضرب والاهانة كالدب والحمار أو باطعام الطعام كالخيل والكلاب او بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الا من قبل مبدعها والثالثة هى المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقى لها غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكى والحيوانى بسيط اذ الاول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثانى لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا فاعلم ان العشق بعد ان سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على انحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما فى الصفراويين وعكسه كما فى السوداويين وسريع التعلق بطىء الزوال كما فى الدمويين وعكسه كما فى البلغميين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان واما المعتدل فيكون العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قولهم لكل احد صبوة الا من جفت خلقته أو نقصت بنيته او خرجت عن الاعتدال امزجته محمولا على الاعتدال النسبى الذى اذا حصل لشخص كان به على ما ينبغى ان يكون عليه لا الحقيقى لعزته وجوده ولزوم تدور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على ما وصفناه أمكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذ ان اقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك

من منازل الاحباب لساكن ولا امكن
عاشقا من المرور بتلك الاماكن
أغار اذا آنست فى الحى أنه
حذارا وخوفا أن تكون لحبه
حتى برز طالبه المرسوم الشريف الملكى الناصرى أدام الله نشر أعلامه ولا أخلى كنانة من سهامه ما نفذت مراسيم سهام المقل وتثنى قوام الحبيب الذى طاب به الزمان واعتدل فبادرت الى تجهيزه وسبكت ابريزه حسب المرسوم الشريف من غير تسويف ولا تكليف ولم أبح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام لانه كان يقال كل ما يصلح للولى على العبد حرام لا جرم انه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلحظ الحجر فهو للسلطان بستان وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق وللمهجور نجوة وللنديم قهوة وللتاسى تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد وللاديب الماهر مثل سائر وللمحدث قصص وللحاسد غصص وللفقيه تنبيه وللحبيب بالقمر تشبيه
تبادره بالبدر منه بوادره
وتحلو له عند المرور نوادره
ففيه له فى كل يوم وليلة
حبيب ملم أو نديم يسامره
ولى فيه نظم ان تضوع نشره
ففى طيه حلو الكلام ونادره
ولى فيه منثور غدا فى مقامه
وعرف سناه مشرق الروض عاطره
ولى فيه من سحر البيان رسائل
اذا ما جفانى أحور الطرف ساحره
ولى فيه أسرار الحروف لانه
ينقطه دمعى فتبدو سرائره
فمنثور دمعى مثل نظم سطوره
خدودى اذا ما خط فيها دفاتره

ان غاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون باتصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة فى القلب فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه أوصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدى الحال الى مطلق الكرم وكذا باقى السجايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعى بمطابقة القانون الحكمى كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شئ ولا عبرة بكلام بعض الاغبياء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم ابدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيدا وفى أخرى وكتم والحديث بسائر ماذكر صححه مغلطاى واعله البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزى مرفوعا وأبو محمد بن الحسين موقوفا وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه ايضا وحاصل الامر اما صحته أو حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه فلا تدليس واذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات دخول الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى العفة وهو مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهى كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر لان اعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهى ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجر جماح تركيب الشهوة وتوفر الدواعى وما تكلفه فى الاصل من ان المراد بالاعجاب اثره واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التى هى رقة القلب لا تكون الا لدى المزاج ولما علم بالضرورة تنزهه عن الاجسام والاعراض علم بزوغ من لوازمها فما وقع مما يوهم شيأ فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرا فمن ألطف ما قيل فى ذلك قول ابن الصائغ

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظرى * من الاجر كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد * ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذى فى الحب يكتم وجده * يموت شهيدا فى الفراديس نازلا
رواه سويد عن على بن مسهر * فيا فيه من شك ان كان عاقلا
وماذا كثير الذى مات مغرما * سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التاج السبكى فى الطبقات الكبرى عن أبى نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما كان الا ان خرج وجعل يعظم واحدا بعد واحد حتى التفت الى فقال ما حاجتك فقلت

ولقد كنتم رويتم * عن سعيد عن قتاده * عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده * قال من مات محبا * فله أجر شهاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولابى نواس أيضا

حدثنا الخفاف عن وائل * وخالد الحذاء عن جابر * ومسعر عن بعض أصحابه

تمد مداد الدمع أقلام هدبه
فدمعى حبرى والسواد محابره
خدمت بديوان الصبابة عاملا
فباشر قتلى من سبانى ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلى عاشق
ولا عمرت بالعامرى مقابره
وفى غزلى ذكر الغزال ومربع
تطارحنى فيه الحديث جآذره
أنزهه عن وصف خدر عنيزة
ومنزل قفر سرن عنه أباعره
تجر قوافيه معان غدا بها
جرير كعبد أو تقته حرائره
يشبب بها فود الوليد لانه
يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست أرى يوما بدارة جلجل
سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسى ذكرى حبيب ومنزل
فانى ان أهواه ما عشت ذاكره
أجاور فى سفح المقطم جيرة
فيا حبذا المحبوب حين تجاوره
فيا طيف من أهواه طرفى ان غفا
أتهجوه بالله أم انت زائره
وحقك لو سايرته بعض ليلة
لسايرت صبامات فى الحب سائره
يمثلك الشوق الشديد لطرفه
فتجرى به كالجارى محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق
فيطرق اجلالا كانك حاضره
وبى من يحيج الغصن رمح قوامها
اذا بات فى الروض النضير يناظره
اذا أقبلت فى الحلى والطيب قيل لى
حبيبك بستان تضوع أزاهره
وان رمت منها وهى غضبى التفاتة
ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
أيبرد ما ألقاه من حر هجرها
وقد حميت يوما على هواجره
تحصنت فى حصن الهوى من عواذلى
وبات لقلبى جيش همى يحاصره

يرفعه الشيخ الى عامر * وابن جريج عن سعيد وعن * قتادة الماضي وعن غابر
قالوا جميعا بماطفلة * علقها ذو خلق طاهر * فواصلته ثم دامت له
على وصال الحافظ الذاكر * كانت لها الجنة مبذولة * تمرح في مرتعها الزاهر
وأي معشوق جفا عاشقا * بعد وصال ناعم ناضر
ففي عذاب الله مثوى له * بعد الله من ظالم غادر

وفي رستاق الاتفاق في ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الامام

حدثنا سفيان عن جابر * عن خالد عن سهل الساعدي
يرفعه من مات عشقا فقد * استوجب الاجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لا تكاد تحصى ولكن نورد ألطفها كما هو شأننا فمن ذلك ما روى عن المهدى قال أشتهى ان اصلي على جنازة عاشق مات في الحب وكان شريح يكثر الجلوس في الطرقات ويقول لعلي أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضي مصر يكتب في فتيا فسمع جارية تقول ترى لحكومة ياسيدي * على من تعشق ان يقتلا
فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى اله معبود فقيل له أتقول ذلك فقال نعم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال العباس بن الاحنف

ويح المحبين ما أشقى جدودهم * ان كان مثل الذي بي بالمحبينا
يشقون في هذه الدنيا بعشقهم * لا يدركون بها دنيا ولا دينا
يرق قلبي لاهل العشق انهم * اذا رأوني وما ألقى يرقونا

(وله أيضا)

أيها النادب قوما هلكوا * صارت الارض عليهم طبقا
أندب العشاق لا غيرهم * انما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذري عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال يا امام اجعلني في حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه انت في حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهي

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا * وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم اني مصاب وانما * أسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى * أثام وهل في ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ما اخرجه ابو نعيم في الحليه عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعي برقعة فوقع فيها بعد ما نظر وناوله اياها فتبعته على انها فتيا أكتبها فاذا هي سل العالم المكي هل في تزاور * وضم لمشتاق الفؤاد جناح
فكتب تحته) أقول معاذ الله ان يذهب التقى * تلاصق أكباد بهن جراح
فأنكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمي وقد دخل بعرسه في هذا الشهر يعني رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع فاودته فاذا الامر كذلك فعجبت من فراسته وحكى في الاصل عن ابن حجر قال اخرج ابو نعيم ايضا عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفي الطبقات الكبرى لابن السبكي وحكاه في الاصل مترددا قال كتب جلال الدولة الى ابي الطيب الطبري سؤالا صورته

يا أيها العالم ماذا ترى * في عاشق ذاب من الوجد * من حب ظبي اهيف اغيد

ولو لم يكن أعمى البصيرة عاذلي
لما عميت عمن هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندها
يشاهدها يغضي ويطرق ناظره
أللغصن خد كالشقيق اذا بدا
وشعر كجنح الليل سود غدائره
لئن طاب ذلي في هواها فانني
وحقك ممن عز في مصر ناصره
مليك يهز الرمح أعطافه قده
كما اهتز غصن طار في الحب طائره
مليك تريه قبل ما هو كائن
بصيرته أضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا
جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما سار كالبدر في الدجى
فأولاده مثل النجوم تسايره
مليك أرى من حوله كل عالم
يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة
بشير توالت بالمنا وبشائره
مليك أسود الغاب تحذر بأسه
لان ملوك الارض طرا تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه
وما هي الا سمره وبواتره
اذا اقترعت أشكال حال اجتماعهم
فأي ضمير لم يدس فيه ضامره
وأي كماة لم يرعهم نزاله
وأي مكان ما علته منابره
وأي قصيد بحره لم يرق له
وغائص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر التصانيف تحفة
وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما
تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حول مطرب
بتشبيبه في الحي يطرب زائره
ولو لم يكن مثل السكر دان ما غدا
بحضرته يوما تطيب حواضره

سهل الحيا حسن القد * فهل ترى تقبيله جائزا * في النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة * بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فاني اذا * أصيح من وجدي واستعدي

(فاجابه)

يا أيها السائل اني أرى * تقبيلك العين مع الخد * يفضي الى ما بعده فاجتنب
قبلته بالجد والجهد * فان من يرتع في روضة * لابد ان يجني من الورد
وان من تحسبه ناسكا * لابد ان يغلب بالوجد * فاستشعر العفة واعص الهوى
يسلم لك الدين مع الود * تغنيك عنه كاعب ناهد * تضمها بالمسك والعقد
تنال منها كلما تشتهي * غير ما فحش ولا رد
هذا جوابي لقتيل الهوى * فلا تكن بالحق تستعدي

واخرج الخطيب البغدادي عن العنزي قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من اول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة وفي معناه انشد العلامة محمود لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم

لله وقفة عاشقين تلاقيا * من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة * زادتهما بعدا من الاوزار
صدقا الغرام فلم يمل طرف الى * فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما * لم يخش مطعن عائب أوزاري

ومنه ما حكي عن بعضهم قال حكت لي امرأة عن شخص هويها وهويته انه قال لها يوما هل لك أن تحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله أن أفعل ذلك وأنا اقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لاعرابي في ليلة تزويج محبوبته أيسرك أن تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها وعن الاصمعي قيل لاعرابي ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال أمتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها وأستر منها ما يحرم كشفه الا عند حله وأنشد ابن القاسم في المعنى وان كان فيه بعد لانك تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وقد أودى به مقولي
يأبى الحياء وشيبي ان ألم به * وخشية اللوم من قال ومن قيل

وأصرح منه في المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

واخرج صاحب الاصل عن سعيد بن عقبة الهمذاني قال لاعرابي حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة ثم سأله علة ذلك فقال لان في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة واخرجه في الخلعيات أيضا وفي معناه أنشد حبيب

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا عصاني الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

تمم ألفته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح وتوليت لاجله عمله بنفسي فجاء كما قيل عمل الروح للروح

أهيم بمن هام الحبيب بحبه
ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وسلكت في تأليفه الاختصار والاقتصار على النوادر القصار لانه كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار ووضع له نجار وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وحدثوا بأحسن ما تحفظون وخذوا من كل شيء طرفا فانه من جهل شيأ عاداه *(وسميته)* ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه مولها ويعلم انه ان لم أكن أنا للصبابة من لها

ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

أي والله

قلما يبرح المطيع هواه
كلفا ذا صبابة وجنون

(ورتبته) على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة أما المقدمة ففي ذكر حد العشق واشتقاقه وما قيل في وسمه ورسمه وأسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري أو اضطراري ونحو ذلك وأما الابواب فالباب الاول في ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال والباب الثاني في ذكر المحبين والظرفاء من الملوك والخلفاء والباب الثالث في ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب في نزاع والباب الرابع في ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والباب الخامس في ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة ووجل وحمرة وخجل وما في معنى ذلك من عقد

هذا ما جاء في الآثار من العشق مع العفة وأما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم عز بدمنه فكثير فمن ذلك ما أخرجه التنوخي عن عروة بن الزبير قال قلت لعذري انكم أرق الناس قلوبا بريدا صباهم الى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء الا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها وفي منازل الاحباب للشهاب محمود ليس حي أصدق في الحب من بني عذرة ولا تضرب الامثال فيه الابهم وقال فزاري قلت يوما للعذري أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها اشذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراء ظهوركم (وعن) أبي عمرو بن العلاء قال استنطقت اعرابيا عند الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذري فسألته هل علقه الحب فأنبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال في ذلك فأنشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رميننا * من النبل لا بالطائشات المخاطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وللعين ملهى في البلاد ولم يقد * هوى النفس شئ كاقتياد الطرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد منا الا وعزينا أهله فيه وحكى الحافظ مغلطاي ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام اشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما في ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا * تركته جآذر القصر صبا

مستهاما على الصعيد تريكا * يجعل الخد واضعا تحت ترب * للذي يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان في الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها * واطيعهن وهن في عصياني

ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطاني

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

أيا ربة الخدر التي اذهبت نسكي * على كل حال انت لابد لي منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فاني وان حنت اليك ضمائري * فما قدر حبي أن يذل له قدري

ودونهم أفرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم اكثر الناس موتا به ثم اعلم ان العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة النفس وفي معنى ذلك انشد بعضهم حيث قال في رسالة أرسلها الى محبوبته

اللسان وسحر البيان والباب السادس في ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن والباب السابع في ذكر افشاء السر والكتمان عن أبناء الزمان والباب الثامن في ذكر مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه والباب التاسع في ذكر الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل والباب العاشر في ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه والباب الحادي عشر في ذكر قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما في معنى ذلك والباب الثاني عشر في ذكر قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول والباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيادة والباب الرابع عشر في ذكر الرقيب والنمام والواشي الكثير الكلام والباب الخامس عشر في ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب وفي معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى والباب السادس عشر في ذكر اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين والباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى وما يقاسيه أهل الهوى والباب الثامن عشر في ذكر تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والباب التاسع عشر في ذكر الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب والباب العشرون في ذكر الخضوع وانسكاب الدموع والباب الحادي والعشرون في ذكر الوعد والاماني وما فيهما من راحة العاني والباب الثاني والعشرون في ذكر الرضا من المحبوب بايسر مطلوب والباب الثالث والعشرون في ذكر اختلاط الارواح كاختلاط الماء بالراح والباب الرابع والعشرون في ذكر صدود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من دقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب والباب الخامس

شكوت فقالت كل هذا تبرم * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت اشدما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواى يؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فياقوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

ومنهم من تحمله الانفة على أن يفارق بعد اظهار شدة شوق وقوة ميل وكذا شدة الاقبال من المحبوب فيتوهم حيث تشبع نفسه ان الشوق لايعاوده فيفارق و يعود ذلك عليه بتلاف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والافالصادق منه لا يرى وجود السوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا لمحبوبه اويظن وجوده ودونوا ماصدر عمن بدأ بالسلوان ثم ندم فمن الطف ماقيل فى ذلك قول الهذلى

و يمنعني من بعض اظهار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لى عذر
مخافة انى قد علمت اذا بدا * لى الهجر منها ماعلى هجرها صبر
وانى لاأدري اذا النفس أشرفت * على هجرها مايبلغن بي الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة وأشدها * شمل تحكم فيه يوم فراق
ياقلب لم عرضت نفسك للهوى * اوما رأيت مصارع العشاق

(فصل فى الترغيب فى العشق والحث عليه) قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فاخذ فى ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لانافع له غير العشق فسلط عليه الجواري يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فامرها الملك بالتجني عليه وانها لاتطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة فى العلم والملك فكان بسبب ذلك من اجل ملوك الفرس واعلمها وفى المعنى قال ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذووا الهوى * ولا خير فيمن لايحب ويعشق

(وقال بعضهم)

وما سرني انى خلي من الهوى * ولو ان لى مابين شرق الى غرب

وقال ابن ابى كثير لابن ابى الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال ان تفلح والله أبدا وانشد الشعبي اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فانت وعير فى الفلاة سواء وعجزه غيره فقال * فكن حجرا من يابس الصخر جلدا * وانشد ابن معاذ

ولا خير فى الدنيا اذا انت لم تزر * خليلا ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه ايضا

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل * ومرا على الهجران لابل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه * اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى * فأبعده قتل واقربه خبل

(فصل فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم فى ذلك) قال بعضهم العشق مجهول لايعرف ومعروف لايجهل هزله جد وجده هزل وهذا فى الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات الى اختلاف الحالات الكائنة منه فان الجهل يعتري العشاق عند

تزايد

والعشرون فى ذكر ما يكابده فى طلب الاحباب من الامور الصعاب والباب السادس والعشرون فى ذكر طيب ذكرى حبيب والباب السابع والعشرون فى ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك مما هنالك والباب الثامن والعشرون فى ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الحجال وما فى معنى ذلك من ذكر مواليهم ووصف آلاتهم والباب التاسع والعشرون فى ذكر من ابتلى من أهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان والباب الثلاثون فى ذكر من اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف وأما الخاتمة ففى ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غنى وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم أسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب ومن هنا نشرع فى ذكر ما يجلب الراحة كراوح الخيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهذه المقدمة فى ذكر رسم العشق ووصفه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري أو اضطراري ويشتمل ذلك على خمسة فصول

(الفصل الاول فى رسم العشق ووصفه وماقيل فى اسمه) أقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجزر بحره المتلاطم ومده وما للناس فيه من الكلام الباين والقول المتباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم سببه اوباسم مايؤول اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعذرهم الظاهر قول الشاعر

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
فليس لشئ منه حد أحده * وليس لشئ منه وقت موقت

تزايد الحب فيوجب الحيرة فى الامر وعكسه عند انفصاله عن المخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحوه ما اجاب ابن اكثم به وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس و يهيم بها القلب فقال له ثمامة انما شأنك ان تفتى فى مسئلة طلاق او محرم فقال المأمون قل يا ثمامة فقال العشق جليس ممتع واليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائرة ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها واعطى عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها توارى على الابصار مدخله وغمض فى القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت يا ثمامة وامر له بالف دينار وفى رواية انه قال له اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضىء به بواصر العقل ويتصور من ذلك اللوامح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقا أقول وهذا تعريف له بحقائقه وموادّه الذاتية والاول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة اليق وايضاحه ان نور البصر يوصل ما يدركه الى المشترك وهو الى الواهمة حتى يرتسم فى القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطيف الشمائل يوجب ارتسام أنوار فى النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما فى اللطف والصفاء وهذا دليل على ان العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان الاعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس أليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب وقال سعيد ابن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع فى الرقيق من الشعر فقال دعوه ينظف ويلطف ويظرف يعنى انه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء وليس أرق من الغزل ولا أدق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدى الى ما ذكر فان العاشق اذا علم ما يقربه الى محبوبه بذل فيه امكانه والظرافة واللطافة والنظافة اعظم مقرب فكانه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب فى مطلق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان فى ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض الثكل لكنه لا يكون الا عن اريحية فى الطبع ولطافة فى الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينتفع فيه عذل وفى معنى شدة العشق أنشد المؤمل

شق المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه وحارت العقول فى كيفية تمكنه غير ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتغشى على سائر الاعضاء فيبدى الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الابدان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون زادت اعرابية يذهب العقل و ينحل الجسم و يهمل الدمع يجدده مرور الايام ولا تفسده بل لا تغيره اساءة

فن حذوه الملحة وتسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذى اخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد فى كتاب الطبقات العشق طمع يتولد فى القلب و يتحرك و ينمو ثم يتربى وتجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه فى الاهتياج واللجاج والتمادى فى الطمع والفكر والامانى والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء او التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمنى ما لا يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعا وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه و ينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهرى واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه فاما اذا وقع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذى يعجز عن معالجته الاطباء ومنها قول أفلاطون الآخذ للحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعى يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكب وكل ابتغان

المحبوب على الدوام ومن ثم قال الاصمعي وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق فقال انه شئ يستغرق القلب فى محاسن المحبوب و يذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر وتعاتب امرأتان من اهل المدينة فى الهوى فقالت احداهما تعذل الاخرى ذكروا فى الحكمة لاتلم من أساء بك الظن اذا جعلت نفسك غرضا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عنده شئ من عقدة الرأى ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المتعبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعذولة ليس الهوى الى الرأى فيملكه ولا الى العقل فيدركه اما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لاينبئك عنه مثل خبير

ليس امر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير

انما الامر فى الهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

وقيل هى لعلية بنت المهدى حكاه الصولى ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل أسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقره غامض ويم تياره طافح وفائض وهو دقيق المسالك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلا للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لان الانسان اما ذو عقل ملكي يتعقل الاشياء فينزجر او نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم اذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة حكى الغنوى قال دعيت الى عيادة مريض أحبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان اذا شكا المريض شيأ شكا الآخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فقال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه ومثله ما حكاه فى ذيل الامالى عن التميمي ان اخوين من امرأة يقال لهما افضل وفضيل قضى احدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فلما سوى عليه اللبن انشد

سأبكيك لا مستقصيا فيض عبرة * ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد

(فصل فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والمحن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك اوعر المسالك) اعلم انه ألطف موجود نشأ فى الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فمتعلقه لابد وان يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا الى نسبة تأليفية ولاشبهة ان الروح ألطف ما فى البدن فلذلك كان العشق اول ما يتشبث بها فهذا دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وهذا واضح لان الروح هى الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبدأ بالبدن والعشق بالروح ولاشك ان سريان اللطيف فى اللطيف اسرع ملاكا واعظم استهلاكا ويليه اللطيف فى الكثيف كالحمى فى البدن ثم الكثيف فى الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل اقول ان العشق غالب الامراض وليست بالنسبة اليه الا كالعشر الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض غالبا تخص البدن وانما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والا فهى فى نفسها صحيحة واما العشق

فعاقبته

عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤذيانه الى الداء العضال الذى لادواء له ومنها قول ارسطاطاليس الآخذ للحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم وقول الشاعر

فلست براء عيب ذى الود كله
ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

(وقول الآخر)

وعين السخط تبصر كل عيب
وعين أخى الرضا عن ذاك عميا

ومنها ما مشى عليه أبو على ابن سينا وغيره من الاطباء العشق مرض وسواسى شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقى أوجبها كرم الله تعالى على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لايقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهى موجودة فى الانفس بقدر مراتبها عند اربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبرا لهم عنها بصورة اللفظ وقال الاصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفى عن ابصار الورى فهو فى الصدور كامن ككمون النار فى الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس

فعاقبته افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر او سماع خطاب يتعقل له فى الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولا نظارها السفسطية برهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحسى وقال فيثاغورس لا يسمى حسيا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندى ليس بشرط وان اشترط ففى حق البلداء من الناس ومن فى حواسهم الباطنة ضعف والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف فى ايصاله الى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهى عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس فى الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهى الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذى يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر فى غيره ضياعا واشغال الزمان بما سواه فسادا او خروجا واليه اشار الفارضى بقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصى المراتب واستيفاء الشروط وكانه يقول من المعلوم ان السهو لا يحدث الا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبى وارد سواك فكيف أسهو ومن ثم اشار بعد ذلك الى طرح المراد واماطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله

وكل الذى ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيدك لى وعد وانجازه منى * ولى بغير البعد ان يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهى استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة باسرها وارتسام صورة المحبوب فى مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها والى ذلك أشار العارف المذكور بقوله ولا غرو ان صلى الانام الى أن * ثوت بفؤادى فهى قبلة قبلتى

وقوله * ووجدى بها ماحيه والفقد مثبتى *

يعنى أن وجدى الصحيح بالمحبوبة محانى اى صورتى التى كانت مع العالم الدنيوى فكان فقدى لها هو الذى أثبتنى وهذه المرتبة على الاصح من كلام كثير هى أول المراتب التى يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذى ذكرته الاطباء كالنظر فى الحساب والمحاورات وذكر مساوى المحبوب والنظر الى أمثاله وما يقاربه الى غير ذلك مما هو مقرر فى مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهى مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق فى سائر آلاته فيصير اذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الايذاء أو رأى شيأ كالجيفة او شم رائحتها فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمة والا الحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالمانيا والسرسام والسهر السباتى والماليخوليا والسابعة مرتبة العدم الكلى والمفارقة الابدية وهى التى اذا بلغتها النفس لم تستقر فى البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر أو سماع ذكر أو تنفس صعداء او امر من المحبوب وحاصلها أن يصير الموت اعظم أمنية للنفس كما اشار اليه بقوله

وانما يصرع المجنون فى الحين

انى جننت فهاتوا من جننت به

ان كان يشفى جنونى لا تلوموني

وقيل لابى زهير المداينى ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء أهل الظرف وقيل لابى وائل الاوضاحى ما تقول فى العشق فقال ان لم يكن طرفا من الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك وقال المأمون ليحيى بن أكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثر بها نفسه فقال له ثمامة اسكت يا يحيى انما عليك أن تجيب فى مسئلة طلاق أو محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة قال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمى عن القلوب مسلكه فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة وامر له بألف دينار وهذا القدر كاف فى معرفة العشق ورسمه

(الفصل الثانى فى أسبابه وعلاماته)

أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على أسباب العشق النفسانية وعلاماته الجسمانية على ان هذا النوع الاخير كثير والمتصف به من المحبين جم غفير وسنورد من ذلك ما يعذب وروده ويتحقق كقلب العاشق بنوده ان شاء الله تعالى قال بعض الاطباء سبب العشق النفسانى الاستحسان والفكر وسببه البدنى ارتفاع بخار ردىء الى الدماغ عن منى محتقن ولذلك أكثر ما يعترى العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن

فوتى بهـا وجـــدا حياة هنيئــة ❊ وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى

وقد صرت أرجو ما يخاف فأسعدى ❊ به روح ميت للحياة اســتعدت

الى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الابد وفراغا بذا الشواغل سـدى ونفحات قدسـية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض ابدا وأفرغ ذلك كله فى تحرير ما أودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وأدواره وتنقلاته واطواره لفنى الزمان ولم يدرك معاشره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته فى أقل ابياته وكلماته ما يدعك فى حيرة الفكر وبحار التعجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقاعا ناطقا ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه فى بيان مراتبه خصوصا ما ذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا احد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها أنا أبين لك عدم انطباق ما ذكروه على المطلوب قال ابن صاعد فى طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبي الله عليه السلام العشق طمع يتولد فى القلب يغنى عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاحتراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة أو برؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفى سيرة الاسكندر ان هذا الابقراط زاد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن فى الاعضاء الرئيسة فتى تمكن افسدها وهذا كله اشارة الى المراتب اجمالا وفى كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقته فغشى عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر الى اهالنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهى أدق وألطف واعظم سريانا وفعلا وقال أفلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك للشئ يعمى ويصم رواه أبو داود واحمد وانشد فيه

فلست براء عيب ذى الود كله ❊ ولا بعض ما فيــه اذا كنت راثيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ❊ كما ان عين السخط تبدى المساويا

ورأيت فى نسخة ❊ ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا ❊ وهى أليق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفى أخرى ❊ ولا بعض ما فيه وان كنت راثيا ❊ وهذا أليق بالمقام والطف واحسن دلالة على المقصود لما فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا أرى له عيبا مع انى صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا ❊ بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكرى وابن ابى طاهر فى المنثور والمنظوم وابو عبيد البكرى فى كتابه اللآلى فى شرح الامالى ان البيتين لجرير بن الخطفى وقال السمعانى هما لعلى والاول اصح قال الحاتمى وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب ❊ وعين أخ الرضا عن ذاك تعمى

الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب انا كل الطيور المسموعة يورث العشق وقال أيضا فى الخلاصة علامته نحافة البدن وخلاء الجفن للسهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى شئ لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لاسيما عند ذكر أسماء وصفات مختلفة فأيها اشتد عند اختلاف النبض وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكى للعشق من النجوم زحـــل وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشترك وافى أصل المولد أو اجتمعوا وتناظروا فى أشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة فى بيت أحدهم او فى حده وكان رب البيت أو صاحب الحد ناظر اليه او كانت الكواكب المذكورة ناظرة فى أشكال محمودة أو متقارنة فزحـــل يهيئ الفكرة والتمنى والطمع والهم والهيجان والاحزان والوســـوسة والجنـون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهـرة تهيئ العشـق والوله والهيمان والرقة وتبعث فى النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحـديث والمغازلة التى تبعث على الشـــبق والغلمة وتدعو الى الطرب وسماع الاغانى وما شابهه وقال بطليموس سببه أن تكون الشمس والقمر فى برج واحـــد أو متناظرين من تثليث او تسديس فتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحـــد منهما تكون سهمى سعادتهما فى مولديهما فى برج واحد او يتناظر السهمان من تثليث أو تسديس بعد أن يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجلب

واما

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكرة من استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت اعرابية العشق جل ان يرى وخفي عن الورى فهو كامن في الصدور كالنار في الحجران قدح أودى وان ترك توارى وهذا حد له بحقيقته في النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شيء به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زالت لانه عرض واما الكائن عن مشاكلة في النفس وارتسام في الذهن فلا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند الآخر اصفا جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سببا لانقلابه الى الحد الاصلي كما ستجده واما نحو الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق في الحقيقة على ما ذكرنا لكن ربما كان لبعض منها مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا انه اول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوي ويليه الحب وهو في الحقيقة اول الالفة واشتق من حبة القلب اومن حباب الماء اومن حب البعير اذا برك اومن حبب الاسنان وهو بياضها وحدت المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم اوقيام للمحبوب بما يحب وعدم مشاركة شيء معه وفيه انشد المتنبي يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وانشد بعضهم ومن عجب اني أحن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

والطف منه قوله خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

والحب اخص من العشق لانه عن اول نظرة واقصاه امتزاج الارواح والرأفة اشد لانها مبالغة في الرحمة قال الحراني هي أرق الرحمة والرحمة اعم لوقوعها على غير ذي صلة بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود أوخالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفي معناه المقة والتتيم حالة يملك بها المعشوق العاشق فاذا زاد فهو الوله أعني الخروج عن حد الترتيب وانشد في المعنى

الحب اوله ميل يهيم به * قلب المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * اومزحة اشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت احرقت مستجمع الحطب

وانشد ايضا ثلاثة احباب فحب علاقة * كذا حب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب ايضا ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن بالهم كما في ديوان الصبابة والخلة هي تمام المحبة سواء كانت بلا علة وهي الصداقة اوبها وهي فرط العشق الذي لا يخالطه غيره أخذت من الخلو والتخلي فكأن القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة وهي في الصحيح اسم لمبادي المحبة اخذت من علق بالتحريك اي حب وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز ان يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لانه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل والارادة ويطلق على ذهاب العقل في العشق وعلى نفس المحبوبة واما العشق فاعم منها وقيل أخص وهو عجاب بالحب أوافراط فيه واخذ من العاشقة وهي شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهي

المنفعة بينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويؤيد هذا قول الخبزارزي

ولكن أرواح المحبين تلتقي

اذا كانت الاجساد عنهن نوما
وأحسب روحينا من الاصل واحدا
ولكنه ما بيننا متقسما
ولولم يكن هذا كذا ما تألمت
له مهجتي بالغيب لما تألما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال أدب نبيه صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ما هو وراءه ومنها اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه كما قيل

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى
فهيج أشجان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائرا كان في صدري
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
وليلى بأرض الشام في بلد قفر

ومنها أنه يستدعي سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في أخباره ويحب أهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكني اكناف دجلة كلكم
الى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال آخر

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك

البلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذكار الحب واشتغاله به والشغف شدته مأخوذ من شغاف القلب أي غلافه اوسويدائه وبالمهملة رأس القلب عما يلي نياطه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علما عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الانسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع او شوق ينزع النفس من البدن الى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق أرفع وهل يزيده الوصل او ينقصه خلاف واستدل للاول بقول الشاعر

وأعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وللثاني بقوله فالقت عصاها واستقر به النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة نقص بقضائها بل ربما عدم والا بان كان كلفا لا تكلفا وطبعا لا تطبعا وميلا نفسيا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل الا رسوخا على أنه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو اعم فيجوز تفسيره بفرد غير الشوق على ان المحققين اجمعوا على ان الشوق حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما انشد ابن الرومي في ذلك

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان

واما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة او هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب تحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن كالتفجع او هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق أو الغل من الغلل يعني العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة والبلبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد شدة السهر وتواتر احوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة او الكمد تغير الى سواد والدنف الى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا في الاصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع أشده والدله بالمهملة احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيام مجرد الحب أو هو السياحة فيه والبله حمق أو غفلة فيكون هنا استغراقا في الحب فهذه حقيقة أسمائه التي جعلها مراتبه وليست الا باعتبار صفة أو أول أو تسمية جزء او سبب بكل أو مسبب وعكس ذلك وانما المراتب ما قررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد أوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

(فصل فيما ذكر له من العلامات) وهي أحوال يتصف بها البدن كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره حتى انها قد تقضي بالهلاك وكذا اعتقال اللسان وأحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والتعقل وقد

والاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطئ في المشي عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يتمنع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبدله سؤالا وتضرعا كأنه يأخذه من المحبوب حتى أنه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله كما قيل

يفديك بالنفس صب لو يكون له
أعز من نفسه شيء فداك به

ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق في المكان الواسع والمحاربة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز الخفي والميل والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما أبقى المحبوب في الاناء قلت ومنها تقبيل نعله في غيبته وقد رأيت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما في هذا من اللذة ثم ان وجدت هذا المذكور ربكة وأرسل معي كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف أمكن الصبر يا زيد عن عمرو فأنشد

ولله مني جانب لا أضيعه
وللهو مني والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولا سيما اذا كانت المحبة محبة مشاكلة ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام أو يريد أن يتكلم به فيتكلم المحب به بعينه وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا

مرثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والتنقل (قيل) أتى بشاب الى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألما فقال وهو قابض على نبضه لغلامه قد اخذني البرد فائتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يده فقال لامه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك وأنشد

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج اشواق الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري

وفي معناه محبة كل ما ينسب الى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبي حجلة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف تصبر على ما اعلم فيك فانشد يقول

ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

(أقول) وفيه نظر عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفا وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحدا خصوصا واللهو في شعره اعم من ان يكون بالمحبوب او غيره وأما التشبه بالمحبوب في سائر الافعال والاقوال والميل الى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من اثره فامر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل ان شخصا وجد في تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه اليها وآخر ألف هاون لسماع صوت هاون محبوبته واما اتحاد الاجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير قيل مرض ابو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فاخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها انشطت فكتب اليها

انى حممت ولم اشعر بحماك * حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حين عافاك
حتى قد اتفقت نفسي ونفسك في * هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

وفي معناه انشد وقف الهوى بي حيث انت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم

و يقرب من هذا قول الشافعي

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني * فبرئت من نظري اليه

اذا تقرر هذا فليكن الاخف منه كالغيرة و بذل النفس وترك ما سوى المحبوب بالطريق الاولى وكذا نظائرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس ورؤية ما ينسب اليه و يقوله حسنا صحيحا وان كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق للاتيان باعظم منه كما سمعت (قال الزراع) ودع هندي جارية كان يهواها فذرفت احدى عينيه فغمض الاخرى عن الملاذ عقوبة لها اربعا وستين سنة حتى مات واما حصول العشق برؤية في النوم او بالاثر او بالسماع او بالكلام او الوصف او اللمس او باول نظرة او بالمطاولة

غير مرة للسلطان الملك الناصر أحمد لما كان بالكرك مع محبوبه الشهيب فانه كان يمرض لمرضه و يصح لصحته أخبرني بذلك من لا ارتاب في قوله ممن كان في خدمته ملازما له وأما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير فمن ذلك ما حكي عن أبي نواس انه مرض فدخل عليه بعض أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة قال فانبسط معنا وقال من أين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفي فقال أو كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سببا غير اني توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاه منها قبلي ثم دعا بدواة وكتب الى عنان

انى حممت ولم أشعر بحماك
حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني
من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم
عافاني الله منها حين عافاك
حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك في
هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

ومنها انه اذا سئل عن أمر اجاب بخلافه وكثرة التثاؤب والتمطي والتكسل اذا نظر الى محبوبه ونكته في الارض بابهام رجله وهذا كثيرا ما يقع للنساء وعضها على شفتها السفلى وضربها على عضديها أو ثدييها او اظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انها ترى ذلك لبعض أهلها ونظرها الى اعطافها او وضعها الحديث في غير موضعه (اياك أعني واسمعي يا جاره) ومنها الانقياد للمحبوب في جميع ما يختاره من خير وشر فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب في طلبه أشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار الملحة المستحسنة بالغ المحب في طلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد في تعلمها ان امكنه ذلك

والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الامزجة وقد أسلفت في طالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لي في ذلك ان الناس اما ناظرون بلا حجب او بها اما من العاشق والمعشوق معا ومن احدهما فقط وتختلف الحجب لطفا وصفاء وعكسهما فهذه اسباب الاختلاف وان كانت لاهل الحقيقة بالذات

(الباب الأول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة اما وصولا الى المطلوبات الدنيوية أو الاخروية ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالبا او الباطنة ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش في العقل من الخلق أو ميل نفسي الى المبدع باستيحاش ممن سواه لاجرم قسمت المحبة قسمين اشرفهما متعلقا الثواب وهو الحب في الله لانه لا يفنى متعلقه ولا تكيف غايته ولا يفضله شئ في الحقيقة اذ ما سواه أوهام تضمحل وتزول واعراض تفنى وتحول ولا شبهة في ان ادخار ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء اولى في الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما نذكره هنا في الاصل على ذكر من افنى نفسه في طاعة ربه واكثر اغترافه من الحلية لابي نعيم اذا تقرر هذا فحد المحبة كما قال الحصري وصول الى مقام الانس والنعمة باطنا والوحشة والبلاء ظاهرا بشرط الاشراف على الغيوب وفناء الكل في بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه ان يورد التعريف التام العام اولا ثم يفصل وقال الاستاذ ابو يزيد البسطامي هي استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندي قريب من الاول غير ان بعض شراح الفصوص قال ان فيه تعريفا بالمادة واظنه اخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقل الحد ابن البحراني في شرح التائية على قول الاستاذ فقال هوى غيري قصدت واقرهما واحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضي الله عنه وقد سئل ما المحبة فقال هي الصفاء في الباطن مع حقائق الحق والوفاء في الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله هو الحد التام وان كان الى الخاص اميل فان قوله الصفاء في الباطن يريد به الخلوة الحقيقية التي هي قفل ابواب الحواس عن ممارسة الخلق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على اعتاب الحق ونفي الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفي العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق

هنالك وجدت الكائنات تحالفت * على انها والعون مني معينتي

حيث انتفت معاندات الاغيار وتحققت ممازجات الاخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقيقية في مرآة الصور الخلقية وانبسطت اشعة الاحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشية

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا * ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وقوله والوفاء في الظاهر يعني لكل معاهد بعده وموعود بوعده وضال برده ومتغفل بتفهيمه وتقويته بجده لان العارف المتصف بما ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهرا وباطنا فهو النبي وخلفاؤه ومن فعله على الاول فهم السلاطين او على الثاني فهم الافراد الاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق والاستبصار

فالمحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبلية كل البلية أن يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به وفي أخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقته فوجد في تركته اثنا عشر حملا وفردة من السراويل ذكره الصيمري وعشق آخر الهاونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته عشرة آلاف منها وقد وقفت من هذا على أشياء كثيرة والجنون فنون

(الفصل الثالث في مراتبه وأسمائه)

أقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه وأسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالخمر والرمح والخمر والسيف والداهية والمحبة المحرقة وما أدراك ماهيه وضعوا له أسماء كثيرة وكانت عنايتهم به شهيرة ولا شئ يعدل اعتناءهم بالحب الذي يسلب اللب فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر

ان التي زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني
علق بقلبي من هواك قديم

وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب وأصله من الكلفة وهي المشقة يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم والكلف أيضا لون بين السواد والحمرة وهي بعرة كدرة ثم العشق هو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب وفي الصحاح العشق

علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وورثة الانبياء

فما المنا منهم نبي ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسالة

واما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة الى معنى لا يدركه الا الخواص وان غاص عليه من غاص فان فيه اشارة الى حفظ الكليات التي عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التي قصر عنها الكلام واجتهاد النفس في جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الاهواء بيد ان ذلك قباء لم يخط على كل ذي قد واشكال اقيسة فكر لم يستخلصها كل ذي جد اللهم حققنا بحقائق معارفك وارفعنا من حضيض زوايا الخمول الى أوج استقامة اطائفك وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود الى اشرف منازل السعود وأما قول بعضهم وينسب الى ذي النون المصري المحبة ارق بلا رقاد وجسم بلا فؤاد وتهتك في العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فان الارق الذي هو السهر من الفكر في الامور الطارئة على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور في الذهن وان الجسم لا يكون بلا فؤاد الا اذا فني فهي كناية عن عدم الالتفات الى ما من شأنه ان يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف وخلط لحالة الهائمين باحوال المحبين وباقي الكلام ظاهر وعندي ان المحبة ميل نفساني الى المراد يعضده الجزم بالاعتقاد ورؤية ما سوى المطلوب من الفساد وفي الدين ارتداد واليه أشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فقولنا ميل كالجنس ونفساني كالفصل والى المراد فصل قريب ولذلك أخره وهذا هو فعل المادة والصورة والجزم في الاعتقاد بالفاعلية وغاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ما سواه فساد فقد جمع هذا الحد مطردا ومنعكسا أحوال المحبة على وجه العموم فمن أراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط منها ان لا يبالي المحب بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فليتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء اذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذي ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاستاذ كيف أوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك وأوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المدارج الى أسنى المعارج حيث قال

* نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * لان الزمان المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها ففي البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير أحوال الغرام بأقصى المرام ثم أكد ما اسس وابدع ما جنس وقوى جزئي الميل حتى صار كليا بما وشح من بديع نظامه واتى من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت

ممنعة خلع العذار نقابها * مسربلة بردين قلبي ومهجتي

فجدوا أيها المقصرون وانتبهوا أيها الغافلون وبادروا أيها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعا عن الطريق وتخذيلا للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين ان الوصول الى هذا النفس بالظاهر من البلاغة

فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة أنواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وهو أم هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وانما أولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة الا في حديث ابن داود الظاهري كما يأتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج فسمي العشق الذي يكون بالانسان للزوجته ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابي العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره في ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال في المرأة عاشقة وامرأة عاشق أيضا وقد تقدم ذكر ذلك والله أعلم ثم الشغف قال العزيزي في غريب القرآن شغفها حبا أصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع حبه الى أعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال أي رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة أي ذهب به الحب اقصى المذاهب وأما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب أي أحرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج أعني مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه وأحرق جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب

والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الامر الا من أراد علو همته وغلو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا يلتبس بالعلم غير أهله ولا يبسق الفرع على غير أصله ذلك المحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب ياخلى الى غير ذلك مما دلت عليه ابياته الفائقة وعباراته الرائقة وألفاظه الشائقة التى هى اصوادق الهمم الى مقام الوصول سائقه ولولا ما فى ذلك من التطويل الذى يستغرق المدد مع المدد ويستنفد الابد فضلا عن طول الامد لاوضحت لك ما فى كلامه من الاسرار الحقيقية الدالة على ان أبيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة فى الابرام والنقض لا يجوز تقدم بعضها على بعض (ومن لطيف ما اتفق لى) انى خلوت بنفسى ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور احدى وسبعين وتسعمائة فاخذت أتفكر فى كلامه متصفحا فى دقائقه الى ان قام فى فكرى معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لى وعد البيت وقوله عذب بما شئت غير البعد وقوله وأصعب شئ دون اعراضكم سهل * وبين قوله وكل الذى ترضاه البيت فانه فى جميع الابيات أشار الى انه راض بكل افعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم أشار فى هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندى جواب ان ذلك عام خصص ثم غشينى النوم فرأيت كانى بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة وليس فيها غيرى واذا برجل طويل غليظ شديد البياض فى يده عكاز أخضر متوشح بثوبين ابيضين وعلى رأسه كالازار فقام عندى انه الشيخ فاذا هو هو فسلم على ووضع يده على كتفى ووقفنا متقابلين وهو يقول لى هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت ياسيدى وما الذى قصدت قال اما تعلم ان المسافر أثقل ما يكون فى مبادى سفره ثم لم يزل يخف اذا طالت طريقه حتى لم يبق الا هو وربما فنى قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقى مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى فى دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما فى الحديث القدسى فبى يسمع وبى يبصر فعلمت ان هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهرة فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الان تداركنى الالطاف الباهرة (وقال بعض العارفين) شرط المحبة ان تكون ميلا بلا نيل وشرطا بلا اجزاء لئلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك فى أحباء الله عز وجل روى عن على رضى الله عنه انه كان يقول فى مناجاته الهى ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكنى وجدتك اهلا للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ما وقع دالا على استحقاق الله له بلا شرط نحو نحمدك يامن جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع فى مقابلة شئ كالحمد لله على ما أنعم واخبر السراج عن ابى بكر الازدستانى بسنده الى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيه الناس حتى الوحوش والطيور فينوح ويعظ مذكرا بالجنة ثم النار ثم الاهوال ثم الخوف من الله وفى كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك يا أبت قد مات الناس ثم يقول له العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يا اله داود أغضبان انت عليه أم راض الى ان يخر مغشيا عليه واخرج عبد العزيز بن على الطحان عن ابن عطاء فى معنى قوله عز وجل انى مسنى الضر وانت أرحم الراحمين ان أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه

حرقته فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفى الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمى تيم الله أى عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل متبول وفى الصحاح تبلهم الدهر وأتبلهم اذا أفناهم ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب أى حيره ثم الهيام وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر الابل العطاش وقوم هيم أى عطاش والصبابة رقة الشوق وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذى يتبعه الحزن وأكثر ما يستعمل فى الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب فى الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب فى المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال فى الصحاح الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشئ وقد جاء فى السنة وأسألك النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واختلف فى الشوق هل يزول بالوصال أو يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب فاذا وصل اليه انتهى السفر

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر

وأعظم ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

قالوا الان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها فى قلب المحب وذلك مما يزيده القرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذى كان عند الغيبة عن المحب قال ابن الرومي أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى والثم فاها كى تزول صبابتى . فاكل

فا كل بعضه بعضا حتى بقيت واحدة فدبت الى قلبه فقال ذلك لانه قال أى رب لم اخف من بلاء مادام قلبي عارفا بجلالك وذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر الى غدا قال بهاتين العينين قال لا ولكن أخلق لك عينين يسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام فى سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت احق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل ذى روح ملجأ لا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتني فوعزتي وجلالي لازوجنك بحوارى ولأولمن عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذرى عن ابن سعد يرفعه ان انصاريا بكى من خشية الله خوفا من النار حتى حبسه البكاء فى بيته فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فلما اعتنقه خر ميتا فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بتحريك الراء يعنى الخوف فلذ بالمعجمة يعنى قطع كبده (وحكى) أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال ان يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول هى ميمونة السوداء قال فقلت وأين هى قال بالكوفة فخرجت فى طلبها فلما سألت عنها قالوا هى مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلى فلما رأتني اوجزت فى صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتيني فقالت الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفى رواية أخرى قالت جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظيني فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيأ من الدنيا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وأنشدت

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب

تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب

لو كنت أصلحت قبل هذا * غيك او تبت من قريب

كان لما قلت يا حبيبي * موقع صدق من القلوب

تنهى عن الغى والتمادى * وأنت فى النهى كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بيني وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفى الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا مني اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنا سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء فبكيت فقالت ما بكاؤك ما اسرع ما وجدت طعم الدواء قلت هكذا العليل ثم قلت عظيني يرحمك الله فأنشدت

دنياك غرارة فذرها * فانها مركب جموح

دون بلوغ الجهول منها * منيته نفسه تطوح

لا تركب الشر فاجتنبه * فانه فاحش قبيح

والخير فاقدم عليه جهرا * فانه واسع فسيح

فقلت زيديني قالت سبحان الله أوما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لا غنى لى عنه فقالت أحبب ربك شوقا الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لاوليائه (وفيه) عن أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله عنه قال بينما انا فى السياحة اذ لقيتني امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك الا انها زادت حيث نهيت عن البكاء بان

فيشتد ما ألقى من الهيمان كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن ترى الروحين يمتزجان

والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل الشوق وهى وساوسه والتباريح الشدائد والدواهى يقال برح به الحب والشوق اذا أصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر القلب من حب أو سكر أو غفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب أشد الى محبوبه وقال الراجز

انى سأبدى لك فيما أبدى

لى شجنان شجن بنجد

وشجن لى ببلاد السند

وقال آخر

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى

وللناس أشجان ولى شجن وحدى

والوصب ألم الحب ومرضه فان أصل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون والارق السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون أصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا والود خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذى يوحد حبه لمحبوبه وهى مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفى الصحيح عنه لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح منى

وبذا سمى الخليل خليلا

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب أفضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة

قالت البكاء راحة القلب فما كتم شئ أحق من الشهيق والزفير فاذا أسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجب من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فاقمت على بابه أربعين يوما فلما رآني بعد ما هرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيبا اذا قربت منه قربني وأدناني واذا ابعدت صوب بي وناداني واذا قمت باليسير رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني واذا عملت بالمعصية صبر علي وتأناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بأن لهم * من ربهم سببا يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة * وان أرواحهم تختال في الحجب
لهم على خلوة منه تسددني * اذا تضرعت بالاشفاق والرغب
يارب يارب انت الله معتمدي * متى أراك جهارا غير محتجب

(وعن ابي الفتح بن سحنون) قال كان سعدون صاحب محبة لله لهجا بالقول صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونا لترددقوله في المحبة فغاب عنا زمانا وكنت مشتاقا الى لقائه فبينما انا بفسطاط مصر على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى ياذا النون متى يكون القلب أميرا بعد ما كان أسيرا فقال اذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه الا هو قال فخر مغشيا عليه ثم أفاق وهو يقول

ولا خير في شكوى الى غير مشتكى * ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال يا أبا الفيض ان من القلوب قلوبا تستغفر الله قبل ان تذنب قال نعم تلك قلوب تثاب قبل ان تطيع قال يا أبا الفيض اشرح لي ذلك قال يا سعدون أولئك اقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات فهم رهبان من الراهبين وملوك في العباد وامراء في الزهاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم المولهة بالقدوم الى الله تعالى شوقا فليس فيهم من انس بمخلوق ولا مسترزق من مرزوق فهو في الملا حقير وعند الله خطير ثم ولى وعن أبي سليمان قال مررت ليلة فسمعت في جبل اللكام رجلا يقول في دعائه سيدي وأملي وموئلي ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكي عليك فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا أنا برجل نائم فركضته وقلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه (وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل ما يحب فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان فامرسهم بماء الاجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الارق واشربهم على الحرق فانه شفاؤك وانشد

ياطبيبا بذكره يتداوى * وصفوه لكل داء غريب
ليس خزني عليك شئ عجيب * انما الصبر عنك شئ عجيب

(وسئل أبو بكر الشبلي) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله واعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفي قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال

وهي توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبيا خليلا فالخلة أخص من المحبة لأن الحب العام على الخاص والعام

حللت بهذا حلة ثم حلة
بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين قال كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله أسماء أخر غير هذه أضربت عنها خوف الاطالة والمحبة أم باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه ألا ترى ان كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى أن يهوى الشئ فيتبعه غيا كان أو رشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذي يهوى الامر محب وللناس في حد المحبة كلام كثير فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس كما قال المتنبي

يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل

وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

ومن عجب اني احن اليهم
وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقيل هي حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر

خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فأين تغيب

وفي اشتقاقها أيضا

التألف

التآلف والاعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر (وعن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه) قال كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فسألنى من معى عنه فقلت قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق فى الدنيا ثم استنقذه الله بلغنى انه سر يوما من الايام بما هو فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفا على رأسه وفى يده كتاب فناوله اياه ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فان الذى أنت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا ان بعده هلك وفرح وسرور لولا ان بعده غرور فسارع الى أمر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا وخرج الى هذا الجبل فما زالت أتعهده حتى مات ودفن ههنا (وحكى) أن ملكا أراد الركوب يوما فدعا بثياب الزينة فجئ بها فردها وقال أريد ثياب كذا فجئ بها فردها حتى جئ باصناف كثيرة ثم اختار ما أراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ ابليس فى انفه فملاه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب أحدا فبينما هو فى موكبه اذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لى اليك حاجة قال حتى أرجع قال لا بل مكانك قال اذكرها فقال ادن منى فطأطأ فقال له أنا ملك الموت فتغير واضطرب وسأله أن يعود فيودع أهله فأبى وقبضه مكانه (وحكى) انه عارض فى ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما قال للملك فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تمضى اليها فقال لا حاجة أحب الى من لقاء الله فقال اختر على أى حالة أقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه (وعن عتبة المعروف بالغلام) وسمى بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما بالجبانة فبلغ خبره على بن سليمان امير العراق فخرج حتى وقف عليه فسلم فرفع رأسه فرد عليه فقال له الامير كيف أصبحت قال متفكرا فى القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى وأطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الامير قد أمرت لك بالف درهم فقال قبلتها على أن تقضينى معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هى قال تقبل منى ما وهبتنى فقال قد فعلت وانصرف ولقد كان عتبة هذا لا ينام الا أول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادى النار النار قد شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيرا ما يقول اللهم يا عالما بحاجتى غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاكى من النار اللهم ان الجزع قد أرقنى من الخوف فلم يؤمنى وكل هذا من نعمتك السابغة على وكذلك فعلت باوليائك وأهل طاعتك الهى قد علمت لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين (وعن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة (وعن حيان القيسى) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظعن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرهم فيكون هذا حكمة أو يكون فى صدورهم حرج من قضائه وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصى لئلا تغتم قلوبهم فمن اجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم صب

أقوال فقيل هى مشتقة من حبة القلب وهى سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هى مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أحب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه أو ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب الماء الذى يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذى يسميه المصريون الزير ما أحسن قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى كوز الزير وفيه اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

وذى اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب
فقل ما شئت فى الصب

(الفصل الرابع فى مدحه وذمه)

أقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه وتر ياق سمه فكم مدحه عاقل وذمه متغافل هيهات فات من ذمه المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب فمن خصاله المحموده وفضائله الموجوده ما قاله العلامة قدامة العشق فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخى كف البخيل وتصفى ذهن الغبى وتطلق بالشعر لسان العجمى وتبعث حزم العاجز وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب وأول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس أليفه وله سرور يجول فى النفوس وفرح يسكن فى القلوب وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وحلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح

عليهم العذاب صبا فما ازدادوا بذلك الا حبا (أقول) والتقسيم الاول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي الا ان القسم الاول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على أن لنا أن نتكلف للاول ان يكون مثله وفي هذا تلميح الى التسليم البحت في القضاء والقدر والاول الى الاختيار (وعن سمنون بن حمزة الخواص) أن أبا بكر البصري وكان رجلا من أكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو فليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فامتحني
فحصر بوله اثر قوله هذا فتضجر فسمى نفسه الكذاب في المحبة (غيره)

ولو قيل طأ في النار أعلم انه * رضا لك او مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا لاني قد خطرت ببالك

وله أيضا
وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه * فلست اراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شيء في البلاد باسرها * اذا غبت عن عيني بعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل * فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

وله أيضا
يا من فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه مصروف
يا حسرتي حسرة اموت بها * ان لم يكن لي اليك معروف

(وعن الجنيد رضي الله عنه) قال انفذني السري في حاجة فلما قضيتها دفع الى رقعة وقال قد اجزتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتضعف حتى لا يبقي لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

(ودخل ابو بكر الشبلي) يوما المارستان فوجد غلاما اسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمني بحبه حتى قيدني وأنشد يقول

على بعدك لا يصبر * من عادته القرب
ومن قربك لا يصبر * من تيمه الحب
فان لم ترك العين * فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلي وخر مغشيا عليه فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود (وعن علي بن سعيد العطار) قال مررت ببغداد بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قال فبينما أنا اردد الحمد اذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف مصروع مقعد مجذوم قال فما استتمت كلامي حتى صاح بي فقال ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه يفعل بي ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني اربا اربا او صببت على العذاب صبا ما ازددت لك الا حبا وللشبلي رضي الله عنه

ان المحبين احياء ولو دفنوا * في الترب أو غرقوا في الماء أو حرقوا
أو يقتلوا بسيوف وسط معركة * أو حتف أنف وان أضناهم الفرق
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم * يوما لباه من بالحب يحترق

وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق وقيل لابن جهز متى يكون الفتى بليغا فقال اذا صنف كتابا او وصف هوى أو حبيبا وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرني اني خلي من الهوى * ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

وقال آخر

ولا خير في الدنيا بغير صبابة * ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وأنت خال مفرد

وقال آخر

اذا لم تذق في هذه الدار صبوة * فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تذر * حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت أنا مضمنا القول المتنبي هذا مع زيادة التورية

ان تسألوا عما لقيت من الهوى * فانا الذي مارسته وعرفته
خالفت في رشف الرضاب وطعمه * وعزلت اهل العشق حتى ذقته

(حكي) ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دنيء النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فلما علم الملك بهرام بذلك فرح وأرسل الى التي قيل انه عشقها أن تجني عليه وقولي اني لا أصلح الا لشريف النفس

(وعن احمد بن عيسى الجزار) قال دعتنى امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدى فقلت سبحان الله أحياة بعد موت فقال ان المحبين لله احياء وان ماتوا * ودعا عبد الواحد يوما جماعة من الصوفية فآواهم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لم لا تأكل قال ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤسهم فاشتقت الى ذلك فأبت نفسى الطعام فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على ان لا يولوا ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل ان عتبة عاهد الله على ان لا ينام الا مغلوبا وقرأ غلام يوما بين يدى صالح المزى بالمعجمة نسبة الى قرية بدمشق وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين باك ومناد بالويل ثم صاح واويلتاه واسوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب فيه تأنث فقال أوكل ذلك فى القيامة يا أبا بشر فقال واكثر من ذلك لقد بلغنى انهم يصرخون الى ان تنقطع اصواتهم فقال الشاب انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى وخر ميتا بعد ان استقبل ودعا بالتوبة فرؤى بعد قليل فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أدخلنى الجنة ببركة مجلس صالح ودعا صالح يوما فمر به مخنث وهو يقول فى دعائه اللهم اغفر لاقسانا قلبا واجمدنا عينا واقربنا بالذنوب عهدا فسمع المخنث فمات فرؤى فى المنام فقال كما قال الشاب وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسى يقبل غلاما من أهله فقلت اتحبه قال نعم قلت ما كنت اظن ان فى قلبك بقية لاحد فخر مغشيا عليه فلما افاق مسح وجهه وقال انما هى رحمة منه القاها فى قلوب العباد (وحكى) ابن سعيد التيمى قال نظرت الى جارية سوداء تسف الخوص وهى تقول

لك علم بما يجن فؤادى * فارحمن ذل ذاتى وانفرادى

فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب ان تقول لهذا المجنون قم فيقوم ومقته فقام والجنى يقول ويحك لا عدت اليه ابدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر فى الاصل ما لا علاقة له اذا أمعن النظر بهذا المحل وربما يأتى بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب فى ذكر من فارقت روحه من الاحباب) قال عبد الرحمن الصوفى مررت فى اسواق بغداد بسوق النخاسين فرأيت جمعا كبيرا على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

ألم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتبسما

وللعاشق الصب الذى مات وانحنى * أما آن أن يبكى عليه ويرحما

كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا على نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخر مغشيا عليه (وروى) عن ابن الحوارى مثل ذلك الا انه زاد وللغصن غصن البان ان يتكلما وفى البيت الاخير كتابا حكى نقش الوشاة * وقام ابو زهير فى مجلس المزى فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا الى ما عملوا من عمل الى قوله واحسن مقيلا فقال له اعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتا وفى رواية الحافظ مغلطاى عن ابى القاسم فى الامالى وابن ابى

فالى الهمة ملك أو عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع فى ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم وأنشدت ذلك فى حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا أعظمهم أجرا قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذى سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد فى العقول وتحرك النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح ويتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال انه يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا خالدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له رأس ولا ذكر مع الناس وقال المرزبانى سئل أبو نوفل هل سلم احد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلو احد من صبوة الا ان يكون جافى الخلقة ناقصا أو منقوص البنية أو على خلاف تركيب الاعتدال

فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة
من العشق حتى الماء يعشقه الجمر

ويكفى العاشق انه يرتاح للمعروف واغاثة الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف فى طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو النجاب رأيت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول وددت بأن الحب يجمع كله * فيقذف فى قلبى وينطاق الصدر

الدنيا في كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البناني ومالك بن دينار انهم قالوا أتينا ابازهير الضرير المذكور وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكانه نشر من قبر فصلى وجلس كالمهموم فسلمنا عليه فقال لصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا ببعض حاجاته فاستحضرناها واخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحا قلنا وما يدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لي ان قرأ على صالح قتلني فجهزناه رحمه الله تعالى (اخبرنا ابو الطيب) وكان صوفيا من اهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوما في مجلس ومعنا رجل صوفي يقال له ابو الفتح فقرأ قارئ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغني بعد ايام انه حضر بالكرخ مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربي الاشبيلي المعروف بالمعدل

يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا انت ساكنه
غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد واقبل يقول للصبية كيف قلت فلما اعادت البيت خر ميتا * واخرج في الامالي عن عبد المؤمن القصة الا ان البيت الاخير * وجهك المأمول حجتنا * قلت ولعل الذي مات من سماعه الرجل هو هذا الا ان العارفين اذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر اخذا من نفوسهم ولا شبهة في ان المأمول أبلغ * وحكى أبو الفرج الصوفي قال كنا نجتمع للخدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركي يرعى عنيزات وكلما دعوناه الى السماع أبى فمر به صبي يوما يغني

ان هواك الذي بقلبي * صيرني سامعا مطيعا * أخذت قلبي وغمض عيني
سلبتني العقل والهجوعا * فدع فؤادي وخذ رقادي * فقال لا بل هما جميعا
فراح مني بجانبيه * وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبي كيف قلت فخاف الصبي منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك بطبرية يقال له حامد الفاخوري وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد الابيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات واخرج مغلطاي عن ابن أبي الدنيا والمنذري آخر الترغيب في فضل الخوف عن ابن عمر وصححه الحاكم ان رجلا حبشيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت أ كون معك في الجنة قال نعم ثم قال له صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشي يا رسول الله وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك فقال نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه رضي الله عنه قال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته بيده رواه الطبراني عن أيوب بن عتبة * واخرج مغلطاي عن ابن

لا ينقضي ما في فؤادي من الهوى * ومن فرحي بالحب أو ينقضي العمر فقلت يا فتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملأ قلبي فتمنيت المنى والله ما سرني ما بقلبي منه ما فيه امير المؤمنين من الملك واني ادعو ان يثبته الله في قلبي عمري ويجعله ضجيعي في قبري دريت به أم لا ادري هذا دعائي وله قصدت وفيه ترغبت مما يعطي الله سائر خلقه ثم مضى (قلت) ذكرت هنا ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعري ما يعجبك فيها وأولها مرار وآخرها خمار فقال لكن بينهما والله نشوة لا أبيعها بخلافتك يا أمير المؤمنين أخذه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها
أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هنات
وصفها بالسرور ان يستطاعا

وأما ما جاء في ذمه وسريان سمه فأكثر من أن يحصر فكم ترك الغني صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا

وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه ووقع فيما يأباه أي والله

والعشق يجتذب النفوس الى الردى
بالطبع واحسدي لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا أنا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت فنظر الي فقال أنت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم أنشد

ابي

ابي الدنيا في كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصري قال كنت اماما بمسجد ابن جراد وكان يتردد الى رجل فسألني يوما مصحفا ينظر فيه فاعطيته اياه فخرج وهو يقول فسيكون لي ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا في أي شيء أكفنه واذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف الا رجلا غريبا كان يصلي هنا فقالوا انت أشقى من ان تعرف هذا ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون في تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية في أنيس الجليس الا انه زاد ورأيت المصحف مفتوحا واول سطر فيه الله نزل احسن الحديث الآية * وفي الحلية عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل اعرفه فسألته ان يدلني على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر فلم يكلمنا وخرجنا فقال لي أتدخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص يشبه الاول وعنده أم له عجوز فقالت لا تذكروا لولدي نارا ولا جنة فتفجعوني فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال اما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدي من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا * وفيها قال دخل جماعة على ابي سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشي عليه واصاب صدره فأدماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكنت الغوغاء دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضي عليه * وحكى مغلطاي عن ابن ابي الدنيا قال كرر ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم تكرر هذه الآية فقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤسهم حتى ماتوا ورأيت في أنيس الجليس القصة وزاد فيه ان رجلا قصد الحاج فعدل عن الطريق تائها اثر نوم فاذا هو في ارض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد اقبلوا الى ماء هنالك فتوضؤا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا أمواتا وقائل يقول له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقية وانت ان أردت الحاج فامض امامك فستظفر بأصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من اهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشي عليها واحتملت الى بيتها فلم نبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم وعن محمد عن منصور بن عمار قال مررنا في جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلي وهو يقول في مناجاته الهي ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت واعانني عليها شقائي وغرني ستر المرخي وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من اتصل ان انت قطعت حبلك مني واشباباه واشباباه فلما افرغ تلوت آية من كتاب الله وهي فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فسمعت دكدكة وانقطع الصوت فلما اصبحنا رجعنا على الاثر واذا بجنازة وعجوز قد اخذ منها الكبر فسألناها فقالت مر قارئ بولدي فقرأ آية فتفطرت مرارته ومات وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك عني واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فياليت شعري أمع المثقلين نحط اومع المخفين نجوز ويحي كلما طال عمري كثرت ذنوبي ويحي كلما كبرسني

أنا في أمري رشاد * بين حب وجهاد
بدني يغزوه سدوى * والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله قال فوالله ما خرجت الا هاربا من الحب ثم قاتل حتى قتل

(وقال الواو الدمشقي)

سبيل الهوى وعر وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر

(وقال غيره)

العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

(وقال عبد المحسن الصوري)

وكان ابتداء الذي بي مجونا
فلما تمكن أمسى جنونا
وكنت أظن الهوى هينا
فلاقيت منه عذابا مهينا

(وقال محمد اليزيدي)

كيف يطيق الناس وصف الهوى
وهو جليل ماله قدر
بل كيف يصف وحليف الهوى
عشق وفيه البين والهجر

(وما أحسن قول عبد الله بن اسباط القيرواني)

قال الخلي الهوى محال
فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب
ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى ذفرة ودمع
ان لم ترد جريه كففته
فقلت من بعد كل وصف
لم تعرف الحب اذ وصفته

(تنبيه) الهوى أكثر ما يستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ أفرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو في الخير والصلاح

المواقي في فضائل ابن عماني أن بعض الصوفية قال الهي
كبرت خطاياي فياويلي كم اتوب وكم أعود ولا استحي من ربي قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت في على باب داره وقرأت الآية المذكورة وعلمت الباب فلما رجعت الحكاية الا انه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص * عن ذي النون المصري قال بينما أنا اسير على جانب البحر في الليل واذا أنا بجارية عليها اطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها لسماع ما تقول واذا هي متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فافاقت وهي تقول سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات انت الذي سجدلك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي القهار وانشدت

احبك حبين حب الوداد * وحبا لانك اهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى * فحب شغلت به عن سواك
واما الذي انت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على احسن ما يكون من الحالات قد أقبلن فاحتملنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمنني للصلاة وهن ورائي فلما فرغت مضين بها قال المختصر عن مغلطاي رأيت غير مامرة شيخا مغربيا يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة الى الكتبيين ويكثر من انشاد شعر بلا وزن مضمونه ان الحاكم اخذ ماله المتروك عن والده وأوراقا كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة المحدث في سيرة البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في سبيل الله قال المغربي وأنا أيضا أموت في سبيل الله فقال له المحدث افعل فتمدد الى جانبهم فحركه فاذا هو ميت * وعن ابي الحسين أحمد بن أبي الحواري قال مررت في الشام بقبة واذا انا بامرأة تدق الحائط فقلت لها ما بالك فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق فقلت اي الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات لا تقطع الا بسير حثيث وتصحيح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان من امسك عليك جوارحك فلم تنقطع وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع ثم خرت مغشيا عليها فقلت للنساء حركنها فاذا هي ميتة ووصيتها الى جانبها ان كفنوني في أثوابي وخلوا ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو اسعد لي والا فبعدا لنفسي وفي الاصل قيل كان بالموصل رجل نصراني يكنى ابا اسمعيل وانه سمع يوما قارئا يقرأ وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فبكى حتى غشي عليه ثم اسلم وصحب فتحا الموصلي فحدث عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ماقربانی وجعل يبكي حتى فارق الدنيا هذا ما قرره من اول الباب الى هنا وفي كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت ثم فصل بآخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد أعطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الا ما يظهر فيه طرف المناسبة ومن هنا الى آخر الباب لم يخالف اوله فلا فائدة في

وهوى مذموم وهو في الشر والفساد وفي كتاب السهل
الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوي بصاحبه الى الهاوية لكان أنسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

فسألتها باشارة عن حالها
وعلي فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى
الا الهوان أزيل عنه النون

وقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه قيل أخلد الى الارض أي سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه أرضية سفلية لا سماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض ويهبط من السماء قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس أبية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه قال الامام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه أذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في
شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل العشق حتى قبورهم
عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا
فاوله سقم وآخره قتل

(الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري أو اختياري)

الفصل فقال عن منصور بن عمار قال بينا انا فى السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكى لا يمكن الاحاطة بوصفه فهممت ان ادخله فانتهرونى فلم ابال بهم ودخلت فاذا انا بشاب فى ارفع طبقات الجمال والملابس وقد استحضر صبية تناسبه فلما رآنى هم بقتلى فقلت انا طبيب وقد رأيت فيك داء فقال وما هو قلت ميلك الى الفانى وحبك ما لا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما فى القصر من البهجة تعلقت به الصبية وقالت على من تتركنى ثم تجردت وخرجا هائمين فلما كان بعد عام وانا فى الطواف اذا أنا به يتضرع وقد اخلقته العبادة حتى لم اعرفه الى آن قال لى اما تعرفنى يا طبيب ثم ذكرنى بالحالة ثم قال لى هل لك ان تنظر الى نسوان يعنى الصبية قلت نعم فأخذ بيدى حتى اوقفنى عليها فلما رآتنى قالت مرحبا ايها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل انى على اثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخر ميتا وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت الما فى ساقى حتى منعنى القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازارى فى المحراب وتوسدته فغفلت واذا انا بجارية كانها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين رؤيته وخلفها جوار كانهن الاقمار فقالت لبعضهن احملنه ولا تؤذيه ثم قالت افرشنه ومهدنه واقبلت تماس على ألمى ثم قالت قم الى صلاتك بلا اذى فانتبهت كالذى نشط من عقال وعنه من رواية أخرى انها قالت له انا لك فجد فى طلبى فانى فى طلبك قال فلم انم بعدها وفى أخرى عنه قال فما اخذتنى السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولنى اياها واذا فيها

ينام من شاء على غفلة * والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الاعمال فيه كما * تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد افعال الخير واهل الوقائع متعددة وعن صاحب المصارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بالف دينار فرفعت رأسى الى السماء وقلت اللهم انت تعلم انى لا قدرة لى على ذلك وانى لو سألتك اياها لوهبتها الى ولكنى اسألك انفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندى ان لا انام ليلا ولا اطعم نهارا ولا اضحك الى احد وها انا مجد فى المهر فلم ير بعد ذلك على غير ما قال حتى مات * وعن رابعة العدوية قالت كان لى ورد فى الليل قد اعتدته فرضت مرضا اعقبنى فترة عنه فبينما انا راقدة اذ نظرت كانى فى روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطارد طيرا اخضر تريد ان تأخذه فالهيت بحسنها عنه وقلت دعيه لانى لم أر احسن منه فقالت ألا أريك احسن منه فقلت بلى فأخذت بيدى فأدخلتنى الى قصر ثم قالت لجوار فيه افتحوا باب القبة ففتحن لها بابا فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بايديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الى آخذه بيدى الى ابن فقالوا الى فلان قد قتل فى البحر فقالت الا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ فى ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم انم بعدها وبقى من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك اضربنا عنها

* (الباب الثانى فى احوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر ما صدر اليهم من العجائب) *

* (وفيه خمسة اقسام الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته) * قد تقدم فى

اقول هذا الفصل عقدناه لما تقدم ذكره وأسفر كالصباح سفره اذ للناس فيه كلام من الطرفين وتحتبر بين الصنفين فقائل بأنه اضطرارى وقائل بأنه اختيارى ولكل من القولين وجه مليح وقد رجح ونحن نذكر من ذلك ما يعم به الانتفاع ونتكلم فى طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ما قاله القاضى أبو عمرو محمد بن أحمد النوفانى فى كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دعاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا فى المقضى عليه والمقدور وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار منها كان ذلك أم باضطرار لا بل باضطرار وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب ولا يختلج خلافه فى قلب (قلت) وجاء فى تفسير قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه اى رأينه فى أعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس أمذين وأمنين من الدهش وقطعن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن ألم الحز أيديهن لاشتغال قلوبهن بحسنه وقال وهب كن اربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه وما أحسن قول بعض بنى عذرة وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم يموت عشقا فى هوى امرأة يألفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقال الفضيل بن عياض لو رزقنى الله دعوة مجابة لدعوت الله تعالى بها ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وروى أبو السائل المخزومى وكان من أهل العلم والدين وكان متعلقا باستار

احوال العشق انه من الاحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الاخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين واظنه الجنيد كما ان النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات الصريحة تنتج الاغراض الصحيحة وبالحرى من امعن النظر فى مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة الاخلاص عن ابن عباس قال لما اعتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفى رواية اسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف فى المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجتيه فقالت ان امرتنى بذلك فقال لا آمرك ولكنى شفيع وقد اخرج القصة البخارى وفى تتمة ذيل الامالى للقالى عن ابن الانبارى قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد سامته جارية له البيع فاجابها وكان يحبها فانشد

ابت الغداة بوصلها غدار * فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغوانى وصلهن معار

كان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فانشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكن ما ابقى حشاشة ما ترى * على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رسما عافيا وحسا خافيا وجسما باليا فمكث اربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق * واخرج ابن عساكر فى الامالى ان هذا المذكور عذرى وقال السيوطى فى شرح الشواهد ان اسمه عروة بن قيس وانه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن على فاقام معها مدة وكانت امه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول لها اخاف تلاف نفسى فلم ترض فلما كان يوم حر شديد وقفت حافية على الرمل واقسمت لا تزول او يفارق عروة الجارية ففارقها رفقا بامه فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاود اهلها فابوا عليه فاقام اياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفى فى الطريق وحكى ان الاحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها وفى الامالى ان اسمها نخلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص الغرام فباح به وانشد

أان نادى هديلا ذات فلج * مع الاشواق فى فنن حمام
ظللت كأن دمعك در سلك * هوى نسقا واسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحيا * وانت جوى بدائك مستهام
كأنك من تذكر ام حفص * وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام
وانى من بلادك ام حفص * سقى بلدا تحل به الغمام
احل النعف من احد وادنى * مساكنها الشبيكة او سنام
سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها * ذنوبهم وان صلوا وصاموا
كأن المالكين نكاح سلمى * غداة يرومها مطر نيام

الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقوّ قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له فى ذلك فقال والله للدعاء لهم أفضل من عمرة من الجعرانة ثم أنشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم
قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى ألوانهم
مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم
درر تفيض كأنها قطر

والظاهر أن قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذى جسر الفتح ابن خاقان على قوله من ابيات

أيها العاشق المعذب صبرا
فخطايا أهل الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

قلت وقد بالغ فى هذا الكلام حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قيل فى التمثيل

على أننى راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا عليا ولا ليا

والظاهر أن الحامل له على هذا ما ذهب اليه الشافعى فى أن الميت عشقا من الشهداء للحديث الوارد فى ذلك وسيأتى ذكره فى باب العفاف ان شاء الله تعالى وقال التميمى فى كتابه امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه بأهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائنى لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان لذى هوى اختيار لاختار أن لا يهوى ولكن لا اختيار لذى هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفى هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فان

فان يكن النكاح احل شئ * فان نكاحها مطر حرام
فلولم ينكحوا الا كفاء * لكان كفيتها الملك الهمام
فطلقها فلست لها بكفء * والاعض مفرقك الحسام

وساق فى المطرب الحكاية بعينها الا انه زاد بيتا فى الاول وهو

الا يانخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

وقال فى البيت الاخير والا يعلو مفرقك بدل عض * واخرج ابو الفرج الاصفهانى عن زياد ابن غطفان قال كنا بباب بعض الولاة واذا باعرابى ينادى من اراد ان يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه واذا هو الرماح بن مالك القيسى فقلت ما عندك فقال اعلم انى علقت امرأة يقال لها ام جحدر فاتصلت بها وطال الامر وانى عتبتها يوما فقلت لها الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو خير وارتحلوا عنا وطال الامر وزاجعنى الشوق فنذرت مراجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت اتصفح احياء العرب حتى وجدت امرأتين امام البيت فى كساء فسلمت عليهما فردت احداهن وسالت عن شانى فاخبرتها فاشارت لى بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة ام جحدر وقامت لتدخل الى واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما اخبرتنى عن تغيرك فقالت ان الغراب يخبرنى ان لا اجتماع ففارقتها وغدوت لما اصبح النهار فاخبرتنى امرأة اخيها ان شاميا خطبها الى اهلها فزوجوه بها فعبثت بالقرب من خبائها مترددا اياما الى ان مضى بها فكنت انشد

اجارتنا ان الخطوب تنوب * على وبعض الآمنين تصيب
اجارتنا لست الغداة ببارح * ولكن مقيم ما اقام عسيب
فان تسالينى هل صبرت فاننى * صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل من ام جحدر * ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرت فلم اعيف وعافت وبينت * لها الطير قبلى والبيب لبيب
فقالت حرام ان نرى بعد يومنا * جميعين الا ان يلم غريب
اجارتنا صبرا فيارب هالك * تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من ان ابن ميادة سرق الابيات فغير مسلم فى الجميع وابن ميادة هو الرماح بن مالك ابن برد بن ميادة المشار اليه والابيات له ماعدا الاولين واما الثالث لم يورده والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندى ولها حكاية عجيبة هى انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فاقام بالقسطنطينية اياما فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها وفيها يقول الاعم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وامره بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما احس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال ادفنونى الى جانبها وانشد البيتين الاولين وبعدهما

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

واما قوله فان تسالينى هل صبرت الى آخر الابيات فللرماح وما ذكر من ان الثالث لجاهلى لم يعلم له ناقل وقد ساق القصة ابن هشام فى شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر فى تاريخه الكبير وقوله نظرت فلم اعيف يعنى لم ادرك حال الفرقة من زجر الطير المعروف عندهم

يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم * والله لاعذبتهم بعدها سقر

حكى انه نال ما تمنى لانه عمى بعد قوله هذا وقال ابو محمد ابن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين انى رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل فى سلمى

يلومونى فى حب سلمى كانما
يرون الهوى شيأ تمنيته عمدا
الا انما الحب الذى صدع الحشا
قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما ارادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق والمراد بالتحميل هنا التحميل القدرى لا الشرعى الامرى انتهى كلامه وقال عبيد الله بن طاوس فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد فى تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم الله من العشق ولو كان اختياريا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم فى هذا الحال بمنزلة عذل المريض فى مرضه ومن احسن قول بعضهم

يا عاذلى والامر فى يده
هلا عذلت وفى يدى الامر

وانما ينبغى العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختيارى لا اضطرارى وقد تقدم فى حد العشق الذى ذكره ابن سينا وغيره انه مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بان الانسان هو المختار فى العشق بتسليط فكرته الواقع فى بحار سكرته قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد و يذم على ارادته

بالعيافة وهو علم نفيس ولنا فيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الحضرمية ابن عم لها فدري قومها فحجبوها فأنشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت * بنا شمتا تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما * أطال المحب الهجر والحب ناصح
وبعد النوى بين المحبين والهوى * مع القلب مطوي عليه الجوانح

وهذا الذي ذكر من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع في مقاصده وأصدرها بأحد العشاق الاربع قال الفارسي في تزيين النفس من لدن أدار الله الأفق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوي أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف في مواضعه فأما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ في الثانية وغيرها الى ما ذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى او كثير عزة

وأقدم الكلام على جميل لانه كما يقال انسب الاربعة وأما تقديمه في نزهة النفوس المجنون فراعاة للاولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة كذا قاله مغلطاي عن أبي الفرج الاصفهاني كان شاعرا فصيحا منطقيا صادق الصبابة عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالنسب روى عنه كثير وهو عن هدبة بن الخشرم عن الحطيئة عن زهير ابن أبي سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشا خطبها فردلان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا يتحادثان فعلموا به فارادوا قتله وانها حذرته من ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان الغادون بثينة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * وأما سرى ليلى ولو قطعت رجلي

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة باخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ما شئت في نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد والحواش قل وانت دونه في نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بواد البغيض وانسطح فاتت مع جوار يملأن الماء فعبثت بفصيل له فتسابا وهذا أخذ من قوله

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى اهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي وكان واليا من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعي بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفيا الى الشام وقيل الى سيد من بني عذرة فاحسن مكانه وزوجه بنات له رجاء أن يعلق واحدة منهن فيزوجه بها فكن يرفعن الخباء اذا اقبل جميل ففطن لذلك فأنشد

حلفت لكيما تعلميني صادقا * وللصدق خير في الامور وأنجح
لتكليم يوم واحد من بثينة * ورؤيتها عندي الذ وأملح
من الدهر او أخلو بكن وانما * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

وإذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا واخبر ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما تتضرر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا املك قلبي لم يقبلوا له عذرا * (قلت) * والقول الصحيح الذي ليس فيه رد ولا عن محبوبه صد التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

إنما مصعب شهاب من الله * تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر

فما هو الا ان يراها فجاءة * فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وأمثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد فالتتيم يصير والها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وأمثاله مبدأ عشقه اختياري

(وفي

(وفى نزهة النفوس) لرؤية يوم واحد من بثينة * ألذ من الدنيا الدى وأملح
وهو احسن تركيبا واظهر فى اعمال افعل التفضيل وقوله من الدهر معمول حلفت وفى نسخة مدى الدهر وهو احسن وانسب فقال الشيخ اذ خبن الخباء فوالله لن يفلح أبدا يعنى لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله

اتانى عن مروان بالغيب انه * مقيد دمى او قاطع لسانيا
ففى العيش محياة وفى الارض مهرب * اذا نحن دافعن لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقه لها وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود فى منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل * الى الآن ينمى حبها ويزيد
وافنيت عمرى فى انتظار نوالها * وافنت بذاك الدهر وهو جديد

(وللعشاق من امثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة)

هواها هوى لا يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

(وقول المجنون) ولما أبى الا جماحا فؤاده * ولم يسل عن ليلى بمال ولا اهل
تسلى باخرى غيرها فاذا التى * تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

واعظم ما قيل فى هذا المعنى وأسحم وألطف وارق واصنع وامنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثى قديم فى هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع مع معانى الابيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمرى انها لم تجتمع لغيره فيما نعلم وعن مغلطاى عن أبى الفرج وشت جارية بجميل و بثينة الى ابيها وانه الليلة عندها فاتى واخوها مشتملين معتمدين سيفيهما لقتله فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك فى طف مما بى بما تفعل المتحابان فقالت قد كنت عندى بعيدا من هذا ولو عدت اليه لن ترى وجهى ابدا فضحك ثم قال والله ما قلته الا اختبارا ولو اجبت اليه لضربتك بسيفى هذا ان استطعت والا هجرتك ابدا اما سمعت قولى

وانى لارضى من بثينة بالذى * لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلى وبان لا استطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا نلتقى وأوائله

فقالا لا ينبغى لنا ايذاء من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل و بثينة فقال يا امير المؤمنين سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم اقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن منى فدنا فاسرت اليه فخر مغشيا عليه فلما افاق انشد

فما ماء مزن فى جبال منيفة * ولا ما اكنت فى معادنها النحل
باشهى من القول الذى قلت بعدما * تمكن فى حيزوم ناقتى الرحل

وعن كثير قال سألنى جميل اخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد قال بوادى الدوم وهى تغسل الثياب فجئت اباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم انشدته

وقلت لها يا عز ارسل صاحبى * على نأى دار والموكل مرسل
فان تجعلى بينى و بينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه افضل

لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على أن هذا النوع أيضا اذا انتهى بصاحبه الى ماذكرناه صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق أول ما يكون مجانة
فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر الاختيارى وما يتولد عنه من السكر اضطرارى فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقى عشقها غير مفارق له فهذا لا يلام على ذلك كما فى قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطرارى مطلقا أو اختيارى مطلقا غير مقبول عند ذوى العقول والله تعالى أعلم أقول الى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التى طاب زمانها واعتدل * وظهر بها فى وجنة الورد حمرة الخجل * ومابقى الا الدخول فى الابواب على الوجه المقترح والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح

وآخر عهد منك يوم لقيتني * باسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت اخسأ فقال ابوها ماهذا فقالت كلب يأتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فضيت وأخبرته فاقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته كما سلف الا انه أنشد البيتين عند افاقته لم يغير فيهما غير أن قال * فـاملكه فهر في مجامر جنـة * ولاما اسرت وعن مغلطاي قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد اخلقها الدهر فقال لها ما الذي رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت ما رأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوما على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفا بها فوجدها تتمشط فتمثل بهذا البيت

ماانس لاانس منها نظرة عرضت * بالحجر يوم جلتها ام منظور

فقيل له ان ام منظور المشار اليها في هذا البيت موجودة فاستحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة وانى زينتها يوما فاقبل على بعير مارافرآها بمؤخر عينيه فانشد البيت فامرها مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو كجميل وله فيها من الاشعار مالا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك فمن مستجادها اللامية التى انشدها لعمر بن ابى ربيعة وكان من اجل معاصريه فى الشعر لقيه يوما فتفاخرا واستنشده جميل فانشد

الم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطن خليات دوارس بلقعا
اتانا رسول من ثلاث كواعب * وراثقة تستجمع الحسن اجمعا
فلما توقفنا وسلمت اقبلت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ اضل واوضعا
وقربن اسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما * ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا

فانشده جميل اثر هذه القصيدة قصيدته المشهورة التى اولها

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلى * بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وانى * لاقسم مالى عن بثينة من مهل
احلما فقبل اليوم كان اوانه * او اخشى فقبل اليوم اوعدت بالقتل
(ومنها) اذا ما تناشدنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
كلانا بكى اوكاد يبكى صبابة * الى الفه فاستعجلت عبرة قبلى
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح اهلى ما اصيب به اهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

ومنها بيتان انشدهما وقد مر به رجل فاضافه فريدا فجعل ياكل ويبث وجدانه على ابنة عمه حتى اتى عليه وهما

ويعجبنى من جعفر ان جعفرا * يلح على قرصى ويبكى على جمل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن * بطينا وانساك الهوى كثرة الاكل

ولما انشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا ابا الخطاب هل لك فى هذا الروى شئ قال نعم وانشد

جرى ناصح بالود بينى وبينها * فقربنى يوم الخضاب الى قتلى

على الحسن وأقسامه * والحبيب وكلامه * ولا شيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب فى ثغره الضرب * فعذب مقبله وتساوى من حسنه فى الحال ماضيه ومستقبله * هنالك يحتوى من الجمال على القسمين اللذين هما الظاهر والباطن والظاعن والقاطن فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة والجود والشجاعة * والجمال الظاهر ماظهر من غصن قوامه الرطيب ووجهه الذى فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب * فعند ذلك يشمت بالبدر بشاماته ويقول لخده الذى ازداد بها حسنا من زاد زاده الله فى حسناته فلذلك قيل الحسن الصريح ما استنطق الافواه بالتسبيح وقيل بل هو كما قيل

شئ به فتن الورى غير الذى * يدعى الجمال ولست أدرى ماهو

قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتى كانه نكرة لا تعرف ومجهول لا يعرف ولذلك قال بعضهم للحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذى يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات حسنات قال بعضهم فى سوداء مليحة

يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات
ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات

وقلت أنا

ووجه زال رونقه فاضحت * محاسنه بلحيته عيوبا
قليل الحظ بالشامات أمسى * فما حسناته الا ذنوبا

وقيل الحسن أمر مركب من أشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية فى البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست فى الحسن بذلك وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا تم بياض المرأة فى حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضى الله عنها

وطارت

وطارت بوجد من فؤادي ونازعت * قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فما انس ما الاشياء لا انس موقفي * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما تواقفنا عرفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فسلمت واستأنست خيفة ان يرى * عدوي بكائي او يرى كاشح فعلي
فقالت وارخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذي رقبة اهلي
فقلت لها مابي لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

ومنها وقيل ان جميلا لم ينشده في هذه المرة شيأ بل قال له امض بنا الى بثينة فقال له قد حجر علي فقال دلني على ابياتها افعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وتلاقيا فانشد جميل رائيته وهي

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر
فانكما ان عجتما لي ساعة * شكرتكما حتى اغيب في قبري
وانكما ان لم تعوجا فانني * سأصرف وجدي فأذنا اليوم بالهجر
ومالي لا ابكي وفي الايك نائح * وقد فارقتني شختة الكشح والخصر
ايبكي حمام الايك من فقد الفه * واصبر مالي عن بثينة من صبر
يقولون مسحور يجن بذكرها * فأقسم مابي من جنون ولا سحر
واقسم لا انساك ماذر شارق * وما هب آل في معلمة قفر
ومالاح نجم في السماء معلق * وما اورق الاغصان من ورق السدر
لقد شغفت نفسي بثين بذكركم * كما شغف المجنون يا بثن بالخمر
ذكرت مقامي ليلة البان قابضا * على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم املك اليها صبابة * اهيم وفاض الدمع مني على النحر
فياليت شعري هل ابيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت الهي قد قضى ذا المرة * فيعلم ربي عند ذلك ماشكري
ولو سألت مني حياتي بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من امري

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وانشد * امن آل نعم انت غاد فمبكر * ومنها

وغاب قمير كنت ارجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وانت امرؤ ميسور امرك اعسر
اريتك اذ هنا عليك الم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضر
فوالله ما ادري اتعجيل حاجة * اتى بك ام قد نام ما كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى * اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ملقى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكاء المسك منها مفلج * رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر
يرق اذا تفتر عنه كأنه * حصا برد أو اقحوان منور
وترنو بعينيها الى كما رنا * الى زرنب وسط الخميلة جؤذر
فلما تولى الليل الا أقله * وكادت توالي نجمه تتغور

البياض شطر الحسن وقالوا في الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التي تأخذ جملة بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهي البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف في القد والبراعة في الجيد والرقة في الاطراف والخصر والشان كله في الكلام وأحسن الحسن مالم يجاب بتزيين وقال امرؤ القيس

* وجدت بها طيبا وان لم تطيب *

وقال آخر

إن المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان ومنه قول الحسن رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع أي اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما أحسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف * وفي الوجه المحاسن والبها الاستشراف * وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف كالملاحة في العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق في الخد ونكتة الخد الضرج ومما يستحسن في المرأة طول أربعة وهي أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذر مافي بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينيها وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها وسواد أربعة أهدابها وحاجبيها وعينيها وشعرها وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب بياضها بحمرة وغلظ أربعة ساقيها ومعصميها وعجيزتها

أشارت الى بأن القوم قدكان منهم * هبوب ولكن موعدلك عزور
فما راعني الا مناد برحلة * وقدلاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقالت أباديهم فاما أفوتهم * واماينال السيف ثارا فيثار
فقالت أتحقيق لما قال كاشح * علينا وتصديق لما كان يؤثر
اذا كان مالابد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء وأستر
أقص على اختى بدء حديثنا * ومالى عما يعلما متأخر *
لعلهما ان ينعتا لك حيلة * وان يرحبا صدرا بما كنت أحصر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلى عليك الخطب فالامر أيسر
يقوم فيمشي بيننا متسترا * فلا سرنا يفشو ولاهو يظهر
فكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أنخنا ساحة الحى قلن لى * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا * أما تنتهى اوترعوى أوتفكر

وقدأنشد عمر هذه القصيدة لعبدالله بن عباس بحضرة نافع بن الازرق واتفق اهل ذلك العصر على انه ليس احداشعر من جميل وابن أبي ربيعة وكان جميل يثنى على ابن أبي ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر من جميل فى لاميته والذى يظهر ان جميلا اشعر مطلقا عند التأمل ومن أشعار جميل ايضا قوله

ألا ليت ايام الصفاء جديد * ودهرا تولى يابثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم * صديق واذماتبدلين زهيد
وما انس ما الاشياء لاأنس قولها * وقدقربت نحوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التى ترى * أتيتك فاعذرنى فدتك جدود
خليلى ما اخفى من الوجد ظاهر * ودمعى بما أخفى الفؤاد شهيد
ألا قد ارى والله لارب غيره * اذا الدار شطت بيننا ستزود
اذا قلت مابى يا بثينة قاتلى * من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردى بعض عقلى اعش به * مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان الا ذكرتها * ولا البخل الا قلت سوف تجود
فلا انا مردود بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازى يابثين سلامة * اذا ماخليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمى * من الله ميثاق له وعهود
وقدكان حبيكم طريفا وتالدا * وما الحب الا طارف وتليد
وان عروض الوصل بيني وبينها * وان سهلته بالمنى لصعود
فأفنيت عيشى بانتظار نوالها * وابلت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بيني وبينها * يدوف لها سما طماثم سود
وليتهم فى كل ممسى وشارق * تضاعف اكيال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل اننى * اذا جئت اياهن كنت أزيد

وماهنالك وسعة أربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها وضيق أربعة فمها ومنخرها ومنفذ أذنيها وماهنالك وهو المقصود الاعظم من المرأة قيل وجدت جارية فى زمن بنى ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان أحقها ان يقال فى حقها

لوان عزة حاكمت شمس الضحى
فى الحسن عندموفق لقضى لها

وحكى ان يغصور أحدملوك الصين أهدى الى كسرى أنوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب فى شعرها وتتلألأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة أذرع تضرب أهداب عينيها خديها كان بين أجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لماضفائر تجرهن اذا مشت

(فصل) قال فى روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبدالله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت امرؤ وقدحسن الله خلقك فأحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد ان ينظر كل يوم فى المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

ياحسن الوجه توق الخنا
لاتفسدن الزين بالشين
وياقبيح الوجه كن محسنا
لاتجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما فى القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال على بن أبي طالب وقد بسئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفى صفته صلى الله عليه وسلم

فاقسم

فأقسم طرفي بينهن فيستوي * وفي الصدر بون بينهن بعيد
ألا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بوادي القرى اني اذا لسعيد
وهل اهبطن أرضا تظل رياحها * لها بالثنايا الثاويات وئيد
وهل القين سعدى من الدهر مرة * ومارث من حبل الوصال حديد
فقد تلتقي الاهواء من بعد يأسها * وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل ازجرن حرفا علاة شملة * بخرق تباريها سواهم قود
على ظهر مرحوب كان نسوره * اذا جاره لاك الطريق رقود
سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب * وصدر كحلي لون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها * مباهية طي الوشاح ميود
إذا جئتها يوما من الدهر زائرا * تعرض منقوص اليدين صدود
يصد ويغضي عن هواي ويجتني * ذنوبا علينا انه لعنود
فاصرمها خوفا كأني مجانب * ويغفل عنا مرة فنعود
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها * فذلك في عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني اذا مالقيتها * ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد ياجميل بغزوة * واي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
اذا فكرت قالت قد ادركت وده * وما ضرني بخلي ففيم اجود
ومن كان في حبي بثينة يمتري * فبرقاء ذي ضال على شهيد
الم تعلمي يا ام ذا الودع انني * أضاحك ذكراكم وانت صلود

وممن كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها ولطفها معبد وكان من أشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والغريض وكان أعظم منه حكي عنه في الاغاني ان الجن افتتنت به فاخرجوه الى مكة فاقام بها لا يفتح بابه وان معبدا أراد الاجتماع به فقصده وأقام يطرق الباب فلم يجب فدس له انه لا يخرجه الا الغناء فأنشد * علقت الهوى منها وليدا * البيت فلم يشعر الا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحادثا وأنشده (وما انس ما الاشياء لا أنس قولها) الى خمسة أبيات ثم قال انما غنيتك ذلك لاني علمت انك تريد ان أغنيك

وما أنس ما الاشياء لا انس شادنا * بمكة مكحولا أسيلا مدامعه

وان الجن قد نهتني عنه قال معبد فقلت لم تعدما أدير ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة وطلبت ان يكمل لي السرور بأن أضم الى اجتماعي به اجتماعي بمن رأى جميلا لآخذ عنه القصيدة فنعت لي شيخ في بني عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدث انه كان في ابل له واذا رجل غشاه فنزل به فلما ائتلفا قال له هل لك ان تصنع معي من الخير مالو كانت لك الدنيا ذهبا وأنفقتها على لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضي الى وراء السفح فتنشد لي بكرة صفتها كذا قالت نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطعمتهم عنها ثم استأذنتهم في البيوت وقلت لهم ان النساء أدرى بالمارة فأذنوا فانصرفت اتصفح الحي الى ان احتدم النهار ولم أظفر بطلبه واذا أنا بثلاث بنات فقلت لا أنصرف اليه وادع هذا اليسير فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت احداهن قد أصبت حاجتك ثم

كان الشمس تجري في وجهه فكان كما قال شاعره حسان بن ثابت

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كاحمد * نظام لحق اونكال لمعتدي

(وقال ايضا)

فاجمل منه لم ترقط عيني * واكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

امين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المضيء لليلة البدر

ونظرت اليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت كان ابا كثير الهذلي انما عناك بقوله

واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا وروي ان بعض الصحابة لقي راهبا فقال صف لي محمدا كأني انظر اليه فاني رأيت صفته في التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة ابيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته الى شحمة أذنه صلت الجبين واضح الخد أدعج العينين أقنى الانف مفلج الثنايا كان عنقه ابريق فضة ووجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد ألقت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه احبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال ظاهرا وباطنا فكان احسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام قال ربيعة قسيم

أدخلتني بيتا وأتتني بقدح مغضض فيه تمر وصحفة شامية مغضضة فيها لبن فتناولت كفايتي ثم قالت ان بكرتك تأتي هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه وحدثته القصة فابتهج كالذي أصاب بغيته وانا لا أدري فلما جاء الليل وآنس ان قد نعت عمد الى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فاتزر بأحدهما واتشح بالآخر ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما الا ما يرضي الوشاة الى ان رأيا الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت وجاء فصلى ثم نبهني وهو مسرور فأكل معي وشرب ثم أخبرني انه جميل وانها بثينة ثم أعطاني بردا واعتذر وودعني بعد ان قال هل لك ان تمضي فتنشدها أبياتا قلتها بعد منصرفي عنها قلت نعم فأنشدني وما انس ما الاشياء الابيات الخمسة فضيت اليها فقلت قد جئت بالامس طالبها واليوم مسلما وذكرت ثناءه ووجده ثم قلت هل انت بارزة الي قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه برد جميل ثم خرجت في زينة وقالت يا أخا تميم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر وأقسمت ان أتشح بها ففعلت وانشدتها ما قال ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل وحكى الشيخ لمعبد ان جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له هل قلت شيأ فأنشدها

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل * الى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظاري نوالها * وأفنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لي مما طلبت وعن أبي زيد حين قرئت عليه هذه القصيدة ان هذين البيتين يليهما قوله فلا انا مردود البيت وفي نسخة ان قوله فما أنس ما الاشياء بعد قوله فما انا مردود ومنه برواية مغلطاي

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور
نشوان ريح مدامة معلولة * بذكي مسك أو سحيق العنبر
اني لاحفظ غيبكم ويسرني * لو تعلمين بصالح ان تذكري
ويكون يوما لا أرى لك مرسلا * او نلتقي فيه على كاشهر
ياليتني أخشى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر
لو أستطيع تجلدا عن ذكركم * فأفيق بعد صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذري
قلت بكين الباكيات ولم أبح * يوما بسرك معلنا لم اغدر

(ومنه)

منع النوم شدة الاشتياق * وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت * هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادي * مستحثا برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يا بثينة منكم * مجلسا للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فاني * غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت عجوزا من بني عذرة فقلت لها هل تروي شيأ عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردت ببرم غزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام واذا برجل قد أقبل الينا فاستثبتناه فاذا هو جميل فقلت له قد عرضتنا ونفسك شرا فمن أين جئت قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثة أنتظر الفرصة لاحدث بكم عهدا فاني ذاهب

الحسن نصفين فبين سارة و يوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى يوسف ليلة الاسراء وقد أعطي شطر الحسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا أبردتم بريدا فليكن حسن الوجه حسن الاسم وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن أبي مليكة يرفعه من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه وقال وهب قال داود يارب أي عبادك أحب اليك قال مؤمن حسن الصورة فقال أي عبادك أبغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظره نفر من أصحابه على الباب فجعل ينظر في المرآة ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقالت يارسول الله وأنت تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فرأى في وجهه ما يكرهه مما يمكن ازالته ما يمنع أحدكم اذا خرج من منزله ان يتعاهد أديم وجهه

(فصل) قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي في احسن تعديل لقامته وصورته وحسن شارته منتصبا يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا حكاية الرشيد لما خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني أحسن من هذا القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث الا يحيى بن أكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى به من هو أعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق مايشاء انه الصوت الحسن

الى مصر فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك فبعثته بقدح فيه تمر واقط فنال منه يسيرا ثم ودع ومضى فلم نلبث ان جاء أهل الحي ومنه

أرى كل معشوقين غيري وغيرها * يلذان في الدنيا ويغتبطان
وأمشي وتمشي في البلاد كأننا * أسيران للأعداء مرتهنان
أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها * لي الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها ان لا أهيم بغيرها * وقد وثقت مني بغير ضمان
ألا يا عباد الله قوموا تسمعوا * خصومة معشوقين يختصمان
وفي كل عام يستجدان مرة * عتابا وهجرا ثم يصطلحان
يعيشان في الدنيا غريبين أينما * أقاما وفي الأعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي قال قال لي رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الي وقال ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فاني أظنه ناج قال انا قلت عجيب منك تشبب ببثينة هذه المدة وانت كذلك قال اني في آخر يوم من الدنيا لا نالتني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها بريبة وأكثر ما كان مني ان أسندها الى فؤادي استريح ساعة ثم أغمي عليه فلما افاق أنشد

صرح النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

ولما حضرته الوفاة قال من ينعاني الى بثينة قال رجل انا فاعطاه حلته فراح حتى جاء الحي فانشد

بكر النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعي بفارس ذي همة * بطل اذا حم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوي عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت باساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعي يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتني وان كنت كاذبا فقد فضحتني فقلت لها والله اني لصادق واخرجت الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها واقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيا عليها ثم افاقت وانشدت وان سلوي البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت

* (اخبار كثير عزة) *

هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الشهير بابي جمعة قد أوصله الكلبي في جمهرة النسب الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور واحد اولاد الازد ومن اجداده عمرو بن ربيعة الذي دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يجر قصبه في النار وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد ايام سيل العرم وجاؤا الى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص ابن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهي عاتق * على حين ان شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة ما يسرني * بها حمر انعام البلاد وسودها

والوجه الحسن ولهذا قال ابو فراس

قد فاق بدر السماء حسنا * والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذارا * تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد في الخلق ما يشاء

(وحكى) عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وأنا احب ان يحسن وجهي * وحكى ان المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن فأمر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع اصحاب الفراسة من معرفة احوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا واصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر اهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته اول مرة رأيته احسنهم صورة واتقنهم بنية فهو اولاهم رتبة واعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازي في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه منها ان حسن الصورة ممتنع

بمطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولاشك ان الحكمة افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل من حسن الصورة لامحالة ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع فى انواع من البلايا منها ان اباه كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن فى اسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة ومعلوم ان حسن الصورة لايبقى الا اياما قلائل واما حسن السيرة فانه لايزول اثره ولا تبطل نتيجته (قلت) وممن حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها
ام هل سبيل الى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بنى سليم فرآه احسن الناس وجها وله شعر بحسن فحلق شعره فكان احسن منه بشعر فقال لا تساكنى فى بلد فتشفع نصر اليه ان لايخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا امير المؤمنين لقد سمتنى قتل نفسى فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما ابعدت لكن اقول ما قال شعيب عليه السلام ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله ولقد اضعفت لك يا نصر عطاءك ليكون ذلك عوضا لك (اقول) ذكرت بحاقه

على

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الخبت فارسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشا لهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان فرد الدراهم واعطاها الكبش وقال ان رجعت اخذت حقى فلما عاد سألته ذلك فقال لا اقتضى الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فابى وانشد البيتين فبعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء فجفت من الحر ورفعت له نار فامها واذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القائل

اذا ما اتينا خلة كى تزيلنا * ابين وقلنا الحاجبية اول
سنوليك عرفا ان اردت وصالنا * ونحن لتلك الحاجبية اوصل

هلا قلت كما قال جميل

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تأمل * حبى بثينة عن وصالك شاغل
لو كان فى قلبى كقدر قلامة * فضل لغيرك ما اتتك رسائلى

والله لاسقيتك شيأ فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته انشد

يزهدنى فى حب مية معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الآذان الا من القلب

هكذا رواه ابن اسحق وقال الشهاب محمود بذلك ونقل فى الطبقات الابيات الا انه قال * يزهدنى فى حب عزة معشر * ثم قال هذه الابيات لكثير وقد توهم قوم انها لذى الرمة بدليل قوله * يزهدنى فى حب مية معشر * وليس كذلك وانما كان سهوا ودخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق على هل رأيت اعشق منك فقال لو اقسمت على بحقك لاخبرتك فقال بحقى الا ما اخبرتنى فقال يا امير المؤمنين خرجت يوما واذا انا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسد به رمقه فقلت له ان ساعدتك شاركتنى فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت فى الاحبولة فسبقنى اليها فحلها ثم مسح وجهها وقبلها واطلقها وانشد

أياشبه ليلى لاتراعى فاننى * لك اليوم من وحشية لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها * فانت لليلى ماحييت طليق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذى مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذى حق فوفى حقوقه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت نجزيها وعلى اثمها وفى رواية ان الحكاية مع سكينة بنت الحسين وفى الذيل من رواية الفارسى * قضى كل ذى دين فوفى ديونه * وفى اخرى غريمه وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هى ان كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فاعطى النساء الى اجل فلما اقتضى ماله منهن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت فى نساء أما آن ان تفى بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاى حيث يقول قضى كل ذى دين وانشد البيت فقلن له اتدرى من غريمتك فقال لا قلن هى والله عزة فقال أشهدكن

على انها فى حل مما عندها ومضى فاخبر مولاه بالحكاية فقال له وانت حر وما عندك لك
ورأيت فى روضة الدولتين لابى شامة ان الذى وهبه كثير الف دينار وأنشد حين اعتق
الغلام

سيملك فى الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بأن يمسى سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أترو ين قول كثير

لقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدرى هذا ولكن اروى قوله

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشى بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل انه سألها عن قول قضى كل ذى دين وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها فى الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال انها من عجائب شعره وهى

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت ادرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفى رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهدا بما نحرت له * قريش غداة المأزمين وصلت
أناديك ما حج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميتة * تغم ولا غماء الا تجلت

كأنى أنادى البيتين

أباحت حمى لم يرعها الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصى عند عزة قيدت * بحبل ضعيف حزمنها فضلت
وغودر فى الحى المقيمين رحلها * وكان لها باغ سواى فدلت
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها بعد العثار استقلت
اريد الثواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت * الى واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها * هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

ومن اول القصيدة الى قوله فما انصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه الا فى البيت المذكور والبيتين الذين بعده حكاية هى ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها فى ذلك العير فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا ذلك فجاء الى الجمل فحلهوا طلقه من الحمل وأنشد

شعره فكان احسن منه بشعر قول بعضهم فى ذلك

حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحا
كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وأبقوه صبحا

وما أحسن قول السراج الوراق فى مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقفا
وماله اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله
فاختار أن يبقى بلا حاجب

(وقال) ابن سنا الملك

حكيت جسمى نحولا
فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضنى
فصرت كالك جفنك
وزادك السقم حسنا
والله انك انك

(فصل) قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فلنذكر ههنا ما قالته الشعراء فى تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم أكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول مجاسن الشواء

أرسل فرعا ولوى هاجرى
صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية
تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى ألف ليست لوصل وذى
واو ولكن ليست العاطفه

(وقول الآخر)

ياسين طرتها وصاد عيونها
انى أعوذها بسورة طه

(وقول ابن مطروح)

قالت لنا الف العذار بخده
فى ميم مبسمه شفاء الصادى

(وقول ابن نقادة)

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال ينقط

حييتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحي ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فارددها * مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو علي بيتا بين هذين وهو

لو كنت حييتها ما زلت ذا مقة * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ان تقتبس نارا وقال في النزهة ان تستعطي سمنا فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب في اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى فرقت ارجلهما فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها او لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فانشد يكافها الحتزير البيتين وفي منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبري سهاما فجعل يبري ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له انت اشعر ام جميل فقال كيف يكون اشعر مني وهو القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى * وفي الغر من انيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئا مريئا البيت وليس فيما ذكر دليل على انه اشعر منه وانما يدل ذلك على ان كثيرا ارق قلبا واشفق على محبوبته واشد عشقا فلو سيق الكلام لذلك لكان ألصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

و والله ما قاربت الا تباعدت * بصرم ولا اكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فأهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الاخرى فان وراءنا * مناويح لو سارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت * بعافية أسبابه قد تولت
خليلي ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما اذ ناقتي قد اكلت
أسيئي بنا او احسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
ولكن أنيلي واذكري من مودة * بناخلة كانت لديك فضلت
واني وان صدت لمثن وصادق * عليها بما كانت لدينا ادلت
فما انا بالداعي لعزة بالجوى * ولا شامت ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتي * بعزة كانت غمرة فتجلت
واصبحت قد ابليت من دنف بها * ولا بعدها من خلة حيث خلت
وما مر من يوم على كيومها * وان عظمت ايام اخرى وجلت
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده * فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس اذ وطنتها كيف زلت
واني وتهيامي بعزة بعد ما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيم اضمحلت
كأني واياها سحابة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة فقالت من انت قال صاحب عزة فقالت انت القائل

أيها

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

والميم فوه فالحروف قد ألفت * مكتوبة والصبر (٤٢) عنها يكشط (وقول الآخر) لا تقل لي لا فمكتوب على *

وجهك المشرق نون وانعم
بحروف صورت من قدرة
ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها
طرفك الفتان والميم الفم
وقال شهاب الدين أحمد بن الخيمي
ان صدغ الحبيب والفم والعا
رض منه واو وصاد ولام
هي وصل بين المحاسن لما
تم حسنا وبالعذار التمام
غير أني أراه وصل وداع
فيه يقضي افتراقنا والسلام
(وقلت أنا)
حبيب تعالى قده حين سمته
وقال قوامي رمحه ما يقوم
وخط عذاري أعجم الخال لامه
ولم أدر أن اللام في الخط يعجم
(وقلت ايضا)
يرنو الي بعين نون حاجبها
كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
(وقلت ايضا) في عكس هذا المعنى
وهو تشبيه الحروف بالاعضاء في تقريظ
قصيدة مدحت بها مولانا السلطان
الملك الناصر حسن
فكم الف بها امسى
رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية الكتاب تخالها طره
وعين أصبحت في العين
مثل العين والنقره
(وقلت ايضا) في تقريظ كتاب ورد علي
من بعض الاحباب من رسالة افتتحها
بقصيدة منها
رفضت النوم بعدك يا علي
فلا تعجب لدمعي ان توالا
ووافاني كتاب منك حال
حكت الفاته السمر الطوالا

وكم شاهدت من خط ولكن * مثالك ما رأيت له مثالا لئن امسيت به الفات قطع * فكم وصل به ضمن الوصالا باطيب

باطيب من اردان عزة موهنا * اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا اوقد المندل الرطب على هذه الروثة او بخرت به املك العجوز الشنعاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

ألم تريانى كلما جئت زائرا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استرى على ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الادب قال ليس على كثير شئ فان قوله اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما اراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيح الاثبات قصده وتوفى كثير سنة خمس ومائة فى اليوم الذى مات فيه عكرمة مولى ابن عباس ودفن فى مقابر المدينة وله فى عزة اشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة * فاقبلت من اهلى اليها اعودها
فوالله ما ادرى اذا انا جئتها * أأبرئها من دائها ام ازيدها
اذ جئتها وسط النساء منحتها * صدودا كأن النفس ليس تريدها
ولى نظرة بعد الصدود من الجوى * كنظرة ثكلى قد اصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذى الرمة لانه بعدما ذكر يقول

وكنت اذا ما جئت ميا ازورها * ارى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه انشد

وقفت على ربع لعزة ناقتى * وفى البر رشاش من الدمع يسفح
فيا عز انت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح
وقد كنت ابكى من فراقك خيفة * فهذا لعمرى اليوم انأى وانزح
فهلا فداك الموت من انت زينه * ومن هو اسوا منك حالا واقبح
ألا لا ارى بعد ابنة النضر لذة * لشئ ولا ملجا لمن يتملح
فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح
فان التى احببت قد حال دونها * طوال الليالى والضريح الموح
ارب بعينى البكا كل ليلة * فقد كان مجرى الدمع عينى يقرح
اذا لم يكن ما تسفح العين لى دما * وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها

الا حييا ليلى اجد رحيلى * وآذن اصحابى غدا بقفول
تبدت له ليلى لتذهب عقله * وشاقتك ام الصلت بعد ذهول
اريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل
اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة * تعل بها العينان بعد نهول

ومنها

حلفت برب الراقصات الى منى * خلال المنى يعددن كل جديل
يمين امرئ مستغلظ من اليته * يكذب قيلا قد الح بقيل
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا ارسلتهم برسول
فان جاءك الواشون عنى بكذبة * فروها ولم يأتوا لها بحويل

وكم الف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طورا يمينا * وآونة تعانقه شمالا
طبعت اللام فيه عذار خد
وخلت النقط فوق الخد خالا
وامسى طالع الطاآت فيه
يعلم لينه الغصن الكمالا

(وقال القاضى الفاضل) من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيروانى وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن الفات الفت الهمزات غصونها حمائم ومن لامات بعدها يحسدها الحب على عناق قدودها النواعم ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادى والعيون الحوائم ومن واوات ذكرت ما فى وجنة الاصداغ من العطفات ومن ميمات دنت الافواه من ثغورها لتنال جنى الرشفات ومن سينات كانها الثنايا فى تلك الثغور ومن دالات دالات على الطاعة لكاتبها بانحناء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التى تخفق لروعات الاستحسان كالطيور وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد وتحيته فيها المحامد ويده تضرب فى ذهب ذائب والناس تضرب فى حديد بارد

(الباب الثانى فى ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء)

أقول هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا واطولهم باعا واطيبهم عيشا واكثرهم طيشا وارقهم شعرا وادقهم فكرا واقربهم رجوعا واكثرهم بالحبيب ولوعا اذهم فى الحقيقة اولى الناس بذلك واحقهم بالنوم على تلك الارائك وذلك بحسب ما سولت لهم نفوسهم وزينه لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا ولحق مثل نور الدين الشهيد بالشهداء وستأتى

فلا تعجلي يا ليل ان تتفهمي * بنصح أتى الواشون ام بحبول

ومنها

تذكرت اترابا لعزة كالمها * حبين بلفظ ناعم وقبول
وكنت اذا لاقيتهن كأنني * مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها

كفى حزنا للعين ان رد طرفها * لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى * فقلت البكى اشفى اذن لغليلي
توليت محزونا وقلت لصاحبي * اقاتلتي ليلى بغير قتيل
لعزة اذ ماحل بالخيف اهلها * فاوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول اقامة * تبعث نكباء العشي جفول
لقد اكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل
ومازلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم كالمقصي بكل سبيل

ومنها

لا تغدرن بوصل عزة بعدما * اخذت عليك مواثقا وعهودا
ان المحب اذا احب حبيبه * صدق الصفاء وانجز الموعودا
الله يعلم لو اردت زيادة * في حب عزة ماوجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامه * مسا ويخلد ان يراك خلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاى كما هو عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوبا اليه وبعد ماذكر بيتا استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثير امانقله النحاة هكذا

لالا ابوح بحب بثنة انها * اخذت علي مواثقا وعهودا

قال القالي هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والاصل عزة وان الشعراء كثيرا مايعدلون عن اسم من يريدون الى مالا يريدون تورية وغيره وسيأتي لذلك ايضاح ومنها

تفرق انواع الحجيج على منى * وفرقهم شعب النوى بين اربع
فلم أر دارا مثلها دار غبطة * وملقى اذا التف الحجيج بمجمع
أقل مقيما راضيا بمقامه * وأكثر جارا ظاعنا لم يودع
فشاقوا لما وجهوا كل وجهة * سراعا وأخلوا عن منازل بلقع
فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم سالك خبت يفرع

(أخبار قيس ولبنى)

هو قيس بن ذريح بن سنة وفي رواية ابن الحباب يتصل نسبه ببكر بن عبد مناة عذري وهو من خزاعة واسم أبيه علي او هو جده وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن علي بن ابي طالب وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب لبعض حاجاته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما اصدر قالت له ألا تبرد عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت مايحتاج اليه وان اباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالاشعار وشاع ذلك عنه وانه مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا

حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من أصبح دونه في العفاف واقام سالف محبوبه مقام السلاف ومنهم من خلع العذار واحتج بقول الشاعر في العقار

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فجمع مابين ذات العقود وابنة العنقود ولكن مع صيانه ورجوع الى ديانه فهو وان طال به المجلس اختصر وان جنى فيه على محبوبه اعتذر كما قيل

ان أكن قد جنيت في السكر ذنبا * فاعف عني يا راحة الارواح
أي عقل يبقى هنالك لمثلي * بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة وأخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صورة فجارى النديم في الجريال وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال فافضى به ذلك الى هلكه وفساد ملكه كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع في ثمانمائة قصة فوالله لقد أصاب وما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال يا ربيع أتراني لا احسن التدبير والسياسة ولكن وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الي من مقابلة الناس وكذلك خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على طلب السياسة والذى أراه اطلاق ماذهبوا اليه بالصريح ومفارقة الجميع على وجه مليح كما قيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه مليح

(وما احسن قول ابي الفتح البستي)*

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة * لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا نشرع في ذكر من ذل

اليها حين تخالياما نزل به من حبها فوجد عندها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ماعند الآخر فمضى الى أبيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج باحدى بنات عمك فغم منه وجاء الى أمه فكان منها ما كان من ابيه فتركهما وجاء الى الحسين بن علي واخبره بالقصة فرثى له والتزم له ان يكفيه هذا الشأن فمضى معه الى ابى لبنى فسأله فى ذلك فأجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت لكفيت بيد أن هذا من ابيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى ابى قيس ونقل السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين ابن علي لما بلغه انقباض ابى قيس من ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على اقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى ونقل الجلال السيوطى ان الحسين ادى المهر من عنده ولما تزوجها اقام مدة مديدة على ارفع ما يكون من احسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على ابلغ ما يكون من انواع البر بأمه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فسنت لابيه التفريق بينهما فقالت له يوما لو زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان ابقى لنسبك واحفظ لبيتك ومالك وانهما عرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا اسيئها قط واقام يدافعهما عشر سنين الى ان اقسم ابوه او هى امه لا يكنه سقف او يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلى هو حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهى تقول له لا تفعل فتهلك الى ان قدر ان طلقها فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد فوض فسطاطها فسأل الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه اهلها واخبر وانها غداة غد ترحل الى اهلها فسقط مغشيا عليه فلما افاق انشد

وانى لمفن دمع عينى بالبكى * حذار الذى قد كان او هو كائن
وقالوا غدا او بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتى * بكفيك الا ان ماحان حائن

وقال ايضا

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت اعدائى وعاصيت ناصحى * واقررت عين الشامت المتملق
وددت وبيت الله انى عصيتهم * وحملت فى رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر * أبيت على اثباج موج مغرق
كانى أرى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عينى بعدها كل منظر * ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره فنعق حين رحيلها فانشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى * فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تباعد دار لبنى * وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب * وكان الدهر سعيك فى تباب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبل اثر بعيرها فليم على ذلك فانشد

وما احببت ارضكم ولكن * اقبل اثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلف بلبنى * بلاء ما أسيغ له الشرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى * عييت فلا اطيق له جوابا

لمحبوبه من الملوك فاصبح مع كونه مالكا له كالمملوك وهم فى ذلك اشدة الياس على خلاف ما عليه الناس وذلك لان العشق واصحابه طبقات فنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيها الحب ما لذ الهوى * ولم يك لولا الذل فى الحب عزتى

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة * فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس فى القلب موضع لحبيبـ * ـن ولا أحدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدرى * خالقا غير واحد رحمن
فكذا القلب واحد ليس يهوى * غير فرد مباعد او مدان
وكذا الدين واحد مستقيم * وكفور من عنده دينان
هو فى شرعة المودة ذو شر * ك بعيد من صحة الايمان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك فى المحبة كالرشيد وغيره كما يأتى بيانه فى بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم واختلاف الشكل عليهم كما قيل

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود النضة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة نعم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما أكثر ما يظهر من أمر الملوك أن يضعوا محبوبهم فى مقام مالكهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا * مستهاما على الصعيد تريبا

ولما أجنه الليل آوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ ويتمرغ فى موضعه ويقول

بت والهـم يالبينى ضجيعى * وجرت مذنأيت عـنى دموعى
وتنفست اذ ذكرتك حتى * زالت اليوم عن فؤادى ضلوعى
يالبينى فدتك نفسى واهـلى * هـل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال ايضا

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف * قضت لبانة ما قضيت فانصرف
قد كنت احلف جهدى لا أفارقها * أف لكثرة زيف القيل والحلف
حتى تكنفنى الواشون فافتلتت * لا تأمنن ابدا من غش مكتنف
هيهات هيهات قد امست مجاورة * اهل العقيق وأمسينا على سرف
حى يمانون والبطحاء منزلها * هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وارسلت اليه يوما أمه بنات يعبن لبنى عنده ويلهينه بالتعرض الى وصلهن فانشد

يقر لعينى قربها ويزيدنى * بها عجبا من كان عندى يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمى * باول نفس غاب عنها حبيبها

فلم ينصرفن وذمن على ما كن فيه فنادى يالبنى فقلن مالك قال خدرت رجلى وكان من المعلوم عند العرب انه اذا خدرت رجل الرجل وذكر لها احب الناس اليها سكنت ثم قال

اذا خدرت رجلى تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التى لو ان نفسى تطيعنى * لفارقتها فى حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية * وريشت باخرى مثلها وبريت
فلما رمتنى أقصدتنى بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأننى * قرنت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت انى مت قبل فراقها * وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفس منك هلكا فاننى * كأنك بى قد ياذريح قضيت

ورأيت الابيات فى كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فيا ليت انى مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تهيامى بلبنى غواية * فقد ياذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ولما اشتد شوقه وزاد غرامه افضى به الحال الى مرض ألزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فأرسل له طبيبا وقينات يسألون عن حاله ويلهونه فلما أطالوا عليه انشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادنى العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودنى ثم أقضى * انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بك ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

تعلق روحى روحها قبل خلقنا * ومن بعدما كنا نطافا وفى المهد
فزاد كما زدنا واصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنفصم العقد

يجعل الخدود اضعا فوق ترب * للذى يجعل الحرير أريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر * اذا كان فى الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

(وقال) المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء المغرب وأجاد

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدما * زهر الوجوه نواعم الابدان
فحاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطان
فابحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عز ملكى كالاسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثانى
ماضر انى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى

(قلت) وكم مثله من ملك قاهر وسلطان قادر تذل لهيبته الاملاك وتذعن لسطوته الفتاك هدم الهوى أركانه وأذل عزه وسلطانه فقصر جفنه فى الليالى الطوال وأوقعه مع عقله الحسن فى أسر الاعتقال فقال

أما يكفيك انك تملكينى * وان الناس كلهم عبيدى
وانك لو قطعت يدى ورجلى * لقلت من الرضا احسنت زيدى

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدى (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان) كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين رأيته مرارا

ولكنه باق على كل حادث * وزائرتي في ظلمة القبر واللحد

فقال انما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا * وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر
اذا ما مشت شبرا من الارض أرجفت * من البهر حتى ماتزيد على شبر
لها كفل يرتج منها اذا مشت * ومتن كغصن البان منضمر الخصر

وان أباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لاتقنع النفس بعدها * بشيء من الدنيا وان كان مقنعا
وازجر عنها النفس ان حيل دونها * وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما أيس منه استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون فلما أفاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء أخوها على أثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده وأقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت على وأجاب فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه الصهارة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يصير فعلك سنة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فألح عليه حتى عقد له على أخته ودخل بها فاقام معها أياما لاتهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى أهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالما خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان أبا لبنى قد اشتكى قيسا الى معاوية وانه يشبب بابنته فكتب الى مروان بهدر دمه وأمره ان يزوج ابنته بخالد بن خالدة الغطفاني وهو كندي حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبيني زوجها أصبح * لاحر بوازيه
له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه
وقيس ميت حقا * صريع في بواكيه
فلا يبعده الله * وبعدا لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى أتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله بعد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الاقربون فجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

(وأنشد حين بلغه هدر دمه)

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها * مقالة واش او وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * ولم يذهبوا ما قد أجن ضميري
الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى * ومن كرب تعتادني وزفير

بغرناطة وانشد في شعر او حضرت عنده انشاد الشعراء ومن شعره ايا ربة الخدر التي اذهبت نسكي * على كل حال انت لابد لي منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى
واما بعز وهو أليق بالملك

(وقال الملك الامجد)

من مثلي في عصري * بستاني في قصري
معشوقي مملوكي * غني لي من شعري

(وقال الملك الظاهر) في مملوكه ايبك الجامدار

أنا مالك مملوك ظبي أغيد
ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الفتى واني من وصله
بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفي عنوة
ودمي بسيف لحاظه مسفوك

(وقال الملك الاشرف في مملوكه) وكان خازنداره دوبيت

أفدي قمرا تحار فيه الصفة
يسخو بدمي وهو أمين ثقة
ماذا عجبا يحفظ مالي ويرى
روحي تلفت به ولا يلتفت

وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الاول من نقل الكرام في مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهي من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جد لي بوعد صدق
وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني أظل أشكو
مثل محبك ليس يشكا

(وحكي) عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها واعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام
ولا يزري بمحاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام * ولكني بحبك مستهام
بحق عليك أن لا تقتليني * فيبقى الناس ليس لهم امام

ومن حرق للعب في باطن الحشا * وايل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة * بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل ان يظهر النوى * بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

(وقال أيضا) وان تك لبنى قد أتى دون قربها * حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا * ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحين تلتقي * ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا * سماء نرى فيها النجوم تجول
الى ان يعود الدهر سلما وتنقضي * ترات براها عندنا وذحول

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروجه ايضا فتلاقيا فأبهت وأرسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمي * فاني يسليني عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس اشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي * طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا انهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وقدم رؤيته لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي * غداة غداذ حل ما اتوقع
تمنينني نيلا وتلوينني به * فنفسي شوقا كل يوم تقطع
ألومك في شاني وانت مليمة * لعمري واجفى للمحب واقطع
واخبرت اني فيك مت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكي على جنازة * لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع واعلمته انها انما تترك زيارته خوفا عليه ان يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفي منازل الاحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربع عفا رسمه واذا بشخص فسلمت عليه فلم يرد فمضيت واذا هو يناديني فرجعت فرد على السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل أطوارا هذا ودمعه يسفح كالغيث فقلت له من انت قال قيس بن ذريح وانشد

امانيه لبنى ولم يقطع المدى * بوصل ولا هجر فييأس طامع
أبى الله ان يلقى الرشاد متيم * ألا كل شئ حم لاشك واقع
هما برحا بي معوابن كلاهما * فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
اذا نحن أفنينا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاي وأخبرت لبنى بمرضه في حبها فقالت دفعا للوهم متمارض فبلغته القصة فأنشد تكذبني بالود لبنى وليتها * تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت انني * لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق

فقالت له يا أمير المؤمنين والله أمير المؤمنين هرون الرشيد أعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الأبيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون ايضا يوما غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتح البلوى
ويا عليما بطول شكواي
الحمد لله لا شريك له
مولاك عبدي وأنت مولاي

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل

كل ما يصلح للمو * لى على العبد حرام

وقعد والده الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على رأسها فأشار اليها أن تقبله فأعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فرقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فرقعت فيه

فما برحت مكاني * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها وأقام معها اسبوعا لا يدري مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمشوة
كأنما قلبا هما قلب
روحاهما روح ونفساهما
نفس كذا فليكن الحب

(وحدث) أبو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصر له اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهي تسحب أذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انك قد هجرتني مدة ولم يكن عندي علم وافاتك فانظرني الليلة حتى أتهيأ للقياك وآتيك في غد فلما أصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا أمير المؤمنين أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل

اذود

اذود سوام النفس عنك وماله * على احد الا عليك طريق
شهدت على نفسي بانك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزين مني صحابة * ولا انا للهجران منك اطيق
وانك قسمت الفؤاد فنصفه * رهين ونصف في الحبال وثيق
كان الهوى بين الحيازيم والحشا * وبين التراق واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي * وبعض لبعض في الفعال يفوق
سلي هل قلاني من خليل صحبته * وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي * اذا اغبر مخشي الفجاج عميق
واكتم أسرار الهوى فأميتها * اذا باح مزاح بهن بروق
هل الصبر الا ان اصد فلا ارى * بارضك الا ان يكون طريق

وروى ان قيسا اشترى ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتني غدا في دار كثير بن الصلت اقبضك الثمن فجاءه وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي امره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عد لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ما هذا الذي فعلت انه لقيس فحلف انه لا يعرفه وانشد قيس معاتبا لنفسه

اتبكي على لبنى وانت تركتها * وكنت عليها بالملا انت اقدر
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون واظهر
كأني في ارجوحة بين احبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لا تركب لي مطيتين فقال انت قيس قال نعم قال ارجع لنخيرها فان اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيسا فخيرها فاختارت قيسا فطلقها الوقت (وحكى) ان سبب طلاقها ان قيسا قصد ابن ابي عتيق وكان اكثر اهل زمانه مروءة في ذلك فجاء الى الحسن والحسين واعلمهما ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب ان يتجداه عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن ابي عتيق اهلا كان او مالا قال نعم فقال اريد ان تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال اشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة الف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت وروى ان لبنى عاتبت قيسا على تزويج الفزارية فحلف لها ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها واخبرته لبنى انها كارهة زوجها واعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين اهدر دمه ليخلي عنها فطلقها حين علم ما بينهما وارسل اخو الفزارية الى قيس حين ابطأ عنه يسأله الرجوع فاعاد الرسول بالخيار في امر اخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي ان اكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحيها وتظاهرت مدائحه فيها

له مصعب والرقاشي وأبو نواس فأمر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فانشأ الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار
وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما
فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت
كلام الليل يمحوه النهار

(وقال مصعب)

أتعذلني وقلبي مستطار
كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي
بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها
لألمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا
فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا أجابت
كلام الليل يمحوه النهار

(وقال أبو نواس)

وخود أقبلت في القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها
من التخميش وانحل الازار
وهز الريح أردافا ثقالا
وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا
فقام لها على المعنى اعتزاز
وقالت في غد فضيت حتى
أتى الوقت الذي فيه المزار
وقلت الوعد سيدتي فقالت
كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك أكنت مطلعا علينا أو ثالثنا في القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما في نفسك وعبرت عما في ضميرك فأمر له باربعة آلاف درهم ولصاحبيه مثلها وذكرت هنا ما قلته في ابن نهار

أقول لموعدي زورا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا

حتى غنى بها معبد والغريض واضربهما فرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت الى العدة بأمر ابن ابى عتيق فمن ذاهب الى انها اكملت عدتها وتزوجها واقاما الى الموت بدليل مدحه لابن ابى عتيق حيث قال

جزى الرحمن افضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن ابى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبى * اغصتنى حرارتها بريقى

ومن ذاهب وهم الاكثر الى انها ماتت فى العدة وان مدحه لابن ابى عتيق حين لم يشك فى عودها اليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدنى قوادا والقائلون بموت لبنى فى العدة أجمعوا ان قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وانشد

ماتت لبينى فموتها موتى * هل ينفعن حسرة على الفوت
انى سأبكى بكاء مكتئب * قضا حياته وجدا على ميت

ثم بكى حتى اغمى عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك فى سنة وله اشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب فى منازل الاحباب عن ابى العباس على تردد فى انه لابن الدمينة

وفى عروة العذرى ان مت اسوة * وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند
وبى مثل ما قد نابه غير اننى * الى اجل لم يأتنى وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما * بدا علم من ارضكم لم يكن يبدو

(ومنها)
لقد عنفتنى يا حب لبنى * فقع اما بموت او حياة
فان الموت ايسر من حياة * منغصة لها طعم الشتات
وقال الآخرون تعزعنها * فقلت ولا اذا حانت وفاتى

(ومنها)
فما وجدت وجدى بها ام واحد * ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة فى الهوى * كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

(ومنها)
لو ان امرأ اخفى الهوى عن ضميره * لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والنفس لم تبح * بسرك والمستخبرون كثير

(ومنها)
عفا سرف من اهله فشوارع * فجنبا اريك فالبلاد الدوافع
فكلة فالاخياف اخياف طيبة * بها من لبينى مخرف فمرابع
اعد للبينى ان يحم لقاؤها * ببعض بلادى ان ما حم واقع
بجذع من الوادى خلا عن انيسه * عفا وتخطته العيون الجوازع
ولما بدا منها الفراق كما بدا * بظاهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت ان تلقى لبيناك والمنى * تعاصيك احيانا وحينا تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه * ولا ذى هوى الا له الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا * ببين كما شق الاديم الصوانع
الا يا غراب البين قد طرت بالذى * أحاذر من لبنى فهل انت واقع
وانك لو ابلغتها قيلى اسلى * طوت حزنا وارفض منها المدامع
اتبكى على لبنى وانت تركتها * وكنت كآت غيه وهو طائع

وأبيت اسهر فيك مع نهارى
وتلوم ان اصبحت فى يوم الجفا
مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

(حكى) انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من أحسن الفتيان فكان المتوكل يجن به جنونا فاحب يوما أن ينادم حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقى من شهوته وكان قد اسن فأحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل أتخمش اخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة
من الورد يمشى فى قراطق كالورد
تمنيت أن اسقى بعينيه شربة
تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة
خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعه الشفيع فاعطاها المتوكل فاستملحها وقال احسنت يا حسين ولو كان شفيع ممن تحوز هبته لوهبته لك ولكن تحيا تى يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان شفيع مذكور يكتب على طراز قباته الايمن

بدر على غصن نضير
شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه
فى صفحة القمر المنير

(ومن غريب) ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبا بحبابة جاريته فخلا يوما فى لهو معها وقال لا كذبن قول من قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوما واحضر حاجبه وقال له

فلا تبكين فى أثر شئ ندامة * اذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لامر حاول الله جمعه * مشت ولا ما فرق الله جامع
كانك لم تقنع اذا لم تلاقها * وان تلقها فالقلب راض وقانع
فياقلب خبرنى اذا شطت النوى * بلبنى وصدت عنك ما انت صانع
اتصبر للبين المشت مع الجوى * ام انت امرؤ ناسى الحياة فجازع
فما انا ان بانت سلمى بهاجع * اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيع الاسى فيه نكاس روادع
فلا خير فى الدنيا اذا لم تزورنا * لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يكنها * واياى هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطا تحت رجليها بساطا وبعضه * اطأ برجلى ليس يطويه مانع
وافرح ان تمسى بخير وان يكن * بها الحدث العادى ترعى الروائع
كانك بدع لم تر الناس قبلنا * وان يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت ابكى والنوى لا اظنه * بنا وبكم لم ندر ما البين صانع
واهجركم هجر البغيض وحبكم * على كبدى منه كلوم صوادع
فواكبدى من شدة الشوق والاسى * وواكبدى انى الى الله راجع
واعجل للاشفاق حتى يشفنى * مخافة شحط الدار والشمل جامع
واعمد للارض التى من ورائكم * لترجعنى يوما اليك الرواجع
فياقلب صبرا واعترافا لما ترى * ويا حبها قع بالذى انت واقع
لعمرى لمن امسى وانت ضجيعه * من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
الا انما ابكى لما قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به * جوى حرق قد ضمنتها الاضالع
اباننة لبنى ولم تقطع المدى * بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهارى نهار الوالهين صبابة * وليلى تنبو فيه عنى المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وانما * تقسم بين الهالكين المصارع
وهذان البيتان فى غير رواية ابى على
ولولا رجاء القلب ان يعطف النوى * لما حملته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كأنها * شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
اقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى بالليل والهم جامع
اذا نحن انفذنا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى * شحوب وتبرى من يديه الاشاجع
وما كل ما منيت نفسك خاليا * تلاقى ولا كل الذى انت تابع
تداعت له الاحزان من كل وجهة * فحن كما حن الطيور السواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه * وعاوده فيها هيام مراجع

لاتأذن لاحد يدخل على ولا تعلمنى بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكى مدة هذا اليوم وأقام معها فى اتم حال فتناولت رمانا فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من دفنها حتى سأله جماعة من بنى أمية فى دفنها ولاطفوه فى ذلك فامر بدفنها وقال
فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى
فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة أيام ومات أسفا عليها ومثل فعله هذا فى عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته فى نقل الكرام فى مدح المقام فى الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج منع من دفنه فكان يحمل معه فى محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج فقال له بعض الامراء أيها الملك قد مات قلج فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها فى الكتاب المذكور

(الباب الثالث فى ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى فاصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين وشهد على عينيه بما لم تريا فكان كمن كلف ان يعقد بين شعيرتين كما يلقى لرقص فيها على السماع وجمعه سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع نعم وأعلى طبقة من عشق باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب فى نفس الامر او تعارف سابق فى عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وأحسن فى الاقتباس
محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس او تجرى مع النفس
وما لها آخر لكن أولها * تعارف سابق فى حضرة القدس

اراك اجتنبت الحى من غير بغضة * ولو شئت لم تجنح اليك الاصابع
كان بلاد الله مالم تكن بها * وان كان فيها الناس قفر بلاقع
الا انما أبكى لما هو واقع * وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال على الدهر من كل جانب * ودامت ولم تقلع على الفجائع
فمن كان محزونا وقاصدا لفراقنا * مذ الان فليبك لما هو واقع

وقد انتهت اخباره كما وجدت وكأنى بغبى يعترض على نقلى له من مراتب من حظى بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدر ان الحيثيات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكى الثاقب مالم يدركه الغافل الغبى اما تقدم هذه الاربعة فقد علم واما ذكرهذا هنا فقد قال فى النزهة والبدور السافرة وطوالع الازهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن أحوال العشاق انه رأس اهل الهوى ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب أوقعه فى هذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكور ان سلطان العشاق واستاذ العارفين على الاطلاق قد اشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن لبنى ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال

بفرط غرامى ذكر قيس بوجده * وبهجتها لبنى أمت وأمت

لا يقال قد أفرد غيره بالذكر ايضا لان أساليب دقائق كلامه وأفانين مطاوى نظامه تجل عن ان تنال الابشق الانفس والله يؤتى فضله من يشاء فان قوله فان كنت ليلى ان قلبى عامر ونحوه ليس تنويها بعظم الشأن كما فى البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت على غيره فيجاب بان قوله رضى الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى اوكثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الارفع ومثل بالامثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله اعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ واعظم وارفع فى مقاساة الغرام وأفخم وفيه تلميح لما ذكر فى التفضيل بين البشر والملائكة

(اخبار المجنون وصاحبته ليلى)

قد اختلف فى اسمه هل هو عامر أو مهدى او الاقرع وهماذا أوقيس ابنه اوابن الملوح او البحترى بن الجعد والصحيح الاول لاشارة عارف الوقت فى البيت السابق وفى نسبه عامرى او كلابى او جعدى اوقشيرى او المجانين متعددة اوهما اثنان فى بنى عامر اولم يكن احد وانما امرؤ تعشق واستكبر عن ان يصرح باسمه واسم محبوبته فنوه بالمجنون وليلى والصحيح انه من بنى عامر وهو عامر بن ملوح بن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الاغانى الى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم يزل به الهزال والجنون وتغير اللون الامن العشق وصاحبته هى ليلى بنت مهدى بن سعد تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا اخذ من قوله ذلك فى شعره كثيرا نحو قوله

تكاد بلاد الله يا أم مالك * بما رحبت يوما على تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله

عقرت على قبر الملوح ناقتى * بذى السرح لما أن جفاه اقاربه
وقلت لها كونى عقيرا فاننى * غداة غد ماش وبالامس راكبه

فلا

ومن مجال الكرى فى الاعين النعس

قوله الى المشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق فى بعض الصفات لابد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصف له رجل من أهل النقص انه يحبه فقال ما أحبنى الا وقد وافقته فى بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة نزلت على امرأة تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وانشد طارفة

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا
فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال أبو الهذيل العلاف لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب الطبيعة ولا فى القياس ولا فى الحس ولا فى الممكن ولا فى الواجب أن يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذى ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من احب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك أجوبة احسنها ان يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل والمرأة لان لكل منهما غرضا مع صاحبه والقسم الثانى محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولابد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير

فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم * فكل امرئ للموت لابد شاربه

وروى باسقاط هاء السكت وحذف البيت الاخير وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمحادثة فنزل وعقر لهن ناقته واقام معهن بياض اليوم فاقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضبا وانشد

أأعقر من جرا كرائم ناقتي * ووصلي مقرون بوصل منازل

اذا جاء قعقعن الحلى ولم اكن * اذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جرا كرائم يعني من اجلها وكرائم اسم المرأة التي كن عندها وروى ووصلي مفضول اى دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفي النزهة

اذا جاء قعقعن الحلى ولم يكن * اذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل

يقول قد اظهرن صوت الحلى حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئي وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة او الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وانشد في ذلك

اذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته * وان يرم رشقا عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائدا على النسوة وهذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له مادمت تنظر اليهن فانك تشجع فتغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي * فانت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدى في السجع فان سعاد تنظرك وتسمعك قلت هذا ما نقل في الاصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وانما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لها هل عندكن ما تاكلن قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها ألا تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى واقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كما مر وانها كانت مغرمة باحاديث الناس والاشعار وكان هو اروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها الى ذلك فتداخلت بينهما المحبة وفي نديم المسامرة انهما انتشآ صغيرين برعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت أننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فتحابا وانها حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارا قبل الحجب ويذهب ليلا وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

ماعنده اوفوقه اودونه وذكر بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة اشياء اما رؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة فهذه الثلاثة هي أصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب أحد من أن يستند الى شيء منها وقد قيل

ثلاث محبات فحب علاقة

وحب تملاق وحب هو القتل

واحوال الناس تختلف في ذلك (فمنهم) من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيغني بما وصف له محبة وما رآه ولكن وصفه له واصف كما قيل

فاتني ان أرى الديار بطرفي

فلعلي أرى الديار بسمعي

أخذه القاضي الفاضل فقال

ملاوني عن الشام بذكرى

ان قلبي عليه بالاشواق

مثلته الذكرى لسمعي كأني

أتمشى هناك بالاحداق

وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الاعضاء فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيأ ولا يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما اشد ضررا السمع أم البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما او بناقص أحدهما فتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب وما رأى والاصم يحب وما سمع فقال له لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وطيرانه أقوى وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما ان أول الحريق الدخان ثم الشرر (حكى) عن أبي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم أفهم معانيها ولكن * شجت قلبي فلم اجهل شجاها

فكنت كأني اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها قال ابن طاهر قلت لابي تمام اخذت هذا المعنى من احد فقال

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني بالليل والهم جامع

قلت وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح في نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا متعاصرين حتى نقل في الاغاني ان قيسا مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون لقيس ان حي ليلى قريب فهل لك ان تبلغها سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتمارفا وبلغها فاخبرته ان وجدها به اعظم ولكن قالت أنا غائبة عليه حيث يقول

أنت ليلة بالغيل يا أم مالك * لكم خير حب صادق ليس يكذب

ألا انما ابقيت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل اوغيره فقال انها لا تحمليه على ما تقول الناس فلم يردسوا وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه اعظم منزلة من اخوته وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيرا وراعيها في مهر ليلى فلم يقبل ابوها مع انه دونهم لما مر من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت اخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختاره ففعلت كارهة وفي ذلك يقول المجنون

ألا يا ليل ان ملكت فينا * خيارك فانظري لمن الخيار

ولا ترما اذا حث القتار * يهرول في الصغير اذا رآه * وتعجزه ملمات كبار

فمثل تأيم منه نكاح * ومثل تمول منه افتقار

وابصر يوما في طريقه الى زيارتها جارية عمرا فتطير وانشد

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى * بجد القوى من ليل أعسر حاسر

صريع العصا جدب الزمان اذا انتحى * لوصل امرئ لم تقض منه الاواطر

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة اهادت شخصا بحضرته فسارته اوصرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان يتفطر فأنشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

وفي رواية وكل مظهر في الناس وبعده

واسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغري بذي اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاءت في رواية * وقد تغري بذي اللحظ الظنون * وبعده وكيف يفوت هذا الناس شئ * وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

أظن هواها تاركي بمضلة * من الارض لا مال لدي ولا اهل

ولا احد افضي اليه وصيتي * ولا صاحب الا المطية والرحل

محا حبها حب الاولى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وفي رواية ولا وارث الا المطية والاولى اصح وانسب لان المطية لا ترث وتستصحب كما جاء في كلام العرب ان الحمار مع الحمار مطية * واذا خلوت به فبئس الصاحب

واصل ذلك ان المحبة في الاصل مجرد الاجتماع واماشدة المخالطة والمداخلة فصداقة

ومتى رأيت جماله * حتى كسالك هواه سقما

(وخرج)

نعم من قول بشار

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم
الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر أن بشارا أخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه أبو يعقوب الخزيمي فقال

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها
يا للرجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسي فداؤك انما
عيني وأذني في الهوى سيان

(وقال بشار أيضا) الحب انما يتولد بالقلب والفكر وأنشد في ذلك

يزهدني في حب عبدة معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصري وقد صدق فيما نطق انما احسن الحواس الجنس بواسطة توسطها النفس (وقد قال الخليل ابن أحمد)

ان كنت لست معي فالذكر منك معي
يرعاك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتفقده
وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وأنت اعمى
ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها
فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا
م فما اطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما

. وبأي جارحة وسلـــت لوصفه نثرا ونظما   والعين داعية الهوى وبه تتم اذا استتما   فاجبت اني موسوي

(وخرج يوما) في سفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسلكين احدهما ير بوط ليلى ولكنه يزيد مرحلة فتقدم الى القوم وسألهم ان يسلكوها او يمكثوا له حتى يرجع فابوا عليه فقال أنشدكم الله لو أن شخصا تحرم بكم فضل بعيره أ كنتم تستعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وانشد

أأترك ليلى ليس بيني وبينها * سوى ليلة اني اذن لصبور
هبوني امرأ منكم اضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة * على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما علي تجور

(واستنشد شخصا) عن عروة بن حزام فاخبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق وانشد

عجبت لعروة العذري امسى * أحاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا * وها أنا ذا أموت كل يوم

ولما اشتهر امرهما في العرب وشاع شعره فيها منعها اهلها الزيارة وكان في حي ليلى امرأة من بني عامر قد تزوجها رجل من حريش ومات عنها وقد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها اخبار ليلى فبلغ اهلها ذلك فزجروا المرأة وجاءها المجنون فاخبرته فانشد متمثلا بيت امرئ القيس وضم اليه ثانيا له

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة كاشح * اذا قال شرا واخيف لبيب

ثم تركها وكان يأتي غفلات الحي فلما علموا بذلك شكوه الى مروان فكتب الى عامله بهدر دمه اذا وجد عند ليلى فقرؤا عليه ذلك فانشد

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها * علي يمينا جاهدا لا أزورها
وأوعدني فيها رجال ابوهم * ابي وابوها خشنت لي صدورها
على غير شئ غير اني احبها * وأن فؤادي عند ليلى سميرها

ولما يئس من زيارتها اقلق لذلك قلقا أدى لزوال عقله فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت لذلك جزعا ادى الى سقمها فحج بها اهلها فرآها ثقفي فخطبها اليهم فاجابوا بعد ان ردوا جماعة ونعي الى المجنون ذلك فانشد

ألا ان ليلى العامرية اصبحت * تقطع الا من ثقيف حبالها
هم حبسوها محبس البدن وابتغى * بها المال اقوام ألا قل مالها
اذا ما التفت والعيس صفر من البرى * من العين جلى عبرة العين حالها

هذا ما تظافرت به الاخبار وفي رواية ألا تلك ليلى العامرية اصبحت وفيها والعيس صفر من البكا وقد حرف هذا البيت وفي رواية الاغاني اقد حبسوها محبس البدن وفي أخرى بعده

خليلي هل من حيلة تعلمانها * فيدني بها تكليم ليلى احتيالها
فان انتما لم تعلماها فلستما * باول باغ حاجة لا ينالها
كان مع الركب الذين اغتدوا بها * غمامة صيف زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى * تحث باطراف المحارم آلها

العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمى
(وقال المدني)
أيا من لامني في حب
من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصـ
ـفك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ
ـة يوما بسوى الوصف
وما احسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب مطلعها
واني امرؤ احببتكم لمكارم
سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وقالت لي الآمال ان كنت لاحقا
بأبناء أيوب فانت الموفق
وقلت انا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة مطلعها
وحياة وجهك وهو بدر مشرق
قلبي عليك كما علمت واشفق
يا من اذا ما لاح آس عذاره
أمسى ولي بالعشق غصن مورق
ما لاح خدك بالعذار مكاتبا
الا ظننت بانه لي معتق
(ومنها)
كم ذا رقصت على السماع بذكره
والاذن قبل العين قالوا تعشق
وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفني في محبة من لا رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث في الصحيح قال في الواضح المبين ومنهم من يعشق اثرا رآه كما يحكى ان رجلا عشق أثر كف امرأة رآه في حائط فلما أيس اهله من صلاحه تركوه حتى مات (ومنهم) من يحب في النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

بمنزلة الاجفان هيج شوقها * مجامعة الا ٓلاف ثم رآها
اذا التفتت من خلفها وهى تعتلى * على العيس جلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزويجها انشد

دعوت الهى دعوة ماجهلتها * وربى بما تخفى الصدور خبير
لئن كان يهدى برد أنيابها العلا * لافقر منى انى لفقير
فقد شاعت الاخبار أن قد تزوجت * فهل يأتينى بالطلاق بشير

وجعل يمر ببيتها فلا ينظر اليه فأنشد

الا ايها البيت الذى لا أزوره * وان حله شخص الى حبيب
هجرتك اشفاقا وزرتك خائفا * وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعتب الايام فيك لعلها * بيوم سرور فى الزمان تؤوب
وافردت افرادا الطير يدو باعدت * بى النفس حاجات وهن قريب
لئن حال واش دون ليلى لربما * اتى اليأس دون الامر فهو غصيب
ومنيتنى حتى اذا ما رأيتنى * على شرف للناظرين يريب
صددت واشمت العدو بصرمنا * اثابك يا ليلى الجزاء مثيب

والبيتان الاولان لمحمد بن أمية هذا ما نقله والصحيح ان البيت الاول للمجنون ذكر ذلك فى النزهة وأقره فى تسريح الناظر غير انه قال فى الثانى والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفى رواية هنا * بيوم سرور فى الزمان تثوب * والمعنى واحد وبقى ابيات من هذه القصيدة اخرتها لان لها حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفى انشد

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية او يراح
قطاة غرها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح
فلا فى الليل نالت ما ترجى * ولا فى الصبح كان لها براح

وفى تسريح الناظر عن الامالى قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بنى الثقفى بليلى فعزموا على ان يسافروا به متنزهين فى احياء العرب ليذهب ما به فسار واوهو معهم تعاوده الصحة دورا والجنون دورا وهم يردون كل متنزه و يعرضون عليه من بنات العرب كل من اجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب فركب ابن عم له فى طلبه فرآه عند مشرعة وبين يديه ظبية لاحراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكى هذا ما فى تسريح الناظر زاد فى نزهة المشتاق انه كان ينشد

أيا شبه ليلى لا تخافين اننى * لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له اذهب بنا فلم يجب فقال اذهب لنمر بليلى فقام معه فلما جاء الى اصحابه جلس متفكرا لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وابرق برق مما يلى حى ثقيف فأنشد

طربت وشاقتك الهمول الدوامع * غداة دعا بالبين اسفع نازع
شحاه نعيا بالفراق كأنه * حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سماما من غراب فاننى * تبينت ما اخبرت اذ هو واقع
الم تر أنى لا محب ألومه * ولا يبديل بعدهم انا قانع

ياليت شعرى من كانت وكيف سرت * اطلعة الشمس كانت ام من القمر
أظنها العقل ابداها تدبره * أوصورة الروح ابدتها الى الفكر
اوصورة مثلت فى النفس من املى * فقد تحير فى ادراكها البصر
أولم يكن كل هذا فهى حادثة * اتى بها سببا فى حتفى القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو راس الشهوة (ومنهم) من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره * كذاك يعشق فيك الانف والاذن

(ومنهم) من اخبرنى انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هى فاخذها واقامت عنده زمانا واصابه من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة وسمعت غيرى * يقول سلمت من تلفى بشعرة

(ومنهم) من يعشق جنية رآها فى نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفرج الاموى ان جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع فى النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه ابو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر خليعا ماجنا ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال واى مستصلح فيه واى غاية لم يبلغها فى الفساد فقال ويلك و بأى شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد فى خطبتها ودأبه جمع اصحاب العزائم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجنى فى الحى طلل * دارس الآيات عاف كالخلل

قلت هذا الذى يقال فى حقه المجنون فنون (ومثل هذا ما اخبرنى) به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال

الم

الم تردار الحي في رونق الضحى * بحيث انحنت للهضبتين الاجارع
وقد يتناءى الالف من بعد صحبة * و يصدع ما بين الخليلين صادع
وكم من هوى او جيرة قد ألفتهم * زمانا فلم يمنعهم البين مانع
كاني غداة البين ميت حوية * أخو ظما سدت عليه المشارع
يخاص من اوصال ماء صبابة * فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع
و بيض تطلى بالعبير كأنها * نعاج الفلا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الاراك وأومضت * لهن بأطراف العيون المراتع
فما جئن ربع الدار حتى تشابهت * هجائنها والجون منها الجوامع
وحتى حللنا الجور من كل جانب * وخاضت صدور الرقم منها الاكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى * عبير ومسك بالعرانين رادع
أشرن بان حثوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لافح الظل مانع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات غاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليح وان يرد * جناهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابي ودمعي مسبل * وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بابواب الخدور تعرضت * لعيني أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقا شديدا ودخل عليه جماعة اوهو ابوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وتوجع وينشد

ألا ايها القلب الذي لج هائما * بليلى وليدا لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى * لما بك ان تلقى طبيبا تلائمه
فمالك مسلوب العزاء كانما * ترى نأي ليلى مغرما انت غارمه
أجدك لا ينسيك ليلى ملمة * تلم ولا ينسيك عهدا تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فزاد في الهيام والساعو في جعل يعاود موضعها ويتمرغ في التراب و يبكي الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجعه ابن عم له في ذلك فكان يعزم عليه ان لا يفعل و يشاغله الى ان بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت اثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد علق بي عظيما على غير استحقاق فانشدك الله أصادق هو في وصفي أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سواك نسيته فلما صار في يدها قالت سقى الله من اعطانيه فقالت لها جارتها ومن اعطاكيه قالت قيس فخرج هائما وانشد

نبئت ليلى وقد كنا بخلها * قالت سقى الله منه منزلا خربا
قالت لجارتها يوما تسائلها * لما استحمت وألقت عندها السلبا
يا حبذا راكبا كنا نهش له * يهدى انا من أراك الموسم القضبا
ناشدتك الله الا قلت صادقة * أصادق وصف المجنون أم كذبا

وقيل انما خروجه من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء ان يسكن ما به من زاع واختشى قومها ان تفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحي وحذر فقال الموت أولى وخرج على وجهه

قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح قد وقع بين الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد لان الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم

(فصل في ذكر ما ينخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب)

كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصوري

بأبي فم شهد الضمير له
قبل المذاق بانه عذب
كشهادتي لله خالصة
قبل العيان بانه رب

(وما احسن قول الآخر)

أهيم الى العذب من ريقه
كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته
يقينا ولكن من الغيب غيب

(وقال بشار بن برد)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك

(وقال المتوكل الليثي)

كان مدامة صهباء صرفا
ترقرق بين راوق ودن
تعل به الثنايا من سليمى
فراسة مقلتي وصحيح ظني

(وقال امرؤ القيس)

وثغر لها طيب واضح
لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به
وبالظن يقضي على ما اكتتم

(وقال ابن حمديس الصقلي)

وما ذقت فاها ولكنني
نقلت شهادة عود الاراك

(وقال البهاء زهير)

فتنت به حلوا مليحا فذقتوا
يا عجب شيء كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه
ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

(وقال ابن النقيب)

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من الفاظه طلاوة

وعن الهزلي عن رجل من بني عامر او هو رباح بن سعد بن اثالة قال خرجت اثر سماء ار بعنا بها واحيت الارض بعد الجدب فبينا انا بوادي القرى او الغيل اذ لاح لي شخص الى جانب حجر يبكي فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم تنفس الصعداء ثم انشد الابيات التي وعدنا بها وهي تمام القصيدة التي اولها الا ايها البيت وقيل انه انشد القصيدة كاملة في هذا الوقت وفي النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى تلك من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهي

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك الا حين ايقنت انه * يكون بواد انت منه قريب
يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكني اكناف نخلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب
أظل غريب الدار في أرض عامر * الى كل مهجور هناك غريب
وان الكثيب الفرد من أيمن الحمى * الي وان لم آته لحبيب *
ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تزر * حبيبا ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجلس للمجنون من ليلى انه لما اختلف عقله ومزق ما عليه وتوحش جاءت امه اليها فاخبرتها بذلك وسألتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت اما نهارا فتعذر خيفة اهلي وسآتيه ليلا فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذي فسلمت عليه ثم قالت له

اخبرت انك من اجلي جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسي فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع الانسان في الحين

زاد عليهما في نديم المسامرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمي * وكيف تسهر عيني لم تلوميني

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها يوما فشكيت اليها ما نزل بي من حبها وقلت ان لم ترحميني ذهب عقلي فقالت هو المطلوب ففهمت ارادها وقيل كان هيمانه مقاصة لقوله

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الاسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دالت على انها كانت من الغرام به والميل اليه ايضا بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان من الحريشيين قال دخلت من نجد اريد الشام فاصابني مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لي فاذا بامرأة فسألتها التظليل فاشارت الى ناحية فدخلت وقد اقبل رعاة وابل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه من اين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببني الحريش وفي رواية ببني جعدة فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون قلت اي والله سرت مع ابيه حتى اوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى اغمي عليها فقلت مم تبكين ولم اقل الا خيرا فقالت انا والله ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة او المواسية له ثم انشدت

حلو حديث فقلت من لي * لو انه صادق الحلاوة (قلت) وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى والمغفلين وهي ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القراآت فاذا هو فيها ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم في اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما ارادمنه فقلت والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل يوم اجالسه وأزوره قال فاتيت في بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية فقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لاحد الطريق اليه فقلت قولي له صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت اعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ابنك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه اول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكاني بك قد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم اني كنت في الطارمة واذا برجل عابر وهو يغني ويقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردي على فؤادي اينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه ما في الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهو يتهاداه فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغني ويقول

الا

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسي من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجمع قومه ان يتقدموا الى أبيه في حجه الى مكة فلعل الله ان يخفف عنه ففعل وسار معه ابن عم زياد بن كعب فروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغيا لها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد أبعد الرفاق فتنفس الصعداء وأنشد

الا ان هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعد ما غابت الضحى * فهاج لك الاحزان ان ناح طائر
تغني الضحى والصبح في مرجحنة * كثاف الاعالي تحتها الماء حائر
كان لم يكن بالغيل أو بطن ايكة * أو الجزع من قول الاشاءة حاضر
يقول زياد اذ رأى الحي هجروا * أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر
واني وان غال التقدم حاجتي * ملم على أوطان ليلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
وناديت ان يارب اول سؤالي * لنفسي ليلى ثم انت حسيبها
فان أعط ليلى في حياتي لا يتب * الى الله خلق توبة لا أتوبها

فزجره أبوه من ذلك وأمره أن يدعو الله ان ينسيه ذكرها وأخذه حتى امسكه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسني ذكرها واشح من قلبي حبها فقال اللهم اجمعني بها وارزقني حبها وزدني بها كلفا وفيها تلفا وأنشد مكملا في الابيات السابقة

يقر لعيني قربها ويزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي * باول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وانشد

عرضت على نفسي العزاء فقيل لي * من الآن فايأس لا اعزك من صبر
اذا بان من تهوى واصبح نائيا * فلا شئ اجدى من حلولك في القبر
وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج احزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان في صدري
دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه * وليلى بارض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت اظفاره وغطاه شعره فالفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى أقواما واوضاعا ينكرها فيقول أين جبل توباد من بني عامر وجبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له أين أنت من توباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلوني عليه فيرحمونه ويقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضي حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر احيانا بالجبل فينشد حين ينظره

بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت همتي على ترك تقطيع الدفتر بحكاية أم عمرو

(الباب الرابع في ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أوقعه النظر في الضر والمؤدي الى السهر اذ هو داعية الارق وزناد الحرق كم دعا الى الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم وفي مبدئه يمكن استدراكه واسيره يرجى فكاكه فاذا تكرر أدى الى ما صوره كيت وكيت أما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

(قوله) وفي مبدئه يمكن استدراكه الى آخره وذلك ان الرجل تمر به المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه فتتحرك نفسه وتنبعث همته من أول نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذي به أضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع في أسر حبها ودخل في عداد العاشقين وهذا مما يؤيد قول من ذهب الى أن العشق اختياري لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما ندر كما تقدم في ذكر النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام ففتن من اول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال رب

واجهشت للنوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى
واذريت دمع العين لما عرفته * ونادى باعلى صوته فدعانى
فقلت له قد كان حولك جيرة * وعهدى بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له اين الذين عهدتهم * بقربك فى حفظ وطيب أمان
فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
وانى لابكى اليوم من حذرى غدا * فراقك والحيان مؤتلفان
سجالا وتهتانا وبلا وديمة * وسحا وتسجالا وتنهملان

وعن فتى من قيس اوهو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كما مر مررت يوما واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد هم ان يلقى نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف ان يجنى على نفسه ولو تقدمت اليه فاخبرته انك من نجد لكنت روحه ففعلت فجعل يسألنى عن موضع موضع و يبكى احر بكاء ثم انشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها * واروا حها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعرى عن عوير ضتى قبا * لطول الليالى قد تغيرتا بعدى
وعن جارتينا بالنخيل الى الحمى * على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن علويات الرياح اذا جرت * بريح الخزامى هل تهب على نجد
وعن اقحوان الرمل ماهو صانع * اذا هو اثرى ليلة بثرى جعد
وهل اسمعن الدهر اصوات هجمة * تطالعن من وهد خصيب الى وهد
وهل انقضن الدهر افنان لمتى * على لاحق المتنين مندلق الوخد

ومر يوما على جبلى نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير فقال لرفقة معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى قال فأى الرياح تهب منه قالوا الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى تهب فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فاقاموا معه حتى هبت فانشد

ايا جبلى نعمان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص الى نسيمها
اجد بردها او تشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال فى النزهة بعد ذكر هذه الابيات ان ابا الفرج بن الجوزى تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فاقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فابت عليه وطال بينهما الامر وانها حضرت مجالس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفس الصعداء وأنشد يا جبلى نعمان الابيات فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له فحكت لبعض النساء ذلك فمضين فاخبرنه فراسلها فاجابت فتزوج بها ومر يوما بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيا عليه فاخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها ان تكلمه رقة عليه فاستعذرت من الخوف فارسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وانها لولا الخوف لاتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب اليه عقله وانشد

اقول لاصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة * على كبدى من طيب أرواحها برد

عشق غرس من لحظه وحرب جنى من لفظه وكان يقال من اطلق طرفه كثر أسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته (وقال اعرابى) العشق نبت بذره النظر وماؤه المزاودة وغذاؤه الوصل وقاتله الهجر وحصاده التجنى (وقال الصورى)

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته
وأهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى أينعت شجراته
وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فامسيت تستدنى من الصبر عازبا
عليك وتستدعى من النوم نازحا

(وقال الاصمعى) كنت فى بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط فى حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها ارسلت برقعها فكانه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فانشأت تقول

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ثم نظر اليها اعرابى وقال أنا والله ممن قل صبره وأنشد

أوحشية العينين أين لك الاهل
أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
وأية أرض أخرجتك فاننى
أراك من الفردوس ان فتش الاصل
فقى خبرينا ما طعمت وما الذى
شربت ومن أين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة
عليك وان الشكل يشبهه الشكل

(أقول) هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال قد اشتمل على مذهب اليحر الكلامى والبدر السامى فكانى بها وقد ذكرت له الاهل ووصفت من حبها وخدها الحزن والسهل

فتا

هنالك يأتيها اسعيا على الرأس لا سعيا على القدم وتكون وجناتها أحب اليه من حمر النعم وينشد

فمازلت مغشيا على وقد مضت * اناة ولا عندي جواب ولا رد
اقاب بالايدي واهلي تعودني * يفدونني لو يستطيعون ان يفدوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عاريا * ولا عظم لي ان دام ما بي ولا جلد
ادنياي مالي في انقطاعي وغربتي * اليك ثوابا منك دين ولا نقد
عديني بنفسي انت وعدا فربما * جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
وقد يبتلي قوم ولا كبليتي * ولا مثل وجدي في الشقاء بكم وجد
غزتني جنوب الحب من كل جانب * اذا حان من جند قفول اتى جند

وسئل يوما وهو حاضر من الغمرة ما احسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وانما نعني غيرها فقال ما رأيت شيأ غيرها وذكرتها الا سقط من عيني الا ظبيا رأيته يوما فاذكرت ليلى فزاد في عيني حسنا فانطلقت اعدو خلفه حتى كلت رجلاي وغاب عن عيني فاخذت واحتى ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فاخذت سهما وضربت به الذئب فلم يخط قلبه فشققت بطنه واخرجت ما اكل فضممته الى ما بقي من الظبي ودفنته وانشد

ابى الله ان يبقى لحي بشاشة * فصبرا على ما شاءه الله لي صبرا
رأيت غزالا يرتعي وسط روضة * فقلت ارى ليلى تراءت لناظرا
فياظبي كل رغدا هنيئا ولا تخف * فانك لي جار ولا ترهب الدهرا
وعندي لكم حصن حصين وصارم * حسام اذا اعملته احسن الهبرا
فما راعني الا الذئب قد انتحى * فاعلق في احشائه الناب والظفرا
فبوأت سهمي في كتوم غمزتها * فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا
فاذهب غيظي قتله وشفى جوى * بقلبي ان الحر قد يدرك الوترا

واجتمع اليه النساء يوما فقلن له اما آن للشأن تصرف عنك هوى ليلى ليرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا بعضها كفاية فاختر احدا نافقال لهن لو ملكت لفعلت ولكني مغلوب فقلن ما اعجبك منها قال كل شئ رأيته وسمعته فقلن صفها فانشد

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء تعرب عن سواد الاثمد
خود اذا كثر الكلام رأيتها * تحمي الحمى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه انى قاصد حي ليلى فهل عندك شئ تقوله لها قال نعم انشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت * باليأس منك ولكني امنيها
منيتك النفس حتى قد اضربها * وابصرت خلفا مما امنيها
وساعة منك الهوها ولو قصرت * اشهى الي من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخبائها فلما امكنتني الفرصة انشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشي عليها ثم قالت ابلغه عني السلام وانشده

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت اذا * ما كان غيرك يجزيها او يرضيها
صبرا على ما قضاه الله فيك على * مرارة في اصطباري عنك اخفيها

أريني مكان البدر ان أفل البدر
وقومي مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
وليس لها منك التبسم والثغر

(وحكى) انه دخل اصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله مني
وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا
واوله شبيه بالمزاح

قلت وفي هذا دليل على ان العين هي التي تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهي لما كانت العين رائدة ومحبة القلب زائدة وهذه لها لذة النظر وهذا له لذة الظفر كانا في الهوى شريكي عنان وفرسي رهان فلما وقعا في السهاد والحرق وأضر بصاحبهما الارق قال القلب يقول الارجاني لطرفه الجاني

تمتعتما يا مقلتي بنظرة
واوردتما قلبي أشر الموارد
أعيني كفا عن فؤادي فانه
من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقال أبو الطيب المتنبي

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل

(وقول الآخر)

عوقب قلبي وجنى ناظري
وربما عوقب من لا جنى

(وقول الآخر)

نظر العيون الى العيون هو الذي
جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
مازالت اللحظات تغزو قلبه
حتى تشحط بينهن قتيلا

(وقول الآخر) يامن يرى سقمي يزيد وعلاجي اعيت طبيبي
لا تعجبن فهكذا * تجني العيون على القلوب

قال الرجل فلما بلغه ذلك بكى حتى غشى عليه ثم افاق وهو يقول عجبت لعروة العذرى البيتين السابقين فى صدر القصة ولما أيس اهله منه وخالط الوحوش اخذوا يحتالون على اصلاحه فقال ابوه يوما لشخص اريد ان تمر به فتذكر له ليلى وانك من عندها وانها تذكره كثيرا فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنقصه فعساه ان يداخله كرهها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به واعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فأنشد

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى * ويصدع قلبى ان يهب هبوبها
اذا هبت الريح الشمال فانما * جوابى بما يهدى الى جنوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها
وحسب الليالى ان طرحنك مطرحا * بدار قلى تمسى وانت غريبها
حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا * هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

هذا ما ذكر فى الاصل وانكر فى النزهة ذلك وقال ان ابا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفى تسريح الناظران الذى أمر الرجل بذلك زياد بن كعب احد بنى عم المجنون وهو الاوجه وقيل للمجنون يوما اتحب ليلى قال نعم حبا خالط الدم ومازج الاعضاء قيل فما يغنى حبك لها وهى مريضة وانت لا تعودها فتنفس الصعداء وأنشد

يقولون ليلى بالصفاح مريضة * فماذا اذا يغنى وانت صديق
شفى الله مرضى بالصفاح فاننى * على كل شاك بالصفاح شفيق

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان واليا على الصدقات من قبل مروان أو عبد الملك وله صحبة عند الذهبى قال قدمت على بنى عامر لاخذ اموال الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لى لو كان يلبس لكان فى مال ابيه كفاية فانه سيد الحى ولكنه قد تولع بحب امرأة فصيرته هكذا قال فقمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لى ان أردت ان يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له اتريد ان ازوجك بها قال اويمكن ذلك قلت نعم فقال بالله من جميل لو ان أهل الارض شكروك معى لم يقوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه واقام معه بوعد منه الى يوم مجتمع لهم فهم ليأخذه فاخبروه باهدار السلطان دمه فصرفه وقيل هموا بقتاله فصرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفى الكتاب ما يشعر بان القصة مع محمد ابن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من ان نوفلا لم يزل من ذلك اليوم متطلبا لاخبار المجنون جامعا لاشعاره وانه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبرا فركب فى طلبه حتى لاح له ورآه راكبا بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الشجرة مستخفيا وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما فى الاصل وفى نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكا ما به الى شيخ كبير فى بنى سعد فقال له الشيخ ان للمجنون دابة يألفها وانها تحمل له الطعام والخبز احيانا فيأكل منها ولو صحبتها لامكن ان تظفر به ففعل فهرب المجنون منهما فرجع واخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت فى سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره اخبرنى عن أعظم رائحة واقوى لذة واشد حافر على الارض وقد امهلتك ثلاثا فان لم تجب جلدتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد اتخذت قصرا مفتوحا الى الاربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بابيها

(وقال ابن مدرك) جرحت بلحظى خد الحبيب * فما طاب المقلة القاه له ولكنه اقتص من مهجتى * كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده أشارت اليه وأخذت فى الانكار عليه فقالت يا للعجب من ظالم يتظلم وأخرس يتكلم أليس من الخبر الذى شاع وذاع انك أنت الملك ونحن الاتباع ترسلنى فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد أما سمعت قول أبى هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبى وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعماك وقال علام الغيوب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال قالت فى الحال

أنا ما بين عدوين هما قلبى وطرفى
ينظر الطرف ويهوى ال
قلب والمقصود حتفى

(وقال آخر)

يقول قلبى لطرفى اذ بكى جزعا
تبكى وأنت الذى حملتنى الوجعا
فقال طرفى له فيما يعاتبه
بل أنت حملتنى الآمال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه
كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدى لا تعتبا فلقد
قطعتمانى بما لاقيتما قطعا

(وقال آخر)

عاتبت قلبى لما * رأيت جسمى نحيلا
فالزم القلب طرفى
وقال كنت الرسولا
فقال طرفى لقلبى
بل انت كنت الدليلا * فقلت كفا جميعا * تركتمانى قتيلا قالت فكانا كما تقول العامة قفا بين

استعطفته حتى اخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى رائحة رائحة الخبز واعظم الاشياء لذة الجماع واشد حافر على الارض البغال فلما أعلمه قال له اخبرني من أين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر البنت وقال لها الئن لم تخبريني عن تعليل ذلك والاضربت عنقك فانك بكر لم تعانى أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أيد الله الملك ان قصرى منفتح للاهوية فلم اجد من لدن قطنت به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شئ غير البغال واما الجماع فانى اخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلولم يكن الجماع أعظم لذة ماعدن اليه والرأى عندى ان تصنع خبزا وتجعله فى طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف لبعد عهده به فتذكره ليلى فيزداد أنسا قال الرجل ففعلت وعملت برأى الشيخ وطيبت الخبز بالافاويه حتى اذا اقبل ولحته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشم بن وسرن ووقف يشم الرائحة فانشدته من الشجرة

أتبكى على ليلى ونفسك باعدت * مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع يقول

فما حسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسرعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * على الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
واذكر ايام الحمى ثم انثنى * على كبدى من خشية ان يصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا
معى كل عز قد عصى عاذلاته * بوصل الغوانى من لدن ان ترعرعا
اذا راح يمشى فى الرداءين اسرعت * اليه العيون الناظرات التطلعا

ثم سقط مغشيا عليه فتمثلت بقوله

يادار ليلى بسقط الحى قد درست * الا الثمام والا موقد النار
ابلى عظامك بعد اللحم ذكركها * كما نحت قدح الشوحط البارى
ما تفتؤ الدهر من ليلى تموت كذا * فى موقف وقفته او على دارى

فرفع رأسه وقال من انت حياك الله فقلت له نوفل اخبرنى ما صنعت بعدى فانشد الاحبت ليلى الابيات ثم اخذ يفاوضنى فى الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعده قلت وفى النزهة انه تطلبه مرة اخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتا فأخذه ودفنه وسيجئ ذكر ما رأى له من الاشعار منقوشا فى التراب أورده آخر القصة على النمط السابق فى غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما ان يطلقاها فأبيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وانشد

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا * لاعطيت مالى من طريف وتالد
فيا بائعى شبه الليلى قتلتما * وجئتما ما ناله كل عابد
فلو كنتما حرين ما بعتما فتى * شبيها لليلى بيعة المتزايد
واعتقتماها رغبة فى ثوابها * ولم ترغبا فى ناقص غير زائد

وقيل ان الرجلين اخوه وابن عمه وانه أنشدهما متعرضا لبخلهما

يا اخوى اللذين اليوم قد أخذا * شبه الليلى بحبل ثم غلاها
انى أرى اليوم فى اعطاف شاتكما * مشابها أشبهت ليلى فخلاها

صفا عين وما احسن قول الآخر

فوالله ما ادرى انفسى الومها * على الحب ام عينى القريحة أم قلبى
فان لمت قلبى قال لى العين أبصرت * وان لمت عينى قالت الذنب للقلب
فعينى وقلبى قد تشاركن فى دمى * فيارب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذى يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد فى الخبر عن سيد البشر لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح أنت التى حركتنى وامرتنى وصرفتنى والا فانا لم أكن أتحرك ولا أفعل شيأ بدونك فتقول الروح له وأنت الذى أكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشى دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا أرى فيه من الثمار ولكن لا أستطيع القيام وقال الاعمى أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيأ فقال المقعد تعال فاحملنى فانت تمشى وأنا أتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك أنتما

(فصل فى ذكر سحر الجفون ونبل العيون)

فمن ذلك قول بشاروهو أغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان

أنا والله أشتهى سحر عينيـ * ـك وأخشى مصارع العشاق

(ونقل) شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من اغزل ما أعلم قول عبد المحسن الصورى

بالذى ألهم تعذيـ * ـبى ثناياك العذابا
ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فاجابا

قلت وهما اغزل من قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به *

وانه عرض عليهما القتل حين أبيا افلاتهما الا انه كان أجلد منهما وفى رواية فداها بقلوص ولما ذهبت تعدو انشدا ياشبه ليلى الابيات وزاد هنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

قد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفى احداها يا صاحبى اللذان وهو اسلم من الزحاف هذا ما الخص من صحيح أخباره واما ماقيل من انه مر بزوج ليلى وهو فى حى بنى عامر عند ابن عم له يصطلى فوقف على رأسه وانشد

بربك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح اوقبلت فاها

وهل زفت عليك قرون ليلى * زفيف الاقحوانة فى نداها

فقال اما اذ حلفتنى فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشيا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموما وماقيل أيضا من ان ابا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى أبى ليلى ليقترض منه سمنا فامرها ابوها ان تخرج اليه بنحى فتملا وعاءه فجعلت تسكب فيه ويتحادثان حتى غرقت ارجلهما وانه جاء ليلة أخرى يستقبسها نارا فخرجت اليه بقضبة فكان يتحدث معها ويقطع من برد عليه يعلق به النار وكلما احترقت قطعة اخذ أخرى حتى صار عريانا فلم يصح اسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ماقيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها لغيرى اولسماع هاتف أنشده

كلانا مغرم فى حب ليلى * بفى وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال موته فالصحيح ماقدمناه وقيل ان رجلا شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به أو الرجل من بنى جعدة او مرة أو هو الصباح بن عامر الكنانى أقوال فسأل اهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس الا صديقا له يذهب اليه فى كل يوم يكتب مايقول من الاشعار ودابة تذهب اليه بطعام فمضى اليهما يسألهما الحيلة فى الاجتماع عليه فقال له اقصده فى موضع كذا فستجده جالسا قد خط حوله التراب وهو يعبث بأصابعه فيه فاذا رآك اخذ الاحجار وهم بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم انشد مايحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ماتريد منه فمضى الرجل يقتفى أثره حتى وجده على ماوصف فلما انس به قال رحم الله قيسا حيث يقول

نبيت ونضحى كل يوم وليلة * على منهج تبكى عليه القبائل

قتيل للبنى صدع الحب قلبه * وفى الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله اشعر منه حيث أقول

سلبت عظامى لحمها فتركتها * معرقة تضحى اليه وتخصر

واخليتها من مخها وكانها * قواريرفى اجوافها الريح تصفر

اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت * علائقها مما تخاف وتحذر

خذى بيدى ثم انهضى بى تبينى * بى الضر الا انـنى أتستر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثانى جئت على العادة وانشدت قول قيس

تبادر ام تروح غدا رداحا * ولن يستطيع مرتهن براحا

سقيم لايصاب له دواء * أصاب الحب مقلته فباحا

وعذبه الهوى حتى براه * كما القيت بالسفن القداحا

ومن اضعف خلق الله انسانا (وانشد) صاحب المرقص والمطرب لولم امت بالحظ قال العذل * ماقيمة السيف الذى لا يقتل

(وقال ابن سهل الاشبيلى) فى مطلع موشحه

الحاظها للقتل * فى كرها أو فى نصيب

ترمى وكلى مقتل * وكلها سهم مصيب

(وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك)

بابى أهيف اذا رمت منه

لثم ثغر يصدنى عن مرامى

قد حمى خده بسور عذار

مقلتاه أضحت عليه مرامى

* (فصل فى وصف العيون الضيقة وغيرها) * قال ابن النبيه

يصد بطرفه التركى عنى

صدقتم ان ضيق العين بخل

(وقال أيضا)

من بنى الترك لين العطف قاسى ال

قلب سهل الخداع صعب المراسى

ضيق العين وهو من صفة البخ

ل فان جاد كان ضد القياس

جذب القوس فاكتست وجنتاه

ثوب ورد طرازه من آس

ورمى عن قوسين سهمين هذا

فى فؤادى وذاك فى القرطاس

(وقال ابن قرناص)

علقته تتريا * يشجى القلوب بعينه

لا يرتجى الجود منه

بالوصل من ضيق عينه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

نهت العذول وقد رأى الحاظه

تركية تدع الحليم سفيها

فثنى الملام وقال دونك والاسى

هذى مضايق لست أدخل فيها

(وقال الشيخ صفى الدين الحلى)

لى منهم رشا اذا غازلته

كادت لواحظه بسحر تنطق

ان شاء يلقانى بخلق واسع

عند اللقا اتاه طرف ضيق

(حكى) الخرائطى عن بعض العلويين قال بينما أنا واقف على الحسن بن هانئ فكاد

وهو ينشد و بلى على كحل العيو * ن النهد القصر البطون الناطقات على الضمير لنا بألسنة الجفون

فكاد يذيقه جرع المنايا * ولو اسقاه ذلك لاستراحا

فقال أنا أشعر منه حيث أقول

فما وجد مغلوب بصنعاء موثق * لساقيه من ثقل الحديد كبول
قليل الموالى مستهام مروع * له بعد نومات العشاء عويل
يقول له الحداد انت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
باعظم منى روعة يوم راعنى * فراق حبيب ما اليه سبيل

ثم فعل فعلته بالامس وعاودته فقلت احسن والله قيس حيث يقول

ألا يا غراب البين ويحك أنبنى * بعلمك فى لبنى وأنت خبير
فان أنت لم تخبر بشئ علمته * فلا طرت الا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك بينهم * كما قد ترانى بالحبيب أدور

وفى رواية ابن الاعرابى

ألا يا غراب البين هل انت مخبرى * بخير كما خبرت بالنأى والشر
وخبرت أن قد جد بين وقربوا * جمالا لبنى منقلات من العذر
وهجت فذى عين للبنى مريضة * اذا ذكرت فاضت مدامعها تجرى
وقلت لذاك الدهر مازال فاجعا * صدقت وهل شئ بباق على الدهر

فقال له المجنون احسن والله لكنى اشعر منه حيث أقول * كان القلب البيتين فامهلته حتى فرغ ثم قلت واحسن قيس أيضا حيث يقول * وانى لمفن دمع عينى بالبكا * الابيات السابقة فى قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا اشعر منه حيث أقول

وادنيتنى حتى اذا ما سبيتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تناءيت عنى حين لالى حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده اكتب ما يقول الى ان تطالبته فوجدته بين أحجار ميتا وفى رواية ان هذا الرجل لم يجتمع به وأخرى رآه ميتا مجموا ولاقد دلت عليه دابته وانه لم يكتب اشعارا الامن عند صديقه المتقدم ذكره وبالجملة فمحل الاجماع انه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بنى جعدة وسعد والحريش وحضر ابو ليلى فاظهر جزعا شديدا وتنصل واعتذر بانه لم يعلم ان امره يفضى الى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العار وزوجه ولما غسل وجدوا الرقعة مكتوبا فيها

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى * شقيت ولا هنئت من عيشك الخفضا
شقيت كما أشقيتنى وتركتنى * أهيم مع الهلاك لا اطعم الغمضا
كأن فؤادى فى مخاليب طائر * اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا
كأن فجاج الارض حلقة خاتم * على فما تزداد طولا ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفيت قبله وانه سمع هاتفا يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت * كأنك عما قد أظلك غافل

فسقط ميتا وهذا أمر يتعذر الوصول الى تحقيقه وله اشعار كثيرة بالأسباب من محاسنها قوله

أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومنها تقول العدا الابارك الله فى العدا * تقاصر عن ليلى و رثت رسائله

فوقف عليه اعرابى ومعه ابن له فقال أعد على فاعاد عليه فقال يا ابن أخى أو يلك أنت وحدك من هذا ويلى أنا وأنت وويل ابنى هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم (وقال سبط التعاويذى)

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد اجفان

(وقال رشيد الدين الفارقى)

ان فى عينك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لى من غضه سهما * ففى قلبى منه

(قال محمد بن العفيف التلمسانى)

لحاظك أسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الارامل تغزل

(وله أيضا)

ياعاشقين حاذروا * مبتسما عن ثغره
فطرفه الساحر قد * شككتم فى أمره
يريد أن يخرجكم * من أرضكم بسحره

(وقال أيضا)

قضاة الحسن ماصنعى بطرف * تمنى مثله الرشا الربيب
رمى فاصاب قلبى باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

(وقلت أنا من قصيد)

حبيب نازل فى كل قلب * وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلادليل * ولاسيما اذا أبدا الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه * رأيت الموت من ماضيه حالا

(وقلت أيضا من قصيد)

تغار الشمس منها حين تبدو * كغصن البان فى خضر البرود
باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود

(وقلت ايضا من قصيد) آلت لواحظه على اهل الهوى (٦٩) ان لا ترى قتلى بغير مهند يرنو وصارم لحظه في جفنه

ولو أصبحت ليلى تدب على العصا * لكان هوى ليلى جديدا أوائله

ومنها فلو تلتقي في الموت روحي وروحها * ومن بين رمسينا من الارض منكب

لظل صدى رمسي وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش و يطرب

قلت قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول توبة في ليلى الاخيلية

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

اقول وفحوى الكلام ان قول المجنون ابلغ لان تلاقي روحي ميتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام توبة من الثاني ويمكن نقل هذا الى مبحث حكمي وعكس كلام صاحب النزهة فقد اجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بان استلذاذ الارواح وادراكها بعد مفارقة الهيا كل الجسمية اشد وأقوى فتأمله ومنها

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها * بابوابه حيث استجار حمامها

لمست ثيابي ان قدرت ثيابها * ولم ينهني عن مسهن حماؤها

ولو شهدتني حين تأتي منيتي * جلا سكرات الموت عني ابتسامها

ومنها اقول لالاف ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها

بربك اخبرني ألم تأثم التي * أضر بجسمي من زمان خيالها

فقال بلى والله سوف يمسها * عذاب وبلوى في الحياة تنالها

فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع الى جيب القميص انهمالها

عفا الله عنها ذنبها وأقالها * وان كان في الدنيا قليلا نوالها

ومنها وأحبس عنك النفس والنفس صبة * بذكراك والممشى اليك قريب

مخافة أن يسعى الوشاة بظنة * وأحرسكم أن يستريب مريب

لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل * لك الدهر مني ما حييت نصيب

أما والذي يبلو السرائر كلها * ويعلم ما تبدى به وتغيب

لقد كنت مما تصطفي النفس خلة * لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة * أعالجها لا استطيع لها ردا

اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا * وجدت لمسراها ومنسمها بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى * ندوبا وبعض القوم يحسبني جلدا

واني يمانى الهوى منجد النوى * سبيلان ألقى من خلافهما جهدا

سقى الله نجدا من ربيع وصيف * وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

بلى انه قد كان للعيش مدة * وللعيش والركبان منزلة حمدا

أبى القلب ان ينفك من ذكر نسوة * رقائق لم يخلقن شوها ولا نكدا

اذا رحن يسحبن الذيول عشية * ويقتلن بالالحاظ انفسنا عمدا

مشاعيط لا ترتج بخصورها * روادف وعشات ترد الخطاردا

وتهتز ليلى العامرية اذ مشت * ولا ثت بثوب القز اغدر جعدا

اذا حرك المدري ضفائرها العلا * مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

ماضي الغرار ولم يمس باغمد

فاذا تجرد للمحب فلا تسل

عن سيف جفن كالحسام مجرد

(وقلت أيضا من قصيدة)

غزال غزاني باللحاظ لانه

اذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم

يكلمني ألحاظه بسيوفها

ولم تر قبلي ميتا يتكلم

(وقلت من قصيدة)

تسل سيوفا من لواحظ طرفها

ولكن لها من عادة الجفن غامد

تجردها والدمع كالنيل سائح

فما تنثني الا وسيحان جامد

(وقلت أيضا من قصيد)

يرنو الي بعين نون حاجبها

كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

أمير حسن من الاتراك حاجبه

على المحب له في مصر سلطان

غزت لواحظه في أهل مصر كما

غزا الانام بأرض الشام غازان

وأما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت وقال أبو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس انما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وأبو عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين الامع شدة سوادها الان بياضها مع الزرقة ليس هنالك في النقاء وقد اكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها

ومنها

ومنها أبى القلب الا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وتنبت فى اطرافها الورق الخضر

ومنها وقد ضعف فعاده الناس ولم تعده ليلى فانشد

ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعى * بليل ولا يجرى بذلك طائر
بلى ان عجم الطير تجرى اذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذى كان بيننا * بذى الايك ام قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة * ولا البعد يسلينى ولا أنا صابر
ووالله ما ادرى بأية حيلة * وأى مرام او خطار اخاطر
وتالله ان الدهر فى ذات بيننا * على لها فى كل حال لجائر
فلو كنت اذ ازمعت هجرى تركت لى * جميع القوى والعقل منى وافر
ولكن أيامى بحقل عنيزة * وبالردم ايام حبتها التجاور
وقد اصبح الود الذى كان بيننا * أمانى نفس والمؤمل حائر
لعمرى لقد كدرت يا ام مالك * حياتى وساقتنى اليك المقادر

ومنها فوا كبدى من حب من لا يحبنى * ومن زفرات ما لهن فناء
اريتك ان لم اعطك الحب عن يد * ولم يك عندى اذا ابيت اباء
أتاركتى للموت انت فميت * وما للنفوس الخائفات بقاء

ومنها وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

ومنها وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فانتم شغلى
وأرى جليسى اذ يحدثنى * ان قد فهمت وعندكم عقلى

ومنها سرت فى سواد القلب حتى اذا انتهى * بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما فى القلب شئ من الهوى * لاخرى سواها اكثرت أم أقلت

ومنها ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديد
على أليه ان كنت ادرى * اينقص حب ليلى ام يزيد

ومنها ياويح من أمسى تخلس عقله * فاصبح مذهوبا به كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا * يضاحكنى من كان يهوى تجنبى
اذا ذكرت ليلى عقلت وارجعت * روائع عقلى من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة * ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنبت ليلى اذ يلج بك الهوى * وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى اينما يذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمى جمار المحصب
وتبدى الحصا منها اذا قذفت بها * من البرد اطراف البنان المخضب
فاصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح فى اعقاب نجم مغرب

ومنها وانى لمجنون بليلى موكل * ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرقة فى العين يمن (وقال بعض العرب) احبك ان قالوا بعينك زرقة * كذلك عتاق الطير زرق عيونها
ومن هنا اخذ العبدى قوله حين قال له معاوية انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازى ازرق

(الباب الخامس فى ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما فى معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان)

اقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لونى المحبين اذا وقعت العين فى العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال اه الحاجر الى اين وقد نصت الاطباء على السبب فى ذلك وجلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك وانا اورد هنا ما قالوه بنصه واصوغه كالخاتم بفصه واعقبه بذكر الوان الحسان بأحسن بيان وأوضح تبيان هذا مع ما يجر فى ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض ووقوع عجب الاعيان من الشعور والارداف فى الطويل العريض واختم ذلك بفصل فى ذكر ما يعترى المحب من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه فاقول وبالله التوفيق (قال بعض الاطباء) سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم لا يأوى مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يستقر فيصفر واما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل عرض من حركة تامور القلب فيحبل الدم وتلطفه فيظهر فى ارق مكان فى الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهى الى تحت الرأس فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم

اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة * لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

ومنها
الا يا حمام الايك مالك باكيا * أفارقت الفا أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت * هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقا قد أذن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

ومنها
لقد غردت في جنح ليل حمامة * على الفها تبكي واني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ومنها
اذا قربت داري كلفت وان نأت * اسفت فلا بالقرب اسلو ولا البعد
وان وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعد
ففي كل حب لا محالة فرحة * وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها وهو كما قال في النزهة من الاشعار التي قيلت على الاوهام قال لما حضروا به في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النوم ويعاتب امرأة حاضرة فقيل له في ذلك فحلف ان ليلى كانت الي جانبه في هذا الوقت ثم انشد

طرقتك بين مسبح ومكبر * بحطيم مكة حيث كان الابطح
فحسبت مكة والمشاعر كلها * وجبالها باتت بمسك تنفح

ومنها
لئن نزحت دار بليلى لربما * غنينا بخير والزمان جميع
وفي النفس من شوقي اليك حرارة * وفي القلب من وجدي عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهي أطول قصيدة انشدها وواظب عليها قيل انه كان يحفظها دون اشعاره وانه كان لا يخلو بنفسه الا وينشدها وهي من محاسن الاشعار وأرقها لفظا وأعذبها سبكا وألطفها شجوا وأبلغها نسيبا وغزلا تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها اختلاف كثير احسنه

تذكرت ليلى والسنين الخواليا * وأيام لا اعدي على الدهر عاديا
ويوم كظل الرمح قصرت ظله * بليلى فلهاني وما كنت لاهيا
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة * اذا جئتكم بالليل لم ادر ماهيا
خليلي ألا تبكيا لي التمس * خليلا اذا أنزفت دمعي بكى ليا
فما أشرف الايفاع الا صبابة * ولا انشد الاشعار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
لحى الله اقواما يقولون اننا * وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد * ترد علينا بالعشي المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها * واعلاق ليلى في فؤادي كما هيا
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى امل مكانيا
سقى الله جارات لليلى تباعدت * بهن النوى حيث احتللن المطاليا
بثمرين لاحت نار ليلى وصحبتي * بقرع العصا ترجي المطي الحوافيا
فقال بصير القوم لمحة كوكب * بدا في سواد الليل من ذي يمانيا
فقلت لهم بل نار ليلى توقدت * بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا
خليلي لا والله لا املك الذى * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

اذا خجل يحمر واذا فزع يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من وقته قال الشاعر حمرة خلط صفرة في بياض

مثل ما حاك حائك ديباجا

وقالوا الحمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والنعمة وصفرة لونه يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم واما احسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح والحمرة لونه وافضل الياقوت وأفخره الاحمر وأجود الذهب احمره وافضل العسل الذهبي والياقوتي وتمدح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها وهي ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لو ان لي حمر النعم ولو ان لي طلاع الارض ذهبا واحسن الانوار الورد والشقائق والجلنار واحسن الحال المصبوغة المعصفرة واحسنها ما كان صبغة القرمز واحسن الخمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر واحسن الالوان المخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب ابا لهب وكان يكنى قبل ذلك ابا عتبة لانه كان من احسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه ملتهبه كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة لصفرة كانت في وجهه ويقال في المثل كأن وجهه النار وكأن في وجنته الجمر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اهلك الرجال الاحمران واهلك النساء الاحامرة والاحمران الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت
مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين وساطلي
بالزعفران فلا ازال مروعا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الطائر الاحمر وقال وهب بن عبد الله ما رأيت ذا لمة سوداء في حلة حمراء

قضاها

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلى المراميا
ولو ان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت أتانيا
وماذا لهم لا احسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا
وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بي النقص والابرام حتى علانيا
فيارب سوّ الحب بيني وبينها * يكون كفافا لا علي ولا ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به * ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا * سهيل لاهل الشام الا بدا ليا
ولا سميت عندي لها من سمية * من الناس الا بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها * من الليل الا بت للريح حانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها * على فلن تحموا علي القوافيا
فاشهد عند الله اني احبها * فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا * وبالشوق مني والغرام قضى ليا
وان الذي املت ياام مالك * أشاب فؤادي واستهان فؤاديا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلني * احدث عنك النفس بالليل خاليا
اراني اذا صليت يممت نحوها * بوجهي وان كان المصلى ورائيا
ومابي اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى اعيي الطبيب المداويا
احب من الاسماء ماوافق اسمها * واشبهه أو كان منه مدانيا
خليلي ليلى اكبر الحاج والمنى * فمن لي بليلى اومن ذا لها بيا
لعمري لقد أبكيتني ياحمامة الـ * ـعقيق وأبكيت العيون البواكيا
خليلي ما ارجو من العيش بعدما * أرى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا
وتجرم ليلى ثم تزعم انني * سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم أر مثلينا خليلي صبابة * أشد على رغم الاعادي تصافيا
خليلان لا ترجو اللقاء ولا ترى * خليلين الا يرجوان تلاقيا
واني لاستحييك ان تعرض المنى * بوصلك أو ان تعرضي في المنى ليا
يقول اناس على مجنون عامر * يروم سلوا قلت اني لما بيا
بي اليأس أو داء الهيام اصابني * فاياك عني لا يكن بك ما بيا
اذا ما استطال الدهر ياام مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا
اذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل * بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
فانت التي ان شئت اشقيت عيشتي * وانت التي ان شئت أنعمت باليا
وأنت التي مامن صديق ولا عدو * يرى نضو ما ابقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على ان ازورها * ومتخذ ذنبا لها أن ترانيا
اذا سرت في الارض الفضاء رأيتني * أصانع رحلي ان يميل حياليا

(وأما قول الشاعر)

هجان عليها حمرة في بياضها
تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال ابن عبد ربه الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة اطول المكث في الكن والتضمخ بالطيب

(قال اعرابي)

وما تسليت عن صفراء حالية
كالعاج صفرها الا كنان والطيب

(وقال آخر)

كأن لون البيض في الادحي
لونك لولا صفرة الجادي

يريد انها تتضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشاء صفراء

(قال الشاعر)

بيضاء ضحوتها وصفـ
ـراء العشية كالنهار

(وقال بشار بن برد)

فخذي محاسن زينة
ومعصفرات هن أفخر
فاذا بلغنا فادخلي
في الحمران الحسن أحمر

وقال الحريري في درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب مافيه الجمال الا بتحمل مشقة بحمار منها الوجه كما قالوا السنة الجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل

واذا رأت عيناك طرفا أسودا
فاعلم بان هناك موتا أحمرا

وأحسن زينة النساء في اجسادهن الخضاب ولذلك أطنبت فيه الشعراء

يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
واني لاستغشي ومابي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا
هي السحر الا ان للسحر رقية * واني لا القى لما الدهر راقيا

ومنها

اذا نحن أدلجنا وأنت امامنا * كفى لمطايانا بذكراك هاديا
ذكرت نار شوقي في فؤادي فاصبحت * لما وهج مستضرم في فؤاديا
ألا ايها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحب الينا بطن نعمان واديا
ألا ياحمامي بطن نعمان هجتما * على الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن * ابالي دموع العين لو كنت خاليا
و يا ايها القمريتان تجاذبا * بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما * لحاقا باطلال الغضى فاتبعانيا
ألا ليت شعري ما لليلى ومالنا * وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا ايها الواشي بليلى ألا ترى * الى من تشيها اولمن انت واشيا
لئن ظعن الاحباب ياام مالك * فما ظعن الحب الذي في فؤاديا
فيارب اذ صيرت ليلى هي المنى * فزني بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الى وأهلها * فاني بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلي ان ضنوا بليلى فقربا * لي النعش والاكفان واستغفرا ليا

(اخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء)

هو عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق قيل انه اول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أومن العذريين ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذري البيت وقال أبو عيينة

فما وجد النهدي اذ مات حسرة * عشية بانت من حبائله هند
ولا عروة العذري اذ طال وجده * بعفراء حتى شف مهجته الوجد
كوجدي غداة البين عند التفاتها * وقد طار عنها بين أترابها البرد

وقال آخر

وقبلك مات من وجد بهند * اخو نهد وصاحبه جميل
وعروة والمرقش هام دهرا * باسماء فلم يغن العويل
قتيل الريح من قبل الغواني * فلا قود ولا يودى قتيل

وقال جرير

هل انت شافية قلبا يهيم بكم * لم يلق عروة من عفراء ماوجدا
مافي فؤادي من داء يخامره * الا التي لو رآها راهب سجدا
ان الشفاء وان ضنت بنائله * فرع البشام الذي تجلو به البردا

الى غير ذلك وعفراء هي بنت مهصر أخي حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين يقال له نهد قال في تسريح النواظر ان سبب عشقه لها أن اباه حزاما توفي ولعروة من العمر أربع سنين وكفله مهصر أبو عفراء فانتشآ جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم اخرجه الى الشام بعيرله وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن

من فضة قد طوقت عنابا

(وما أحسن قول الواواء الدمشقي)

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(وقال) المرزباني قال لي ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل أغمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر فقلت ماترك أبونواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن انت فقال أنا ابن ناجية من اهل الشام (وانشدني)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت أسأت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمراء ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقائق فاخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يابغيض ثم انصرف (وقال المتنبي)

قالت وقد رأت اصفراري من به
وتنهدت فاجبتها المتنهد

(أخذه الآخر فقال)

قالت اترب معها امنكرة
لونفقي هذا الذي نراه من
قالت فتي يشكو الهوى متيم
قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(وقال ابن النبيه)

وفي السكة الحمراء بيضاء طفلة
بزرقاء عيون السمر يحمى احورارها

وقال عماد الدين بن دبوقا من أبيات

أدرى العقد في ثغره محكما
برينا الصباح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها
وبيناه عن وجهك الازهر

مالك يريد الحاج فنزل بعمه فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة سمن وعليها ازار خز أخضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجها وان عروة اقبل مع العير وقد حمل اثاثة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر اصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب
فما هو الا ان رآها فجاءة * فابهت حتى ما يكاد يجيب
فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان أبرأتنى لطبيب
فمابى من حمى ولامس جنة * ولكن عمى الحميرى كذوب
عشية لا عفراء منك بعيدة * فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما ابقى حشاشة مقول * على ما به عود هناك صليب
وما عجبى موت المحبين فى الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد فى ذلك الموقف سوى البيتين الاولين واما قوله فقلت لعراف اليمامة الى قوله ولا عفراء منك قريب فانه أنشده حين اتى الى الطبيب وسبب ذلك انه حين وصل الحى أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره احدا وانه حمل ليلة الى فضاء ليتنزه به فسمع رجلا يقول لولده على اى ناقة حملت الشعب يعنى قرب الماء فقال على العفراء فاغمى عليه ساعة ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعنى كاهن له قرين من الجن يعرفه الاخبار ودواء بعض الادواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته ابو كحلاء مولى لبنى يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه واصل ذلك ان العرب كانت اذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسبكته فى ذلك الماء ودفنته فى فضاء من الارض فيزول عن الشخص ما به وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع اخبرهم ان ما به ليس الا من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما أحس باليأس انشد فقلت لعراف اليمامة الابيات فحمل الى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فانشد الابيات الآتية فى نونيته وهى قوله جعلت لعراف اليمامة واما قوله بنا من جوى الاحزان ويروى بى من جوى الاحزان فعلى الاصح كما فى النزهة انه من هذا الشعر وقيل انشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف ان صاحب القصة غيره وان صحح ابن عساكر خلافه ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زمانا حتى شاع انتحاله فى العرب مثلا وان ابن ابى عتيق مر به يوما فرأى أمه تلاطف غلاما كالخيال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها نضو الغطاء عنه فلما شاهده قضى عجبا ثم استنشده فانشد جعلت لعراف اليمامة حكمة الابيات ولما علم الضجر من اهله قال لهم احملونى الى البلقاء فانى ارجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر فى مظان مرورها عاودته الصحة فاقام كذلك الى ان لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من قال عروة قال انت أحق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق فى قومه فلما اصبح جعل يتصفح الامكنة

ويبعث رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

(وقال أيضا من قصيدة) لعمرك لا زيد يكون ولا عمرو
ولا ثغر الادون تقبيله ثغر
ولا ابيض الا اسود حظى عندها
ولا سمر الادون أعطافها السمر
(وقال بدر الدين بن المحدث)
يصفر لونى حين أنظر وجنة
منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه
وقد انحنيت وما أراه ينحنى

(حكى) عن أبى أيوب وزير المنصور أنه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فتخاط عيناى وأطعم الشئ اليسير وأساهر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد وحدى وأطير اليه وآخذه وأجئ الى صاحبى فقال الديك ذهبت عنك الحجة أما والله لو رأيت بازيين فى سفود ما عدت اليهم أبدا وأنا فى كل يوم أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) والذى هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصفر منه حتى أذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان أخذ أمواله وتركه فى أسوأ حالة (حكى) انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور فلا يتمكن منه اذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من أبى أيوب

حتى لقي عروة فعاتبه واقسم بالمحرجات انه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم ان لا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومه وقيل وصلها الرواية ابن العاص قال استعملني عمر رضي الله عنه في جباية صدقات العذريين فبينما انا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست انظر اليه فتموج ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كانه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي ان اخرج الى قبره فاندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى اتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم انشدت

ألا أيها الركب المخبون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحي وانشد رجل منهم عند بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل اهله * بحق نعينا عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا الى اربعة والباقي في العفراء وهذا غير صحيح لان القبر في طريقها قبل منازلهم وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان * فلا هنئ الفتيان بعدك غادة * والاول الطف وبدل فلا وضعت انثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا وفيه اضافة غير مناسبة اذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة الابتاويل لا يليق بفصاحة العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجيء الى قبره ومن انه كان في عهد عثمان او معاوية وان الذي شهده الحاكي احدهما ومن ان عمر قال لو ادركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عداني ان ازورك يا خليلي * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم اللحود
فلا طابت لي الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لي العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من اي ضرب من النبات وكثيرا ما انشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الرند والغار
فعانقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فعالت صروف الدهر فافترقا

ذوات النهود) * وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصريون في الغالب وللناس فيما يعشقون مذاهب

(فما قيل في تفضيل السمر)

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن
لكنني أعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في
يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

(وقال علي بن الجهم)

وعائب للسمر من جهله
مفضل للبيض ذي محك
قولوا له دعنا اما تستحي
من جهلك الكافور كالمسك

(قال أبو جعفر الشطرنجي)

أشبهك المسك وأشبهته
قائمة في لونه قاعده
لا شك اذ لونكما واحد
أنكما من طينة واحده

(وقال الشريف الرضي في تفضيل السود)

أحبك يا لون السواد فانني
رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها
ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبي ألمى فلا تلم
جنوني على الظبي الذي كله لما

(وقال مسلمة)

لام العواذل في سوداء فاحمة
كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا
اني أهيم بشخص كله خال

(وقال ابن رشيق)

قد عابك الحسن فاستحيي
يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي
تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب

(وقال آخر)

فصار

وان سواد العين فى العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

فصار ذا فى يد نحو يه ليس له * منها براح وهذا فى الفلاة لقا
حتى اذا ذويا يوما وضمهما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا
حنا على العهد فى أرجائها فغدا * كل على الفه فى الترب واعتنقا

قلت و بين هذين خلاف فى اللفظ والمعنى و يحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذى عدته البلاغة عيبا فان الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفى الا على الناقد فانه لم يجعل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة يعنى الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعنى معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم فى قضاء الوطر وأما الثانى فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفى عروة بن حزام على ماذكر الذهبى فى تاريخه فى خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت فى كتاب مجهول التأليف ان وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التى على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقة ومعان أنيقة وهى هذه

خليلى من علياء هلال بن عامر * بصنعاء عوجا اليوم وانتظرانى
ولا تزهدا فى الاجر عندى واجملا * فانكما بى اليوم مبتليان
ألم تعلما ان ليس بالمرج كله * أخ وصديق خالص فيدرانى
أفى كل يوم انت رام بلادها * بعينين انساناهما غرقان
وعيناى ما وفيت نشزا فتنظرا * بمأقيهما الا هما تكفان
ألا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى
على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عرض البيد بالوخدان
الماملى عفراء انكما غدا * بشحط النوى والبين مفترقان
فياواشيى عفراء ويحكما بمن * وما والى من جئتما تشيان
بمن لو اراه غائبا لفديته * ومن لو رآنى غائبا لفدانى
فياواشيى عفراء دعانى ونظرة * تقربها عيناى ثم زمانى
أغركما منى قميص لبسته * جديدا وبردا يمنة زهيانى
متى تكشفا عنى القميص تبينا * بى الضر من عفراء يافتيان
اذا تريا لحما قليلا واعظما * بلين وقلبا دائم الرجفان
على كبدى من حب عفراء قرحة * وعينان من وجدى بها تكفان
فعفراء أرجى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتوانى
أحب ابنة العذرى حبا وان نأت * ودانيت فيها غير ما متدانى
اذا رام قلبى هجرها حال دونه * شفيعان من قلبى لها جدلان
اذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا * جميعا على الرأى الذى يريان
فيارب انت المستعان على الذى * تحملت من عفراء منذ زمان
فياليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس والانعام يلتقيان
فيقضى حبيب من حبيب لبانة * ويرعاهما ربى فلا يريان

(وقد كرت) بقية ما قيل فى هذا النوع من المقاطيع الحسان فى السكردان عند ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله * واما ما قيل فى تفضيل البيض على السود فاكثر من أن يذكر له شاهد أو يمتد اليه ساعد المساعد قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد و ربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه امرهم ذمه (قال كشاجم)

يا مشبها فى فعله لونه
لم تعد ما أوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج
والظلم مشتق من الظلمه

وأما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب كل منثور ومنظوم (قال الشاعر)

وأنت التى حببت كل قصيرة
الى ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد
قصار الخطا شر النساء البحاتر
والبحاتر هن القصار الغلاظ

(وقال بعض السلف)

جعل الله البهاء والهوج مع الطوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك وما أظرف قول الشريف الناسخ:

واحرباه من هوى قصيرة
فى الارض منها ألف ألف قامه
اذا رنا الى الخفاف طرفها
قال القفا يا كاتب السلامه

وبعض الناس يفضل السمان و يقول السمنة نصف الحسن وهو يستر كل عيب فى المرأة ويبدى محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره *(فصل فى ذكر ما يعترى المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه) (قال صاحب روضة المحبين) وقد اختلف فى سبب هذه الروعة

فيا ليت محيانا جميعا وليتنا * اذا نحن متنا ضمنا كفنان
ويا ليت انا الدهر فى غير ريبة * خليان نرعى القصر مؤتلفان
هواى امامى ليس خلفى معرج * وشوق قلوصى فى الغدو يمانى
هواى عراقى وثنى زمامها * لبرق اذا لاح النجوم يمانى
متى تجمعى شوقى وشوقك تظلعى * ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لى الاصحاب اذ يعذلوننى * أشوق عراقى وانت يمانى
تحملت من عفراء ماليس لى به * ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا * ليستخبرانى قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها * ولا سلوة الا وقد سقيان
وما شفيا الداء الذى بى كله * ولا ادخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتى * عن الرأس ما التاثها ببنان
معى صاحبا صدق اذا ملت ميلة * وكان بجنبى سرعة عذلانى
فياعم يا ذا العذر لازلت مبتلى * حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية * فألزمت قلبى دائم الخفقان
واورثتنى غما وكربا وحسرة * وأورثت عينى دائم الهملان
فلازلت ذا شوق الى من هويته * وقلبك مقسوما بكل مكان
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا يا غرابى دمنة الدار بيننا * ابالهجر من عفراء تنتحبان
فان كان حقا ما تقولان فاذهبا * بلحمى الى وكريكما فكلانى
كلانى اكلا لم ير الناس مثله * ولا تهضما جنبى وازدردانى
ولا تعلمان الناس ما كان قصتى * ولا يأكلن الطير ما تذرانى
ألا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة اضحت خلة لفلان
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانى
تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى
ولو كان واش باليمامة ارضه * أحاذره من شؤمه لأتانى
يكلفنى عمى ثمانين ناقة * ومالى والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدثت سرك صاحبا * أخالى ولا فاهت به الشفتان
سوى اننى قد قلت يوما لصاحبى * ضحى وقلوصانا بنا تخذان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة * نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فاطقتها * ومالى بزفرات العشى يدان
فياعم لا اسقيت من ذى قرابة * بلالا فقد زلت بك القدمان

والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه أعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعدة وربما مات وبالجملة فهذا امر ذوقى وجدانى وان لم يعرف سببه ومن أحسن ما قيل فى الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الخطيرى

يقول لى حين وافى * قد نالت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا * ء خفقه يعتريه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

(ومثله قول الآخر)

لا تنكروا خفقان قلـ
ـبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

(وما أحسن قول ابن سنا الملك)

أما والله لولا خوف سخطك
لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا
وليس هما سوى قلبى وقرطك

(وقال معين الدين)

لم انسه اذ قال اين تحلنى
حذرا على من الخيال الطارق
فاجبت فى قلبى فقال تعجبا
أرأيت عمرك ساكنا فى خافق

(وقال آخر)

وسكنت قلبا خافقا
يا ساكنا فى غير ساكن

(وقال الطغرائى)

مرض النسيم وصح والداء الذى
اشكوه لا يرجى له افراق
هذا خفوق البرق والداء الذى
ضمت عليه جوانحى خفاق

(أورد) ابن الابار فى تحفة القادم قول ابن تقى من أبيات حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى

ومنيتى

ابعدته من أضلع تشتاقه * كى لاينام على وساد خافق ثم قال

ومنيتني عفراء حتى رجوتها * وشاع الذي منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى * على رواقا بيتك الخافقان
رواقان خفاقان لاخير فيهما * اذاهبت الارواح يصطفقان
ولم اتبع الاظعان في رونق الضحى * ورحلى على نهاضة الخديان
اعفراء اذ في الدهر والناس غرة * اذاخلقان بالصبي يسراني
لادنو من بيضاء خفافة الحشى * بنية ذي قاروة شنآن
كان وشاحيها اذاما ارتدتهما * وقامت عنانا مهرة سلسان
وليس بأبدان لها ملتقاهما * ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتهما حقفان قد ضربتهما * قطار من الجوزاء متبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتني * وحزن ألح العين بالهملان
وعينان ما وافيت نشزا فتنظرا * بمأقيهما الا هما تكفان
فهل حاديا عفراء ان خفت فوتها * على اذا ناديت مرعويان
ضروبان للتالي القطوف اذاونى * بسيحان من يقصى به حذران
فمالكما من حاديين كسيتما * سرابيل مغلاة من القطران
ومالكما من حاديين رميتما * بحمى وطاعون الا تقفان
فويلي على عفراء ويلا كأنه * على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى * نعم والا لاحيث يلتقيان
لوان أشد الناس وجدا ومثله * من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة أشتكي * لاضعف وجدى فوق ما يجدان
فقد تركتني ما أعي لمحدث * حديثا وان ناجيته ونجاني
وقد تركت عفراء قلبي كأنه * جناح غراب دائم الخفقان

قوله خليلي خطاب بالنداء محذوف الاداة لاثنين وليس بشرط ان يكونا موجودين فقد جرت عادة العرب بذلك حتى قيل انهم وان خاطبوا الواحد جعلوا الصيغة لاثنين اما ليجري مجرى التأكيد أو انهم يطلبون التعظيم أو انهما أقل الرفقة وقوله الى حاضر البلقاء يريد المكان الذي كانت به كما سبق في الحكاية ويروى الى حاضر الروحاء موضع بالبلقاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة كناية عن العجلة التي لم تدعه يشد كور الناقة ويروى نواحة السرى ومواره اي عجلة تبلغ المأرب وقوله من لو أراه البيت كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شئ وقوله متى تكشفا روى بدله متى ترفعا والاول أبلغ لاخصيته ولزوم رؤية البدن منه وقوله اذا تربا جواب متى وروى بدله تعرفا والاول ألطف وقوله كان قطاة البيت قد أخذه المجنون حيث قال

* قطاة غرها شرك فباتت * البيت وهذا من السرقات العامة التي تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف ومعنى هذا انه شبه كبده في شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طالب الخلاص واما المجنون فقد تظرف ثم بالغ لانه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشرك واعلم ان ابن الاثير ألف كتابا سماه الجامعة المعاني للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اقترح معنى ومن سرق منه وزاد عليه فقال في

نسب بعض أهل عصرنا ابن تقي الى الجفاء في قوله

أبعدته عن اضلع تشتاقه

ولو قال

أبعدت عنه اضالعا تشتاقه

لكان احسن ثم ذكر بعدها ما فضلوه على قول ابن تقي المذكور قول ابن الحكم جعفر بن عثمان

ان كان لابد من رقاد
فاضلعي هالك عن وسادي
ونم على خفقها هدوا
كالطفل في هزة المهاد

(وقال) ابن الاثير في المثل السائر في أبيات ابن تقي المذكور وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الأخير هو الموصوف بالابداع وبه وبامثاله أقرت الابصار بفضل الاسماع وقلت انا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي

أتاني زائر فشكى الملالا
واتبعه صدودا واستطالا
فقلت له تعود فقال لالا
دوام الوصل يورثك الملالا

(الباب السادس في ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن)

أقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وابناء جنسه والمحبوب فيها نوعان والمضروبون بسوطها ضربان فالاول يحبه الله ورسوله ويتم به للعاشق سؤله والثاني مذموم وصاحبه ملوم فالنوع المحبوب منها ان يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم ان يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك منها حبة لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حمله على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيرة مما يؤدي الى فساد الصورة والحكايات في هذا الباب مشهورة (وقد روى)

هذا الموضع ان المجنون تظرف حيث أسند الخفقان الى القلب والتعليق الى الشرك واما انا فأقول ان قول عروة أبلغ لان الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشئ عن العشق اليه أبلغ ولان حركته تستلزم حركة القلب دون العكس ولا يساوي هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما في كلماتهم اذ المحوظ حينئذ الروح الحيواني قوله عراف اليمامة قد سبقت قصته والعراف في الاصل الكاهن واستعمله هنا على الطبيب لاتحادهما لغة وما الثاتها يعني ماردتها وهي كناية عن شدة المرض وعمه المدعو عليه هو ابو عفراء وقده رفت عذره وقوله ولوان واش باليمامة قد استعاره المجنون حيث قال

ولوان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اتانيا

وهي سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وابلغ من حيث الايهام لان قوله أحاذره من شؤمه يحتمل ان يكون ولو باقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة واما حضرموت واليمامة فكلاهما في اقليم واحد فلا يعظم مجيء الواشي

(اخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند)

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر في الانساب اربعون فخذا وفي النزهة انه عذري وليس كذلك ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمى العصا وذلك دون خمس جدود قال في كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلك قالوا قطع النسب ورميت العصا وكان عبد الله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب قال في بلغة الاشفاق في ذكر أيام العشاق وهو جزء لطيف لابن رشيق موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق ان عبد الله هذا أقل العشاق ايا ما عاش مكابدا المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة فمما قيل فيه قول قيس

فما وجدت وجدي بها أم واحد * ولا وجد النهدي وجدي على هند

ولا وجد العذري عروة في الهوى * كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله النهدي اشارة الى ابن عجلان هذا وقد سماه عمرا في ابيات سبقت في قصته وقوله على هند متعلق بوجدي فليحذر من فهم صاحب النزهة وقول البحتري

هوى لاجميل في بثينة ناله * مثلي ولا عبد بن عجلان في هند

وهند هي بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي يتصل مع عبد الله في النسب قال في الطرائف ان سبب اعتلاقه بها انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصدعن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فاخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فعجز وأقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما اعجزه وعطل حركاته فانشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا لمستها

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله ان تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة * وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخل النار * وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة اخلى وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في أذاه ومساخطه ويستخف بامره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت وأقل الاحوال أن يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانما تحمد حيث يحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وامته والشيء الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله او يحبه يغار منه وربما سكته ان أمكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصور وهذه الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره * قال القشيري قيل لبعضهم اتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه ايضا غيرة فاسدة وغاية صاحبها ان يعفى عنه وان يعد ذلك من شطحاته

أتتني

المذمومة واما ان يعد في مناقبه وفضائله ان يقال له أتحب أن ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته أعلى نعيم الجنة وهو

أتتني سهام من لحاظ فارشقت * بقلبي ولو استطيع رداً رددتها

ثم قال لهذه والله الضالة التي لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فاخبر صديقاً له فقال اكتم ما بك واخطبها الى أبيها فانه يزوجك بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فاجيب وتزوج بها واقاما على احسن حال وانعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليهما ثمان سنين وانها أقامت على ذلك لم تحمل وكان ابوه ذا ثروة ليس له غيره فاقسم عليه ان يتزوج غيرها ليولد له ولد يحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فابت ان تكون مع أخرى فعاوداباه فامره بطلاقها فابى فالح عليه وهو لم يجب الى ان بلغه يوماً ان عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وأرسل اليه يدعوه وقد جلس مع اكابر الحي فنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما اظنه الا عرف انك سكران فيريد ان يعرض عليك الطلاق وان فعلت اظن انك فاعل قال في النزهة وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا واخبرت هندا انها ستطلق فابى عبد الله الا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فاثرت في ثوبه فلما جلس مع ابيه وقد عرف اكابر العرب حاله فاقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجداً كاد ان يقضي معه وانشد

طلقت هنداً طائعاً * فندمت بعد فراقها * فالعين تذرف دمعها
كالدر من آماقها * متحلباً فوق الردا * فتجول في رقراقها
خود رداح طفلة * ما الفحش من اخلاقها * ولقد الذ حديثها
واسر عند عناقها * ان كنت ساقية ببز * ل الادم او بحقاقها
فاسقي بني نهد اذا * شربوا خيار زقاقها * فالخيل تعلم كيف الـ
ـحقها غداة لحاقها * بأسنة زرق منحـ * ـن القوم حد رقاقها
حتى ترى قصد القنا * والبيض في اعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل باربعة اعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه قصد هنداً وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة فحذره ابوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فابى وخرج سراً حتى أتاها فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي ابلاً له فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه وداما منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزاً دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا له شاة ويرفعوا اقلها ويقدموها اليه ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال اما الشاة كم قلب فقال له اخوه أعاشق انت ولم تدرنا ومات وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوماً ومد بها صوته فمات وهي

ألا ان هنداً أصبحت منك محرماً * واصبحت من ادنى حموتها حما
فاصبحت كالمقمور جفن سلاحه * يقلب بالكفين قوساً واسهما

وقيل ان هذه الأبيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولم بهند بنت عتبة وارادا زواجها فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل حملت منه فخرج هارباً واصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان اطباء العرب فاجمعوا على كيه فكوي وبرئ فقدم ابو

سبحانه وتعالى يحب من عبده ان يسأله النظر اليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه اللهم اني أسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس وهو شبه ما يحكى عن بعضهم انه قيل له الا تذكره فقال أنزهه أن يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شيء من ذلك فلاموه فانشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا
وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها
ولم يأنفوا مني أنفت لهم مني

وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته أن يزورمثله وقد لمت شخصاً على ترك الصلاة فقال اني لا أرى نفسي اهلاً ان أدخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء واما الغيرة على المحبوب من الآدميين فالناس فيها ضروب وحسنات غالبها ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب أو سماع أنه في الدرب

أغار اذا آنست في الحي أنة
حذراً وخوفاً ان تكون لحبه

(وقال آخر)

تغار من الطيف الملم جاراتها
ويغضب من مر النسيم غيورها

(وقال ابن الاثير في المثل السائر)

سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو أغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه
والمتنبي اخذه من قول العباس بن الاحنف * ألم اتق ذا شجن يبوح بحبه

سفيان أو هو وغيره فسأله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات وقيل خرج فمات في الطريق وقيل هي يعني الابيات للمغيرة في اسماء النهشلية والصحيح ان ابيات المغيرة هذه

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقي * أحاديث طسم انما كنت حالما
ألا اصبحت اسماء حجرا محرما * واصبحت من أدنى حموتها حما

ولابن عجلان اشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال الشوقى وعادلي طربي * من ذكر خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال صورتها * أو مثل تمثال صورة الذهب

ومنها

ألا أبلغا هندا سلامي وان نأت * فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف
ولم أر هندا بعد موقوف ساعة * بأنعم من اهل الديار تطوف
أتت بين أتراب تمايسن اذ مشت * دبيب القطا أوهن منهن ألطف
يباكرن مرات خليا وداده * ذكيا و بالايدى مدال ومسوف
أشارت الينا في حياء وراعها * شراة الضحى مني على الحي موقف
وقال تباعد يا ابن عم فانني * منيت بذي صول يغار و يعنف

ومنها

خليلي زورا قبل شحط النوى هندا * ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة * أغيا يلاقى في التعجل أم رشدا
ومرا عليها بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

(اخبار ذي الرمة وصاحبته مي)

هو غيلان بن معدي بن عمرو الكناني القحطاني أو هو سعدى وقيل ابن عقبة بن بهوس بن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الاصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل في عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعير الشخص بالحبل الذى في عنقه فقيل أعطاه برمته فضرب مثلا لمن يعطي الشئ جميعه و بالكسر العظام البالية وسمي بذلك لانه كان كثيرا ما يجعل في عنقه أو على عاتقه الحبل اوانه سمي بذلك لشدة نحوله في العشق ومي هي بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني احد ملوك العرب والده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل اليه العرب و يعطى القياد حتى ضربت به الامثال قال طرفة بن العبد بعد ما اشتكا سوء حظه * ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم * يعني في ارتفاع الجد وسعة الملك قال في النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا الى رقة و بياض واسع الصدر عجل المشية وكانت مي جارية الى القصر ماهي سمراء بديعة الا ان في كلامها عذوبة وفي طرفها انغزل قال في الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه مر يوما بالحي وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد شرع رواقه وارتفعت أطنابه وعلا عموده وأطنابه ومدت أوتاده وأسبابه فقصده حتى وقف بازائه واذا هو بامرأة تتمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عناقيد كيل الفحل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل فابرزت اليه ماء قد شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما

يومه بأمسه ويغار على المحبوب من تزيين كلام نفسه كما قال البحتري

إني لاحسد ناظري عليكا
حتى أغض اذا نظرت اليكا
وأراك تخطر في شمائلك التي
هي فتنتي فأغار منك عليكا
ولو استطعت منعت لفظك غيرة
كي لا أراه مقبلا شفتيكا
خاص الهوى لك واصطفتك مودتي
حتى أغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من ازاره ولبس ازاره

أرى الازار على ليلى فأحسده
ان الازار على ماضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهي ماحكي عن الحسن بن زيد أمير المدينة انه قال يوما لابي السائب وكان قد جهله وكساه فكان يركب معه في موكبه و يسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فأنشده الامير * أرى الازار على ليلى البيت فقال له أبو السائب بابي انت وأمي من الذى قال هذا البيت فقال قيس فتخلف أبو السائب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الأمير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذى ألقى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبني قضيب في كثيب
تشارك فيه لين واندماج
أغار اذا دنت من فيه كأس
على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه
على قدر يقابله سراج

أخذه المتنبي فقال في ممدوحه أغار من الزجاجة حين تجري * على شفة الامير أبي حسين

فأكل ولم تزل تنادمه وهو يعجب بها ويتحرك لها قلبه الى ان انصرف بعد بياض النهار وقد علق من قلبه بحبها لاعج عجز عن اطفائه وغرام كل عن اخفائه فجعل يعاودها الزيارة فقيل له في تقليل ذلك وان بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصبا ومشقة فانشد

وكنت اذا ما جئت ميا ازورها * ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فافضوا الى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزاري وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مني خذوا اخبره اتاني يوما فقال ان حي مية خلوف فهل تسعدني في الزيارة فركبنا حتى اتيناها فلما نظر النساء الى ذي الرمة عرفنه فجئن حتى جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا يا ذا الرمة ما قلت فالتفت الي وقال لي قم فانشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت ابكي عنده واخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مي كأنها * ذرا النخل او اثل تميل ذوائبه

فاسبلت العينان والقلب كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه

بكى وامق حال الفراق ولم تحل * حوائلها اسراره ومعاتبه

هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها اسراره ومعاتبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * احدثها الا الذي انا كاذبه

اذا فرماني الله من حيث لا ارى * ولا زال في ارضي عدو احاربه

قالت مي ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب آبته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما اصحه وهنيئا له قال فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية او بدا * لك الوجه منها او نضى الدرع سالبه

فيا لك من خد اسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل شاربه

وفي رواية القالي اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تنوزع والوجه بدا فمن لنا بان ينضي الدرع سالبه فقالت مي ماذا تريدين وتضاحكن فقالت الظريفة ان لهذين لشانا فقمن بنا فقمت ومضيت وجلست بحيث اراهما فتعاتبا طويلا وان لا يبرح من مكانه ولم اسمع منهما غير ان قالت كذبت والله ولم اعلم علام كذبته ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لي شانك وهي ثم قال وهذه قلائد قد اعطتنيها فوالله لا قلدتها بعيرا وعقدها في سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءني فقال امض بنا نودع الآثار فجئناها حتى وقفنا على اطلال مية فانشد

الا فاسلمي يا دار مي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وان لم تكوني غير شام بقفرة * تجر بها الاذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني لجلد وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا فوالله

ومنهم من ينزل نفسه منزلة الاجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال ابو تمام

بنفسي من اغار عليه مني * واحسد مقلتي نظرت اليه

ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه

حبيب بث في جسمي هواه * وامسك مهجتي رهنا لديه

فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

(وقال ايضا)

اغار عليك من قلبي * وان اعطيتني املي

واشفق ان ارى خدي * لك نصب مواقع القبل

(وقال الآخر)

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس

اني لمن نظري اغار وانني * بك عن سواي من الانام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة ان يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

ربما سرني صدودك عمدا * وطلابيك وامتناعك عني

حذرا ان اكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

(وقال آخر)

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها * كما آثرت بالعين تؤثر بالقلب

واني لارجو ان تدوم بعهدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

(وقد بالغ ابن مطروح حيث يقول)

فلو اضحى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني

ولا تسمح بوصلك لي فاني * اغار عليك منك فكيف مني

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف يوما حبيبا

اعرضه لاهواء الرجال وما بالى أشوق قلب غيرى * ودون وصاله ستر الحجال وكثير من الجهال وصف امرأته ومحاسنها الغيرة

مارأيت اشد صبابة ولا احسن صبرا منه وكان آخر العهد به وله اشعار كثيرة فن الطفها القصيدة الحائية التى اولها

أمنزلتى مى سلام عليكما * على النأى والنأى يودو ينضح

ومنها
ذكرتك اذمرت بنا أم شادن * امام المطايا تشرئب وتنصح
من المؤلفات الرمل أدما بحرة * شعاع الضحى فى متنها يتوضح
رأينا كانا عامدون اصيدها * فحى فهى تنبو تارة وتزحزح
هى الشبه اعطافا وجيدا ومقلة * ومية أبهى بعد منها واملح

ومنها
على حين راهقت الثلاثين وارعوت * لداتى فكاد الحلم بالجهل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على القلب كادت فى فؤادى تجرح
تصرف أهوى القلب منى ولا أرى * نصيبك من قلبى لغيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحى * وحبك عندى يستجدو يربح
ولما شكوت الحب كيما تثيبنى * بوجدى قالت انما انت تمزح
بعادا وادلالا على وقد رأت * ضمير الهوى قد كان بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت أروح

ومنها
خليلى عدا حاجتى من هواكما * ومن ذا يواسى النفس الا خليلها
ألما بمى قبل أن تطرح النوى * بنا مطرحا او قبل بين يزيلها
وان لم يكن الا تعلل ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

ومنها
خليلى عوجا من صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى وحى البلابل

ومنها
ولما تلاقينا جرت من عيوننا * دموع كففنا غربها بالاصابع
ونلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

ومنها
اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مى زاد قلبى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(اخبار مالك وصاحبته جنوب)

هو مالك بن الحرث بن الصمصامة بن أخرش الجعدى من بنى أخرش اخو ذى الرمة قال فى الانساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخو ذى الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة وكان مالك شجاعا جلدا ذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره (وجنوب) هى بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدى علقها شابين وسبب ذلك انه جاء يوما الى اخيها الاصبغ يسترفقه الى حى من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ما عليها الا خلا سبا اخضر شفاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشى به الى اخيها وكان معروفا بالشجاعة فخاف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمهما يوما مجلس وقد اقبلت جنوب فلم يستطع ان يكلمها وأخذته رعدة فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام خجلا وبقى مالك مغشيا عليه فلما أفاق انشد

خليلى ان حانت وفاتى فادفنا * برابية بين المقابر فالنفر

فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوف له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ فى الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة أن يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصى وقد افردت لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن فى سنة ستين وسبعمائة وهو فى سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولى يقبل الارض وينهى ان ديك الجن المذكور من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشى ان يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية للخمر ومن رماد الغلام برنية اخرى كذلك وكان يضعهما فى مجلس انسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل البرنية المعمولة من رمادها وملأ منها قدحه وانشد

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب وطالما
روى الهوى شفتى من شفتيها
واجلت سيفى فى مجال خناقها
ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى
شئ اعز على من نعليها
ما كان قتليها الا انى لم اكن
أبكى اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواى بحسنها
وأنفت من نظر العيون اليها

واذا اشتاق الى الغلام قدم البرنية المعمولة من رماده وملأ منها قدحه وبكى

لبكيما

لكيما تقول العبدلية كلما * رأت جدثى سقيت يا قبر من قبر

وفى النزهة فادفناعظامى مابين الرابية فالسفرقال والرابية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب والسفرتربة مشهورة وهذه الرواية أصح وانسب بالمعنى وفيها بدل سقيت حييت ثم ان العرب نجعوا انجعة وسيعة يعنى مكانا امطر وأعشب سابقا فوقف مالك يتصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فاخذ بخطام بعيرها وانشد

رايتك ان أزمعتم اليوم نية * وغالك مصطاف الحى ومرابعه
أترعين مااستودعت أم انت كالذى * اذاما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولاتهون عندى ودائعه فاطلقها ومضى فى نشيده يقول

ألا ان وردا دونه قلة الحمى * منى النفس لوكانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق * واصبغ حامى ماالحب ومانعه
فلا أنافيما صدنى عنه طامع * ولا أرتجى وصل الذى هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليلة قلقا فلما اصبح ركب وضرب الفضاء ليروح نفسه فبينماهو على ماء يستريح اذسمع شخصا يشتكى الى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه فقال له منذ كم أصابك قال من أمس فقال هذا من الهواء الذى كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار فلما طرق الكلام رأسه قال اى والله ولا اضر من هواها أجد وسقط كالمصروع فجاؤا اليه واحتملوه بعد ان قارب الفراق ثم مضوا به الى الحى فقام ليلتين ثم قضى (وفى النزهة) انهم دعواله بطبيب فلما ابصره أنكر حاله فدعا بشراب وسقاه فلما تمكن منه انشد

خليلى ان العبدلية أزمعت * على الصد والهجران فاستدنيا رمسى
فلا صبرلى بعد الفراق على الجفا * ولا راحة الا التوسد فى رمسى
فصبر محب عن حبيب يحبه * محال وهل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه قلت وهذه الابيات قدنقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الاذهان فى منتخب شعر قتلى الحسان وفى النزهة نقله عن ذى الرمة ورواه بلفظ ان المنقرية يعنى مية وفى لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبدربه ان مالكا هذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم اليها لبن فلما امتصته ووقع الكلام فى أذنها اضطربت خفيفا ثم اضطجعت فاذا هى ميتة

(أخبار عبدالله بن علقمة وصاحبته حبيش)

هو عبدالله بن علقمة بن زرارة من قحطان (وصاحبته حبيش) بنت سعد بن اسلم من خزيمة قبيلة من اليمن ولم يذكره فى النزهة ولكنى رأيت فى ظرائف الاخبار ان سبب اعتلاقه بها انه أضاف أهلها فاجلسوه فى متحدث لهم فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها وكانت طويلة الى الرقة واسعة الصدر كان وجهها البدر فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة أن يظهروا على حاله ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده ففطنت لما به وكان شابا كأنه القمر فداخلها ماداخله ولم يكونا متقاربين فى المنزل لانهما من فخذين فافترقا على ماداخلهما من الهوى وان الغلام ارسل أمه بهدية اليها وتبعها وأقاما عندها فلم يزل كذلك يذهب مع أمه ويعود اليها أياما وكان فى أوائل الهجرة فأرسل رسول

وأنشد قوله فيه أشفقت أن يرد الزمان بغدره * أو أبتلى بعد الوصال بهجره فرأنا استخرجته من ذجئه
ابليتى واثرته من خدره
فقتلته وله على كرامة
فلى الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم
والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لوكان يدرى الميت ماذا بعده
بالحى منه بكى له فى قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه
ويكاد يخرج قلبه من صدره
(اقول) هذا الذى يقال له الجنون فنون فانا لله وانا اليه راجعون من فعل هذا المجنون على انه من ارق الناس شعرا واكثرهم للمحبوب ذكرا فمن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله فى الدعاء على المحبوب
كيف الدعاء على من خان اوظلما
ومالكى ظالم فى كل ماحكما
لا واخذ الله من اهوى بجفوته
عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما
(اقول) صار الطالب مطلوبا وهذا الفقه المقلوب ماكفاه انه فعل بالاحباب مالاتفعله الكلاب حتى يقول لا واخذ الله من اهوى بجفوته ويمزج رقة شعره بقسوته فهو فى الخفة والطيش وقتل المحبوب لا فى ايش ولا على ايش فمن غلب عليه هواه كما تراه فعل بمحبوبه مافعل واقام ضربه بالسيف مقام القبل
احبابه لم تفعلون بقلبه
ماليس تفعله به أعداؤه
وقد اثبت هذه الرسالة بكمالها فى الباب الاول من كتابى مرآة العقول ومما ينخرط فى سلك هذه الحكاية ماحكاه الشيخ اثير الدين ابوحيان فى تفسيره عند قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال واين هذا مما جرى لبعض

الله صلى الله عليه وسلم سرية الى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد فصادفوا العرب ظاعنين ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصا له فأمسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا فقال أرأيتم ان أنا لم اسلم فما انتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال هل لكم ان تتركوني أمضي الى الظعن قالوا بلى ونحن في أثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها اسلمي حبيش فقد نفد العيش وفي رواية انقطع فقالت حبيش اواسلم عشرا اوتسعا وترا اوثمانا اوثلاثا تترا على الخلاف في السيرة والمستدرك والتهذيب ثم انشد

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * بيرزة اوادرككتم بالخوانق
اما كان حقا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فاني لاسرى لدى أضعته * ولاراق عيني بعدوجهك رائق
على ان ماناب العشيرة شاغل * ولاذكر الا ان يكون توامق
فها أنا ماسور لديك مكبل * وما ان رآني بعدها اليوم ناطق

فأجابته أرى لك اسبابا أظنك مخرجا * بها النفس من جنبي والروح زاهق

فأجابها فان يقتلوني ياحبيش فلم يدع * هواك لهم مني سوى غلة الصدر
فانت التي قفلت جلدي على دمي * وعظمي واسبلت الدموع على النحر

فاجابته ونحن بكينا من فراقك مرة * وأخرى وقاسينا لك العسر باليسر
فانت ولا تبعد فنعم أخو الندى * جميل المحيا في المروأة والبشر

وفي رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلاذنب لي قد قلت أناهنا معا * أثيبي بود قبل اخذ الصفائق
أثيبي بود قبل ان يشحط النوى * وتنأى الليالي بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فأطار يده وقدم فضربت عنقه وقيل اوثقوه أولا حين أدركوه وانه رأى رجلا منهم فقال له اما تستطيع ان تعرضني على النساء قبل ان تقتلوني فقال سهل ماطلبت وعلى كلا الاحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة اوشهقتين فماتت ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال اما كان فيكم رجل رحيم وفي نديم المسامرة للمقدسي ان عبد الله حين فشا أمره مع حبيش قالوا لامه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيكم فاعرضي عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت فقيل له ماترى فيهن قال حسنا وجمالا فقيل أيما احسن هن ام حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلا في العرب

(اخبار نصيب وصاحبته زينب)

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجي مولى راشد بن عبد العزى من كنانة وصاحبته ام بكر زينب بنت صفوان بن غازى كنانية في الاصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما ان نصيبا كان يرعى ابلا لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان في المبرك بوادي البوار وكانت زينب تأتي رعاة ابيها فتأخذ لبنا وان نصيبا تولع ببري القسي وارأشة السهام وجز الاوتار فبرع في ذلك حتى اشتهر في احياء العرب وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتخلف الحلوب من النوق في المعاطن فتأتي زينب وهي جارية صغيرة فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقا حسن التأمل في

ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس انسه وجارية تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فالبس حتى اتى برأس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك (قلت) لومات كان معذورا فلاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم ومثل هذا أيضا مافعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية الثمن وهي بثمانين الف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يوما هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او بقبلة فخشيت أن يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة اويكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادي قبلني وقذف في في لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات (قلت) قد استراح والله من هذا الصداع كله وانشد عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا
به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد
يشاركني في مهجتي بنصيب
فلاتلزموني غيرة ما الفتها
فان حبيبي من احب حبيبي

وقد بالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة

اقول بحمد الله لاعن كراهة
وغيري قوادي على رغم انفه

وما احسن قول ابي الحسين الجزار

قلت لما سكب السا
قي على الارض الشرابا
غيرة مني عليه * ليتني كنت ترابا

وقال نور الدين الاسعردي واحسن ماشاء

تميل الريح بالاغصان لطفا * كما مالت بشادبها العقاد

دقائق المحاسن ولطائف الشمائل وهي من ذلك في أرفع المراتب فنشأ عنده من حبها ما غير باله واشتغل حاله فشبب بها وفشا ذلك فأتت العرب مولاه فقالت ان عبدك هذا قد برع في الشعر ونخشى ان يهجو احدنا او يشبب بنسائنا وليس لنا في أحد الخلتين سيرة فقال له مولاه اني بائعك فانظر لنفسك فاقبل حتى دخل على الامير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فانشد

لعبد العزيز على عترته * وغيرهم منن ظاهره
فبابك اسهل أبوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك اراف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلين * لاثرى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء * بكل محبرة سائره

فامر له بالف دينار فقال أصلحك الله اني عبد لا آخذ الجوائز ولكن أباع فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فاخبرني فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى انتهى الى ألف دينار فاخذه الامير فكان في خدمته الى ان توفي فاوصى به سليمان بعد ان اعتقه على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج فكان من أكبر سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك في محاسن العبيد ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيبا وقد استخلى بنفسه يبكي ويقول متمثلا بكلام المجنون قضاها لغيري البيت فاستحضره فقال ماهذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أو عاشق انت قال اي والله جعلت فداك من العشق فقال ولمن قال لجارية في كنانة علقتها فمنعت منها القلة حسبي وحقارة نسبي عند العرب فكنت أجلس في ممرها لأختالسها النظر وفي ذلك أقول

جلست لها كيما تمر لعلني * اخالسها التسليم ان لم تسلم
فلما رأتني والوشاة تحدرت * مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت اشترى * حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها (في النزهة) ومحاسن العبيد لابن فاتك انه زوجه بها وأقام معها وانها توفيت عنده في خلافة سليمان وقيل انه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد وما ذكره هنا من ان يزيد استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعني من البيض ومنعت منها مدة فلما توفي من كان يمنعها كتبت اليها

فان اك حالكا فالمسك لوني * وما لسواد جلدي من دواء
وبي كرم عن الفحشاء ناء * كبعد الارض عن جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل * ومثلي لا يرد عن النساء
فان ترضى فردي قول راض * وان تأبي فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يغطيان غيرهما فتزوجته يدل على ان ليس ليزيد في تزويجها شئ وقيل انه تزوجها على يد ابن ابي عتيق وفي تسريح النواظر انه لم يتزوجها وانها اعتذرت حين أرسل اليها بان العرب تعيرها بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الجزار بسنده الى العتبي قال شهدت هوادج مزينة حين نزلنا الى مكة فلما نزل الحاج خرج من أعظمها هودجا امرأة وقد مهد لها مهادا فجلست واقبل زنجي حتى جلس

وتجمع بينهم من بعد بعد * وأوراق الغصون لما ازار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل ابصرت قوادا يغار

(الباب السابع في افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان)

أقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهزل كل منهما وجد اذ للمحبين فيهما مذهبان فمنهم من أباح اباحته ورأى في افشائه راحته ومنهم من رأى كتمانه من الديانه فحل من مراتب الحب في أعز مكانه حيث قال باح مجنون عامر بهواه

وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي
من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم من الناس من كتمه فاراه كتمانه عدمه ومنهم من أفشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد وبحر دمع زائد لا يخوض ريقه ولا تسلك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر وسيفين لا بد من قتله باحدهما على الصحيح الاشهر كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب

وارحمة للعاشقين تحملوا
سر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم
عند الوشاة المدمع السفاح

والذي أراه في ذلك كله وتمييز وابله من طله ان المحب اذا علم من محبوبه الوفاء وعدم الجفاء فالواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء العلة الى الطبيب كما قيل

وبح بالسرائر في أهلها
واياك في غيرهم أن تبوحا

وقد ظرف ابو جعفر الشطرنجي حيث قال

دل ان شئت انني بك مغرم * ثم دعه يروضنه ابليس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب اشطره افشاء المحب سره الى

الى جانبها فرسائق ابل وهو يقول

بزينب المم قبل ان يدخل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذى الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسأل الناس عنهما فقيل هى زينب وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الحزامى وعن ابن خلف وابن الجوهرى فى اخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض ما عدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف من طريق آخر بينما نحن فى الركب اذا بزنجى يمشى والى جانبه امراة كأنها البدر والمسك يسطع منهما فقلت له من انت قال انا الذى اقول

ألا ليت شعرى ما الذى هو حادث * غدا غربة النأى المفرق والبعد

لدى ام بكر حين يقذفها النوى * بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى

اتصرمنى عند الذين هم العدا * فتشمتهم بى ام تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل تدوم على العهد وتوفى نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل احدى عشرة وفى كتاب ابن الجوهرى كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة وقيل توفيت قبله ورؤى باكيا عليها وهو يقول

أيا دهر ما هذا الذى منك مرة * عثرت فاقصيت الحبيب المحببا

وابدلتنى من لا أحب دنوه * واسقيتنى صبا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره

كسيت ولم املك سوادا وتحته * قميص من الصوهى بيض بنائقه

وما ضر أثوابى سواد وانى * لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه

ولا خير فى ود امرئ متكاره * عليك ولا فى صاحب لا توافقه

اذ المرء لم يبذل من الود مثله * بعافية فاعلم بأنى مفارقه

ومنها

وما فى الارض اشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا ابدا حزينا * مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائى * وتسخن عينه عند التلاقى

(اخبار المرقش وصاحبته اسماء)

هو عمرو او عوف بن سعد مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة اعلى قبائل طيئ ولد باليمن قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله اخوان أنس وحرملة رفعهم ابوهم الى نصرانى ببغداد يتعلمون الكتابة وكان سعد والده يرى دين النصرانية ومات فقام عمرو مقامه فى العرب فكان شجاعا مهابا فى العرب خرج يوما وقد قطع وادى نجران بأسد ونمر فلم يطق أحدان يمر منهما فلما رأى عمرو الاسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار على ظهره فامسك اذنيه مستثبتا ثم دق رأسه وسلخ جلده فلما أحس بالنمر التف فى جلد الاسد ونام رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه واخذ جلده عليه واقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمى بذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم

ومن ولد اخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر اشبه ذلك واسماء هى بنت عوف

ابن

الحب وهذبه وعلى هذا حكاية أحمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدى بجعفر بعد أن زوجه بها الرشيد وشرط عليه أن لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما أحبت وخاف على نفسه من الرشيد أن يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى

فصاح ونادى انى غير فاعل

فان لم تصلنى بحت بالسر عنوة

وان عنفتنى فى هواك عواذلى

وان كان موت لا أموت بغصتى

وأقررت قبل الموت انك قاتلى

فنالت منه ما أرادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى ضرها

* وقال ابن شاذان الكاتب قالت لى عريب جارية المأمون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى انبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان يحبها جدا وكان أيضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيرى فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عينى تبكى حذر البين

ما أسخن الفرقة للعين

لم أر فى الحب ولوعاته

أوجع من فرق القلبين

فقال لى الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدى فكتب على الارض بقضيب فى يده

ظهر الهوى وتهتكت أستاره

والحب خير سبيله اظهاره

فاعص العواذل فى هواك مجاهرا

فالذ عيش المستهام جهاره

فحفظت الابيات وتضاحكنا ففطنت فريدة فقالت يا سيدى علمت ما انتما فيه فامنن على امتك بقبولها

ابن سعد بن مالك ايضا وكان عمرو قد الفهامن التربية صغير ين فخطبها الى عمه فانعم ومضى عمرو الى جار الفلاة فخدمه وحظي عنده فامسكه مدة وان الغلاء وقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مرادي على عوف يخطب اسماء فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه وعمدوا الى عظام كبش فذبحوه ودفنوا عظامه وصيروها قبرا فلما قدم عمرو واخبروه انها ماتت واروه القبر فلزمه حتى ضنى وتغير حاله فبينما هو يوما منتحبا اذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا اخذته من عظام الكبش الذي دفن وقيل لعمرو وانها اسماء فدعاه وسأله الخبر فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا في طلب المرادي فقيل ان اخوته شعروا به فردوه فمات وتظافرت الاخبار بانه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض فقال لزوج ابنته لما اتركيه واذهبي بنا فقد اجهدنا فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين ان لا تفعلا
فلعل لبثكما يقرب بيننا * او يسبق الاسراع سيبا مقبلا
يا راكبا اما عرضت فبلغن * انس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله دركما ودر ابيكما * لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشا * أضحى على الاصحاب عبئا مثقلا
وكانما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما رأى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة واما عمرو فحين ذهبا عنه بقي مطروحا فآوى الى غار هنالك وكان بالغار راع من مراد فبينما هو به اذا هو بغنم وراعيها فلما ابصر به الراعي قال له من انت قال له المرقش انا رجل من مراد فراعي من انت فاعلمه باسم الذي هو عنده فاذا هو زوج اسماء فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تأتيني جارية من عندها الاخذ اللبن قال في النزهة وكانت اسماء قد مرضت ايضا شوقا اليه فلم تغتذ الا بقدح من لبن في اليوم فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي القه في القدح فستصيب به خيرا فلما رأته دعت الجارية فاخبرتها ان لا علم لها فنادت زوجها واخبرته القصة فاستحضر الراعي فلما عرفه ركب واركب زوجته فادركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم فمات وقيل انشد عند موته

سما نحوي خيال من سليما * فأرقني واصحابي هجود * فبت ادير امري كل حال
واذكر اهلها وهم بعيد * على ان قد سما طرفي لنار * يشب لها بذي الارطى وقود
حواليها مها بيض التراقي * وآرام وغزلان رقود * نواعم لا تعالج بؤس عيش
اوانس لا تروح ولا ترود * يرحن معا بطاء المشي رودا * عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت اخرى * فقطعت المواثق والعهود * فما بالي افي ويخان عهدي
وما بالي اصاد ولا اصيد * ورب اسيلة الخدين بكر * منعمة لها فرع وجيد
وذي اشر شنيب النبت عذب * نقي اللون براق برود * لهوت بها زمانا في شبابي
وزين بها النجائب والقصيد * أناس كلما اخلقت وصلا * عناني منهم وصل جديد

(وله) أغالبك القلب اللجوج صبابة * وشوق الى اسماء ام انت غالبه
يهيم ولا يعنى باسماء قلبه * لذات الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله يا راكبا البيتين اورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء العرب واسندها الى مجهول وأصلها قال في روضة القلوب ان اسامة بن غسان بن حارث الكناني

فقال الواثق قد فعلت خذيها اليك يا عريب فاخذت بيدها فاملك نفسه حتى انصرف من خلفي متعاقبا لابها وأمر لي بألف دينار ومنهم من لا يجري ذكر العشق على لسانه البتة ويسكت حتى كأن به السكتة ولم أر في ذلك مما يتنافس فيه المتنافس أحسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عن العواذل ضنة
عليهم بمن أصبو اليه واهواه
ولو قلت اني عاشق فطنوا به
لعلمهم أن ليس يعشق الاهو

ومنهم من يبوح باسمه ويرى التصريح باسمه فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

(وقال) ابراهيم بن عبد الله رأيت على خد جارية مكتوبا بالغالية

كل يوم أذوب من ألم الشو
ق وقلبي من الصدود قريح
لم أجد خلوة اليك فاشكو
ما بقلبي لعله يستريح
ويح قلبي كانه لحد قبر
ضم اعضاء ميت فيه روح

وفي البيت الثاني من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغي أن لا يعلم به خلا ولا صديقا ما وجد الى ذلك طريقا كما قيل

يا موقد النار الهابا على كبدي
اليك أشكو الذي بي لا الى أحد
اليك اشكو الذي بي من هواك فقد
طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سري وسرها
سوانا حذارا أن تضيع السرائر

(ومن ظريف) ما مر بي في هذا الباب ان بعض العشاق أنشد يوما محبوبته قول الشاعر

سري وسرك لم يشعر به احد
الا اله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس القوادة فانها الابدان تدري بسرنا وتطلع على أمرنا * ومن احسن ما سمعته في ذم مفشي السر

قتل ابوه صبرا فى تميم فخرج يستجيش له نصرة وذلك قبل يوم اوارة باعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته ولحقته علة فعزما على قتله فلما احس ذلك قال لهما هل انتما مبلغا ابنتى هذين البيتين قالا وماهما قال تقولان

ألا يا بنات الحى ان اباكما * لله دركما ودر ابيكما

فلما أتيا الحى اخبرا بموته فقالوا هل اوصى بشئ فقالا لا غير علينا فيما ذكره وذكرا لهم القول فقالت احدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبى فقالوا ومن اين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهذر وقد كان مصونا عن ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

ألا يا بنات الحى ان اباكما * اضحى قتيلا فى التراب مجندلا

لله دركما ودر ابيكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قلت وفى البيت خزم بالحرف الاول وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال فى الصناعة وقوله بنات الحى ثم عدل الى التثنية فى قوله ان أباكما جريا على الغالب فى خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية فى موضع الجمع والافراد قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوى كان اكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه أو انه نزل ابنتيه منزلة الجمع تعظيما ثم عاد الى اصله وقد حكى فى شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل وقال فى صدر البيت الاول من مبلغ الاقوام ان مهلهلا والباقى على حكمه

(أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا)

هو عتبة بن الحباب المنذر بن الجموح الانصارى وصاحبته هى ريا بنت الغطريف السلمى علقها بمسجد الاحزاب يوم متنزه وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسى حين دخل المدينة قال بينما قد زرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجلست اذا أنا بشخص ينشد بصوت شجى ولا اراه

أشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك بلابل الصدر

يا ليلة طالت على دنف * يشكو الفراق وقلة الصبر

أسلمت من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر

ما كنت اعلم انى كلف * حتى تلفت وكنت لا أدرى

فالبدر يشهد اننى كلف * مغرى بحب شبيهة البدر

وفى رواية صاحب الاصل تقديم هذا وصدر الذى قبله ما كنت احسب اننى شجن فتبعت الصوت فرأيت شابا حرقت الدموع خده فقال لى اجلس احدثك انا فلان كنت يوما بمسجد الاحزاب اذا بنسوة يتنزهن فيهن جارية لم ار مثلها وقفت على وقالت ما تقول فى وصل من يطلب وصلك ثم مضت فلم أعرف خبرها ثم غشى عليه ساعة فلما أفاق انشد

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة * تراكم ترونى فى القلوب على البعد

فؤادى وطرفى يأسفان عليكم * وعندكم روحى وذكركم عندى

ولست ألذ العيش حتى اراكم * ولو كنت فى الفردوس اوجنة الخلد

فشرعت فى تسليته فقال هيهات او يؤب القارظان مثل مشهور وأصله أن أخوين خرجا يجتنيان القرظ نبت معروف فلم يعلم لهما خبر قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

يا للرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يحدث لى بعد النوى طربا

قول الحسين بن بشر

حيى الله امرأ أو عاشرا * لتسكتمه وفض الله فاه * فانك بالذى استودعت منه

أنم من الزجاج بما حواه

قالت وما يبعد أن يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية القائل

وما اكتم الاسرار لكن أنمها

ولا اترك الاسرار تغلى على قلبى

فان قليل العقل من بات ليله

تقلبه الاسرار جنبا على جنب

واين هذا من قول القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى

سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبى بحبك لم يلح

لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم مرت فى جواريها بعروة ابن أذينة وهو يغنى فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فقالت نحوه فقالت يا اباعامر انك تزعم انك لم تعشق قط كيف وانت تقول

قالت وأبثثتها سرى فبحت به

قد كنت عندى تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها

غطى هواك وما القى على بصرى

وقالت كل ما ترى حولى من الجوار أحرار ان كان هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط (حكى) عن احمد بن ابى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق أحمد جارية لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فاطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

ارسلت ام جعفر لى طبيبا

لشكاتى فضل علم الطبيب

ودوائى واصل دائى لديها

فى يدى شادن غرير ربيب

خبروها بان نعمى دوائى * كى تداوى مريضها عن قريب فسمعت أم جعفر الابيات وسألت عن قصته

ما

مالان يزال غزال فيه يظلمني * يهوي الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همته * وأنه طالب للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فضينا الى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة ولم تر الجارية فيهن فقال له ماظنك بطالبة وصالك فقال واين هي قال له مضى بها ابوها الى السماوة فانشد

خليلي ريا قد اجد بكورها * وسارت الى ارض السماوة عيرها
خليلي قد غشيت من كثرة البكا * فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل اريد به الحج وقد عزمت على ان ابذله في حاجتك فهل لك أن تسير معي الى قومها وابيها فقال نعم فسافرنا الى أن وفينا اباها ففرش لنا الانطاع ونحر لنا الجزائر فقلنا لانأكل له طعاما أو يقضي حاجتنا فقال اذكروها فاعلمناه بخطبة عتبة فقال من عتبة فقلنا من الانصار قال ذلك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها واعلمها فشكرت عتبة فقال قد دعى الى أمرك معه واقسم لا ازوجك به فقالت ان الانصار لا يردون ردا قبيحا فان كان ولا بد فاغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد اجبت ولكن على الف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة اكراس من العنبر فضمنا له ذلك وقلنا اذا احضرناها اجبت قال اجبت فاحضرنا ذلك فأولم اربعين يوما ثم اخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بامر أبيها فقاتلناهم زمانا فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور فجاءتنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وانشدت

تصبرت لا اني صبرت وانما * اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى * امامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواريناهما معا قال عبد الله فاقمت سبع سنين ثم رجعت الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لا ابرح أو أزور عتبة فجئت فاذا أنا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين

* (اخبار الصمة وصاحبته ريا) *

هو ابو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي من بني ربيعة كان أديبا شجاعا عارفا بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيرا ما يسند اليه ابن دريد والاصمعي قال ابن الفوارد والوتر برانه ادرك أوائل الاسلام (وريا) هي بنت مسعود بن رقاش ايضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الادب وملح الاشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها فلما شكا ما يجد منها الى بعض أصدقائه ارشده الى تزوجها فخطبها الى عمه فأنعم على مائة من الابل فمضى الصمة الى ابيه فاعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود الا التمام وعبد الله الا ذلك وحلف كل على ما قاله وأوقفوا الامر فحملت الصمة الانفة على ان خرج عنهما الى العراق فقالت ريا ما رأيت رجلا اضاعه ابوه وعمه ببعير الا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها فلما طال عليه الامر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طالب مرض حتى أضناه السقم وقيل أتى

افشاء السر الى الغير كثيرة ولهذا قال أبو العلاء المعري

فظن بسائر الاخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا اسميه ولا يشقى لكثرة ما احوم حول القول فيه ولا اوفيه ان شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت الى مهاوي الاثم الظنون ولو ابديت بعضه اخاف ان يفطن الناس وان اقصت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن احسن ما سمعته في كتمان السر قول النابغة) وكان الامام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيحا
فاني رأيت وشاة الرجا
ل لا يتركون اديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان الى الحجاج وكان قد استكتمه امرا في كتاب كتبه اليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرا فافشاه فلمته لاني كنت اضيق منه صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر اضيق

(وقال آخر)

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس افشى واضيع

(وقال ابو جعفر الشطرنجي)

فلا تخبر بسرك بل امته
وصير من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل النفس سرا
ولا اغلقت مثل الصدر بابا

(وحكى) الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعي سرا تضمنت ستره * فاودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه

كاهنا بالعراق فسأله عما اضمر فاخبره انه لا يتزوج بها ابدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب فى اخبار المحب والمحبوب انه قدم رجل يقال له غاوى بن رشيد بن طلابة المذحجى على مسعود فخطب منه ريا وامهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال امره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنقه وسلاه فانشد

امن ذكر دار بالرقاشين اعصفت * به بارحات الصيف بدأ و رجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وسعيا كما معا
فما حسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة اسمعا
كأنك لم تشهد وداع مفارق * ولم ترشعبي صاحبين تقطعا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

الرقاشين اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة والبارحات رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب والضمير يعود على الوادى * وفى قوت القلوب اعصفت بها سانحات الصيف يريد بالدار والسانحات ايضا رياح لكنها لا تخص الصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريد ان السعى والنفس ابعداه عن المحبوبة وغلط فى قوت القلوب حيث اعرب وسعييكما نصبا بالياء على انه معمول باعدت عطفا على مزارك وقوله فما حسن ان يأتى الامر و بكت عينى اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقى الشعر واضح ويقال ان فى القصيدة طولا

ولما رأيت البشر اعرض دوننا * وجالت بنات الشوق تحنى نزعا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الإصغاء ليتا واخدعا
واذكر ايام الحمى ثم انثنى * على كبدى من خشية ان تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
اما وجلال الله لو تذكرينى * كذكراك ما كففت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لو انه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

ولما طالت عليه دعا له صاحبه العراقى بطبيب حاذق فلما تأمله قال انما يشكو العشق لا غيره وارى ان يلزم النزهة والفرح بنحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه فاخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور فبينما هو يوما على شاطئ نهر وقد جد به الكرب اذ سمع امرأة تنادى ابنتها يا ريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه الى بستان هنالك واضجعوه فلما افاق انشد

تعز بصبر لا وجدك لا ترى * سنان الحمى احدى الليالى الغوابر
كأن لسانى من تذكر الحمى * واهل الحمى يهفو به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضى ولما وصل خبره الى ريا داخلها من الوجد ما امسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكى حتى ماتت ومن لطيف شعره قوله

الا من لعين لا ترى قلل الحمى * ولا جبل الاوشال الا استهلت
الا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم اصبحت * براق الهوى من اهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها * صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الرعاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت

عبد الله وهو صبي واحسن ما شاء وما السر فى (٨٨) قلبي كنا و بخثرة * لأنى ارى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى اخفيه حتى كاننى
من الدهر يوما ما احطت به خبرا
(وقال آخر)
يا ذا الذى اودعنى سره
لا ترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى
كأنه مامر فى اذنى
(وقال بشار)
لاخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يعلم به احد
(وقال طلحة بن ابى بكر)
لا تظهرن محبة لحبيب
فترى بعينك منه كل عجيب
أظهرت يوما للحبيب مودتى
فأخذت من هجرانه بنصيب

(قيل) اسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال احفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضى الفاضل وامت الاسرار فى قلبك والحد موتاها فى جنبك فقبيح بك ان يرى لك سر الا عند ربك (ووصف اعرابى قوما) فقال سيوفهم آفات الاعمار وصدورهم قبور الاسرار وما احسن قول ابن عاقى من ابيات

وضاق على السجن حتى كاننى
حللت به للضيق فى صدر محنق
فيا ليتنى كالدمع فى جفن عاشق
فاخرج أو كالسر فى صدر احمق
(وقال العباس بن الاحنف)
باح دمعى فليس يكتم سرا
و وجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طى
فاستدلوا عليه بالعنوان

* (الباب الثامن فى مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه) * أقول هذا باب عقدناه لذكر مغالطة

اذا

اذا ذكرت نجدا وطيب ترابها * وبرد الحصى من ارض نجد ارنت

(ومنه) ارى الدهر بالتفريق والبين مولعا * وللجمع ما بين المحبين آبيا

فأف عليه من زمان كأنني * خلقت واياه نطيل التعاديا

(اخبار كعب وصاحبته ميلاء)

هو ابو خثعم كعب بن مالك او عبد الله او خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل وكان جوادا سخيا شجاعا مألوف الصورة (وميلاء) هي بنت لابي بن رباح اصغر اخواتها كانت اجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه اخت ميلاء وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديدا والفها طويلا وانه دخل عليها يوما فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فسرته حين نظر اليها فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة احسن منك فقالت نعم أختي ميلاء فقال ومن لي بان انظرها فاخبأته وارسلت اليها فحضرت فلما رآها وقعت من قلبه موقعا أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستعرضها وشكا اليها ما لقي من حبها فاعلمته انها اعظم من ذلك في حبه وشعرت اختها فتبعتهما فرأتهما ينشآ كيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فاخبرتهم بذلك وقالت اما أن تزوجوا كعبا من ميلاء او تغيبوها عني فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فكث بها اياما وان شاميا خرج يريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المحتوم ميلاء والى جانبها اختها فانشد الشامي متمثلا

أفي كل يوم انت من بارح الهوى * الى الشم من اعلام ميلاء ناظر

بعمشاء من طول البكاء كأنما * بها خاج نار طرفها متحادر

تمنى المنى حتى اذا ملت المنى * جرى واكف من دمها متبادر

كما ارفض سلك بعد ما ضمه * بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيزري في انه قاله بالشام واصل الحال غلط الشيزري في قوله الشم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامي لما انشد الشعر سألته ممن الرجل قال من الشام قالت اوتعرف صاحب الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب مع انه يحتمل ان تكون معرفتها من ذكر اسمها او يكون ماذكر صحيحا ولما اخبرها باسم الاعرابي أقسما عليه ان لا يبرح حتى ينظره اخوتها فانهم يكرمونه ثم سألاه هل تروي له غير ذلك قال نعم وانشد

خليلي قد رضت الامور وقستها * بنفسي وبالفتيان كل مكان

ولم اخف يوما للرفيق ولم اجد * خليا ولا اذا البث يستويان

من الناس انسانان ديني عليهما * مليان لولا الناس قد قضياني

منوعان ظلامان ما ينصفانني * بدلهما والحسن قد خلباني

يطيلان حتى يعلم الناس انني * قضيت ولا والله ما قضياني

خليلي اما أم عمرو فمنهما * واما عن الاخرى فلا تسلاني

بلينا بهجران ولم ير مثلنا * من الناس انسانان يهتجران

اشد مصافاة وأبعد عن قلى * وأعصى لواش حين يكتنفاني

يبين طرفانا الذي في نفوسنا * اذا استعجمت بالمنطق الشفتان

وأبلغها خطابه وأكثرها اصابه وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده ويحسن عند أهل الانشاء انشاده ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال ويجاري برقة الفاظه الجريال فمن ذلك وهو من أحسن ما سمعته في مغالطة الحبيب

قم بنا يا نور عيني * نجعل الشك يقينا

قال لي كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

(ومثله قول الآخر)

ما انس لا انس قولها لي

ويحك ان الوشاة قد علموا

ونم واش بنا فقلت لها

هل لك بالهند في الذي زعموا

قالت لماذا ترى فقلت لها

كي لا يضيع الظنون والتهم

(وقال العباس بن الاحنف)

كان لم يكن بيني وبينكم هوى

ولم يك موصولا بحبلكم حبلي

واني لاستحيي لكم من محدث

يحدث عنكم بالملالة والمطل

(وقال آخر)

نسبت الى ذنب ولم آت مذنبا

وحملتني في الحب ما لا أطيقه

وما طلبي للوصل حرصا على البقا

ولكنه أجراليك أسوقه

(قلت) ما ارضى بروح هواه بسوله حتى يسوق اليه الاجر ايضا (ومما قلته أنا في هذا المعنى)

لم أطلب الوصل من أجلي فديتك با

من زاد خطي سوادا منه شامات

لكن خشيت بأن تبلى بعشق رشا

يقتص لي منك والدنيا مكافات

(وقال آخر)

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا

وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري انه صدقا

(وقال آخر)

فوالله ما ادرى ا كل ذوى هوى * على شكلنا أم نحن مبتليان

فلا تعجبا مما بى اليوم من هوى * ففى كل يوم مثل ماتريان

خليلى عن اى الذى كان بيننا * من الوصل اوماضى الهوى تسلانى

وكنا كريمى معشر حم بيننا * هوى فحفظناه بحسن صيان

تذود النفوس الحائمات عن الهوى * وهن باعناق اليه ثوانى

تسلام بأم العمر يشفى فقد بدا * به السقم لا يخفى وطول هوان

فما زادنا بعد المدى نقص حده * ولا رجعنا عن علمنا بيان

خليلى لا والله مالى بالذى * تريدان من هجر الصديق يدان

ولا لى بالهجر اعتلاق اذا بدا * كما أنتما بالبين معتلقان

ولا لاهيا يوما الى الليل كله * ببيض لطيفات الخصور روانى

يمنيننا حتى يرعن قلوبنا * ويخلطن مطلا ظاهرا بليان

اعينى يا عينى حتام أنتما * بهجران أم العمر تختلجان

فما أنتما الا على طليعة * على قرب اعدائى كما تريانى

فلو ان أم العمر اضحت مقيمة * بمصر ودونى الشحر شحر عمان

اذن لرجوت الله يجمع بيننا * وانا على ما كان ملتقيان

من البيض نجلاء العيون كلاهما * مقيم وعيشى ضارب بجران

أفى كل يوم انت رام بلادها * بعينين انساناهما غرقان

اذا ذرفت عيناى قالت صحابتى * لقد ولعت عيناك بالهملان

ألا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر الروحاء ثم ذرانى

هذا ما نقله الجل وأخرج هنا من الاغانى ان من قوله ولا لاهيا يوما الى آخر القصيدة لم ينشده الشامى قلت وقوله ففى كل يوم انت رام وقوله ألا فاحملانى البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام ثم نزل وجاء اخوتها فاكرموه ودلوه على الطريق بعد ان استخبروا منه عن كعب وموضعه ثم توجهوا فى طلبه وضعفت ميلاء على ما رواه فى نهاية الادب بصداع اصابها فلما احضر وابكعب نزل ناحية وصادف وقت فواتها فرأى الناس عند البيت مجتمعين فاحس قلبه بالشر فقال لصبى بازاء البيت الذى هو فيه من ابوك قال كعب وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال على خالتى ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت وحرك فوجد ميتا فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

(القسم الثانى فيمن جهل اسمه او اسم محبوبته او شئ من سيرته او ما ^ل حقيقته)

ختمناه بصنف لطيف القوانين فى ذكر عقلاء المجانين ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما نقصوا اشياء ما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب اقلة فصه والا فهم مشهورون كثير الخلاف من يأتى بعد وستقف على كثير منهم كامل النسب والاسباب اذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوى الشهرة ولم أتبعه فى التنويع بأن اقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع ووضع وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم اهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون

ياسيدى عندك لى مظلمه * فاستفت فيها ابن أبى خيثمة * فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى
نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله
فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهر لنا هاجر
أما تخاف الله فينا فمه

(وقال جميل)

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا
سوى ان يقولوا انى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق

(قلت) هكذا رأيته فى غالب ما وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت من أفواه أهل الادب أعنى ان قافية البيت الاول عاشق والصحيح انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق أى محب لغير ريبة (وقال ابن رواحة الحموى)

ان كان يحلو لديك قتلى
فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى
وبينك الله فى الحساب

(حكى) أن بعضهم أنشد شابا كان يحبه
ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد
وأقول للرحمن هذا قاتلى
فقال له الشاب اقول هذا أراد أن ينيكنى فما مكنته (وقال ابن سنا الملك) من رسالة وأنا والله فى امرك مغلوب والسبب انى أنا المحب وأنت المحبوب ولا أتجالد عليك فأغرك وأخون حبك ولا أتصنع عليك فأغشك وأغم قلبك اعمل ما شئت فانا الصابر وافعل كيف شئت فانا الشاكر وقل فلى سمع يعشق قولك والتفت ترى آمالى ترفرف حولك فافعل فانت المعذور واستطل فما أنا المضرور بل المسرور وارجع الى الود

(فنهم سامة بن لؤي بن غالب القرشي مشهور)

قال في النزهة نحر يوما للضيوف مائة من الابل فاكلوا قليلا وبقي الغالب فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو ابقيت عليها الحاجة كان اولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على أزدي فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا ان يعرف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فاخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه فغمزته فاراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الخميلة الى عرفجة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة فمات لوقته وبلغ الازدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفات الاقدار لم أوردها اذ لا مناسبة لها بهذا المعيار

(ومنهم عمرو بن عوف وبيا)

هوى جارية اسمها بيا فشغف بها طويلا فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو ومعها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فاشار عليه أصدقاؤه ان يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله ان يجمعه عليها او يصرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم اذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهما الفة فاخبره بالحال وغياب المرأة فاعلمه بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها وتمضي انت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته وذهب فاعلم بيا فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما القيا من الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من الضجر فاظهر لها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثار عليه بالسيف فقال من ينجيني منك يا عمرو وانا لم اهرب هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وانما غلب على حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس عليك فاقاما جميعا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد وحكي انها عمرت بعده فسئلت على اي شيء مات عمرو وجدا بك مع انه لا حسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروى الشعر واحسن الادب

(ومنهم بشير الشهير بالاشتر وجيداء)

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها اهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء الى صديق له يقال له نمير فقال له هل عندك صنيع تمن به على عسى ان تعود روحي الي قال أشر بما شئت فاني فاعل قال تمضي الى حي جيداء فاذا صادفت جاريتها فاخبرها بحالي فعسى ان تأخذ لي موعدا قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فاخبرتها فمضت الى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هناك فلما كان الليل اقبلت فقام اليها بشير وهممت بالانصراف عنهما فقال والله ما بيننا أكثر مما ترى فكانت فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير ان تزهق ثم سألها الاقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل الى ذلك الا ان يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم فرمت بثيابها الي وقالت اذهب الى

الذي بيننا فكل ذنب لك مغفور (وقال أيضا) وأنا أستعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك ويملح عذلك ويصرف قلبك
ويحيلك ثاني عطفك بغيرك على الفلك
لست على هجرك جلد القوى ولا على
عتبك شاكي السلاح (وقال ابن
السوادي) الشاعر المشهور
أشكو اليك ومن صدودك اشتكي
واظن من شغفي بأنك منصفي
وأصد عنك مخافة من أن يرى
منك الصدود فيشتفي من يشتفي
(وحكى) القاضي أبو عمر محمد بن يوسف
الازدي قال كنت أساير أبا بكر محمد بن
داود الاصفهاني ببغداد واذا بجارية
تغني من شعره
أشكو اليك فؤادا أنت متلفه
شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته
وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها
وأنت يا قاتلي ظلما تحلله
فقال محمد بن داود كيف السبيل الى
استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به
الركبان (وقال أبو عبد الله)
قلبي عليك أرق من خديكا
وقواي أوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه
ظلما ويعطفه هواه عليكا
(وقال أبو العلاء المعري)
لغيري زكاة من جمال فان تكن
زكاة جمال فاذكري ابن سبيل
(وقال ابن سنا الملك)
وغانية لم تعد عشرين حجة
أقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا
فعمرك في العشرين وهي نصاب
(وقال ناصر الدين النقيب)
لقد وجبت عليك زكاة حسن
وفيه كمثل ما في المال حق
فلا تعدل به عني فاني * لمصرفه الفقير المستحق
(وقال القاضي) شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

خدري كانك انا فيجيء زوجي ويطلب القدح للحلاب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ادم به اليه فاني أفعل ذلك فاذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فانه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة قال بشير ففعلت ذلك فبرانى بعد ان طال وقوفه باللبن وأراد وضعه واردت أخذه تخالفنا فكب القدح فقال هذا طماح ثم عمد الى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني نفسي وهممت ان أوجره بالسكين فخاصوني ووردوا على الستر وجاءت أمها تعنفني وتوصيني بأن لا اخالف زوجي ظنا انني ابنتها وتقول مالك وللاشتر ثم قامت عني على ان ترسل الى ابنتها الاخرى تؤنسني فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني واضطجعت الى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت ان أختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وانت أولى بالستر على اختك فارتعدت ساعة ثم انست فبت معها في طيب ليلة من اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح واقبلت أختها فانكرت من معي فقلت هي اختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فاعلمته بالخبر فلما رأى تأثير السوط في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير الا دون شهر وجاءه شخص فقصد مساحنته فقال وهو يتناول عنبا اتفكه وجيداه قد قضت الساعة فلم يسمع منه الا شهقة وحرك فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هنالك فماتت

(ومنهم مسعدة بن واثلة الصارمي)

قال في تسريح النواظر وكان غلاما حسن الوجه سخي الكف شجاعا وان أباه توفي فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضبا حتى نزل على بني باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك في ان تكفيني كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت مل ء هذه السقاية ورمت بها اليه فلما ملأتها وهمت ان تتناولها شمرت عن زندين كأنما جنيت عظامها بالبلور الصافي ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كأنما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي قال ثم مضى متغير الحال فشكا الى صديق له ما جرى له وسأله عن اسم الجارية فقال هي رملة بنت اثيلة بن مصقع واعلمه بمكانها فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها قال الشيزري فداخلها من العشق ما داخله فلما علم اهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفا فرأى حمامات على اراكة ينحن فهاجت بلابله فانشد

دعت فوق أغصان من الايك موهنا * مطوقة ورقاء في أثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت * وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

ثم أدركه الليل قريبا من حي خشي ان يكونوا من قومها فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم أخذته سنة فاذا هو بقائل ينشد

ولا شئ بعد اليوم الا تعلة * من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلا يقول

لن يلبث القرناء ان يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

خلع العذار وبح فيك مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي
قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

(وقال آخر)

حججي عليك اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع أقول انت ظلمتني
الله يعلم أنني مظلوم

(وقال المكرم)

الناس قد أثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم
بان نحقق ما فينا يقولونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

(وقال المتنبي)

زودينا من حسن وجهك ما دا
م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا بوصلك الآن في الدنـ
ـيا فان المقام فيها قليل

(أقول) هذا البيت الاخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه وأما الاول ففيه تنفير فليته أراح واستراح وترك التهكم بالوجوه الملاح على ان التلعفري اقتدى به في التهكم باحبابه (فقال دوبيت)

ياتارك ربع الصبر مني مهدوم
ما أن يرى لغائب الوصل قدوم
خف ربك في العشاق وارفق بهم
ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

(الباب التاسع في الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب وشكوى الجوى في الجواب وهو باب مطروق نافق السوق طالما عرض فيه المحب على الرسول سلامة التحول لاسيما من عيل صبره واشتهر أمره فأصبح وهو في البيت طريح

لم يبق يوما عاشقان بحالة * الا وقد جاءتهم الاغيار
كل وان طال المدى متصرم * حكم الاله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرا وسار فلما برق الفجر اذا هو براع ينشد

كفى بالليالي مخلقات لجدة * وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد ضاجعت رملة الثرى فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة وحمل الى بيته فانشد

يا راعي الضأن قد ألقيت لي كمدا * يبقى ويقلقني يا راعي الضان
نعيت نفسي الى روحي فكيف اذا * أبقى ونفسي في أثناء كفاني
لو كنت تعلم ما اسررت في كبدي * بكيت مما تراه اليوم أبكاني

فلم يزل يردده حتى مات * (ومنهم ذرعة بن خالد العذري) *

كان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخي الكف راوية عارفا بأيام العرب واشعارها خرج يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفرت غشط شعرها على جانب الغدير وقد اسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر في تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما افاق وابصرها قال وهل مقتول يداوي به قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا نصيد فاصطدنا ثم انشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتني سريعا حبائله
فلما رماني بالنبال مسارعا * رقاني وهل ميت يداوي به قاتله
ألا في سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياما وان امه اقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الا ما اخبرها بحاله فاظهرها على الامر فعرفت الجارية فاذا هي ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذري فمضت اليها واعلمتها القصة وقبلت رجليها على ان تزور بيتهم فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضا الى ان فطن اهلها فالوا على قتله وبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الايام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعوني فاني أرجو ان اظفر أو اموت فصحبه غلام قال ابو شراعة فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فانشدها وارفع صوتك ولك احد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فانشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * به ما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا الاجل اليأس عودي لعل ما * تشكاه من آلام وجدك يمسح
وليس دواء الداء الا بحيلة * اضر بنا فيها غرام مبرح
اذا ما سألناها نوالا تنيله * فصم الصفا منها بذلك أسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته بالابيات ينشدها فسمعت من بعض

واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح كما قيل فيانسيم الصبا أنت الرسول له * والله يعلم اني منك غيران
بلغ سلامي الى من لا أكلمه
اني على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي
فذاك مني تمويه وبهتان
وكيف أغضب لا والله لا غضب
اني لما رام من قتلي لفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة
وكل يوم لنا في العتب ألوان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم
كأنما أنا في عصري سليمان
فهو من الهوى على خطر ومن اقامة الهجر على سفر لا يقر له قرار ولا يصطلي لوجنة محبوبه بنار لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل ويقول لاستنشاق اليسير منه قليلك لا يقال له قليل (ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب) قول الواوا الدمشقي
بالله ربكما عوجا على سكني
وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما
ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة
ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب
فغالطاه وقولا ليس نعرفه
(أخذه) من قول عمر بن أبي ربيعة من أبيات يصف بها قوادة
فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها
وتراخي عند سورات الغضب
قيل ان ابن أبي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر امرهم مثل قوادتك هذه (ومثل قول الواوا قول الآخر)
ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتي
سليمى وعرض بي كأنك مازح
وان أعرضت عني فوه مغالطا * بغيري وقل ناحت عليه النوائح
(وقول الآخر وبيت)
باللطف اذا لقيت من أهواه

الابيات قائلا يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقى اليه اطير
لئن كثرت بالقلب اتراح لوعة * فان الوشاة الحاضرين كثير
فيمشون يستشرون غيظا وشرة * ومامنهم الأب وغيور
فان لم أزر بالجسم رهبة مصدر * فللقلب آت نحو كم فيزور

وفى النزهة * فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * وهو أحسن ثم رجع الصبى فانشد ابياتها فغشى عليه ساعة ثم افاق وهو ينشد

اظن هوى الخود الغريرة قاتلى * فياليت شعرى ما بنو العم صنع
أراهم وللرحمن درصنيعهم * تراكى دمى هدرا وخاب المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه أياما الى ان زفت طريفة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم أغمى عليه فحرك فاذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء اياما ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعتها حتى انتهت الى نهر فالقت بنفسها فيه فاخرجها وليس بها حراك ثم احتملها الى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت امها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فاشارت ان تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفى روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج الا ميتة

(ومنهم شخص)

قال التوزى مسندا عن بعضهم انه رآه وقد تهيأ الى الحج فلما دخل بغداد رآه وقد اقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به الى القصر وجوار تتناوله بأيديها فقال له ويحك ألم ترد الحج فانشد

ولما رأيت الحج قد آن وقته * وابصرت بزك العيس بالركب يعسف
رحلت مع العشاق فى طلب الهوى * وعرفت من حيث المحبون عرفوا
وقد زعموا ان الجمار فريضة * وتارك مفروض الجمار يعنف
فهيأت تفاحا ثلاثا واربعا * فزعفر لى بعض وبعض مغلف
وجئت حيال القصر ثم رميته * فظلت له ايدى الملاح تلقف
وانى لأرجو ان تقبل حجتى * وماضمنى للحج سعى وموقف

(ومنهم رجل من بنى كندة) فعده من بنى عذرة أورده مجهولا وكذا ابن ابى الاصبع فى الطبقات فى ترجمة الحرث بن كلدة وفى النزهة قال لانعلم اسمه وحكايته مشهورة وهى ان أخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما ان دخل وزوجة اخيه سافرة فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان مالقيه من رؤيتها معصميها اضعاف مالقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب فى قلبه فاقام أياما يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء اخوه فابصره وقد ذوت أعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرافا ولا طبيبا حتى دعا له فلم ينجع شيأ فوصف له الحرث بن كلدة وكان أحذق اهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه ان يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرح بريا زوجة اخيه فقال أخوه اشهدكم انها طالق ثلاثا لانى أعتاض عنها ولا اعتاض عن اخى فبشروه فقال هى على كامى ان تزوجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولم يدر أين مات

هبت لنا ريح شمالية
متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابى

(وكان) الصاحب بن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا فى كتابى سلوك السنن فى وصف السكن وذكرت فيه أشياء تليق بهذا الباب منها قول أمين الدين ابن عطايا

أنا أهوى غصن النقا وهو لاه
وفؤادى بحبه فى التيه
يانسيم الصبا ترفق عليه
وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا
ك أمينا فى حملها أرتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيما
نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وقال ابن الخياط الدمشقى)

يانسيم الصبا الولوع بوجدى
حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله
متى عهده باطلال نجد

(وقال مهيار الديلمى)

حملوا ريح الصبا نشركم
قبل أن تحمل شيحا وخزامى
وابعثوا لى فى الدجى طيفكم
ان أذنتم لجفونى أن تناما

(حكى) ان نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم أبو الحسين الجزار فمروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة وقد ذهب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال أبو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى هذا شيأ فقال فما لبث أن قال نور الدين المذكور

الريح اقود ما يكون لانها * تبدى خفايا الردف والاعكان ويميل بالاغصان عند هبوبها وان

وان أخاه حين فقده مات أسفا ولما سقوه الخمر غنى ابياتا حذفتها هنا وفى مختصر الطبقات استخافتهما فاختلف فى أيهما اكرم * ونظير ذلك فى السماحة ماوقع للحكم بن المطلب المخزومى فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم واراد الدخول بها فلبس أفخر ثيابه ومضى ليعلم اباه وكان ابوه يحب اخاه عتبة أكثر منه فاقسم عليه ان يهب الجارية لاخيه ففعل فابى اخوه فاعتقها حتى قيل انه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل ان رجلا حجازيا لزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسرى بهدايا فصادف الحكم وكان جابيا حينئذ فلما وقف على قصته وهب له اربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك الشاق

(ومنهم غلام)

قال فى النزهة هذلى واسمه راشد بن صفوان الهذلى قال الجلال السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوى وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتى اليه كل صبيحة فيحدله و يذهب الى الصيد فجاء يوما فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره وانشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه الخبر فاسلم فقال له ما اسمك قال غاوى قال وكلبك قال راشد قال لا انت راشد وكلبك غاوى ثم ذهب وكان يغدو على بنى عامر لالفة بينه و بين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من اجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد ان يأتى على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله فكان يسيح غاديا فصادف صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه و يبكى ثم انشد

وذكرنى من لا أبوح بذكره * محاجر ظبى فى حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجرى بحرقة * ولحظى الى عينيه لحظة شاخص
ألا أيهذا القانص الظبى حله * وان كنت تأباه فعشر قلائص
خف الله لا تحبسه ان شبيهه * حبيبى فقد أرعدت فيه فرائصى

فقال له الصياد دونك فخله فتقدم اليه وقبله وأطلقه واتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتنى غدا فى موضع كذا واقبل يسوق عشرا من الابل فابى الصياد قبولها فاقسم عليه الا ما أخذها فقبلها وانصرف

(ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكنانى المشهور بابن الحدادية)

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون فى المنزل لان بينهم نسبا لم ترم فيه العصا فكان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوما فى ملعب وزينة ففخر على اكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع اتراب لها على متنزه فنزل وتحادثت معه ساعة فاقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما أكان وقن ترك الفاضل منها على الارض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائى

اذا لم يكن للطير فى زاد عزوة * نصيب فليسوا فى الورى بكرام

وفى النزهة اذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانتشأ الود بينهما ولم يزالا على ذلك برهة الى ان أجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الايام نظرت

حتى تقبل اوجه الغدران ولذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان وقال أبو الحسين الجزار

مابقى احد منا يأتى بمثل هذا فسير وابنا

(وقال على الصفار)

اذا هب النسيم بطيب نشر
طربت وقلت ايه يارسول
سوى انى أغار لان فيه
شذاك وأنه مثلى عليل

(وكان القاضى محيى الدين) بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من أشواقهم
جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم ياليتنى
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) أنا كانى حاضر اخاطبه مضمنا

ان كنت فى عشق النسيم متيما
وزعمت ان هواه ليس بتالف
فانا أقول لمن تحرش بالهوى
عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضى محيى الدين أيضا فى محبوبه النسيم

يامن غدا لى من عوا
صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لى الهوى
و يقال قد رق النسيم

(وقلت أنا كانى حاضر اخاطبه)

بالله ان رق النسيم واخمدت
نار توججها يد التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ودع العذول وقوله فى الريح

(وقال القاضى محيى الدين أيضا)

شكرا النسمة أرضكم
كم بلغت عنى تحيه
ولكم أطالت بل أطا
بت فى رسائلها الذكيه
لاغروان حفظت أحا
ديث الهوى فهى الذكيه

(اخذه) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى من اهل العصر فقال ياطيب نشر هب لى من ارضكم * فأثار كامن لوعتى وتمسكى

كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا ان الغيث عمها فارتحلوا الى ان نزلوا بها فنظر قيس فى مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وانشد

اذا ما نأت نعمى فهل انت جازع * قد اقتربت لو ان ذلك نافع
قد اقتربت لو ان فى قرب دارها * نوالا ولكن كل ماصين مانع
فان تلق لى نعمى هديت فحيها * وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظنى بها حفظ الغيب ورعية * لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد يلتقى بعد الشتات اولو النوى * و يسترجع الحى السحاب اللوامع
وماذات جيد نازعت حبل حابل * لتنجو ثم استسلمت وهى طائع
باحسن منها ذات يوم لقيتها * لما ناظر نحوى كذى البيت خاشع
كان فؤادى بين شقين من عصا * حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يانعم خلى محلنا * فان الهوى والشمل يانعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة * بأهلى بين لى متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدرى مسافر * اذا أضمرته الارض ماالله صانع
وانى لعهد الود راع واننى * لوصلك مالم يطونى الموت طامع

ثم لم يزل متعللا بالامانى يعتوره الخبال أياما الى ان بلغه ان خزاعة بجبل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند دؤيتها سقط ميتا وقال فى النزهة أقام عندهم الى ان أغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ

(ومنهم توبة بن حمير بن أسيد الخفاجى)

وكان شجاعا مبرزا فى قومه سخيا فصيحا مشهورا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ماذكر فى النزهة فخذ من قحطان وكانت تنزل ببنى الاخيل كعب بن معاوية ويغزون معهم ويتحدثون فى المسرح وكان رئيس بنى الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع فى العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وأيامها وأشعارها فغزوا يوما فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحادث معها الى ان اخذت قلبه وأطارت لبه فشكا لها يوما مانزل به منها فاعلمته ان بها منه اضعاف ذلك فاقاما على التزاور الى ان جيها زوجها فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع فكان يذهب بعقله احيانا فاشاروا عليه بتعاطى الاسفار والخوض فى المحادثات فعزم على الشام فمر بجميل فانزله واحسن خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا فى موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفؤا فقال له توبة كانك تحسب ذلك منك ولم تدر انه بريح هذه الجالسة واشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتصارعا فيه فصرعه توبة ثم مضى فى طريقه فمر باشجار فى وادى الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فانشد

نأتك بليلى دارها لاتزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نيل المرامى جفيرها
يقول رجال لايضرك نأيها * بلى كل ماشق النفوس يضيرها
أليس يضر العين ان تكثر البكى * و يمنع منها نومها وسرورها

اهدى تحيتكم واشبه لطفكم * وذوى شذاكم أن ذا ريح ذكى فقلت أنا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضى محيى الدين المتقدم عليه

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته
تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه
جهلا فراح كلامه فى الريح

وقد ذكرت فى النسيم اشياء مليحة فى كتابى سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب أن يكون الرسول من اهل الصيانة وممن يرجع الى ديانة لئلا يطمع فيصير خليلا بعد ان كان رسولا كما اتفق لرسول ابن سناء الملك الذى قال فيه

راح رسولا وجاءنى عاشق
وعاقه عن رسالتى عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى
أخرسه والهوى به ناطق

(وقال الآخر)

راح الرسول اليه وهو مفند
رجع الرسول اليه وهو متيم

ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن امانة وفى مثله تعذر الخيانة (وقال المتنبى)

مالنا كلنا جو يارسول
انا اهوى وقلبك المتبول
وكلما عاد من بعثت اليها
غارمنى وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الامانات عينا
ها وخانت قلوبهن العقول

أى عيناها بسحرها أفسدت امانة الرسول فى الرسالة وخانت العقول قلوبها اى فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجانى

قسما لقد رجع النسيم عليلا
لما سرى منى اليك رسولا
وذرى بحبك انه قد خاننى
فغدا [illegible] من الحياء ذبولا

ومن احسن ماسمعته فى الرسائل والتلطف فى الوسائل ما حكى عن الملك العزيز

لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان حولا كل يوم نزورها
خليلي روحا راشدين فقد ابت * ضريته من دون الحبيب ونيرها
يقر بعيني أن ارى العيس تعتلي * بنا نحو ليلى وهي تجرى صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها * وسامح من بعد المرام عسيرها
واشرف بالارض اليفاع لعلني * ارى نار ليلى او يراني بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى أن لا تفيدك صحبتي * لهيبة اعداء تلظى صدورها
فمدت لي الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كاد ارتفاقي يضيرها
فلما دخلت الخدر اطت نسوعه * واطراف عيدان شديد سيورها
فارخت لنضاح الذفارى منصة * وذي سيرة قد كان قدما يسيرها
واني ليشفيني من الشوق ان ارى * على الشرف النائي المخوف أزورها
وان اترك العيش الحسير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها
ابيني لنا لا زال ريشك ناعما * ولا زلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتي وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشي تديرها
ألا يا صفي النفس كيف بقولها * لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تخبر ان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى او يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبا * واني بياض الوجه حر جرورها
وغيرني ان كنت لما تغيرت * هواجر لا أكتنها واسيرها
اذا كان يوم ذو سموم أسيره * وتقصى من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى باني فاجر * لنفسي تقاها او عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء نائ نصيرها
فان لا تناهوا اركب اللهو نحوها * وخفت برجل او جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى في مريرة * معذب ليلى ان رآني أزورها
وادماء من حر الهجان كأنها * مهاة صوار غير ما مس كورها
من الناعبات المشي نعبا كأنما * يناط بجذع من أراك جريرها
من العركنانيات حرف كأنما * مريرة ليف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة أرض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقسورة الليل التى بين نصفه * وبين العشا قد رب منها اسيرها
ابت كثرة الاعداء ان يتجنبوا * كلابي حتى يستثار عقورها
وما يشتكى جهلي ولكن عزتي * تراها باعدائي ليشاطر ورها

ابن السلطان صلاح الدين انه كان في أيام ابيه أحب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه أن يجتمع بها ومضى على ذلك مدة أيام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاءه القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

أهدت لك العنبر في وسطه
زر من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره
زر هكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين المغربي من رسالة النيرين وهي من المحب الكئيب الى حبيب الحبيب افتتحها بقوله يقبل الارض وينهي بين يدي المالك الرحيم سلطان الملاح وليث الكفاح منها

ذهب النيل وعادا * وغرامي يتمادى
كلما قلت غدا يـ
ـقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبي * نال في الحب المرادا
وأنا المسكين وحدي
نلت في الحب العنادا

(قال الراوي) ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدي بلت في صحن القطائف وحملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركته يخفض ويصفق ويغني تلالاه تلالاه * ياعو ينات الغزالة رحم الله من قتلني واي فخر في قتل مثلي وهل أنا الا شويعر مخارف مسخرة قد جعل رسائله وسائله وقصائده مصايده يستحلب ضرع الضراعه ويميط قناع القناعه ان جاع أكل من تقطيع الاعاريض وان عطش شرب من بحور القريض في زمان لا فرق فيه عند اهله بين القادح والمادح والصالح والنابح (قد ذقت منه ما ليس يقلعه

أبو الحسين القلاع من ضرسي)

بل اي شيء احسن من خشفين مترفين اليفين يتراضعان ثدي المحبة و يتراشفان كأس المحبة و يقتطفان ثمر الوصال و يتسالمان أنواع الدلال و يتواصفان لواعج

أخـــترمى ريب المنون ولم ازر * جواري من همدان بيضا نحورها
تنوء باعجاز ثقال واســـوق * جدال وأقدام لطاف خصورها
أظن بها خـــيرا واعـلم انهـا * ســتنفك يوما او يفك اسـيرها
ارى اليوم يأتى دون ليلى كانما * اتت حجة من دونها وشـهورها
عـلى دماء البـدن ان كان بعلها * يرى لى ذنبا غـــير انى ازورها
وانى اذا ما زرتها قلت يا اسـلمى * ويا أبى قول اسلمى ما يضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة انشـدها كلها حين سمع سجع الحمائم وقيل انشـدها متقطعة بحسب الوقائع وانما جمعتها الشعراء وها انا اورد ذكر غريبها وما وقع لبعض ابياتها من الحـكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت غضـبا شـديدا ثم امسكت عن كلامه برهـة فتوسـل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسـقى نفسه السم ان لم تـكلمه فعمت ثلاثة من اهلها بحيث يخفون عليـه واستحضرته فلما آنسـته قالت اى خدر دخلت معى حتى تقول ما تقول فقال هـذا استرسال الشـعراء ثم ذكر لها امثال ذلك وتنصل ففرحت بسماع اهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامة بطن الواديين ترنمى هو اول بيت تفوه به من القصـيدة الى قوله وكنت اذا ما زرت ليـلى ثم ضم البـاقى وأما قوله وكنت اذا ما زرت ليلى فالحقـه بعدا كمالها وسبب انشاده انه كان يزورها على خيفـة وخفية فلما اشتد التحريج عليها جعلت بينها و بينه أمارة فقالت اذا مررت فوجدتنى مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئـذ فلما قوى حرصهم وتوعدهم لها واجمعوا ان يفتكوا به اذا رآها خرجت يوم ميعاد سـافرة على كثيب بحيث يراها على البعـد فلما اقبل ورآها سافرة مضى فى طريقه متنكبا وهو يقول وكنت اذا ما زرت ليلى الابيات ثم دخل الشام فاقام بها يسيرا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب فكان يخرج الى الربوة ليسلى نفسه فلم يكن له دأب الا البكاء فاقام اياما لا يأذن له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد البادية فرحـين قابل حيها بصغير يلعب فقـال له هل انت عارف بليلى قال نعم قال امض اليها وانشد

* وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * وعد الى فسأحسن منقلبك فمضى الغلام فأنشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحى فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعـة فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دينارين واقبل فجدد زيارتها ثم قال لها امكنينى من تقبيـل يدك وفى الروض النضير انه سألها قبلة فانشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى ان نخونه * وانت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فخاف انه لم يردسوا وان نفسـه قد حدثته بان يجر بها فاستشاطت شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين فخرج فقتـل فى الوقعة ولما وقع وبه رمق ادركه ابن عمـه فقال له هل لك حاجة قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات وانشد

الا هل فؤادى من صبا اليوم طائح * وهـل ما وأت ليـــلى به لك ناجح
وهل فى غـدان كان فى اليوم عـلة * سراح لما تلوى النفوس الشحائح
ولو ان ليـلى الاخيليـة سـلمت * على ودونى جنـدل وصـــفائح

الغرام ويتباسطان مباسـطة الحمام ولا يحضرهما غير مزاح ومراح ولا يلثمهما غير كاس راح اثنان كالفرد من طول اعتناقهما

باتا بليل حميد غير مذموم

يســفران عن نيرين ويتبسمان عن درين ويتسارقان النظر بلواحظ جؤذرين كأنهـما اقتسما فنـون الحســن والاحسان بكفة الميزان ان تثاقلا بعتاب أو تراسلا بكتاب فــدر منثور وسحر غير محظور وان تسابقا فى ميدان الهـوى أو تراشقا بسـهام الجوى قالوا نرموتور والساحر مسحـور وهى رسالة لطيفة ظريفة كلها من هـــذا النوع اقتصرت منها على هذا القـدر خوف الاطالة وقـد ذكرتها بكمالها فى الجـزء الثانى من حاطب ليـل وقلت أنا مما كتبته الى بعض الاصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها
بهـا أعين ترنو اليكم وترمق
ولى قلم أمسى لرطب لسانه
سلام مشوق قد براه التشوق

* (الباب العاشر فى الاحتيال على طيف الخيـال وغـيرذلك مما قيل فيه عـلى اختلاف معانيه) *

أقول هـــذا باب عقـدناه لذكر طيف الخيال الزائر وما قيل فى سيره من المثل السائر اذ للشـعراء فى اقتناصه تحيـل وحسـن تخيل طالما أكثروا من ذكره واستخرجوه من وكره فقربوا عليه بعد المسافه ولم يعافوا الحاق زجره بالعيافه ومن المشهورين فيه بالاجاده أبو عباده وغيره كابن النقيب المتحيل على اصطياد خيال الحبيب حيث قال واحسـن فى المقـال

نصبت جفونى للخيال حبائلا
لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا غمضتهن اصيد
ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى التورية ومولع بفخاخ * يمدها وشباك قالت لى العين ماذا * اسامت

اسامت تسليم البشاشة اوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو ان ليلى في السماء لاصعدت * بطرفي الى ليلى العيون الكواشح
ولو ارسلت وحيا الى عرفته * مع الريح في موارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا اناله * ألا كل ما قرت به العين صالح
سقتني بشرب المستضاف فصردت * كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها * وقام على قبري النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها * وجاد لها جار من الدمع سافح
وفتيان صدق قد وصلت جناحهم * على ظهر مغبر التنوفة نازح
بمائرة الضبعين معقورة النسا * امين القرى مجفرة غير جانح
وماذ كرني ليلى على نأي دارها * بنجران الا الترهات الصحاصح

قوله ولو ان ليلى البيتين قد سبق الكلام عليها في قصة المجنون وزقا بالزاي وقوله وهل تبكين ليلى يعني وهل هي باكية اذا امت فليلى في البيت فاعل حذر امما توهم هنا وفي النزهة وماذ كر تنبيه على بعد دارها وقيل ان هذه القصيدة انشدها حين خرج قبل ورود الوقعة وانما انشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة * من الدهر لا يسري الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء انشده الابيات او هذا البيت فاجابته

وعنه عفا ربي واحسن حاله * فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذابا فقال لها أليس يقول ولو ان ليلى الاخيلية البيتين سلمي عليه فانظر فامتنعت فاقسم عليها أن تفعل فلما اسلمت خرج من طاقة القبر بومة فاجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه وقيل طير كانت العرب تزعم انه يقيم في هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هي التي قصدت ذلك وهذه القصة رواها في النزهة عن متفرقين ووثقها واما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها وانها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الابل برعاتها وذلك فيما اخرجه المدائني عن مولى عنبسة قال كنت مع استاذي عند الحجاج اذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال أدخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه الى الارض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ما جاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والارض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مختل والهالك للقل والناس مستنتون رحمة من الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة ولا نافطة أذهبت الاموال وفرقت الرجال واهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها سامع تجبره فقولها اخلاف النجوم تريد به الانواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الامطار فكأنها تعد بذلك فاذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب

عبد الله السروجي وأحسن ما شاء
أنعم بوصلك لي فهذا وقته
يكفي من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمري في هواك وليتني
أعطى وصولا بالذي أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبري فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس
بالصبر مني في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم
عبدي وملك يدي وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدري بذا وأنا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني
من فرحتي بلقاه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة
لو كان يمكنني الرقاد لحقته

(وقال أبو تمام)

زار الخيال لها لا بل أزاره
فكرا اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له
من آخر الليل أشراكا من الحلم

(وقال ايضا)

بالها لذة تنوهت الار
واح فيها سرا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب
غير انا في دعوة الاحلام

(وقال البحتري) وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحتري (ومن ذلك قوله)

اذا ما الكرى أهدى الى خيالها
شفى قربه التبريح اوتقع الصدى * اذا انتزعته من يدي انتباهة * ظفت حبيبا راح مني اوغدا * فلم أر مثلينا ولا مثل شأننا

وهو المطر وفيه عطف الاخص على الاعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصة من تاسع كانون أعني كيهك الى ثامن عشر شباط اعني أمشير والفجاج هنا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها او البرك الابل وعقلها كناية عن عدم ما تحمله والاجشال اليبس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعاء السيئة وعن الاصمعي الهبعاء ما يزرع فى سوى الربيع والربعاء ما يزرع فيه أو هما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفى تهذيب الاصلاح للتبريزى هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما فى اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والنافطة النعجة ويقال ايضا لا ثاغية ولا راغية اى لا غنم ولا ابل ثم مدحته حتى استعفى وقال لم يصب وصفى منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فاراد ذلك فقالت ويحك انما اراد بالعطاء فراجعه فغضب وامر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التى مات توبة من حبها ثم قال لها أنشدينا ما قال فيك فانشدت حمامة بطن الواديين فقال وما قلت انت فيه فقالت كثيرا أيها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ومن دون عماية منكب * وبطن الركايا نظرته النواظر
أوانس ان لم يقصر الطرف دونهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهى قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا

(ومن محاسنها فى توبة)

أتته المنايا بين زعف حصينة * واسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * دوان بشبالك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاك المنايا دارعا مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل برافانكم * ستلقون يوما ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيا لا دون جار مجاور
ولا تأخذ الابل المهارى زمامها * لتوبة من صرف السرى فى الصنابر
اذا ما رأته قائما بسلاحه * تقته الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجز منها برسل فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهارى السباط المشافر
وتوبة احيى من فتاة حيية * واجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فتطلعه عنها ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبتن ابراد عتاقا لفتية * كرام ورحل قيل فى الهواجر
ولم يتحول الضيفان عنه وبطنه * خميص كطى السبت ليس بخادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق السارى قرى غير فاتر
(ومنها) فاقسمت أبكى بعد توبة هالكا * وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همام وكابن مطرف * تبكى البواكى أو كبشر بن عامر

تعذب ايقاظا وتنعم هجدا
(وقوله)
ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدى وما تدري
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة
ثنتنا تباشير الصباح الى الهجر
(وقوله أيضا)
بعثت طيفها الى ودونى
سير شهرين للمهارى العتاق
زارونا من الشآم خفيا
مستهاما صبا بأرض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها
والدجى فى برودة الاخلاق
(وقوله)
وليلة هومنا على العيش أرسلت
بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثى
بعطفى غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندى حميدة
وللصبح من خطب تذم غوائله
(وقال عبد الصمد بن المعذل)
واصل النوم بيننا بعد هجر
فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا
فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا
انه منظر بغير عيان
قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدونى وهى كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادى يوما على الوزير الزينبى وعنده الحيص بيص قال قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشد
زار الخيال بخيلا مثل مرسله
فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى
على الرقاد فينفيه ويرتحل
فقال الوزير للحيص بيص ما تقول فى دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص
وما درى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

غلامان

(وقال آخر) ألا رب طيف منك بات معانقي * الى ان دعا داعي الصباح فيعلا

فلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا في المصادر
ربيعي حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور نداه وغامر
كان سنا ناريهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

(ومن مراثيها فيه أيضا)

أيا عين بكى توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبكي عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا اضلعت فذكرنه * وما يبعث الاحزان مثل التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدى * سنا الصبح في بادي الحواشي منور
ولم يغل بالجود الجياد يقودها * أسرته يوم المشان فاقسر
ولم يغلب الخصم الضجاح ويملأ الـ * ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجبان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أولى العدو سقيتها * بصياب مسكوب المزاد المقير
ولما أهابوا بالنهاب حويتهم * تخاطي البضيع كره غير أعسر
بمكر الاندري مشابر * اذا ماونينا مخصف الشد محضر
وألوت باعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ ومسود
لم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت في القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور
ويارب مكروب اجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

وأنشدته غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره اذ ليس على شرطنا فانعم عليها فوق ما سألت ثم قال لها هل بقي لك حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة احكم فيه بما أدري وكان يتهاجى هو وإياها فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فاذن لها وأظنه الذي سألها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاوية كما قيل هنا ثم انها لم تزل في طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من اعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تظافر الروايات صحة الاول

* (ومنهم عامر بن سعيد بن راشد) * وينسب الى كعب بن الاميل الطائي كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد قال في النزهة ان ولادتهما كانت في ليلة واحدة ونشآ غير متفرقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق ان وقع بين تميم ومزينة فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة فمات اثر الوقعة بأيام وقد اماق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزري لم يمنعه منها الاملاقه وانما كان أبوها يمنعه عن أن يشيع عشقها فلما مات أشاعه في العرب

واول من وصف الطيف عمرو بن قمئة فيما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك امامة الا سؤالا
والا خيالا يوافي خيالا
خيال يخيل لي نيلها
ولو قدرت لم تخيل نوالا

وأول من طرد الطيف طرفة ابن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
اليها فاني واصل حبل من وصل

(وتبعه جرير فقال)

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم
أتلك ليلى أتت أم لا أم الغول

وقد رد على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي وأحسن ما شاء حيث قال

ياليت شعري هل احب
جرير اذ أبدى اعتذاره
ان كان يصدق حبه
فالقلب منه كالحجاره
لا بل أشد قساوة
فانظر له أبدى عواره
اذ قال قولا لم يقله
عاشق أو ذو جساره
طرقتك صائدة الفؤا
د وليس ذا وقت الزياره

(وقال في الرد عليه ايضا)

هذا مقالك يا جرير
رلدى اشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصلح للزيارة والوصال
ام قيل قبلك فارجعي
ولذاك ذنب لا يقال
أم كان حبك كاذبا * فنامه ينفي الخيال
أم كان قلبك من حديد ليس تؤذيه النبال

وشبب بها فامتنع محمد لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيئ على واثلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه فلما ازفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب الا يرى الزفاف قال الاخفش سعيد بن مسعدة خرجت في طلب ضالة لي فوقفت على هذا البيت أو قال نزلنا على ماء لطيئ فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها واخرج الحكاية في نديم المسامرة عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي فاسندها الى الاصمعي وأخرج الدقاق عن الاسدي ان المباشر للحكاية هو الاصمعي وعلى كلا التقديرين فمحل الاتفاق ان الرجل حين انتهى الى البيت رأى عجوزا عليها بقية الجمال ساهية متفكرة وفي كسر البيت شخص كالخيال منحنى عليه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدي وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك ان تعظه فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها الاترى كيف يقول كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو مائق يعني أحمق وأنا وامق يعني صادق الالفة فلست كهو انما أنا كاخي تميم يعني جميلا حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرا * ولكن ما أخفى الفؤاد يضير
الا قاتل الله الهوى كيف قادني * كما قيد مغلول اليدين أسير

ثم أنشد

ألا ما للمليحة لا تعود * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني عواد قومي * فما لك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملي شديد
فلو كنت المريضة لا تكوني * لعدتكم ولو كثر الوعيد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعه الى الابيات ففعلت فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي اجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت

عداني ان أزورك يا منايا * معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ حللت ببطن أرض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا * ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم خرجت ميتة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين ودفنهما في قبر هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يروعن الاخفش وبعض تغيير في الابيات فان الاخفش لم يرو الثالث وروى التميمي لم تعدني اي بدل لا تعود *ومرضت فعادني أهلي جميعا * وفي النزهة فما استبطأت غيرك وهو الاقعد وفي قولها عن التميمي *عداني أن أعودك يا حبيبي* معاشر فيهم وفيها انها قالت له حين نعي بفيك الحجر الصلت من تنعى قلت فلانا قالت أو قد مات قلت نعم وعن الاصمعي انه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله اذكر له الشعر فانشد

(وقلت انا) واخجلتاه لك يا بحر يسر في المحافل والمشاهد طرقتك صائدة الفؤا * د فكنت صيدا غير صائد
فرددت طيف خيالها
هذا خيال منك فاسد
الطيف أعشق منك اذ
وافى اليك وأنت راقد
لا عاد منك لك ما بقي
في الناس للعشاق عائد
(وقلت أيضا من قصيدة)
يطالبني قلبي به فكأنني
غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليلي الكرى ونهاره
خيال ملم أو حبيب مسلم
(وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني)
يا حبذا طيفك من قادم
يا أحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم
يا غائبا يحكم في مهجتي
على طالت غيبة الحاكم
عار على حسنك أن يشتكي
حظي منه انه ظالمي
وقد احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال
وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت
سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته
تخلو من الاثم والتنغيص والندم
وقد بلغ النهاية في اللطف كشاجم حيث اعتذر على لسان الحبيب عن تأخر الخيال فقال
لقد بخلت حتى بطيف مسلم
علي وقالت رحمة لحبيبي
أخاف على طيفي اذا جاء طارقا
وسادك أن يلقاه طيف رقيبي
وما احسن ايضا اعتذار المغربي وقد ضمنه ابن عنين وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق
بأعجب كتبك في القطيعة عالما * أن الصحيفة اعوزت من حامل

سبق

سبق القضاء بأنني لك عاشق * حتى الممات وأين منك مذاهبي

فانشد

أخلو بذكرك لا أريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة * يأتي فيأتي من أحب أسيرا

فاذا أتى صبح بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل

(ومنهم ما حكى الاصمعي) قال بينما أنا اسير اذ جنني الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فاذا أنا بهاتف منه يقول

انعم الله بالخيالين عينا * وبمسراك يا سعاد الينا

وحشة ما لقيت من خالل القبر عسى ان نزلك او ان ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحي فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فأخبروني ان هذا الرجل منهم احب ابنة عمه هذه فتزوج بها فلم تقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قالت وهذا جائز ان يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقة الهيا كل الجسمانية اعظم

(ومنهم فتى اسدى) أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج الا بارفع منها وأبى الغلام الا هي فلما أيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوما فانشد

لعمري يا سعدى لطال تأيي * ومعصيتي شيخي فيك كلاهما

وتركي للعين لم أبغ منهما * سواك ولم يربع هواي عليهما

(فقالت الجارية)

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي * كفاني ما بي من بلاء ومن جهد

ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسي تسيل من الوجد

غلبت على نفسي جهارا ولم أطق * خلافا على أهلي بهزل ولا جد

وان يمنعوني ان أموت بزعمهم * غدا خوف هذا العار في جدث وحدي

فلا تنس ان تأتي هناك فتلتمس * مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

فقد اوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له صرفات بفتح المهملة وضمها ملتزما لها فمات واختفى امرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع هاتفا على الجبل يقول

أنا الكريمان ذوا التصافي * الذاهبان بالوفاء الصافي

والله ما لقيت في تطوافي * أبعد من غدر ومن اخلاف

* من ميتين في ذرى اعراف *

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

(ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور) قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذي كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان في الملك كما هو مشهور ضاع أمر الغلام قال في الشامات فاخذه عمه أبو النجاد فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

(وقال آخر)

وزارني طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

أبصرته في المنام معتذرا * الي مما جناه يقظانا

ولان حتى اذا هممت به * وجدته عند الصبح لا كانا

(قيل) من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا او واصل حبيبا أو نال عزا أو وجد كنزا فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما رأى انه قد احدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

أرى في منامي كل شئ يسرني * ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا فهو اضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل اصبح

(وقال المعري)

الى الله اشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام

فان كان شرا فهو لا شك واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

(وما احسن قول ابن التلميذ)

عاتبت اذ لم يزر خيالك في الـ * نوم فشوقي اليك مسلوب

فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب

(وقال ابن الاحنف)

واحلم في المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يراني

ولو ابصرت شرا في منامي * لقيت الشر من قبل الاذان

(وما اظرف قول ابن المعتز)

ألم الخيال بلا جحده * وأبدلني الوصل من صده

وكم نومة لي قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(ومثله قول الآخر)

وهى من اجل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أياما وقائع فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى أبرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره انه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة الفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما بنى بها الفزارى وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها فكانت تشد الفزارى اذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحى ان يخبر العرب بذلك فأقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر تو بيخ العرب له واختلاف ظنونهم به خرج فلا يدرى اين ذهب واقامت العقيلة تبيت ابيها لا تتناول الا الاقل مما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع قال الفريابى فى عجيب الاتفاق فى تطابق احوال العشاق فرض عمرو مرضا كاد ان يأتى على نفسه فكان لا يرى الا شاخصا الى السماء متمسكا بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران أو كالسحائب
أو دطلوع الفجر والليل قائل * لقد شدت الافلاك بعد الكواكب
فما أسقى الاعلى ذوب مهجتى * ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد ايام دخل عليه صديقه فوجده ضاحكا الضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس أن سوف نلتقى * و يبدل بعد بيننا بتدانى
فقد آن للدهر الخؤن بانه * لتأليف ماقد كان يالتثمانى

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها قال الفريابى فضبط اليوم الذى مات فيه فوجد موت عقيلة فى ذلك اليوم أيضا واخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق قال خرجت فى طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جاءت السماء بالامطار فلجأت الى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء فأنزلتنى فلم ألبث الا ريثما اخذت الراحة وقد دخلت لى جارية كأنها القمر فحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل بن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتنى فلما رأت ذلك فى عينى قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها أهل المروأة والكرامه
الا فسقى المليك أجش جونا * تجود بصوبه تلك اليمامه
أحيى بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فأنستنى بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم على الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلى ولا بصاح

حكاه خيالا فى الكرى فأتيكه

(وقال بعض مشايخ العصر)

لو أن طيفك فى المنام جليسى
مابت اشكو لوعتى و رسيسى
قد أداره على ثمرة ريقه
ولحاظه وحديثه المأنوس
ما همدنى فى قربه وحضوره
و وفائه الاعلى ابليس

وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا اعتدله عنه وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى اغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال ودنا واعين الشهب حولى ر وان وأطراف القسى دوان وكيف اعتدله عنه والفكر مدنيه وانا يقظان ويمثل مالم يمكن من قربه كما مثلت العيون منه ماكان (حكى) عن بعض المغفلين انه تعب فى تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده فى البيت وضع رأسه ونام فقالت له لاى شئ فعلت هذا فقال من عشق فيك انام لعلى ارى خيالك فى النوم (وحكى) عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدى على الارض لكى ترضى فقالت اعطنى دينارا حتى اخليك تضع خدك على خدى ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارنى ومضى
بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ
وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحب عادته
يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

(وقول الآخر)

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها
خيالا يوافينا على البعد هاديا

سقى الله اطلالا بأفنية الحمى * وان كن قد أبدين للناس حاليا

سـقى الله اليمـامة دار قوم * بها عمـرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فانشدت

اذا رقد النيـام فان عمـرا * هو القمر المنير المستنير
ومالي في التبعل من براح * وان رد التبعل لي أسير

ثم سكتت كأنها تسمع كلاما ثم انشأت تقول

يخيل لي أبا كعب بن عمرو * بانك قد حملت على سرير
فان يك هكـذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت

(ومنهم ماحكاه الاصمعي) وقد قال له الرشيد حدثني باعجب ما رأيت قال اخبرني السميدع بن عمرو الكلابي وقد جاوز المائة قال كنت كثير الاسفار فمررت قاصدا اليمامة ببيت يلوح وقد قرب الليل فأردت المبيت عنده فقالت لي امرأة منه اضيف انت قلت نعم فقالت على الرحب والسعة ولكن تنم حتى يأتي رب المنزل فعدلت الى طوى هناك فسقيت ناقتي وجلست واذا بسوداء تحمل جفنـة ثريد معها تمر ورطب فقالت تعلل بهذا فقلت في دونه كفاية فاكلت واخرجت دقيقا فاطعمت ناقتي وتوسدت ذراعها واذا بقيم قد حال بيني وبين البيت ثم غفلت عيني فلم افق الا وشاب على احسن ما يكون ومعه عبيد قد اقبلوا بحطب ونار فاضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشـط وطبخوا وثردوا وقدم الينا فأكلنا ثم قال لي كن هنا حتى آتيك الصباح فلما اشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلنا قال لم اقض حقك فاقم عندي يومك فقلت سمعا وطاعـة فركب ومكثت ساعـة واذا الجارية تقول لي اجب ابنـة عمـك فقلت كيف أكلمها وقيمها غائب قالت من وراء حجاب فاقبلت فسلمت فقالت يا ابن العم اتريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عني هـذه الرسالة وأعـد الي جوابها وأنشدت

اعلى العهد مالك بن سنان * أم سـقاه افاوق الغـدر ساق
ان يكن خان أو تناءى فاني * لعلى العـهد ما استناع رماقي
ما ألم الرقاد مــذ بنت الا * بجفـون قريحــة الآماق
فعليك السـلام مالا"لا" النو * ر ومادب في الثرى عرق ساق

ثم قالت ليكن انشادك الابيات بالحضرمة فلما خرجت في اليوم الثاني خرج الشاب فقال يا ابن عمي هـل انت مبلغ عني رسالة وعائد الي بجوابها قلت نعم قال قف بقران بني سحيم وأنشـد

أيا سرحـتي قران بالله خـبرا * عن البكرة العيساء كيف نزاعها
فلوان فيها مطعــما لمتيم * نأت دارها عنه وخيف امتناعها
لهان عليه جوب كل تنوفة * يخاف عليه جورها وضياعها
تغربت عن نفسي وايقنت انها * تريد وداعا يوم جـد وداعها

فلما دخلت اليمـامة وقفت حيث وصف وانشدت الابيات واذا بجارية حاسرة كانها مهرة تنشد

تحـمل هـداك الله مني تحيـة * اليـه جـديد كل يوم سماعها
وخبران عن العيساء ان قد توجت * عليها مراعيها وطال نزاعها
لقـد قطع البين المشتت الفـة * عزيز علينا ان يحم انقطاعها

ثم شـهقت شهقة فماتت فلما اردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت ابيات المراة

(وقال توبة بن الحميري)

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها
فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها
خيالا يوافينا على البعد هاديا

(الباب الحادي عشر في قصر الليـل وطوله وخضاب شفقه ونصـوله وما في معنى ذلك) أقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصـير فاممى وماله الى اسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الحرق وكثرة الارق

ياليل طل أولا تطل
لابد لي أن أسـهرك
لو بات عندي قمري * ما بت أرعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليـل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عنـد حلوله وعذرهم في ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر

مات الظلام بليل
أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

(وقال شرف الدين أحمد بن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه
والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر
أيقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال ايضا)

ولرب ليل تاه فيه نجمه
قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابني
لو كان في قيد الحياة تنفسا

قلت وقبـل الشروع في ايراد مقاطيع هذا البـاب نذكر هنا حكاية لطيفـة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ماحكاه أبو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي قال وقف على والدي وهو جالس في حلقـة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما فقال له قل فانشد وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها

فاجابني فتى   لم يحل عن وفائه ابن سنان * لا ولا غاله انتشاء الفراق
ان بين الحشا لهيب اشتياق * ليس يطفي جواه الا التلاقي
انما ابقت الهموم خيالا * باليا مثل كاعباء الرماق

ثم شهق شهقة فمات فلما رجعت الى الحي اخبرت المرأة بحواب فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الاصوات فاقبل الشاب فقال لي ماشأنها فاعلمته الخبر ثم انشدته جواب أبياته فقال فها انا ايضا ميت ثم اضطجع فكانما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية اخرجها في نديم المسامرة والشهاب في منازل الاحباب والحافظ مغلطاي في الواضح وامثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظيره ما حكاه الشيرزي عن العتبي قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا له الا تحدثنا بما عندك في هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان في المجلس احسنت والله يا سيدتي أتاذني لي ان أموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى اهلي فاخبرتهم بالقصة وكان لي ابنة تهوى الشاب ونحن لا ندري فلما سمعت الخبر قامت الى خلوة وانكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هي متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة فلما اخرجنا جنازتها او بالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هي القينة ماتت حين بلغها موت ابنتي لانها كانت تهواها * (ومنهم ما اخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعالي غلام أبي الهذيل) * قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل اتفيأ به فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب استسقي الماء فخرج شاب على احسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلني الى موضع انيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلي ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ولكن اغسل يديك للغداء فغسلت وجاؤا بطعام فاقبل يضاحكني ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب فسقاني وشرب ثم قال قم بنا الى نديمي فدخلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقاني ثم انشد يقول

أطأ التراب وانت رهن حفيرة * هالت يداي على صداك ترابها
اني لاغدر من مشى ان لم اطأ * جفون عيني ما حييت جنابها
لو ان حشو جوانحي متلبس * بالنار اطفأ حرها وأذابها

ثم اكب على القبر مغشيا عليه فجاء خادم فرش عليه الماء فافاق فشرب وسقاني وانشد

اليوم ثاب لي السرور لانني * ايقنت اني عاجلا بك لاحق
فغدا اقاسمك البلا ويسوقني * طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال وقد وجب عليك حق فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول البقاء وانصرفت فقال عققتني ان لم تقل   جاور خليلك مسعدا في رمسه * كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم اعرف نوما حتى اصبحت فاتيته فاذا هو قد مات فدفن الى جانبها اقات نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع منها زمانا ثم مات ابوها فتزوج بها فاقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس واخذ راسها على ركبته فطلبت الماء فشربت فشرقت فماتت فدفنها في بيته واقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب

وهجره النار تصليتها به النارا فالشمس بالقوس امست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا قال فاما سمعها والدي قال له يا ولدي هذا شيء من معرفة النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدي لكونه سئل عن شيء ليس عنده منه علم وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه في آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد أنصف القائل

لا أظلم الليل ولا أدعي
ان نجوم الليل ليست تسير
ليلي كما شاءت فان لم تزر
طال وان زارت فليلي قصير

(وما احسن قول الارجاني)

وما ليلنا الا سواء وانما
تفاوته أنا سهران ونتم

(وما احسن ما قيل في قصر الليل قول ابي اسحق الصولي)

وليلة من الليالي الزهر
قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفق وفجر
حتى تولت وهي بكر الدهر

(وقال الرضي)

يا ليلة كاد من تقاصرها
يعثر فيها العشاء بالسحر

(وقال آخر)

سألت الليل لم ولى هزيما
وقد بات الحبيب على اقتراحي
فقال كواكبي غارت وسارت * مخامرة على الى الصباح

(ومن احسن ما قيل في طول الليل قول العباس

ابن الاحنف) أيها الراقدون حولي اعينو * نى على الليل واتركوا الاعتذارا

والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى ان لحق بها ثلاثة عشر يوما وايضا من نظير المسائل ما روى عن يونس النحوى قال نزلت بصديق لى ببادية يقال له مالك العذرى فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقى عن الخبر فقال رجل منا احب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحو حول لا ينطق فقلت احب ان انظره فقمنا حتى وقفنا عليه فقالت امه يا ولدى هذا عمك مالك ففتح عينيه وأنشد

لبيكني اليوم اهل الود والشفق * لم يبق من مهجتي الا شفا رمق

اليوم آخر عهدى بالحياة فقد * اطلقت من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الثياب تبكى بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشأت

اليوم ابكى لصب شف مهجته * طول السقام واضنى جسمه الكمد

ياليت من خلف القلب المقيم به * عندى فاشكو اليه بعض ما اجد

أنشر تربك اسرى لى النسيم به * ام انت حيث نياط القلب والكبد

ثم شهقت شهقة خرت ميتة فسألنا عنها فاذا هى تهوى الشاب قالت قال فى النزهة عن الرياشى عن يونس هذا قال اجتمعت بصديقى بعد ذلك اليوم بمدة لا تزيد عن شهرين فقال لى اتعرف الشاب الذى مات يوم كذا قلت نعم قال قدم علينا الحجازى زوج ابنة عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذى مات فيه الشاب

*(ومنهم ما حكاه الكاتب) * قال كنا فى متنزه وقد اقبل ابن عائشة يسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه فسألناه عن امره فقال من العشق فتذاكرنا اخبار العشاق فقالت ألا احدثكم باعجب من هذا قالوا هات قالت اخبرنى بعض العرب قال مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه اثر الجمال الا انه كالمنحل من علة فسلمت عليه فقال عمن الراكب قلت من الحمى فقال من كم عهدك به قلت قريبا فتنفس الصعداء وأنشد

سقى بلدا امست سليمى تحله * من المزن ما يروى به ويسيم

وان لم اكن من قاطنيه فانه * يحل به شخص على كريم

ألا حبذا من ليس يعدل قربه * لدى وان شط المزار نعيم

ومن لامنى فيه حبيب وصاحب * فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم اغشى عليه فنضحنا عليه الماء فافاق ثم أنشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعى * وانفاسى تزين بالخشوع

ولى عين أضر بها التفاتى * الى الاجزاع مطلقة الدموع

الى الخلوات يأنس فيك قلبى * كما أنس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها اشفاء نفسك فرنى بها فانى مطيع فقال اعلم انك محل ولكن لم تدرك منى الاصابة لا تتلافى ففارقته فبلغنى انه لم يبت تلك الليلة

*(ومنهم ما حكاه فى منازل الاحباب) * وقال كان فى بنى عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فاضنته حتى لزم الوساد وسألت فى أمره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءته تخبره أنها أنشد اريتك ان مرت عليك جنازتى * تمر على ايدى طوال وشرع

أما تتبعين النعش حتى تسلمى * على رمس ميت فى الحفيرة مودع

حدثونى عن النهار حديثا

أو صفوه فقد نسيت النهارا

(وقال آخر)

مهدى بنا ورداء الليل مشتمل

والليل أطوله كاللمح بالبصر

والآن ليلى مذ بانوا فذبتهم

ليل الضرير فصبحى غير منتظر

(وقال ابن العتاهية)

لقد ساهرتنى عيون الدجى

وقد نام عنى عيون الملاح

اذا ما شكا الليل هجر الصباح

شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال ابن الزقاق)

لى مسكن شطت به غربة

جادت لها عيناى بالمزن

ما أحسن الفجر ولا راقنى

بياضه مذ بان فى الظعن

كأنما الصبح لابعده

عين قد ابيضت من الحزن

(وما أحسن قول القاضى الفاضل)

بتنا على حال يسر الهوى

وربما لا يمكن الشرح

بوابنا الليل وقلنا له

ان غبت عنا هجم الصبح

(وقال ياقوت)

كأن الثريا راحة تشبر الدجا

لتعلم طال الليل أم قد تعرضا

فليل تراه بين شرق ومغرب

يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

اخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال

بكف الثريا وهى جذما يقاس لى

شقاق الدجا من الشرق والغرب

ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت

فما انقضى بالليل أو ينقضى نحبى

وقد أحسن الارجانى فى الاعتذار عن طول الليل فقال

لا ادعى جور الزمان ولا أرى

ليلى يزيد على الليالى طولا

لكن مرآة الصباح تنفست * للهم اصدأ وجهها المصقولا

(وقال مضر بن القفعسى)

فلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلابي

اتت وحياض الموت بيني و بينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم اغشى عليه وانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا

(ومنهم ما حكاه ابن الجوزي) ان رجلا عاق جارية نصرانية واخذه وامامنه حتى ازال عقله فحمل الى البيمارستان فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد ايست من ملاقاة فلانة في الدنيا وأخاف ان لا ألقاها في الآخرة ان مت مسلما ثم تنصر ومات فخرج من عنده فوجدها عليلة وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيا فأنا اسلم لا القاه في الآخرة ثم اسلمت وماتت

(ومنهم الحرث المشهور بابن الفرند من خزاعة) وقال في الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحمر ممتزجين بالالفة الى ان بلغا فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى ان عزمت يوما على ان تزور أباها فجهزها اليه فاقامت مدة وكل منهما يأبى ان يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على ان لا يأتي احدهما الآخر مخافة ان تزدري العرب به فرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء أصدق شاهد

هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم لقلبي في مقام العوائد

فاجابته كيف الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغب الحواسد

و والله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها وكانت أعطر زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أحييته بزورة قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي عن قريب فلم يشعر بها الا وهي ميتة

(ومنهم عياش الكناني) قال هشام خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لا يخطئ سهمه اذا رمى فصحب قوسا واقبل في الليل وهي نائمة بين اخوتها فايقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لا وقظنهم فيقتلونك فحلف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينا لما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته فقالت له كالاول فحلف ان أمكنته من رشفة مضى ففعلت وشعر به الحي فتبعوه فخرج على جبل واعقب الوقت سماء فرجع النساء واخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده فخرجت مع جارية من الحي وقد أزهر القمر فرآها على بعد وقد أسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها متضمخة وقد أشفقت على الهلاك فقتل نفسه

(ومنهم ما رواه اعرابي أو هو جبلة بن الاسود) قال خرجت في طلب ضالة فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا في كهف هنالك فسألته القرى فرحب بي وأنزلني ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم الي ويحادثني حتى اكتفيت فلما جن الليل اذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد اقبلت اليه فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاثا فاقمت فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجرا ثم أنشد

وليل تقول الناس من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها كأن لنا منه بيوتا حصينة * مسوح أعاليها وساح كسورها

(وقال آخر)

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى
كأن جفوني مسمعي والكرى عذل

(وقلت أنا)

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت
عيني بغير ذرور السهد والسهر
كم بت أرعى نجوم الليل من أرق
يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الثعالبي شيئا فاما أكثر الشعراء فهم من الليل أفزع والى النهار انزع لان الليل أجمع لاشتات الهموم والفكر واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله
علي بانواع الهموم ليبتلي

(وقال قيس بن ذريح)

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا
لي الليل هزتني اليك المضاجع

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله
فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره
لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية
أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت أمير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد اخذه بعضهم فقال

أقلى النهار اذا أضاء صباحه
وأظل أنتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا
والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقد احسن في اخذه فان فيه ايضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي

ما بال ميّة لا تأتي كعادتها * أعاجها طرب ام صدها شغل
لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد احلت لي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو ان غادية منه على جبل * لماد وانهد من أركانه الجبل

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمي وانا احبها فخطبتها من عمي فابى علي لفقري وزوجها من رجل وقد جاء بها الى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعيا لهم فهي تأتيني على غفلة من زوجها فانظر اليها وتحادث ليس غيره والآن قد قلقت لفوات ميعادها وفي الطريق أسد قد كسر واخاف ان يكون اصابها فعلى رسلك حتى اعود وأخذ السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد أصابها الاسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكي ثم قال لي أسألك بالذمة الا ما دفنتني واياها في هذا الثوب وكتبت على القبر هذا الشعر فاني لا بقاء لي بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل انكب على السيف فخرج من ظهره وفي رواية ونمنا الى الصباح فوجدته ميتا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي أوصى به وهو

كنا على ظهرها والدهر في مهل * والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف الفتنا * فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فاخبرته بذلك فكاد ان يقضي اسفا على عدم الجمع بينهما *(ومنهم كامل بن الرضين)* وكان يحب ابنة عم له يقال لها أسماء فافتتن بها حتى أنحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه اباها ان يزوجها منه فقال له اجله الى لا ازوجه بها ففعل فلما علم بذلك قال أوانا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فمات فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا تبعنه ثم مرضت فقالت لاخص نسائها صوري لي صورته ففعلت فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسي من لم يتعايهواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم مرة النهدي) وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت اوحد نساء زمانها حسنا فكتم حبه لها حتى تزوجها فاقاما مدة لا يزداد حبهما الا شغفا الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى أودعها عند صاحب له وتحمل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس بازاء القصر فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم فقالت ذاك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت اخرى فاخبرته مثل ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكي ثم انشد

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت * عليها نساء من فصاح ومن عجم
ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلها * شبيها لليلى في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلى أكرمن محلها * يكن لك ما عشنا علينا بها نعم
ويا قبر ليلى ان ليلى غريبة * بأرض لم يشهدك خال به وعم

المذكور انه مأخوذ من قول ابن المعتز (فالشمس نمامة والليل قواد) قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال لي شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبي أزورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قل فاي فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف (ومثل قوله هذا) ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم في المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت عليك فروع ليلى
زفاف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فانزل (وقال المتنبي)

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسري اليهم
وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بانه وجد الخير في الظلام حيث ستره عن أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه (وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح
ليس في العين راحة في الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه
بان عني ألو الوجوه الصباح

(حكى الاصمعي) قال حضرت الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما احدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده

يا شقيق الروح من حكم
نمت عن ليلى ولم أنم

الابيات حتى أتى على آخرها فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

(ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف) تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد ما معه وضاق حاله ولم يكتسب شيأ يقتات به فقالت له يوما لو خرجت الى هشام ابن عبد الملك فسألته شيأ لما منعك فجهز نفسه فلما صار قرب الرصافة غشي عليه ساعة ثم أفاق وانشد

بينما نحن بالبلاكث بالقا * ع سراعا والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـرك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين ردا المطيا
فكرنا صدور عيس عتاق * مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقين من دلج السيـ * ـر وقول الحيداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع قال يا سبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لا يخطو الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فاخبره ان زوجته قد ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه

*(فصل فيمن أناخ به الحب ثقله * حتى أذهب عقله)* وهؤلاء المعروفون عند اهل القوانين بعقلاء المجانين وقد افردوا كثيرا بالتأليف وجعلتهم من المجاهيل لاشتباههم بهم فيما قدمت من الشروط

(فمنهم ما اخرجه مغلطاي عن الاديب) قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله فكان آونة يسكن الى الناس واخرى يسكن الخربات ويتوحش فمررت به يوما في خربة يثير التراب على وجهه فسألته عن حاله فانشد

تيمني حبها وأضناني * وفي بحار الهموم ألقاني
كيف احتيالي وليس لي جلد * في دفع ما بي وكشف احزاني
يارب اعطف بقلبها فعسى * ترحم ضعفي وطول اشجاني

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا انا به يتمرغ على الارض فلما ابصرني قال يا عم أنا الليلة ميت فدعوت له ومضيت فلما اصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض

(ومنهم ما ذكره ابن المرزبان في الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة) قال صحبنا شابا فكان لا يلهج الا بهذه الابيات

الا انما التقوى ركائب أدلجت * وأدركت الساري بليل فلم ينم
وفي صحبة التقوى غناء وثروة * وفي صحبة الاهواء ذل مع العدم
فلا تصحب الاهواء واهجر صحبها * وكن للتقى الفاتكن في الهوى علم

فسألناه لمن الابيات قال لاخ لي كنت أحبه حبا شديدا ولم ازح منه مع التقوى فسألته الدنيا تلهج بهذه أم الاخرى فقال لا مر لا أخبرك به حتى ينفذ من يدي ودام على ذلك حتى لزم الفراش فكانت الاطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيأ وكان يصرخ الليل كله فاجمعنا على ان ندعه وشأنه فكان يجلس نهاره على الباب وكلما مر به شخص يسأله الى اين يذهب فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من نريد لحملناك حاجة فقال له صاحب له أنا مار حيث تريد فقال

تقرأ السلام على الحبيب تحية * وتنبه بتطاول الاسقام
وتفيده ان التقى ذم الهوى * لما غدا مستوغلا بزمام

قال نعم فما كان باسرع من ان رجع فقال بلغتهم رسالتك فقالوا

(وحكى) عن المطرز الشاعر انه مر وفي رجليه نعل له بالية وهي تثير الغبار فرآه الشريف المرتضى فامر باحضاره وقال له أنشدني ابياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي
فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني
قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين ابن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندي أحسن من قول الشريف* وقال أبو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي أجز

هذا النصف قد بلغ العشق منتهاه
فقلت وما درى العاشقون ماهو
فقال وانما غرهم دخولي
فقلت فيه فهاموا به وتاهوا
فقال ولي حبيب يرى هواني
فقلت وما تغيرت عن هواه
فقال رياضة النفس في احتمالي
فقلت وروضة الحسن في حلاه
فقال اسمر لدن القوام ألمى
فقلت يعشقه كل من يراه
فقال ريقته كلها مدام
فقلت ختامها المسك من لماه
فقال ليلته كلها رقاد
فقلت وليلتي كلها انتباه

ثم ان مظفر الدين أكملها مدحا في السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه.

(الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول)

أقول هذا باب ينبغي لذكره من أكثر القيل والقال من العذال واستحق بما سالك محبته عند عذله نتف السبال

ائن كان تقوى الله ذمتك ان تنل * أمورا نهى عنها بنهى حرام
فزرنا لنقضي من حديث لبانة * ونشفي نفوسا آذنت بسقام

قال فوثب قائما ثم انشد يقول

سأقبل من هذا وفيه لذي الهوى * شفاء وقد يسلو الفتى جد وامق
اذا اليأس حل القلب لم ينفع البكا * وهل ينفع المشوق دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدي حتى اتى منزل رجل من اهل الفضل والرأي والدين وكانت له ابنة من اجمل النساء فوقف على الباب وقال

فها أنا ذا قد جئت اشكو صبابتي * واخبركم عما لقيت من الحب
واظهر تسليما عليكم لتعلموا * بان وصولي ثم ذا منكم حسبي

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر أمره قلت له ما جلوسك على باب القوم ولم يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون بالله ربك لا تمر ببابنا * انا نخاف مقالة الحساد فقال يا صاح أقد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذي ويقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق * فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات

(ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفي) قال حدثني صديق لي قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد الى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ما تريد فقال قرصين وفالوذج فاحضرتهما فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت اذكره فلعل الله ان يساعدني عليه فقال تمضي الى زقاق الغفلة فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا المحله فمضيت وفعلت ما قال فخرجت الى عجوز فقالت قل له عليكم من ذا اعله فرجعت اليه واخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية

(ومنهم ما حكاه السامري) قال مررت أنا وصديق لي بدير هرقل فقال هل لك ان تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر فحين بصر بنا قال مرحبا بالوفد قرب الله بكم بأبي من اين أقبلتم فقلنا جعلنا فداءك ومتع الله بك اقبلنا من كذا ثم قلنا له ما اجلسك ههنا وانت لغير هذا المكان اهل وهو لغيرك محل فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار في سلسلة وصوب طرفه الينا وانشد

الله يعلم انني كمد * لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
اما المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقربها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي اجد

قلت وسيأتي منه انه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن ان يقال ان هذا المحكي عنه هو لان خالدا لم يحبس وانما كان سائحا كما سيأتي فلم يبق الا الاستعارة احدهما من الآخر قال الراوي ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل احسنت فقلنا نعم ثم ولينا فقال بأبي ما اسرع ذهابكما أعيراني سمعكما فعدنا اليه فأنشد

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين منهمل

من لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب وأتعب من ناداك من لا تجيبه * وأغيظ من عاداك من لا تشاكل وما التيه خلقي في الهوى غير انني * بغيض الى الجاهل المتعاقل فليته استراح وأراح وصان عرضه المباح فقد كثرت الشعراء في الرد عليه واعتذرت المحبون اليه كما قيل

يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم لا ذنب له وكان يقال

* لعل لها عذرا وأنت تلوم *

فكم عاذل زاد المحب بعذله لجاجة وجنونا أكثر من الحاجة

لا بد لمن هوى يلوم انه
كالريح يغري الناس بالاحراق

(وقال الآخر)

وما عذولي ناهيا عنكم
لكنه بالصبر أمار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم
قلت له النار ولا العار

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

يا من اذا باعت الابصار أسودها
بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحا الذي به
فليت عذال قلبي فيك لا برحت

(وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني)

أسرفت في اللوم ولم تقتصر
وزدت في لومك يا ذا العذول
قد رضيت نفسي بحبي بها
وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده واحسن ما شاء)

ولي على عاذلي حق وقد هوى
شكري عليه بعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه انا السبب

(وقال الآخر) قد اجتهد اللاحي وجاء يلومني

فودعت ببنان عقـــدها عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها * يانازح الدار حل البين وارتحلوا
ياحادي العيس عرج كي أودعها * ياحادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهـم * فليت شعري وطال العهد مافعلوا

فقلنا له مجنونا انتظر مايفعل ماتوا فقال قسمت عليكم ماتوا قلنا نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فاذا هو ميت فما ندمنا على شئ أعظم منه وحكاها المبرد كما هي وزاد ان قال فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم أنظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال أنشدوني شيأ من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له انشد فأنشد الشعرين فلما قال مافعلوا قال رجل بغيض معنا ماتوا فقال وأنا ايضا أموت فقال له افعل ماشئت فتجذب حتى مات وأخرج الزجاج في أماليه عن المبرد الحكاية ايضا لكنه قال فقال لنا انشدوني فقلت لرفيقي انشده فأنشد

قبلت فاها على خوف مخالســة * كقابس النار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لوغفلوا * عني فقبلتها عشرا على مهـــل
غضي جفونك عني وانظري أمما * فانما افتضح العشاق بالمقل

فقال انا وهذا القائل على طرفي نقيض فانه يرى محبوبه وانا مقصى فقلنا له انت عاشق قال نعم قلنا لمن قال أنت سؤل قلت محسن ان اخبرت قال عقد لي أبي على ابنة عم لي ثم توفي وترك مالا كثيرا فاستولى عمي على المال ونسبوني الى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت الي فقال أنشدني انت فانك من أهل الادب فلم يحضرني الاقول الشاعر

قالت سكينة والدموع زوارف * تجري على الخدين والجلباب
ليت المغـــيري بالذي لم أجزه * فيما أطال تبصري وطلابي
كادت ترد لنا المنى أيامـه * اذلا ألام على هـوى وتصابي
خـــبرت ماقالت فقلت كأنما * ترمي الحشا بصوائب النشاب
اسكين ماماء الفرات وطيبــه * مني عـــلى ظما وحب شراب
بالذ منـــك وان نأيت وقلما * يرعى النساء أمانة الغياب

(ومنهم ماحكاه الاسدي عن ابيه) قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له من الذي أوجب لك هذه الحالة فانشد

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي * دمي ودمي غال فارخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي * رخيصا فمن هذين داخلها العجب

(ومنهم ماحكاه ابن غنيم) قال مررت بخربة فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول

ألا ليت ان الحب يعشق مرة * فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالك * وللصـــبر مني ألف مرة اجزع

(ومنهم ماحكاه أبو الحسن المؤدب) قال انحدرت من بالس أريد العراق فبينما أنا في بعض أزقة الموصل اذ سمعت ضجة فسألت فقيل دار المجانين فدخلت فاذا أنا بشاب في الحديد قد تضرج بالدم فلما بصر بي قال من أين قلت من بالس قال وأين تريد قلت العراق قال أتعرف بني فلان قلت نعم قال هم الذين صيروني الى ماترى في عشقهم وأنشد

وزخرف لي زور الكلام بعينه وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه (وحكى) ابن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا فلامه بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لوعشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه عليه فقال ابن وكيع في الحال

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لوعشقت هذا * مالامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ماعرفت الاهواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشـ * ـد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال أيضا)

ان قوما يلحون في حب سعدى * لايكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * أخذوا طيبا واعطوا خبيثا

(وقال أيضا)

من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم ان لايخون
ان قلت ماتحسن الا أذى * قال وماعشقك الاجنون

(وقال محمد بن شرف القيرواني)

قل للعذول لواطلعت على الذي * عاينته لعناك مايعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذليس دينك في المحبة ديني

(وما احسن قول الآخر) يقول لي العاذل في

زموا

زموا المطايا واستقلوا ضحى * ولم يبالوا قلب من تيموا
ماضرهم والله يرعاهم * لو ودعوا بالطرف أوسلموا
مازلت اذرى الدمع فى أثرهم * حتى جرى من بعد دمعى دم
ماانصفونى يوم بانوا ضحى * ولم يفوا عهدى ولم يرحموا

(ومنهم الفوبرك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين) قال الابلى رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآنى قال اما ترى ما يصنع هؤلاء بى مع ما أنا فيه من العشق والجنون فقلت له است مجنونا قال بلى والله وبى عشق شديد فقلت فما انشدت فيه شيأ قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمى وقلبى كليهما * فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا * على مهجتى أن لا يفارقها الجهد
فاى طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين مامنهما بد

وقال يوما وقد لقيته وفى عنقه حبل يقودونه يا أبا بكر بماذا يعذب الله عباده قلت بجهنم فقال صفها فقلت له ومن الذى يقدر أن يصف عذاب الله فقال انا والله فى عذاب اعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وانشد

انظر الى ماصير الحب * لم يبق لى جسم ولا قلب
أنحل جسمى حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان اغنانى عن حب من * من دونها الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ولكن كنت اكتمه حتى غلب فقال انشدنى ماقلت فيه فانشد

كتمت جنونى وهو فى القلب كامن * فلما استوى والحب اعلنه الحب
وخلى والجسم الصحيح يذيبه * فلما أذاب الجسم ذل له القلب
فجسمى نحيل للجنون وللهوى * فهذا له نهب وهذا له نهب

(ومنهم خالد بن يزيد) يكنى ابا القاسم ويعرف بالكاتب خراسانى الاصل بغدادى المنشأ احد كتاب الجيش فى الدولة العباسية ومن المشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء نقله فى النزهة وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء حسن حاله وحكى فى امتزاج الارواح ورياض اللطائف انه خرج الى بعض الاعمال باذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فاعجب بها وطلب أن يستخدمها فامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله فكان يصحو احيانا ويغمو احيانا فترك العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك فى كتابة بعض الاعمال فر بماجنة تغنى

من كان ذا شجن بالشام يطلبه * ففى سوى الشام امسى الاهل والشجن

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر حال الماجنة وأنها اخبرته انها تطلب الشام ثم افاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد واهلها يطلبونه خصوصا ارباب الدواوين ليسمعوا شعره قيل قال له ابن الجهم يوما هب لى قولك

* ليت ما اصبح من رقة خديك بقلبك * فقال من الذى يهب ولده ورآه يوما والصبيان يضربونه فادخله بيته ثم قال له بعدما اخذ الراحة ماذا تريد قال هريسة ورطبا فاحضرهما

لومة * وقوله ز وزو بهتان ماوجه من أحببته قبله * قلت ولاقولك قرآن

(وقال آخر)

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده
ووكل أجفانى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعودلى
ويا مهجتى صبرا على ما كواك به

(وقال عرقلة)

قال العواذل ما الذى استحسنته
منه وما يسبيك قلت جميعه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)

ياخيبة العاذل الذى قد
أطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلوا
عن حب ما ما فقلت لا لا

(وقال أيضا)

ايها العاذل الغبى تأمل
من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين
ان فى الليل والنهار لعجائب

(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلى وكم لحبيبى
ذاك تكبيرة وذا تهليله
يا ثقاتى واين منى ثقاتى
أين من يبتغى الى الوسيله
أنا ميت فقبلونى اليه
فحياتى وحقه تقبيله

(وقال النور الاسعردى)

أقول لعاذلى لما نهانى
وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بأنه مر التجنى
وفاتك انه حلو اللسان

(وقال أبو الفتح قادوس فى الاكتفاء)

من عاذرى فى عاذل * يلوم فى حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

(ومثله قول شيخ الشيوخ بحماة)

أغضب العشاق منه اننى
لم أبح فى حبه رشدى بغى

(وقال أيضا)

قلت قد اضنيت جسمى قال قد * قلت كى تذهب بروحى قلت كى

وامواقطاعي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوني والا

فلما أكل قال له اسمعني شيأ من شعرك فانشد

تناسيت ما اودعت سمعك باسمعي * كأنك بعد الضرخال من النفع

فان كنت مجبولا على الصد والجفا * فمن اين لي صبر فاجعله طبعي

هل الحب تجنيه على التفاتة * فافرح بعد اليأس مني ومن نفعي

علام الجفا يامن كلفت بحبه * اتتلفني بالهجر منك وبالقطع

لئن كان اضحى فوق خديك روضة * فان على خدي غديرا من الدمع

فقال له احسنت والله وجدلك وجدا عظيما ثم قال له اسمعني شيأ غير هذا قال حسبك ان ينالك بهر يستك وطبك اكثر مما سمعت وخرج من عنده (وله ايضا)

ياتارك الجسم بلا قلب * ان كنت اهواك فما ذنبي

يامفردا بالحسن افردتني * منك بطول الهجر والحب

ان تك عيني ابصرت فتنة * فهل على قلبي من عتب

حسيبك الله لما بي كما * انك في فعلك بي حسبي

(ودخل) على ابن عبادة فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال اوما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي اسمعنا من شعرك فانشد

لو كان من بشرلم يفتتن البشرا * ولم يبق في الضياء الشمس والقمرا

نور تجسم منحلا ومنعقدا * سلك تضمن في تنظيمه دررا

(فقال) له ابن الاعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق انشدنا غير هذا فقال

اراك لما لجت في غضبك * تترك رد السلام في كتبك

حتى اتى على قوله اقول للسقم عد الى بدني * حبا لشئ يكون من سببك

فقال له انك لفوق ما وصفت به و وقف عليه ابراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع بردا أسود فقال له انت القائل قد بكى العاذل لي من رحمة * فبكائي لبكاء العاذل

قال نعم قال ياغلام ادفع له مامعك فقال خالد وماذاك قال ثلثمائة دينار قال لا اقبلها او تعرفني من انت قال انا ابن المهدي فاخذها وانصرف ابراهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له انشدني من شعرك فانشد

عش فحبيك سريعا قاتلي * والضنى ان لم تصلني واصلي

قد طغى الشوق بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى * تركاني كالقضيب المائل

(وحكى) عن حمزة الشاعر نحو ماسبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله واطعامه لكنه قال فاطعمته رطبا فقط واستنشدته فانشد

قد حاز قلبي فصار يملكه * فكيف اسلو وكيف اتركه

رطيب جسم كالماء تحسبه * يخطر في القلب منك مسلكه

يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

(فصل في ذكر من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النساء وثبت بعد فراق محبوبه على النوى او كان منها داعية الاعتدا) وحكى صاحب النزهة قال نشأ بني حران شاب ببعض التجار يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة

(ومثله قول الوداعي)

يالائمي في هواها أفرطت في اللوم جهلا

ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وما أحسن) قول ابن سناء الملك في هذا المعنى

أهوى الغزالة والغزال وربما

نهنهت نفسي عفة وتدينا

ولقد كففت عنان عيني جاهدا

حتى اذا اعييت أطلقت العنا

(وقوله أيضا)

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى

فقبلته في الخد تسعين أواحدى

(وقوله أيضا)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره

فما باله لم يحكه في التلفت

يدافعني عن وصله بتهجم

فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اليكم هجرتي وقصدي

وفيكم الموت والحياة

أمنت ان توحشوا فؤادي

فآنسوا مقلتي ولاتوا

(وقال ابن المعتز)

زاحم كمي كمه فالتويا

وافق قلبي قلبه فاستويا

وطالما ذاقا الهوى فاكتويا

ياقرة العين وياهمي ويا

(وقال ابن مطروح)

والله لاخطر السلو بمهجتي

مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(رجع الكلام في العذل)

(وقال الآخر دوبيت)

لما نظر العذال وجدي بهتوا

في الحال وقالوا الوم هذا عنت

ما نحسب الا انه عذله

يسمع من يعقل من يلتفت

(وقال الآخر) قالوا اسله واطرح هواه * فقد بدا كذبه وافكه

وكان

وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على ارفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فتوفى ابوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت فكانت تنظر الى ابن عمها فيعجبها الى ان تمكن حبه منها فمرضت وهى تكتم امرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها احيانا فاذا دخل الغلام صحت والتمست ما تأكل فاخبرت اباه فقال يا مانعة ثم زوجه منها فاوقع الله حبها فى قلبه فاقاما على احسن حال مدة وهو يأمرها ان تكون دائما متزينة متطيبة و يقول لها الا احب ان اراك الا كذا فلم يزالا على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدا وطار عقلها فكانت تتزين بانواع زينتها كما كانت وتمضى فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعى مررت انا وصاحب لى بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها علام ذا الحزن الطويل فانشأت

فان تسألانى فيم حزنى فاننى * رهينة هذا القبر يا فتيان
وانى لاستحييه والترب بيننا * كما كنت استحييه حين يرانى

فعجبنا منها ثم انحزنا فجلسنا بحيث لا ترانا ننظر ما تصنع فانشأت

يا صاحب القبر يا من كان يؤنسنى * وكان يكثر فى الدنيا مواتاتى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل * كأننى لست من اهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة * مشهورة الزى تبكى بين اموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثنى باعجب ما رأيت فاخبرته بامر الجارية فكتب الى عامله على البصرة ان يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليه وقد انهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعى فلم يذكرها الرشيد مرة الا ذرفت عيناه (وحكى) بعض اهل المدينة قال دعانى صاحب لى لاسماع جارية تغنى فدخلنا عليها فاذا هى منخرطة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كانها مشغولة فعزمت عليها ان تخبرنى بما بها فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلوة النهار وتشوقى الى من سار والذى ترى مما وصفت لك فان كنت ذا ادب صرفت العتب عن ذى الكرب واجتهدت فى الطلب لدواء من اشرف على العطب واخذت العود فغنت تقول

سيوردنى التذكار خوض المهالك * فلست لتذكار الحبيب بتارك
الى الله الا ان اموت صبابة * و لست بما يقضى الاله بمالك
كأن بقاى حين شط به النوى * وخلفنى فردا صدور التيازك
تقطعت الاخبار بينى وبينه * لبعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت ان تسلب عقلى بغنائها فقلت جعلنى الله فداءك وهذا الذى صيرك الى ما ارى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن او يخف فقد قال الاول

صبرت على اللذات لما تولت * والزمت نفسى صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطمعت تاقت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس ولما ابى الا جماحا البيتين فاسكتتنى بجمعها عن المحاورة وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها (وحكى) الزبير بن بكار قال دخلت على الامير ابن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم فى وجهى ثم قال

فقلت بالله لا تطيلوا * والله والله ما افكه

(وما احسن قول شهاب الدين بن الخيمى رحمه الله)

وعذول رابنى فى نصحه
كلما زدت ابا زاد لجاجا
ماعذولى قط الا عاشق
ستر الغيرة بالعذل وداجى

(وقال آخر)

لو رأى وجه حبيبى عاذلى
لتفارقنا على وجه جميل

(انشدنى الشيخ برهان الدين بن القيراطى)

ذهب العمر بلوم
وصدود من غزال
فى سبيل الحب عمر
ضاع فى قيل وقال

(وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار)

لو رأى حسن وجهه * عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما * قيل فى دور درهم

(وقال ايضا)

لح العذول ولامنى * فيمن أحب وعنفا
فهممت ألطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدى
وقعت على اصل القفا

(وما أظرف قول النور الاسعردى)

وقالوا دع المعشوق واهجره دائما
ألم تره بعد الملاحة ينتف
اينتف من أجلى ويتعب دائما
وأهجره تالله ما أنا منصف

(وقال آخر)

قل للعذول أطلت اللوم فى قمر
يزيد فى كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما فى حسنه عجب
قم فانظر الورد فى خديه منثورا

(وقال محيى الدين البغدادى)

ان لامنى من لا رآه فقد
جار على الغائب بالحكم
وان لحانى من رآه فقد
أضله الله على علم

(وقال ابن الزهير) انت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل عندى لك الود الذى * هو ما عهدتوا كل

ائن باعدت بيننا الانساب * فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده فامر لك بعشرة آلاف درهم وعشر تخوت وبغال تحمل عليها متاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا أيها الشيخ حديثا نذكرك به فقلت احدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت قلت بينا أنا بين المسجدين أوقال على اثاوة الاعرج اذا أنا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فنشب الظبي بقرنيه فدخلا في جوفه فسقط وسقط الظبي ميتين أوقال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا ورجلا ميتا فجاءت امرأة حاسرة وهي تقول

يا حسن يا بطل لكنه أجل * على الاساءة ما اودى بك البطل
يا حسن قلقل أحشائي وأزعجها * وذاك يا حسن عندي كله جلل
أمست فتاة بني نهد علانيـة * وبعلها في اكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه اضن به * فحان من دون ضن الرغبة الاجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفي رواية وبعلها فوق ايدي القوم محتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ثم قال أتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا قال قوله علانية يعني ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب (وحكى) ان امراة أحبت رجلا وكان متمنعا عنها زمانا فراسلته أن يتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فمكثا على ذلك مدة فمرض فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوما تبكي وتنشد

كفى حزنا انى أروح بحسرة * وأغدو على قبر ومن فيه لا يدري
فيانفس شقي جيب عمرك عنده * ولا تبخلي بالله يانفس بالعمر
فما كان يأبى ان يجود بنفسه * لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة (وحكى) الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول بنفسي فتى أوفى البرية كلها * واقواهم في الموت صبرا على الحب قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذا عنف في حبي يصبر واذا الحى عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما الذي يهوى ويكتم حبه * من الامر الا ان يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا ابرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هي ميتة فدفنت الى جانبه (وحكى) رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا انا بجارية كانها قمر تعشي بصر من ينظر اليها فلما رأتني قالت مالك قلت ضلت لي ابل فلم اعرف خبرها فقالت هل ادلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذي اعطاكهن هو الذي اخذهن وهو احق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار فاعجبني كلامها ووقفت انظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبك ليس لك مانع من ادب أما لك زاجر من الحياء فقلت ان يرانا الا الكواكب فقالت أين مكوكبها فقلت الك بعل قالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم انشأت

اني وان عرضت أشياء تضحكني * لموجع القلب مطوى على الحزن
اذا دجا الليل احياني تذكره * وزادني الصبح اشجانا على شجني

قد ضم عذرك في الهوى
لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلـ
ـت الان تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى
وعذلت من لا يقبـل
غضب العذول اخف من
غضب الحبيب واسهل
(وقال أبو العتاهيـة) لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له أما آن لك أن ترعوي وتزدجر فرفع رأسه الي وقال

أتراني يا عتاهي * تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسـدا بالـ
نسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل أنشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيها
مالم يكن منها لها زاجر

فوددت اني قلت هذا البيت بكل شئ قلته وقال جوبان القواس

أصغي الى قول العذول بجملتي
مستفهما عنه بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم
من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق واهب الوامق ألا تراه كيف صغي الى عذوله الفاعل الصانع وجنى من عذله جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع فهو في هذا المقام من الاثبات كما قال ابو الشيص من أبيات

أجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم

(وقال ابن رشيـق) وقد زاد على أبي الشيص في قوله هذا ابن جابر الخزاعي حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما
أخشى صدودك لا من السلطان * اهوى الملامة فيك حتى لو دري * انحذ الرشامي الذي يلحاني

وكيف ترقد عين صار مؤنسها * بين التراب وبين القبر والكفن
ابلى الثرى وتراب الارض جدته * كأن صورته الحسناء لم تكن
ابكي عليه حنينا حين اذكره * حنين والهة حنت الى وطن
ابكي على من حنت ظهري مصيبته * وطير النوم عن عيني وأرقني
والله لاأنس حتى الدهر ماسجعت * حمامة اوبكى طير على فنن

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك في زوج لاتذم خلائقه وتؤمن بوائقه فاطرقت مليا ثم انشدت تقول

كنا كغصنين في اصل غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمني * ان لايضاجع انثى بعد مثواتي
وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا من سنيات
فاصرف عنايتك عمن ليس يردعه * عن الوفاء خلاف في التحيات

(وحكى) ابراهيم الموصلي قال كان كثيرا ما يصف لي زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هي جارية كاد الغزال ان يكونها لولا ماتم منها ونقص منه فسألتها أن تغني فأخذت العود وغنت

اقفر من اوتاره العود * فالعود للاقفار معمود
وأوحش المزمار من صوته * فما له بعدك تغريد
من للمزامير ولذاتها * وعارف اللذات مفقود
فالخمر تبكي في اباريقها * والقينة الخمصانة الرود

فركبت الى امير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما وقعت من قلبه قال لها هل لك ان اشتريك فقالت أما اذا اشتريتني فلاخير لك في فرجها واعتقها واجرى عليها مؤنة (ومن وفاء النساء) ان كسرى ابرويز ترك جارية كانت حظية فطالب ولده اخذها فعالجت ناوس كسرى ففتحته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان في اصبعه فماتت

(القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الغناء وكادت ان تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء)

ومما ينبغي ايراده هنا مصدرا الحكاية المشهورة عن حبابة وهي جارية في الاصل للاحوص وقيل لرجل مدني وانها كانت تسمى العالية وانه دخل بها على يزيد بن عبد الملك في خلافة اخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنته

ما احسن الجيد من مليكة واللبات اذ زانها ترائبها
ياليتني ليلة اذا هجع الناس ونام النيام صاحبها
في ليلة لايرى بها احد * يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها باربعة آلاف دينار فبلغ اخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من افريقية وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبدالله بن عثمان وزنجية بنت عبدالله بن جعفر وامهر كلا منهما عشرين ألف دينار ففاف من سلمان الحجر فلم يزل كاتما وجده الى ان أفضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة فبلغه

قلت والذي أقوله انا في المقام ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام ونديم كؤس المدام الاتراه كيف بالغ حتى جعل للعذول جماله فاصبحت حالته كما قيل ضغث على أباله فهو كما قال بعض السادات من اهل الولايات لوتعلم العوام ما في قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات ومثل قوله هددت بالسلطان قول الآخر
وان نذرت فيك العشية قاتلي
فالموت عندي في هواك سلام
ومن أعجب الاشياء خوفي في الهوى
وفي كل يوم في جمالك حمام
(وقلت انا)
وعاذل بالغ في عذله
وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ماتنتهي
قلت ولا بالشيب والوالي
(وقلت ايضا)
عذلوا على من رام قتلي في الهوى
فكلامهم ضرب من الهذيان
جهلوا وماعلموا بأن الطعن في الـ
محبوب غير الطعن في الميدان
(وقلت ايضا)
كم خالف العذال قولي في الذي
في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفردا
قالوا انثنى عطفه الميادة
(وقلت ايضا)
ياعاذلي لاتلحني * في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القط
(وقلت ايضا)
مليح الترك لاسيما الخطابي
عليه الشيخ يعذر للتصابي
فدعني من ملامك ياعذولي
فحي للخطاء عين الصواب

(وقلت فيمن اسمها حكم الهوى) حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولما بان من فرط الصبابة والجوى

انها في المدينة فمضى اليها فقيل بمصر فمضى اليها فقيل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها لولا اني أخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرا ولما ارتحل بها مولى سعدى أنشد الافريقي وقد تبعتها نفسه

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر * ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبي لم أملك تذكركم * أو عرسوا تستهيم النفس والفكر

ولما سار بها على مكة شيعها الناس وقيل من المدينة وكانوا اماثني رجل الى ذي خشب وسألوها ان تزودهم صوتا فانشدت

سلكوا بطن محيص * ثم ولوا راجعينا
أورثوني حين ولوا * طول حزن وانينا

ثم كتبت أسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا ألف درهم ولما وصل بها لي سعدى ألبستها الحلل وهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقي عليك شيء وهي تعلم ما في نفسه فقال لا فقالت بل انا أعلم فاخبرني عسى ان أوصلك اليه فقال العالية يعني حبابة فقالت أو تعرفها اذا رأيتها قال نعم فاخذت بيده حتى أدخلته عليها فسر وعظمت منزلة سعدى عنده وكانت عاهدت حبابة ان لا تدع لها حاجة عند الخليفة الا قضتها وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهي أيضا جارية كانت لمدني وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعا عظيما فلما اجتمعتا عنده قال انا الآن كما قيل فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأول ما عظمت به عنده ان دخل يوما فسمعها تغني من وراء الستر ولا علم لها به

كان لي يا يزيد حبك حينا * كاد يقضي على حين التقينا

فكشف الستر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انها لم تشعر به فالقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكان أصل الشعر كان لي يا سفين فغيرته وكانت حبابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالادب والآلات والغناء وأخذته عن اهله مثل معبد وجميلة وام عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف الى ام عوف ويقترح عليها ان تغني

متى أجر خائفا تسرح مطيته * وان أخف آمنا تنبو به الدار
سيروا الي وأرخوا من أعنتكم * اني لكل امرئ من وتره جار

فسأل حبابة ان تغنيه ولم يمكنها الطعن على ام عوف فبكتت يزيد بحبه لها بان غنت أثر الصوت أبى القلب الا ام عوف وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيرا ما يسألها ان تغنيه وغنت يوما

لعمرك انني لاحب سلعا * لرؤيتها ومن بجنوب سلع
تقر بقربها عيني واني * لاخشى ان تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والهدايا * وأيدي السابحات غداة جمع
لانت على التنائي فاعلمنه * أحب الي من بصري وسمعي

ولما أنشدته البيت الاول تنفست الصعداء فقال يزيد مالك وله والله لو أردته حجرا حجرا لجئت به اليك فقالت ما اصنع به انما أريد صاحبه اوساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوما ان يغني كل منهما ما في نفسه ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابة خاف من نبي كنانة حولي * بفلسطين يسرعون الركوبا

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
نصحتك علما بالهوى والذي ارى
مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

(وقلت من قصيدة)

وازنت ميلي للعذول وقده
فرأيت ميلي للقوام رجيحا
ياعاذلي لا صافحتك يد النوى
حتى توسد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبابة في الهوى
لكنهم لا يقبلون نصيحا

(وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر)

فيا من جاء يعذل مستهاما
على حلو الشمائل ما امرك

(وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها)

لك من حبيبك ما تحب وتشتهي
فاجعل مدامك من مقبله الشهي
واذا بدالك ثغره متبسما
فاضحك على ذقن العذول وقهقه

(وقلت ايضا من قصيدة ارسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بدمشق الشام)

ياساكني السفح لي في حيكم سكن
وانتم في سويدا القلب سكان
دمعي يزيد كبانياس لبعدكم
والعاذلون على ثورا نيران

(ومنها)

قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفي الآن فالعذال لا كانوا
انا الذي لا ابالي في الغرام بما
يروي فلان ولا ما قال فلتان

(ومنها)

برهنت حسن الذي اهوى وقلت له
ما للعذول على ما قال برهان
ما لائمي مذ رآني في الهوى رجبا
يزج شعبان فيما رمت شعبان

(تنبيه) كانت أسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء

فاصابت

فاصابت به مافي نفسه فقال احتكمي فقالت تهب لي سلامة ومالها فابى وقال اطلبي غيرها فابت الاهي فقال انت أولى بها وبمالها فغمت سلامة لانها كانت ارفع منها زمن التعليم عند معبد حتى كان يأمرها ان تدرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لا ترين الاخير اثم طلب يزيد شراءها فاعتقتها وزوجتها منه واختلفتا يوما في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله

ألا حي الديار بسعدانى * أحب لحب فاطمة الديارا
أراد الظاعنون ليحزنونى * فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد أخبرانه الى حبابة أميل فقضى لها فقالت سلامة انما قضيت للمنزلة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لما له علي من الحق فاذن لها فخص معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تفتقده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الاحوص فقال الفرزدق ما ارق اشعاركم يا اهل الحجاز فقال الاحوص انما هو لجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره وقيل ان معبدا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لي يا قلب ان أترك الهوى * وان يحدث الشيب الملم لي العقلا
على حين صار الرأس مني كأنما * علت فوقه نداقة القطن أغزلا
فيا لاعزان واش وشى بي عندكم * فلا تكرميه ان تقولي له أهلا
كما لو وشى واش بودك عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا
فأهلا وسهلا بالذي شد وصلنا * ولا مرحبا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار في الدار وهو يقول السمك الطري أربعة ارطال عند بيطار حيان فلما رجع الى مجلسه ذكر اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للمنزلة فضحك يزيد وأحسن صلته وكان البيذق من المهرة في الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما مات عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فادخلته وقد جلست مع الخليفة فقالت له ان هذا أبي وشكرت من صوته واشارت اليه ان اقرأ فقرأ حتى بكى يزيد ثم اومأت ان غن فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين ابن سريج

من لقلب مصفد * هائم القلب مكمد * انت زودته جوى
بئس زاد المزود * ثاويا تحت تربه * وهي رمس بفدفد
غير اني أعال النفس باليوم أو غد

فطرب يزيد فضربه بدهن من ذهب مفصص بالياقوت فاشارت اليه ان خذه فجعله في كمه فقال يزيد لحبابة انظري الى ابيك كيف اخذ مدهننا فقالت ما احوجه اليه ثم خرج فامر له بثمانين دينارا وغنته يوما الشعر السابق او القصة بتلحين ابن سريج فطرب وقال هل رأيت أطرب مني فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر فغضب وأحضره فارسلت حبابة فاعلمته ان لا يطرب الا عندما تغنى الصوت المذكور فلما اغنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فامر له يزيد بصلات اجتمعت ثمانية آلاف دينار وقال لها مرة اخرى من اطرب مني فقالت مولاى الذي باعني فاستحضره مقيدا فلما دخل عليه وقد ارسلت من عرفه القصة ايضا غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو يقول الحريق يا اولاد الزنا

المستعملة الآن لانهم كانوا يسمون رجب الاصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الأخير على أن الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا

(ومن أحسن ما سمعت فيه)

وشادن مبتسم عن حبب
مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه
وما درى شعبان اني رجب

(وقلت أنا أيضا)

يسطو على من الدلال كأنه *
غازان اذ يسطو على جرمانه
ان ردني عنه قضيب قوامه
فانا القتيل بلحظه وبيانه
اني وحقك في هواه متيم
صباغ دار رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من أمثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان أبو ضبة اذا رأى رجلا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسيره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فعذله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه (ومن أحسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق)

قلت اذ جود لحظا * حده يدني الاجل
يا عذولي كف عني
سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام ذكرت قول أبو نواس في المدام

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني على بيت أوله لاكثم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره لبقراط في

فضحك الخليفة ووصله بالف دينار ثم لم يزل منعكفا على الاقامة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب قيل انه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها ومزق حلة قيمتها الف دينار وقيل ذكر اخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الاصمعي كان رجلا نهما اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه واما اخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه فقال الرشيد للاصمعي ما اعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندي وان الدهن في اكمام سليمان واثر الخمر في ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد ولي الخلافة اثر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجروا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ما عمر بأحوج الى الله مني فهجر الجواري والشراب أياما وقال لمسلمة أرجو ان لا تعتبني بعد اليوم ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فارسلت الى الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبدا فلحنه ثم احتالت على اسماعه الخليفة قيل عارضته وهو خارج الى الصلاة وقيل رشت خادما مقربا منه فاوقفها بحيث يسمع وانشدته فطرب وقال مر وامسلمة أوقال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه في ذلك وعاد فاعتكف على ما كان عليه وقيل ان الذي أمره بالكف عن ذلك مولى خراساني كان ذا رتبة عنده وانه قال له ساحضرك معهن وأقول انك اعمى فان عنفتني رجعت وفعل فشعرن به وقن يضربنه فوقاه يزيد ثم قال له أدوم على ذلك ام لا فقال دم فاستمر والشعر الذي أنشده الاحوص هو هذا

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا * فقد غلب المحزون ان يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني * ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
واني وان فندت في طلب الصبا * لاعلم اني لست في الحب أوحدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهي * وان لام فيه ذو الشنان وفندا
وعهدي بها صفراء رود كأنما * نضى عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى وأسفل خلقها * جرى لحمه من دون ان يتخددا
من المدمجات اللحم جدلا كأنها * عنان صناع مدمج الفتل عضدا
كأن ذكي المسك منها وقد بدت * وريح الخزامي عرفه ينفح الندى
واني لأهواها واهوى لقاءها * كما يشتهي الصادي الشراب المبردا
فقلت ألا ياليت أسماء اصقبت * وهل قول ليت جامع ما تبددا
علاقة حب كان في زمن الصبا * فابلى وما يزداد الا تجددا
نظرت رحاب الموقرات فكم ارى * أكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فاوفيت في نشز من الارض يافع * وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا
كريم قريش حين ينسب والذي * أقرت له بالملك كهلا وأمردا
وليس عطاء كان منه بمانع * وان جل عن اضعاف اضعافه غدا
اهان تلاد المال في الحمد انه * امام هدى يجري على ما تعودا
تردى بمجد من ابيه وجده * وقد اورثا بنيان مجد مشيدا

البيت حكاية لطيفة حكاها الحريري في درة الغواص عن حامد بن العباس أنه سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد عاق به فاعرض عن كلامه فقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة أبي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكاس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد ان تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأ بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ان الذي جعل الهموم عقاربا
جعل المدام حقيقة درياقها
لم يصلب الراووق الا عندما
قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها
ما لامني لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يطفي جمرها
لهب القلوب اذا اشتكت احراقها

فاجبته ذقها وخذ من بعدذا * في طرق لومك ان اردت فراقها وقد انصف شيخ الشيوخ بحماة حيث قال ولو

ولو كان بذل المال والجود مخلدا * من الناس انسانا لكنت المخلدا

فاقسم لاانفك ماعشت شاكرا * لنعمائك ماطار الحمام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف الان فى بعض أبياتها تغييرا ففى نسخة بدل اذالم تكن تعشق * اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا * يعنى بالعزهاة بالمهملة فالزاى محب اللهو والطرب ويدل قوله وانى وان فندت وانى وان أغرقت وبدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الاحوص فاستحضره واحسن صلته وتراسلت فيه يوما هى وسلامة فغنيتا الى ان قالت حبابة كريم قريش فقال يزيد من يعنى قالت انت فقالت سلامة اسمع باقيه واكملته فاجزل صلة الاحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول أحسنت ياحبيبتى أتأمرينى ان اطير فتقول له الى من تكل الامة فيقول اليك واشتد طربه بها يوما فقال لها قد استخلفتك واستعملت فلانا عنك فقالت قد عزلته فقال أوليه وتعزلينه وقام مغضبا فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادما لها فقال له ماتصنع حبابة قال قد اتزرت بازار خلوقى وهى تلعب بلعبها فقال هل تقدر ان تمر بها على ولك حكمك ففى فلاعبها ساعة واستل لعبة وفر فانطلقت فى طلبه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهى تقول عزلته واصطلحا واقاما على ذلك الى ان قال يزيد يوما قد بلغنى ان السرور لم يصف لشخص يوما كاملا وانى مجرب ذلك ودعا بحجابه فاوصاهم ان لايدخلوا عليه احدا واحتجب معها ببستان له بقربة من الغوطة تسمى بيت رأس على زعم المؤرخون ان يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم رشقها بعنبة او حبة رمان وقيل هى ابتلعتها فشرقت بها فماتت واشتد غم يزيد وحزنه واقام ثلاثا يرشفها و يضمها ولم يمكن احدا من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه فاذن فى تجهيزها ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال له مسلمة انا اكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم اليه جويرية كانت تخدم حبابة فانس بها فقال لها يوما ههنا كنا نجلس قالت نعم فانشد

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلا ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارنى فهو قائل * من اجلك هذا ميت اليوم اوغد

ثم مكث خمسة عشر يوما وعاوده القلق فامر بنبشها فقيل منعه اخوه وقال له يظن الناس انك اتيت فى عقلك فيخلعونك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال اراها احسن منها اليوم وانه مات حينئذ وقيل اقام اربعين يوما ثم مات ودفن الى جانبها قالوا ولم يعلم خليفة مات عشقا سواه واما سلامة فاقامت بعدهما حتى توفيت على ماقيل فى عهد المنصور (وحكى) عن رجل انه قال دخل على غلام ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيرا * ونجاك المليك من الغموم

فعندك لومننت شفاء نفس * واعضاء فنين من الكلوم

فعلمت انه عاشق وامرت بادخاله فلم يجدوه فعرضت الكتاب على جوارى وقلت من عرفت منكن امر صاحب هذا فهى له ومائة دينار فحلفن انهن لم يعرفن ذلك وبقى الكتاب

أعاذلى ليس مثلى من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلى

ماذمت خلوا فما تنفك متهما قلبى

أعشق وقولك مقبولا على ولى

(وقال الآخر)

لو تعلم الورق حنينى نحوكم

لمزقت من طرب اطواقها

ولو يذوق عاذلى صبابتى

صبا معى لكنه ماذاقها

(حكى) ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضى الفاضل انا مدة لم نرفيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضى الى دار العماد الكاتب وجد أشياء انكرها فى نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب فانشده

مانا صحتك خبايا الود من رجل

مالم ينلك بمكروه من العذل

محبتى فيك تأبى أن تسامحنى

بان أراك على شىء من الزلل

(الباب الثالث عشر فى ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وماقيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب ومايستدل به عليه من روائح الطيب كما قيل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم

نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا وأمسى له الفضل زائرا ومزورا كما قيل

ان زارنى فبفضله أوزرته

فلفضله فالفضل فى الحالين له

فالزيارة من الحبيب لاتمل ولو الحق فيها الوابل بالطل ومن أحسن ماقيل فى زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبى من زارنى مكتتما

خائفا من كل شىء جزعا زائرا نم عليه حسنه * كيف يخفى الليل بدوا طلعا رصد الغفلة حتى أمكنت

والدراهم سنه في جانب البيت فبينما انا يوما جالس اذ دخل على غلامي بكتاب مثل الاول وفيه ماذا أردت الى روح معلقة * عند التراقي وحادي الموت يحدوها
حبست حاديها ظلما فحابها * في السير حتى تخلت في تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشة * وان عقباك دنيانا ومافيها
لقلت لا والذي أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذي كتمت * بنت الفؤاد وابدينا امانيها
فطلبته فلم اجده ايضا فغمني ايضا امره وقلت للخادم لا يأتيك احد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة اذا بشاب على ناقة الى جانبي وقد اخذ منه النحول والسقم الاان عليه آثار الجمال والادب فسلم على وقال هل تعرفني قلت زدني قال انا صاحب الكتابين قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من امرك قال لم أطلب شيأ مما تقول قلت فعرفني اسمها الاكرمها من اجلك قال ما كنت بالذي يبوح بشي وانصرف بعد ان انشد
لعمرك ما استودعت سري وسرها * سواها حذارا ان تضيع السرائر
اصون الهوى خوفا عليك من العدا * مخافة ان يغري بذكراك ذاكر
(ومنهم) ابو عبد الله الخرشاني عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاها لو ارسلت بها اليه فعساه ان يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف اصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهي قال قربك قالت فما تشتكي قال هجرك قالت فبم توصي قال بك ان سمح لي قالت اني اريد الانصراف قال لا تعجلي ثواب الصلاة على فلما رآها ولت شهق شهقة فمات
(ومنهم) شاب بصري قال في النزهة اسمه طريف بن نعيم الغفاري كان بأعظم حالة من الجمال وامكن رتبة من المال وانه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة ان يرسله بمتجر الى بغداد فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين الى اكتساب بالاسفار فلا تفجعني فيك فأبى الا السفر فجهزله جملا وسار حتى دخل بغداد فاقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملاذها ناظره ويشرح بنزازها خاطره الى ان اشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعني المكان الذي تباع به الجواري فحضر مع خواص التجار وجيء بجارية بهرت الحاضرين واشغلت الناظرين فكانت كلما أراد احد تقليبها لم تمكنه من النظر الى أكثر من عضو واحد وكانت كلما أراد أحد شراءها عابته حتى وقعت عينها على البصري فأحبته وأطمعته بنفسها فساوم مولاها حتى اخذها بمائة ألف درهم ثم انطلق بها الى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج فاخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له على بالجارية التي اشتريتها فقال أصلح الله الامير انها زوجي فلا تكن سببا لهلاكي فامر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم انها لم تبق له ان عرف الخليفة ذلك فوجهها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله أطلقه واخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فاقام بها مدة منتغص الحياة فاراد ان يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع في قصة ان رأى امير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمى ان تغني لي ثلاثة اصوات اقترحها ثم يفعل ما شاء فليفعل فلما رأى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف الناس

زارني والدجى أحم الحواشي
والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول
طول الله فيك غيظ الحسود
(وقال الآخر)
زارت على غفلة الرقيب
كظبية روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها
أقصر من جلسة الخطيب
(قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعما انها اصدق كلمة قالها الاواخر)
يقولون لي بالله ما أنت فاعل
اذا زارك المحبوب قلت أنيكه
(وقال يعقوب الشيباني)
قلت اذ زار من أحب وجنح اللـ
ـيل روض أبدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحسـ
ـن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد اطلسا حين يمشي
واجعلوا عسجد الكؤس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقدتم
يسري الى العيون مرارا
واحجبوا أبيض الصباح وقولوا
لتواشي الظلام كن بردادارا
وعلى ذكر البردادار وما أحسن قول الآخر دوبيتا
ياليل بك الثناء والمدح يليق
اذ أنت لاهل العشق خل وصديق
اذ أنت جعلت برددار الهم
لا تعط عليهم قط للصبح طريق
(وقال ابن النبيه)
قلت لليل اذ حباني حبيبا

الناس احضر الشاب والجارية وقال مرهما ماشئت فقال لها غني لي قول قيس بن ذريح لقد كنت حسب النفس الى اربعة ابيات فغنت فزرق اثوابه ثم قال لها غني قول جميل * الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * الى ستة ابيات فغنت فغشي عليه ثم أفاق فقال غني قول المجنون * وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة * الى اربعة ابيات فلما اغنت قام فالقى نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه ما يظن اني اخرجت جارية واعود بها اخذها باغلام فاعطها الورثته اوفتصدقوا بها عليه فلما انزلوا بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لاخير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفيرة فماتت وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوما ورؤي في الاسواق وهو يقول

غدا يكثر الباكون مناومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

وقيل ان القصة وقعت بين يدي سليمان بن عبد الملك وانه اقترح في الصوت الاول قول امرئ القيس * أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * الى ثلاثة ابيات وفي الثاني * غدا يكثر الباكون مناومنكم * البيتين (وفي الثالث)

تالق البرق نجدا فقلت له * يا أيها البرق اني عنك مشغول

يكفيك مني عدو ثائر حنق * بكفه كعباب الماء مصقول

وانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقى (ومنهم) الشريف البياضي عشق جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجدا عظيما وتطاول امره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فرض ايضا هو فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرا فادون ثم لحق بها وله فيها اشعار كثيرة

(منها) خليلي مرا بالعراق فناديا * الامن رأى قلبا من الوجد باليا

وان انتما اعييتما في ابتغائه * ولم تجداه فابغيا لي ناعيا

(ومنها) دع الوقوف على الاطلال والدمن * فليس ينفع مسكون بلا سكن

اماترانی لا أثني على طلل * بعد الفراق ولا آوي الى وطن

وكيف يأنس قلبي بالديار وقد * اصاب فيها الردى من كان يؤنسني

ان الذين أذاقوني فراقهم * افنيت بعدهم دمعي من الحزن

لله من لعبت ايدي المنون به * ضنابما فيه ان يبقى على الزمن

جعلت روحي له من روحه عوضا * مقيمة معه في ذلك الكفن

فصار كالحي اذ روحي تحل به * وصرت كالميت اذ لا روح في بدني

وكيف تصحب روحي بعده جسدي * وكان ان غاب تأبى ان تصاحبني

(ومنهم) ما اخرجه ابن الجوزي في تنوير الغبش عن التنوخي والثوري يرفعانه الى اسمعيل ابن جامع قال وقع بيني وبين ابي وحشة فذهبت الى خالي باليمن فكنت عنده من غرفة تشرف على نهر فنظرت يوما الى سوداء قد اقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم انشدت

الى الله اشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما

فداوي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت أعدو حتى لحقتها استعيد الصوت فابت وقالت اني في شغل

قول شمس الدين محمد بن العفيف) ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجى اذ تجلى مادرى منزلي ولكن قلبي بلهيب الجوى هداه ودلا

وعجيب منه ففيه ذكي

بمحل النزاع كيف استدلا

(وقال الآخر)

ياحبيبي وأنت ما * زلت بالوصل منعما

زرتني بعض ليلة * بت فيها سامهوما

حين وليت غائبا * أفل البدر في السما

ليت شعري من الذي * من أخيه تعلما

(وقال بشار بن برد)

ياأطيب الناس ريقا غير مختبر

الا شهادة أطراف المساويك

قد زرتنا مرة في الدهر واحدة

ثن ولا تجعلنها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمائة باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فاخبروني به (قلت) وأخبروني الآن بعض الصوفية المقيمين عندي بالصهريج انه باض عندهم ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم اقام بعد ذلك سبعة أيام ومات (رجع الكلام وقلت أنا)

لي حبيب له حبيب موافي

كل يوم يأتي اليه مرارا

قلت زرني مقام حبي عندي

شغل الحلي أهله أن يعارا

(وقلت أيضا من قصيدة)

زار الحبيب ووجهه الورد خجلان

فاصفر حين تثنى قده البان

قد كان ما كان من هجرانه زمنا

وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا

ماضرني ضيق عيشي حين واصلني

سم الخياط مع الاحباب ميدان

(فصل في نم الطيب على الحبيب)

ما أحلى قول ابن سكرة

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس تسترت بالدجى عمدا فما استترت * ونم اشراقها الا على القبس

عن ذلك قلت عساذا قالت على درهمان فاعطيتها اياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب مني واقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت كانك تستكثره بأربعة دراهم كاني بك وقد اخذت عليه أربعة آلاف دينار فلما كنا عند الرشيد او قال عند المأمون و بين يديه أربعة اكياس كل واحد الف دينار قال من أطربني فله الف دينار فغنيته البيتين فرماني بكيس واستعاد الصوت فرماني بالآخر حتى أعطاني الاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء (ومنهم) ما أخرجه بن اسحق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سر من رأى ودجلة في طغيانها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغني

وا رحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يشتمون و يضربو * ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت له مغنية أخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين رأى فعل الجارية ألقى بنفسه وهو يقول

أنت التي عرفتني * كيف الهوى لو تعلمينا
لاخير بعدك في البقا * والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبهما فقيل وجدا متعانقين وقيل استخرجا ودفنا وفي رواية الحافظ ان القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة وان الغلام هو الذي ألقى نفسه قبل حين سمع الجارية فتبعته انها غنت هذا الصوت

يا قمر القصر متى تطلع * أشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قضى كل ذا * منك على رأسي فما اصنع

(ومنهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبدالله بن جعفر فشغف بها حتى كان يأتي الباب لسماع صوتها فلما فطن به زينها ونزله بها اليه فوجده ماشافهه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك فلما رآها فحص برجله وحرك فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبدالله أن يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقا

(القسم الرابع في ذكر من حظي بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق)

وهذا القسم هو الذي ترجمه من ساعده الزمان بطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك اما الشفاعة أو جاه او حيلة او عناية أزلية وهم ايضا بالنسبة الى النساء اما متعلق بالاحرار او رمي بالعشق من جهة الجواد (فمن الصنف الاول) عبدالله بن ابي بكر الصديق عشق عاتكة فكلف بها حتى كاد ان يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لايشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى امرها فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد في الاثر فجلس معها وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذفاتته الصلاة وهو لا يدري وجاء ابوه فوجده عندها فقال له اجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد الهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب في ذلك ولم نقل شيأ وقد الهتك عن الصلاة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فانشد

أعاتك لا انساك ماذر شارق * وماناح قمري الحمام المطوق
لها منطق جزل ورأي ومنصب * وخلق سوي في حياء ومصدق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق

ثلاثة منعتها عن زيارتنا
خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما
تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره
والحلي تنزعه ما حيلة العرق
(وقال)
يوم يقول الرسول قد اذنت
فأت على غير رقبة و لج
أقبلت أهوى الى رحالهم
أهدى اليها بريحها الارج
(قيل) و يستدل بالطيب على السالك في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج ومازالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه
ان جاء من يبغي لهم منزلا
فقل له يمشي و يستنشق
وقال محمد بن عبدالله النميري في زينب أخت الحجاج من قصيدة
تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت
به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع
تطلع رياه من الكفرات
يخمرن أطراف البنان من التقى
ويطلعن نصف الليل معتجرات
(ومنها)
ولما رأت ركب النميري أعرضت
بكره لان يلقينه حذرات
ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهي مشهورة بين أهل الادب أضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائي
قد بنا في ظلال الليل معتسفا
فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل
(وقال آخر) وليس نسيم المسك ماتجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف (وقال آخر)

وكان

وكان أبو بكر على سطح يصلي فسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها ثم أشرف على
غلام له فقال له انت حر واشهد اني راجعت عاتكة ثم ضمها اليه واعطاها حديقة على أن
لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بابيات منها

وآليت لا تنفك عيني حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى * اكر واحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الجون أشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى عليا في ذلك فافتى بانها ترد الحديقة الى اهله وتتزوج ففعلت فذكرها علي بقوله وآليت لا تنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن علي حتى قال ابن عمر من اراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها علي فقالت اني لاضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم ما حكاه معبد المغني) قال بينا انا جالس اذ طرق بابي فقلت للغلام أخرج فانظر من بالباب فخرج وعاد مستأذنا فاذنت فدخل غلام فوضع بين يدي ثلثمائة دينار وقال غن لي

بالله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لا لا ابوحن حتى يحجبوا سكني * فلا اراه ولو ادرجت في الكفن

فعملت لهما لحنا شجيا وغنيته به فاغمي عليه فنضحت عليه الماء فلما أفاق جعل يقبل يدي ورجلي على ان اعيد الصوت فقلت اخشى ان تموت فقال من لي بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيا عليه فلم ازل انضحه بالورد والطيب حتى افاق فجمعت الدنانير بين يديه وقلت خذها وامض عني فقال لك مثلها ان أعدته فشرهت عيني فقلت له ان اقمت عندي وأكلت طعامي حتى تقوى نفسك واخبرتني بقصتك اعدته ففعل وحدثني انه خرج غب سماء وقد سال العقيق مع فتية الى متنزه فاذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرتدان الا باقتناص النفس فاوقعت به وعاد مسلوب العقل فاقام لم يعرف لها خبرا حتى كاد ان يقضي فقالت له قرابته لا بأس عليك اذا اربع الوقت خرجنا بك اوان الفرج فلا نعود الا بخبرها قال فلما جاء الابان خرجنا الى المتنزه فاذا نحن والنسوة كفرسي رهان فقلت لبعض قرابتي قولوا لهذه الجارية لقد احسن من قال

رمتني بسهم افصد القلب وانثنت * وقد غادرت جرحا به وندوبا

فقالت الجارية قد احسن من اجاب

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب واتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع ونتحادث الى ان علم اهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها انا على ما ترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسأل عنه فاخبرته القصة فامرني باحضاره فاحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة فحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان اغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل واهله فلما احضروا امهرها الخليفة وزوجها منه (ومنهم رجل عذري) دخل على معاوية في جمع فلما اخذ كل مجلسه قام فانشد

(وقال ابن الرومي) اعقبته من طيب ذكر وقد
كادت تكون ثناءك المشهورا
(وقال المتنبي)
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق
(فصل) ومن أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي
خبروها اني مرضت فقالت
اضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بان تعود وسادي
فابت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفية وهي تشكو
ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك
ان أمالت على عطفا وجيدا
(أنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة
وملولة في الحب لما أن رأت
أثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم
أنا بالسقام وأنت بالاعراض
(وما احسن قول السليماني)
وأنا الذي أضنيته وهجرته
فهل صلة أو عائد منك للذي
(وقال الآخر)
لا تهجروا من لا تعود هجركم
وهو الذي بلبان وصلكم غذي
ورفعتم مقداره بالابتدا
حاشا كمو أن تقطعوا صلة الذي
(ومن عظيم ما يحكى) عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين ابن عنين كتب اليه وهو ضعيف
انظر الي بعين مولى لم يزل
يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي احتاج ما يحتاجه
فاغنم ثوابي والثناء الوافي
فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال انت الذي وهذه صلة وأنا العائد قلت وقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول وأجاد وعامله الملك

معاوي ياذا الحلم والفضل والعقل * وذا البر والاحسان والجود والبذل
اتيتك لما ضاق في الارض مسلكي * وانكرت مما قد اصيب به عقلي
ففرج كلاك الله عني فانني * لقيت الذي لم يلقه احد قبلي
وخذلي هداك الله حقي من الذي * رماني بسهم كان اهونه قتلي
وكنت ارجي عدله اذ اتيته * فاكثر تردادي مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ماقد اصابني * فهذا امير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ماشأنك قال تزوجت ابنة عمي وكانت من البرزات في الجمال والحياء فانفقت عليها الى ان املقت فرفع ابوها القصة الى ابن ام الحكم فضيق علي بالسجن والقيود حتى طلقت كارها فاعطى اباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعد ذلك فكتب معاوية اليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها ويقول في آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست اعرفه * فاستغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذري منتحبا * يشكو الي بحق غير بهتان
أعطي الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من ديني وايماني
ان أنت راجعتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع * وأشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ثم طلقها فاخرجها فلما وصلت الى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح لاعرابي انما تكون لامير المؤمنين فعجب منها ثم استنطقها فاذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان رأسي عن بدني ثم أنشد

لا تجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه اي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في رمس واحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن ام الحكم وبين ابن عمها فانشدت

هذا وان أصبح في اطمار * وكان في نقص من اليسار
اكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
اخشى اذا غدرت حر النار * خلي سبيلي مابه من عار
لعلنا نرجع للديار * وان عسى نظفر بالاوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار (ومنهم) ماحكاه في منازل الاحباب عن بعض المجدونية قال صحبت المتوكل الى الشام وكنت مغرما بالفراديس لظرفها فحين بلغناها قال المتوكل هل لك في ان تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها فقلت نعم فاخذ بيدي وجعلنا نستقري الاماكن

فما الشأن بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه العظيم سلطانه فكم أقر لابن عنين عينا ووفى عنه دينا فنال به السول وطرب من الصلة والعائد بره الموصول لاجرم انه ملأ بمدائحه ديوانه وقال فيه من قصائده الطنانه

كريم الثنا عار من العار باسل * جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عيسى خفية * هي الشمس للاقصى سناها وللادنى

(ولي أنا من قصيدة) في هذا الوزن أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر مخلصها

تطاول غصن البان يحكي قوامه * فقلت له والله قد جئت في المعنى
ولكن بدر التم والبحر قصرا * عن الناصر السلطان في الحسن والحسنى

(ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ماذكرنا الامرئ * قط الا واشتهى أن لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا اذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صفع الله به أصل لحانا) رجع الكلام الى العيادة ما أحسن قول السراج الوراق

قال صديقي ولم يعدني * وعارض السقم في تزيد
لقد تغيرت ياصديقي * ويعلم الله من تغير

(وقال أيضا)

مرضت لله قوما * مافيهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعاني

ونشاهد

ونشاهد ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى اقبلت جارية لم يرمق احسن منها وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي قال ما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل ياشعانين اسقيني ماء فقالت ياسيدي ليس هنا الاماء الغدران وأنا لا أستنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها وأسرعت بكوز فضة فاومأت الى ان اشربه فشربته ثم قال لها ان هويتك تساعديني فقالت أنا الآن أمتك وأما اذا صدق المحب في المحبة فالخوف من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا
أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هبيني نفسك اليوم فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما اخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت

ياخاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لاعدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكاسك عن جليسك اذ أبى
قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فاسلمت وتزوجها فكانت من احظى النساء عنده (ويقرب) من ذلك ما حكي عن الوليد بن يزيد انه عشق نصرانية وراسلها فابت عليه فكاد أن يطيش عقله فتنكر يوم عيد للنصارى وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فادخله فلما رأته قالت للبواب من هذا قال لها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليها فقيل أتدرين من هذا قالت لا قالوا له هو الخليفة فاجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك ياوليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلت أرمقها بعيني وامق * حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى * منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

وفي ذلك يقول ايضا لما اشتهر أمره بها

الاحبذا سعدى وان قيل انني * كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علينا ان نظل نهارنا * الى الليل لاأولى نصلي ولاعصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لانه لم يطلب الا ان يكون صليبا في الزنار (ومثل) ذلك ما حكي عن ابن العباس بن الفضل انه عشق نصرانية بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما في بستان جلست معه اسبوعا فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس * قهوة بابلية خندريس
قد تجليتها بناي وعود * قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحل ذي دلال * ساحر الطرف سامري عروس
قد خلونا بظبية نجتليه * يوم سبت الى صباح الخميس
بين ورد وبين آس جني * وسط بستان دير سرماجيس

ولهذا البيت أشباه ونظائر ذكرتها في كتابي الطارئ على السكردان منها ما حكي عن القاضي ابو بكر بن العربي وقد وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة أضربك به فانشأ القاضي أبو بكر في الحال لنفسه

يهددني بالرمح ظبي مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته
ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سألت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجد أحد منهم بطائل

(وقال ابن النقيب)

سمعت بما تشكو وما أنت واجد
فظلت دموع العين في الخد تسفح
وأرسلت خطي في العيادة نائبا
وما كل خط للعيادة يصلح

(وقال المعتمد بن عبادة)

مرضت فامسكت الزيارة عامدا
وما عن قلى أمسكتها ولاهجر
ولكنني أشفقت من أن أزوركم
فابصر آثار الكسوف على البدر

(وقال الشهاب محمود) في القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول
وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام
فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وأورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنى
كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى
مثل عيني صدقت لكن سقاما

(وقلت) أنا حين وقفت على قول الارجاني هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت ان حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض

يثني في حسن جيد غزال * في صليب مفضض أبنوس
كم ثمت الصليب في الجيد منها * كهلال مكال بشموس

(ويقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي في تاريخه قال رأيت بحماة رجلا وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد ليكتب عنده فكان لا يمكنه من الخروج فحكي انه عاق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح و يأتي وأقام على ذلك طويلا وانها قالت له يوما ان احببتني فاكوعلى رأسك صليبا ففعل وأنا رأيته

(ومنهم الشحمي) وهو رجل من فزارة اوهو من زبالة عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه ان يزوجه بها فتسور عليها الليلة فاحس به فقبض عليه وأتى به الى خالد القسري فاقام جماعة فشهدوا انه سارق وسأله فاقر ليسترها فامر بقطع يده فرفع اخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه * لالفيت في امره غير ناطق
اذا امدت الكعبان في السبق للعلا * فانت ابن عبد الله اول سابق

فتجسس خالد على الامر فلما استحقه احضر اباها وأمره أن يزوجها من الغلام فابى فاجبره وساق المهر من عنده * (ومنهم محمد بن صالح العلوي) * قال لما خرجنا على المتوكل اخذت انا وأصحابي قافلة الحاج فجمعنا مالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسي وأصحابي يجمعون الى المال اذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فاضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت أين الشريف صاحب السرية فلي اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونية بنت عيسى بن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا اسألك أن تأخذ مني ثلاثين الف دينار مع اني أعطيتك ما في يدك ولكن أسألك بفضلك ان لا يكشف لي أحد وجها فناديت أصحابي فلما اجتمعوا قلت من أخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بي الخليفة وحبسني بسر من رأى دخل على السجان يوما فقال ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ولولا ان دفعتا الي دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة ان يدخل عليك احد فخرجت فاذا انا بها مع امرأة وجارية تحمل شيأ فلما بصرت بي قالت اي والله هو وبكت لما أنا فيه ثم قبلت قدمي وقالت لو استطعت ان آتيك بنفسي لفعلت ولكني لا أقصر في خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الي خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد اضرمت بقلبي نارا اقدحتها النظرة الاولى فانشدت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه * وتشعبت بشعابه أشجانه
وبداله من بعدما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنعا أركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه
ياقلب لايذهب بحلمك باخل * بالنيل باذل ثافه منانه

(وما احسن قول محاسن الشواء)

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا
وقالوا به عين فقلت وعارض

(وقال ابن النقيب)

وما بي سوى عين نظرت لحسنها
وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة
لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

(والاصل في هذا كله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به أعين الانس

(وما أحسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكوافي)

اسم حبيبي وما يعاني
قد شغلا خاطري وبالي
قالوا على فقلت قدرا
قالوا كوافي فقلت قالي

(وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا
اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقربرقي اذ أقول اناله
وكم قالها أيضا ولكن لتهديدي

(وقال السراج الوراق)

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي
لهموم نفس ابت لا جاتها
قد كان عندك يافلان صريمة
فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

(الباب الرابع عشر في الرقيب النمام والواشي الكثير الكلام)

أقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر في العين كثير المين يرى المحب بعين المقت في كل وقت و يرميه في الحضرة والمغيب بكل سهم مصيب فكم ترك المحب مضنى وأفقره فيمن أحب وما استغنى فهو كالضبع قاطع اللذات تعيين الحركات قبيح المنظر سيئ المخبر كثير اللجاج حجر في دكان زجاج فهو والنمام في الاذى فرسا رهان

واقنع

واقنع بما قسم الاله فامره * مالايزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لايدوم كمامضى * عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل رسولها يعاودني بالاحسان وملاطفة السجان الى ان خرجت وعظم امرى عند الخليفة فخطبتها فامتنع ابوها فكان سجن هواها اعظم من السجن فلم أر الا ان اتيت ابراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى زوجني بها ولابن صالح فيها وفي ابراهيم مدائح كثيرة تركتها * (ومنهم جعد بن مهجع العذرى) * قال عمرو بن أبي ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار وملح الاشعار مع انه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسألت عنه العذريين فقال لي رجل تريد أبا المسهر قلت نعم اياه اعني فتنفس الصعداء ثم قال قد اصبح والله كما قال

لعمرك ماحبي لاسماء تاركى * صحيحا ولا اقضى به فاموت

قلت ومابه قال مثل مابك من تيهكما في الضلال قلت فمن انت قال اخوه قلت كأنك واياه على طرفي نقيض ثم انطلقت اقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكى ما نلاقي من الهوى * متى ما اقل يسمع وان قال أسمع
فلا يبعدنك الله خلا فانني * سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان الموسم من قابل وأنا بعرفة رأيت شابا لم تبق الا رسومه فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله فشكا الى مابه فقلت له ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل مابك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى ولوحه
* أنت حسيب الخصم يوم الدوحه *

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثني ان له أخوالا من كلب وانه حول ماله اليهم خشية التلف فأقام معهم وانه خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع اصفر وعمامة سوداء يطرد سخلة وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلي لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدي كحق العاج فقلت امرأة انت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعة فأخذها النوم فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلني ثم راجعت المروأة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأبا كذلك ثم مضيت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك فاني موصلك الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتي وصحبت الف دينار ومطرف خز وقبة خضراء من أدم ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فاحسن ملقانا فقلت له قد أتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة انت والمرغوب في مثله فقلت لم اخطب الا لصاحبي هذا وهو ابن اختكم فقال الحسيب الكريم ولكن أخيرها بينكما فقلت ما انصفتني فأوما صاحبي الى ان دعه فقلت افعل فخيرها ففوضت الامر الى فحمدت الله فزوجتها من صاحبي وأمهرتها الفا وكسوت الشيخ المطرف وسألته ان يبني بها

زضيع البيان ومن أبلغ ماسمعته في الرقيب
اناوالحبيب ماخلونا ولاطر * فةعين الاعلينا رقيب
ماخلونا بحيث أن يمكن الده
ـر بانى أقول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ماقلت أنت اا
ح فوافى فقلت كيم الطبيب
(وقول ابن المعتز)
وابلائى في محضر ومغيب
من حبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا
شرقت قبل شربها برقيب
(وقال ايضا)
قد دنت الشمس للغيب
وحان شوقى الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم
له حبيب بلا رقيب
قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا
فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب
قال الصاحب بن عباد
قال لى ان رقيبي * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجـ
ـنة حفت بالمكاره
(وقال آخر)
لسهم الحب جرح في فؤادى
وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكي
مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا
لصب على محب أو حبيب
(وقال آخر)
يسقيك من كفه مداما
ألذ من غفلة الرقيب
كأنها اذ صفت ورقت
شكوى محب الى حبيب
(وقال أبو نواس)
لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا
سلم الرقيب من العمى
(وقال الصفي الحلي) ومليح له رقيب قبيح * يتمنى وغيره يتهنى
ليس فيه معنى يقال ولكن

هو عند الغداة جاء لمنى (وقال آخر) قالت اذا غاب الرقيب الرقيب كالقذى * صفا الوقت ولكن قالت

من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لى كثيرا مما اخفته عنى قديما وسألتها عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى انى رأيتك جازعا * فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحنى اوتقول فتيـة * يضير بها برح الهوى فتعود
فوريت عمابى وفى الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت *(ومنهم ماحكاه اسدى وهو من العجائب المستلطفة)* قال ضلت لى ابل فطلبتها فى قضاعة حتى اذا دهمنى الليل امسيت فى بيت تفرست انه كنز للضيف فناديت اهله فلبتنى امرأة كالشمس جمالا وقالت انزل على الرحب واجلستنى عند نار فاصطليت وأتتنى بعشاء كثير فاكلت وهى تحادثنى واذا ابل كثيرة قد اقبلت الى البيت وقد اقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا اظنه عبد القباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت اسدى فعلمت انه زوجها فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كانك تعجب منا قلت اى والله واى العجب قال احدثك بوصولها الى قلت ما اشوقنى الى ذلك قال اعلم انى كنت سابع سبعة اخوة اذا رأيتنى ظننتنى عبدهم وكانوا يطرحونى للرعى ونحوه فضل لنا بعير فقالوا امض فى طلبه فقلت ما انصفتمونى فقال ابى اذهب يالكع والا جعلته آخر ايامك وتهددنى بالضرب فمضيت وانا على أسوأ حالة من البرد والجوع فدفعنى المساء الى عجوز عليها سمة الخير والشرف والى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر بى وتقول هل لك اذا نام الناس ان تدخل على فاتحدث معك فانى لم أر احسن منك فقلت دعينى من هذا واقبل ابوها واخوتها سبعة فناموا ابازاء الخيمة فاقرانى الشبع والدفء فدخلت الستر فلما شعرت بى قالت من تكون قلت الضيف قالت اخرج لاحياك الله ولا صبحك فخرجت فزعا فتلقانى كلبهم يريدان يأكلنى وانا ارده بعصاى حتى علق بجبة صوف على فتجاذبنا حتى سقطت انا واياه فى حفرة لاماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فاقبلت حتى اذا بصرت بى قالت وددت والله ان اجعلها قبرك لولا خشية الضرر ثم ادلت لى حبلا وقالت ارق فحين قاربت فم الحفرة انهارت من تحت اقدامها فسقطنا جميعا فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان ابوها عارفا بالقيافة فاقبلوا بالسيوف والاحجار على قتلنا فقال ابوها انى لاعرف من ابنتى مالا ريبة فيه فامسكونا واخرجونا فاقبل على ابوها فقال افيك خير لازوجك بها اتقاء الشهرة فقلت حين شممت الحياة وهل عندى الا الخير فزوجنى بها على خمسين بكرة وأمة وعبد افرجعت الى ابى فاخبرته بذلك فاحضرها واقبلت بها اليهم فأخذوها وبنيت بها وها هى تسمع ما اقول

(ومن الصنف الثانى) ماحكى عن على رضى الله عنه انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية وكان اذا رآها المؤذن يقول لها انى احبك فاخبرت عليا بذلك فقال لها قولى له وانا ايضا احبك فماذا تريد فقالت له ذلك فقال اذا نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفى الصابرين اجرهم فمضت واخبرت عليا فدعا به وزوجه منها *(وحكى)* عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية له فبلغه انها تهوى عبدا من عبيده فقال لها فى ذلك فقالت أعيذك بالله من هذا فاقسم عليها ان تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم داخله من حبها ما كاد ان يذهب عقله فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة آلاف درهم فقال ولا مائة الف فقال

ارضنى قالت اذا
(وقال آخر)
أحب العذول لتكراره
حديث الحبيب على مسمعى
واهوى الرقيب لان الرقيب
يكون اذا كان حى معى
(وقال أبو جعفر أحمد بن الابار)
زارنى خيفة لرقيب مريبا
يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لى ماترى الرقيب مطلا
قلت ذره اتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا
وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا
واجعل الكاس منه ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من نتقيه
وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد أن تدب عليه
قلت أبغى رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه
قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا
ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم اوهل سمعتم بصب
نال محبوبه ونال الرقيبا
(قال ابن بسام) لقد تظرف ابن الابار وأبر واحسن ماشاء وقدر وأظنه لوقدر على ابليس الذى تولى هذا المذهب لدب عليه ولم يخلص من يديه وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال
فكان ماكان مما لست اذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
(وقال ابو نواس)
اذا هجع النيام فخل عنى
ومن كان يصلح للدبيب
الذ النيك ما كان اغتصابا
بمنع الحب اوخوف الرقيب (وقال ابو الوليد محمد بن حسان الحنفى) نشر النسيم بعرفكم يتعرف

بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليل ومات العبد فاعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها انشد

رضيت بحكم الله في كل امره * وسلمت امر الله فيه كما مضى
بلاني وابلاني بحب دنية * وصبرني حتى انمحى الحب فانقضى
لعمري ما حي بحب ملالة * ولا كان حي زائلا فتنقضا
ولكن حي معه دل يزينه * ويعرض احيانا اذا الحب اعرضا

(حكى) الرياشي قال اشترى بصري جارية على ارفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مثريا فانفق عليها ما في يده حتى اذا املق ولم يبق معه شيء اشارت عليه ببيعها شفقة عليه فلما احضر بها السوق اخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف انشدت

هنيألك المال الذي قد حويته * ولم يبق في كفي غير التذكر
اقول لنفسي وهي في غشي كربة * أقلي فقد بان الحبيب او اكثر
اذا لم يكن للامر عندي حيلة * ولم تجدي شيأ سوى الصبر فاصبري

فاشتد بكاء مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شيء سوى الموت فاصبري
اروح بهم في الفؤاد مبرح * أناجي به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا الفرقة محبين *(وحكى)* عن ابن دأب انه مرض مرضا شديدا وطال به الامر فدعوا له أطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شيء فامر واهله ان يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده انشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول

دعوني لما بي وانهضوا في كلاءة * من الله قد أيقنت ان لست باقيا
واذ قد دنا موتي وحانت منيتي * وقد جلبت عيني الى الدواهيا
أموت بشوق في فؤاد مبرح * فياويح نفسي من به مثل ما بيا

فاعلموا عمه بذلك فرحمه وبعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت ما عنده بلطف فأخبرها انه رأى جارية أخته في نومه فعشقها فأصابه هذا الحال فاعلمت أخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته *(وحكى رجل)* قال عشق عبد اسود لصديق لي بالمدينة جارية لرجل ايضا وكان يواصلها سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وسجنه فتوله واطار عقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء في الهوى غير أنها * تجلد احيانا ومالي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنوني عليها حين أنهى واوعد

فخرجت واعلمت مولاه فحلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها باثني عشر دينارا وزوجها منه (وحكى) عن ابن جعفر ايضا انه وجد بجارية عنده اسمها عمارة وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد الليل وانصرف

وأخو الغرام بحبكم يتشرف
شرف المتيم في هواكم انه * طورا ينوح وتارة يتأهف
صب اذا كتم الغرام ولم يبح
نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا
ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه
أخفى عليه من النسيم وألطف
وكلما يفد النسيم دياركم
وله على تلك الديار توقف

(قال عروة بن عبد الله) كان عروة بن أذينة الليثي نازلا في دار أبي العقيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التي زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فادقها واجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة
أخشى صعوبتها وارجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة
في بعض رقبتها فقلت لعلها

فاتاني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب والبشر الك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغني انك سمعته ينشدها فانشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق لا كالذي يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة
عني فاهلي بي أضن وأرغب

لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجو أن يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى

(وقال ابن رشيق)

تأذى بلحظي من احب وقال لي * اخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا

فغنت الجارية بحضرته فاخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم أمرها فلما أفضت اليه الخلافة استشار أهل سره في امرها وانه لا يهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه مع ابيك ولا نأمن عليك في ذلك فالزم المهلة واجتهد في الحيلة فاخذ في تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل واطلعه على امره فقال له مكني مما أريد ولك على ان آتيك بها فقال لك ذلك وسترى مني ما يسرك ثم أعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقي كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله ابن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه وأخذ العراقي في التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على ألف دينار وسأله قبولها فقبلها ونقله الى خواصه فزاد في الهدايا الى ان صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت اعجب بها العراقي حتى قال ما ظننت ان في الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوي عندك قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لي شأنها وتطلب بذلك سروري قال يا سيدي أنا تاجر اجمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتك قال اشتريت وقام العراقي فرحا بما ظفر به وبات ابن جعفر متفكرا فما أصبح الا وقد جاء العراقي بالمال فقال له ابن جعفر انا كنت مازحا فقال له يا سيدي انت تعلم ان المزح في البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وانت معروف بالكرم والصلات فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى ان خدعه فاخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه واقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقي الشام وجد يزيد قد مات فاجتمع بولده معاوية فقص عليه الخبر وكان صالحا فقال له اخرج عني بها فلا ترني وجهك فخرج العراقي وكان قد قال للجارية انا لست من رجالك وانما اخذتك للخليفة فاستترت فلم يرها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد صرت لي ولكن استتري فاني معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا أخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رآه قد هلك لم ير نفسه اهلا لها فاعادها اليه ولم يراها وجها ثم أخذها فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم ادخلها ورفع منزلة العراقي حتى صار اعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف واقاما على ما كانا عليه (وحكى) في الاغاني عن ابن ابي مليكة عن جده قال كان في المدينة رجل ناسك كثير العبادة فمر يوما بجارية تغني شعر أعشى بني قيس وهو

بانت سعاد فامسى حبلها انقطعا * واحتلت العود فالحدين فالفرعا
وانكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقله وذهب اليه عطاء وطاوس يلومانه في ذلك فانشد

يلومني فيك اقوام اجالسهم * فما أبالي اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية باربعين ألف درهم ثم احضر الناسك وكان الصوت الذي سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا عليه فقال ابن جعفر قد اثمنا فيه الماء الماء فاتي بالماء فجعل ينضحه حتى افاق فقال له اسمعه من الجارية قال قد رأيت ما وقع لي منه مع من لا أحبها فكيف منها فقال أتعرفها قال وهل اعرف غيرها فاخرجها له وسلمها اليه وقال هي لك والله ما رأيتها فقبل يديه ورجليه وقال قد اعدت عقلي واحييت نفسي ودعا له فقال يا غلام

وقال اذا كررت لحظك دونهم * على فما يخفي دليل مريبنا (١٣٢) فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلي بنا

(وقال آخر)

ورقيب عدمته من رقيب
أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل في الظلام وعندي
هو كالصبح قاطع اللذات

(وسألت) في وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطي هل تحفظ شيأ مليحا في هجو الرقيب فسكت لحظة وأنشدني لنفسه

قال لي صاحب يروم قريضا
في هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم في الرقيب شيء مليح
قلت ما في الرقيب شيء مليح

(وقلت) أنا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغن لي
وقل في ثقيل نحسه متغيب
رقيب نفى عن أرض ليلى عشية
وأخرج منها خائفا يترقب

(وقلت أيضا)

عاذلي في الحبيب دعني فاني
برحت بي في حبه البرحاء
راقب الله في محب حبيب
من نجوم السماء له رقباء

(وقلت) أيضا من قصيدة

فبت ولي شغل عن العذل شاغل
يذود الكرى عني من السهد زائد

(وقلت) أيضا من رسالة وأما الرقيب فامره عجيب وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب فهو بالنهار من الذين يراؤون وبالليل ابن فاعلة لا ينام ولا يخلي الناس ينامون فاذاه اذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ان قعد قامت القيامة وان راح لا كتب الله عليه سلامة

* (فصل في النمام والواشي وما اطرف ما سمعت في ذلك) * قال لي عودي غداة رأوني * ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي

أجل

احمل معه مثل ثمنها الا ثيابا وطيبا يتطيب به فاخذ ذلك وانصرف (وحكى) انه كان ببغداد رجل من ذوى النعم فعشق قينة على أوفر ما يكون من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب فانفق عليها ما معه حتى ضاق حاله فاشار عليه بعض اصدقائه ان يأذن لها في الغناء عند الناس فانها مطلوبة و يحصل له بذلك الثروة فغم لذلك واخبره ان الموت عنده اسهل من ذلك وقالت له الرأى ان تبيعني فتحصل من ثمني على غناك أو اكون انا في ثروة فانه لا يشترى مثلى الا غنى فحضر بها السوق فاشتراها هاشمى من اهل البصرة بالف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وتفارقا صار كل منهما على اقبح حال من البكاء واجتهد في الاقالة قال فخرجت لا أدرى الى أين اذهب اذ لا يمكننى الدخول الى البيت وقد أوحش منها فدخلت مسجدا فجعلت الكيس تحت رأسى ونمت فما انتبهت الا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلى مشدودة فما تخلصت الا وقد ذهب فاشتد ما بى فجئت فالقيت وجهى والقيت نفسى في دجلة طالبا ان أغرق فاستنقذنى الحاضرون ظانين انى وقعت غلطا فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ومنهم من رحم فخلا بى شيخ منهم فوعظنى وقال لست أول من افتقر بعد غنى اما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير في النار فسكن ما بى قليلا ثم عاودنى القلق فاخبرت صديقا لى فاعطانى خمسين درهما واشار على ان اخرج من بغداد فعسى ان اجد من الاكابر يحسن خطى فعزمت على واسط لان لى بها اصدقاء من الكتاب فجئت فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معه غريبا فتزيا بزينا كأنك بعض الملاحين فوقع بقلبى ان الزلال للذى اشترى جاريتى فاتسلى حينئذ بصوتها الى واسط فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فما وقفت الا وجاريتى قد اقبلت ومولاها فضربت لها ستارة فلما انحدروا وجاء العشاء أكلوا وشربوا وقال للجارية الى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت اول من فارقت مولاها والحوا عليها فاخذت العود وغنت

بان الخليط بمن علمت فادلجوا ⁂ عمدا القتالك ثم لم يتحرجوا

وغدت كأن على ترائب نحرها ⁂ جمر الغضى في ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت فانتفضت وصرعت فنضحوا على الماء واذنوا في اذنى فافقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت انشد بالذين احبهم ⁂ وكأن قلبى بالشفار يقطع

فدخلت دارهم أسائل عنهم ⁂ والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت فقالوا كيف جلستم مجنونا اطرحوه فلحقنى امر عظيم فتصبرت فلما شارف القوم المنزل في بعض الطريق أوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فاصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها فلما رجعوا وكان الوقت مقمرا تلطفوا بها وقالوا ترين ما نحن عليه في هذا الوقت فبالله عليك الا ما انشرحت معنا فاخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود على طريقة كان يحبها مولاى ويضرب معى وانه لمعنا فقالوا لها والله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخفف ما بك فقالت هو معنا لا محالة فقالوا للملاحين هل حملتم احدا واشفقت ان ينقطع السؤال فقلت انا يا سيدى فاحضرنى وقال انى والله ما وطئتها وانا رجل قد وسع الله على ما اخذتها الا

قلت مقلى به لسان وشاة ⁂ قطعوه فيه بصنع عجيب واضافوا اليه كبد حسود ⁂ فغشت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذى تشتهيه فقال أعين الرقباء وألسن الوشاة وأكباد الحساد

وقال الآخر

لى عندكم يوم التواصل دعوة
يا معشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها وأا
سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة

(وقال وضاح اليمنى)

فاعص الوشاة فانما
قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا أتو
ك تنصحوا ونهوك عن

(حكى) انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب الشام بقول الشاعر

و يلى من المعرض الغضبان اذ نقل الـ
واشى اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يثنى قوس حاجبه
كأننى كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فامر باحضاره ليتخذه نديما ويجعله من حضرته مقاما عظيما

(وقال السرى)

والقاك بالبشر والجميل مداهنا
فلى منك خل ما علمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة
يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال شهاب الدين بن الاثير)

انى بحبك مستهام مغرم
وسوى هواك على القلوب محرم

لا تسمعى قول الوشاة فانهم ⁂ زادوا الكلام ونقصوه وتمموا
فناى ان ترضى ولو عنيتى ⁂ أى والطلاق ثلاثة لى يلزم

لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فاعتقها وازوجك بها ولا اريد منك الا ان تحضرها كل ليلة وراء ستارة فتسمع غناءها وتنصرف فقالت كيف امنع ذلك عنك وانت سبب حياتى فقال للجارية ارضيت بذلك قالت نعم وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغنى وانا اقترح عليها الاصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا على ذلك حتى بلغنا رمعقل ليلا ونحن ثملون فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة فاخذنى النوم ولم يدر وابى حتى سافر فافقت بحر الشمس فلم اجدهم وعدت الى المحنة فجاز بى سمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم اعرف بها موضعا ولا احدا ولم اكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه فرأيت رجلا من بغداد مارا فقمت لاشكو اليه حالى ففاتنى فتبعته حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فاخذت منه ورقة لاكتب حالى الى الرجل فاستحسن البقال خطى واسترث حالى وسألنى عنه فلم اشرح له اكثر من انه لم يبق فى يدى شئ فقال هل لك ان تكتب عندى فى كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط مالى فاجبته فرأى بعد شهر الزيادة بضبطى وحفظى ما كان يسرق له فزادنى اكرامى فزوجنى بعد حول بابنته واشركنى فى ماله غير انى فى خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بانواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل عيد الشعانين للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع فى نفسى ان اخرج معهم وان عسى ان اظفر باصحابى فاستأذنت الرجل فاصلح لى ما احتاج اليه وخرجت فما وصلت الا والزلال بعينه فى اواسط الناس فلم املك ان طرت اليهم فحين رأونى فرحوا بى وقالوا نحن منذ فقدناك شككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكى ثم اخذونى وادخلونى عليها وهى على تلك الحالة فلما رأتنى شهقت شهقة ما شككت فى موتها فلما افاقت قال مولاها قد وهبتها لك قلت لا ولكن افعل ما تقدم من العتق والتزويج ففعل بالشروط السابقة واعطانى ثيابا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما كنت اجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فجئت الى البقال فاعلمته بذلك وطلقت ابنته واقمت مع الجارية فى احسن حال (وحكى) ان جعفر بن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق بن ابراهيم قد بلغنى ان هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا فى بيته فاخرج بنا ننظر اليها فخرجنا والنخاس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون فى ثوب خشن فادخلنا دارا خربة ففرش لنا حصيرا واجلسنا ورحل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسنا وجمالا فاخذت العود وغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل * خلقا وبيتك موحشا مهجورا
فلقد أرانى والجديد الى البلا * دهرا بوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى واعز من وطئ الحصى * عندى وكنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء فنهضت الى البيت تعثر فى القميص فسمعنا لهما بكاء وشهيقا ثم خفيت اصواتهما حتى ظننا انهما قبضا ثم خرج الشاب بالثوب بعينه وقال اشهدكم انها حرة وأريد ان تزوجونى بها ففعلوا وغم جعفر فواتها وقال له ما حملك على هذا قال حديثى طويل ان شئت حدثتك به قال قل فقال انا ابن فلان وقد كنا من ذوى النعم وهذا يعرف ذلك واشار الى النخاس ثم قال وكانت هذه الجارية لامى فنشأت انا واياها فادخلنا المكتب

(وقال آخر) شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستبيح دم الحجاج فى الحرم خصاله است احصيها لكثرتها
لكنها جمعت فى نون والقلم
يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء فى التفسير ان الهماز الذى يهمز الناس اى يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة وعن الحسن هو الذى يلوى شدقيه فى أقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السيئ وقد اكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال
لم كره النمام اخواننا
أساء اخوانى وما أحسنوا
ان كان نماما فمكروسه
من غير تكذيب لهم مأمن
(وقال آخر)
اسمع نصيحة عارف
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقات على ثقه
(وقال آخر)
ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام
(وقال آخر)
لا افتضاحى فى عوارضه
سبب والناس لوام
كيف يخفى ما أكابده
والذى أهواه نمام
(وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل)
أخفيت حبك عن جميع جوارحى
فوشت عيونى والوشاة عيون
و وددت ان جوانحى وجوارحى
مقل تراك وما لهن عيون
ياليت قيسا فى زمان صبابتى * حتى اديه العشق كيف يكون

فيرعينا

فبرعنا في الادب واخرجت هي لتعليم الغناء فلم اطق فراقها فقصرت معها فلما برعت فيه طلبت أمي بيعها فأيقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها لي وجهزوها لي ودخلت بها بعد ان امتنعت من تزويج بنات الاكابر واظهرت الزهد والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها والناس يظنونه عفة فأقنا في ارغد عيش الى ان مات ابي فلم احفظ النعمة فانفقت الاموال واكثرت من الهبة واسرفت حتى لم يبق عندي الا هذا الثوب أنا وبه انا وابي اياها فأشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة الرأي اني ابيعك واعلم اني هالك اثر ذلك ولكني اختار ان تعيشي بخير فلما عرضت عليكم ودخلت الى قالت لو كان عندك مني ما عندي منك ماذكرت بيعا فقلت أتحبين ان اعتقك واتزوج بك وتقيمي معي على هذا الحال فقالت ان كنت صادقا في الحب فافعل فخرجت وفعلت ذلك فعذره جعفر قال اسحق فلما ركبنا قلت له انت تبذل الأموال وتغني الجواري فلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد غبت القوت الجارية ثم التفت الى النخاس وقال كم بحبت من المال قال ثلثمائة الف دينار قال ادفعها اليه وامره ان يأتيني غدا فلما اعطاه النخاس المال واخبره ان الذي كان عنده جعفر وانه يدعوك اليه كاد ان يطير فرحا واقبل اليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من الكتاب لما رأى عنده من الظرف والادب وامر كلا من العسكر ان يهاديه ففعلوا واقام في النعم (واغرب من ذلك) ما حكى ان اندلسيا كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا وانه أراد بيعها لوحشة فلما حقت الصفقة كاد ان يطير عقله فحكم المشتري في ماله فأبى فتشفع عنده باكابر بلدته فلم يجب فمضى الى الملك واخبره بحاله فأحضر المشتري وشفع عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الاندلسي اليأس منها القى نفسه من شاهق فأبهت الملك وامر ان يتلقى فقدر انه لم يصب بشيء وجيء به الى الملك فقال الله اكبر قد ظهر الحكم في ذلك ثم قال للمشتري قد رأيت ما فعل هذا من حبها فان كنت تحبها كما تقول فافعل كفعله فان عشت فانت احق بها فقال افعل ثم هم بذلك ورجع فأمر ان يلقى غصبا فلما حقق ذلك قال اعطيته اياها فأخذت منه واعيدت الى مالكها (وحكى) ان المأمون افتتن بجارية من جواري ابيه الرشيد وكان يكتم امره وكانت من خواص الخدمة فبينما هي يوما تصب على يديه وقد التفت اذ أشار لها المأمون بقبلة فغمزته مشيرة بحاجبها الى انها خائفة ففترت في صب الماء ففطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكن بها فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كاد ان يقضي من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له اتحبها قال نعم قال قم فاختل بها في هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له انشدني في هذه فأنشد

ظبي كنيت بطرفي * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

(وحكى) ان ابراهيم بن المهدي زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته علية بنت المنصور وكان عندها جارية قد احسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من الطف اهل زمنها وكانها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتمه حياء حتى سكر يوما فغنى

يا غزالا لي اليه * شافع من مقلتيه
والذي اجللت خديه * فقبلت يديه

عقدناه لذكر معاتبة الذمن الاماني وبث هوى أرق من النسيم المتوافي نعم في العتاب فوائد جمة وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمة وهو على أقسام عتاب هو في تأكيد المودة يحصل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وعتاب لتمييز الحق من الباطل ومن المعلوم ان للعتاب بين الاحباب أصلا وفصلا وقطعا ووصلا لابد منه ولاغناء عنه اللهم الاعند من لايراه البتة ولا يعاتب الحبيب الافلته كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحب فيما جاء واحدة
ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي أمثال العرب أسوأ الآداب كثرة العتاب (وقال الاحنف) العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد (وقد قال بشار في تقليل العتاب)

اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

(وقال سعيد بن حميد الكاتب)

أقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رفعت
يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه
فان لكل مقام مقالا

(ومن أظرف ما سمعته في من جفا من الاحباب ثم بادر بالعتاب قول بعضهم)

عتبت علي ولا ذنب لي
بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل ان أبدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل ان يأخذك (ومنهم)

بأبي وجهك ما أكثر حسادي عليه * أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت لطافه لما أراد فأخبرت مولاتها فوهبتها له فلما رآها مقبلة اعاد الصوت فقبلت رأسه ففهمها فأخبرته أنها له فقرت عينه (وحكي) ان رجلا مكيا كان عنده جارية وكانت على أحسن صورة وألطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة وانه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيم بلبابه وانحل بدنه وأهاج شجنه فكان يقنع في كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ثم يمكث باقي السنة عليلا في بيته فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه وأطار لبه فتلطف به حتى عرف أمره وما هو عليه من امر الجارية ورغب اليه أن لا يفشي سره فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها وخرج بها كيوم الموسم فلما اجتمع الناس قال اشهدكم أني وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقيل له كيف تفعل هذا وقد بذلت فيها الاموال قال دعوني اني احييت كل من على الارض لان الله يقول ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وحكي) عن الحرث بن سليمان قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك فأتاه سعيد بن خالد فقال له انا اشكو اليك من ظلمني وانتقص حرمتي قال من قال موسى شهوات قال علي به فاحضر فقال له انت شتمت هذا قال لا وأيد الله أمير المؤمنين انما امتدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسي تتلف في حبها ولم أكن اقدر على ثمنها فشكوت حالي الى أصدقائي فلم يجبني احد فشكوت اليه فاستمهلني ثلاثا فأتيته وهو جالس فقال للغلام عنده اخرج الوديعة فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم فقال تسلمها ثم قال للغلام أخرج ما عندي من النفقة فأخرجها فاذا هي مائة دينار فصرها مع طيب في ملحفة ودفع الكل الي فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق ما يقول عنك موسى قال قد كان ذلك فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون الفا قال هي لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شئ قلت فيم أنفقته قال في تفريج عن صديق واعطاء محتاج وصلة رحم (وحكي) عن الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فاقول لها

ومن السعادة أن تحب * وأن يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب * ولا يحبك من تحبه

(فتقول)

و يصد عنك بوجهه * وتلح أنت فلا تغبه

(وحكي) عن ابراهيم بن ميمون قال حججت فاذا أنا بسوداء قائمة ساهية فانكرت حالها فمكثت ساعة ثم انشدت

من يكره العتاب جملة و يقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود والقطيعة كما قيل

لا تقرعن سماع من
تهوى بتعداد الذنوب
ما نافس الاحباب الا
من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يراه ولا يأباه كما قيل

تصالح عاشقان على عتاب
فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر
ولا شئ ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا
ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

واحسن ايام الهوى يومك الذي
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب

(كتب) الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام في كتابه يزاد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب ببيت شعر
أعاتبه فاغضبه جوابي
أجبني يا ملول على كتابي
فان النفس تسكن بالجواب
فوقع في الكتاب يزاد هجرا
وابعادا الى يوم الحساب

(وذكرت هنا قول ابن رشيق)

وظبي من بني الكتاب يسبي
قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضي رضاه
وأسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا
مسامحة فلا يعدى عليه

(وقال الشيخ العلامة أبو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا)

و بتنا على حكم الصبابة مطمعي
زفيري وأحشائي وشربي المدامع
وحي يعاطيني كؤوس ملامة
و يشدني والهم للقلب صادع
أتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

أعمرو علام تجنبتني * أخذت فؤادي وعذبتني
فلو كنت يا عمرو اخبرتني * أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها من عمرو قالت زوجي أوهمني انه يحبني حتى تزوجته وعندي من الحب له ما عنده لي فتركني ومضى الى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما قالت ومن لي بذلك فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد وصفته لي بانه احسن ما ارى فاذا أنا بفتى على ما وصفت فانشدته الشعر فقال قد رأيتها قلت فما يمنعك منها قال والله عندي أضعاف ما عندها وانما منعني الاكتساب قلت فكم يكفيك في كل سنة قال ثلثمائة درهم فاعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه بعشر سنين فاذا فنيت أو قاربت فائتني أوجه اليك بمثلها ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندي من الحج (وحكى) ان بعض التجار قدم لاصدقائه طعاما وفيه ديكبريكة وقال ابن الجوزي سكباج وأبى أن يأكل معهم فامتنعوا الاجله فقال كلوا فلولا أذى يلحقني منها الا كلت ثم عاود نفسه وقال أتحمل وآكل فلما فرغوا وجيء بالغسول غسل يده أربعين فقالوا اله ابك وسواس قال لا ولكن هذا الاذى الذي قلت لكم وله حديث عجيب قالوا وما هو قال اوصاني أبي وكان من ذوي النعم ولا وارث له غيري أن أحسن الانفاق والتكسب وأن أسبق الى السوق واتجر فيه فحفظت ما قال فبينا أنا يوما في السوق سحرا وقد عرفني الناس بذلك فكان ربما يأتي ذو حاجة في وقت لا يجد غيري فأقضيها فاكتسبت بذلك مالا وجاها فبينا أنا يوما جالس اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندي فرحبت بها فرأيت نعمة وشكلا بهرني فقلت ماذا تريدين قالت ثيابا صفتها كذا فقلت اجلسي حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلي وأطارت لبي فجمعت لها ثيابا بخمسة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت ولم تعطني شيأ ولم أطق من دهشتي ان أقول لها في ذلك ووقع عندي أنها محتالة فقلت أبيع ما عندي واعطي الناس وألزم بيتي فمضى على ذلك أسبوع فبينا أنا جالس اذ أقبلت على العادة فقمت وأجلستها ونسيت ما كان عندي فقالت قد أبطأنا عليك فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لاربابه مع ما ربحت في ذلك ثم طلبت ثيابا بألف دينار فأخذتها ومضت فعاودني ما مضى فأبطأت فقلت والله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت ألف دينار ثم طالت غيبتها شهرا وطالبني الناس فعزمت على بيع عقاري ومالي وقال بعت وأوفيت واذا هي قد أتت على العادة ونزلت عندي فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره فشاغلتها باحضار التجار فقالت هل لك زوجة قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته في ان يكلمها فضحك وقال هي والله أعشق منك لها فرجعت وكانها في ذلك فضحكت وقالت الخادم يأتيك برسالتي ومضت ولم تأخذ شيأ اذ لم يكن بها حاجة من الاصل الا العشق فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لي انها مملوكة لام المقتدر وقد رغبت في جعلها قهرمانة فلما نالت بلك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها أن تزوجها بك فأبت دون أن تراك وقد أخذوا في حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت تم أمرك وهي أن تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت اليه فلما كان السحر اقبل خدام معهم صناديق فوضعوها واذا أنا بالخادم والجارية فأدخلوني في صندوق منها وجعلوا في الباقي ثيابا وحملوها الى الدار فكلما جازوا بطبقة من البوابين يريدون ان

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر وعبرة ان اعتبر وكيف لا وقد مزج قاتله السم بالرضاب والحق الحبيب بالحباب فاصبح وقد ضاقت عليه الحيلة وشبه ثغر محبوبه بانياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر فيا قلبه القاسي أحديد انت أم حجر وما أظنه ملأ كؤوس هذا الملام الا من ماء ملام أبي تمام حيث تجاوز الحد في الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام كاره فقال

لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد استعذبت ماء بكائي

فهلا تنزه عن الانخراط في هذا السلك واقتدى بقول ابن سنا الملك

واملي عتاب يستطاب فليتني
اطلت ذنوبي كي يطول عتابه

وفي غزلي ذكر العذيب وبارق
وما هو الا ثغره ورضابه

او تخلق باخلاق الناس وتأسى بقول أبي فراس

اساء فزادته الاساءة حظوة
حبيب على ما كان منه حبيب

يعد على الواشيات ذنوبه
ومن أين للوجه المليح ذنوب

على أنه رحمه الله يجوز أن يكون قصد معنى جليل القدر فحينئذ يكون كلامي حديث خرافة يا أم عمرو

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

(وقال الآخر)

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيع

(واحسن منه) قول عتيق بن محمد الوراق

كلما اذنب ابدى وجهه
حجة فهو مليء بالحجج

كيف لا يفرط في اجرامه
كانما الشمس من اعطافه لمحت

من اذا شاء من الذنب خرج

(وقال الحكم بن قنبر المازني)

يفتشوا ذلك فتمنعهم حتى عارض خادم وقال لابد من تفتيش هذا الصندوق فادركني من الخوف ما انساب معه البول مني فصاحت افسدت المتاع وكسرت عليه أواني ماء الورد فقال اذهبي فضوا حتى اخرجوني في خلوة وجعلت تطعمني وتسقيني حتى أتتني يوما فعرضتني على السيدة فرضيتني لما فاحتالت في خروجي ءامرتني بأن أتزين في احسن زينة الى باب الخلافة ففعلت فأخذوني واجلسوني في بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون ان هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ءيذكرون صاحبتي ففرحت فرحا طار عقلي غير اني جعت جوعا احرق احشائي واستطعمت الخدام فلم يطعموني لانهم لم يعرفوني حتى جاء خادم يعرفني فشكوت اليه الجوع فقدم لي ديكبريكة فأكلت وغسلت يدي غسلا ظننت معه النقاء فلما خلوت بها رفستني وقالت عجبت كيف تفلح وانت عامي سفلة وهمت بالخروج فتعلقت بها واخبرتها القصة ثم قلت يلزمني صوم الابد والحج ماشيا والطلاق والعتاق وصدقة مالي ان لا آكلها بعد اليوم الا واغسل يدي اربعين مرة فضحكت ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا ولما مضى أسبوع اعطتني مالا وأمرتني ان اشتري به دارا فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على احسن حال (وحكى) التنوخي في المستجاد ونقله في نديم المسامرة قال حمل الى المأمون من البصرة عشرة قد رموا بالزندقة فلما اجتمعوا للنزول في السفينة جاء طفيلي فنزل معهم وقال ما اظن هؤلاء اجتمعوا الا لوليمة فلما قيدوا اندم وعلم ان لاخلاص له فحين ضربت اعناقهم وكان المأمون يعرفهم سأل عنه فقالوا لم نعرفه فسأله فقال زوجتي طالق ان كنت اعرفهم او احوالهم وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة فقال المأمون يبلغ التطفل باصحابه الى هذا عزروه لئلا يعودوا الى مثلها فقال ابن المهدي هبه لي يا امير المؤمنين واحدثك عن التطفل بحديث عجيب قال وهبته لك فحدثني قال يا امير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير ما شممت مثلها قط ورأيت معصما من الشباك اخذ بقلبي ايضا فاشتهيت ان آكل منه وأخذت في الحيلة اذ لم أكن اعرف احدا من اهل المكان فبعثت الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لي عن اسمه وانه تاجر يحب عشرة مثله فقلت ايشرب الخمر قال نعم واظن عنده اليوم جماعة من أصحابه فمكثت ساعة فاذا هم مقبلون فقال لي هؤلاء اصحابه فحركت دابتي حتى لحقت بهم فقلت قد ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون أني من جماعة صاحب المنزل وهو يظن اني معهم فأكرمني كل منهم وقدم الطعام فأكلنا فقلت في نفسي هذا الطعام قد قضيت منه شهوتي وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت

توهمها طرفي فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
وصافحها كفي فآلم كفها * فمن ضم كفي في اناملها عقر

فهيجت بلابلي وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضا

اشرت اليها هل عرفت مودتي * فردت بطرف العين اني على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم نملك نفوسنا ثم غنت ايضا

أليس عجيبا ان بيتا يضمني * واياك لا نخلو ولا نتكلم

حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الاساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا
وهذا مأخوذ من قول أبي نواس في سياقه
وجهي اذا اقبلت يشفع لي
وبلاء طرفك حسن ما خلقي
وفيه زيادة بذكر ما خلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء وأعذب ثناء
(وقال أبو فراس)
قل لاحبابنا الجناة علينا
درجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم او أسيئوا
لا عدمناكم على كل حال
(وقال ايضا)
ألا أيها الجاني ونسأله الرضا
ويا أيها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب وحده
ومن لا يرد الغيب حين تغيب
(وقال الآخر)
إذا مرضنا أتيناكم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم فنعتذر
(وقال الآخر)
واذا ما غضبت يوما عليه
لذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى
أترضاه كي يزول الملال
(وقال الآخر)
حججي عليك اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا استطيع اقول انت ظلمتني
والله يعلم انني مظلوم
(وقال الفراء)
ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى
فؤادي ولكن للعتاب مواضع
(وقال ابن المعتز)
إقبل معاذير من يأتيك معتذرا
إن بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا

سوى اعين تبدى سرائرانفس * وتقطيع انفاس على النارتضرم
اشارة افواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان و كف تسلم

فسدتها الى الحذق والاصابة غيرانى قلت بقى عليك شئ فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فتناولوا منى فقلت قدفاتنى ماامات ان لم ائتلاف قلوبهم فقلت هل عندكم عود قالوانعم واحضروه فاحكمت اصلاحه وغنيت

ماللنازل لاتجيب حزينا * أصممن ام قدم البلا فبلينا
لابل بلين فهن داسا كنا * لمتيم واثرن منه دفينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا اوحيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدى وقالت معذرة اليك وزاد القوم فى اكرامى فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت ايضا فغنيت

انى العدل ان تمسينى لاتذكريتنى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما
فردى مصاب القلب انت سلبته * ولاتتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو انها اجنبية * وانى لها ماعشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم مافارقوا به عقولهم فامسكت عنهم خشية ان يتلفوا ساعة ثم غنيت

هذا محبك مطوى على كمده * وجدامدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد اخرى على كبده
يامن رأى كلفا فى حبه دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا مانحن فيه وسكر القوم حتى غابوا الا صاحب المنزل لجودة شربه فأمر بحملهم الى منازلهم وخلانى فسألنى من انا فاخذت اورى فاقسم على الا ماعرفته بنفسى وقال وقد ذهب أكثر عمرى هدرا اذلم أعرف مثلك فلما عرفته بنفسى وثب قائما وقال لاأقضى باقى ليلتى فى خدمتك الا قائما فاقسمت عليه ان اجلس فجلس واخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى فاخبرته بالقصة حتى انتهيت الى انه لم يبق على الا المعصم فقال تناله ان شاء الله تعالى وعرض على جواريه فلم أر الغرض فقال ياسيدى لم يبق عندى الا امى واختى فقلت ابدأ باختك فاتى بها فاذا هى الغرض فقلت هاهى فقال قدوالله أقررت عينى ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لى عليها وأدخلني بها فلما أصبحنا احول معها متاعالا يوجد مثله الا عندك ياأمير المؤمنين وهذا ولدى فلان منها

(القسم الخامس فى ذكر من سموا بالفساق من العشاق) وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أوهموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند اهله فانهم يرون تصور السلو معصية بل تصور وخطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولانعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان للمتمسكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر ابن الفارض أعاد الله علينا من مدده حيث يقول

ولوخطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فان الخطور مجرد جواز الميل على القوى من غير ان يتمسك منه بشئ وهذا عند العقلاء قسرى لعدم احتياجه الى مقدمات والارادة مجرد الميل والخاطر باب الحدس والسهو استيلاء

فلما افاق استحيا وانقطع عن الركوب أياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المأمون أبياتا منها

وهذا الحق ليس به خفاء
فدعنى من بنيات الطريق
فقد حصحص الحق وقرع العتاب حلقة الباب فقال طق

(وقال الآخر)
وهبه ادعوى بعد العتاب ألم تكن
مودته طبعا فصارت تكلفا
وكانى بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب وقال من دق الباب سمع الجواب فاجابهم
فان كنتم تلقون فى ذلك كلفة
دعونى أمت وجدا ولاتتكلفوا

(فصل فى العفو والرضا والصفح عما مضى)
جاء عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل انه الرضا بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر صادق أو كاذب لم يرد على الحوض

(وقال الشاعر)
ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

(وقال آخر)
ما احسن العفو من القادر
لاسيما عن غير ذى ناصر
ياغاية القصد وأقصى المنى
وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولاذنب لى
فماله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا
أن تفسد الاول بالآخر

(كان) أبو محمد اليزيدى ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله برفق
أنا المذنب الخطاء والعفو واسع

الطبيعة الثانية على المزاج البشري وهو صفة للسطو وقسرية ايضا ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه في الاصلاح على الخارج به بشئ رحمة وتخفيفا فقد بان ان الاستاذ يقول ان شرح المحبة مبني على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة تنزل السهو فيها منزلة العمد فكان المحبوب هو قوى المحب التي بها يعقل كما أشار اليه ايضا في الدلالة على غاية المرتبة بقوله فلم تهوني مالم تكن في فانيا * ولم تفن مالم تجتلي فيك صورتي

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو اصناف

(الصنف الاول في ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه وهؤلاء اما نساء أو رجال وكل من القسمين اما بالغ مناه أو مكفوف أذاه)

(فمن الاول ما حكى) عن مرثد انه شغف بصحبة عمرو بن قمئة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فارسلت اليه على حين غفلة من مرثد تقول ان عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فأبى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأسوءنك فقال ان الاذى ان افعل ما تحبين وخرج فامرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الاصابع فلما جاء مرثد أخبرته ان رجلا من اقرب ما يكون اليك ساومني نفسي فامتنعت فجهد في ان تخبره فابت وقالت انا لا اصرح باسمه ولكن هذا قدمه فعرفه وهجره فانشد في ذلك

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة * تؤامرني شرا لاصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو اخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع من لومي مرارا وأصعدا
على غير ذنب ان أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتين

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري * فما بال من يرمى وليس برامي
فلو انها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

انتهى ما ذكره وفي النزهة ان مرثدا اتى يوما من سفره في الليل وكان الظلام شديدا فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى * ولم تسعف الايام للدنف الصب
بليت بمن لم يدر خالي بحبه * الا ان عمرا في الهوى قاسي القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وأرسل اليه فاصلح امره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع (ومن الثاني) قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها في التوراة فذكر ان في سفر دانيال عليه السلام من هذه القصة ما ترجمته لما كان في السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى أورشليم يعني بيت المقدس بالعربية وأسلمها الرب في يده ثم نزلت ببيت صنمه بشنعار وهو موضع مشهور ببيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني اسرائيل فكان يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت في أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان والديها كانا صديقين في بني اسرائيل وكانت في كل يوم تنزل الى بستانها تمشي للنزهة

سكرت فابدت مني الكاس بعض ما * كرهت وما ان يستوي السكر والصحو
ولولم يكن ذنب لما عرف العفو
ولا سيما ان كنت عند خليفة
وفي مجلس ما ان يجوز به اللغو
فلما قرأها المأمون وقع في الرقعة سر الينا فقد عفونا عنك فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوى معه أخذه الشاعر فقال

انما مجالس الشراب بساط
فاذا ما انقضى طوينا بساطه

(وقال ابن سناء الملك)

وأما ذلك الحبيب فانه حضر متنصلا وجاء متذللا لا متدللا واستجار بحرم الحرمة وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بان الادلال دلاه بغرور وأوقعه في امور وأخرجه من الظلمات الى النور فقبلت عذره وقبلت ثغره وامتثلت أمره وثنى عنان القلب اليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة جنى ريقه مرارة تجنيه

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيع

(وقال الآخر)

وزعمت أني ظالم فهجرتني
ورميت في قلبي بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعذري وتجاوزي
هذا مقام المستجير العائذ

(وقال ابن زيدون)

يا قمرا مطلعه المغرب
قد ضاق في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جئته
صدقت فاصفح انني المذنب
فان من أغرب ما مر بي
أن عذابي فيك مستعذب

(وقال آخر)

وما قابلت عفوك باعتذار
ولكني اقول كما تقول
سأطرق باب عفوك باعتذار
ويحكم بيننا الخلق الجميل

(الباب السادس عشر في اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين)

ورآها

ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر في الحكومات وكتم كل عن الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا الخص كل عن عود الآخر فاظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الحموم وقد استخفيا فارسلت الجاريتين ليأتياها بزيت وغسول فظهرا وأغلقا الابواب وقالا لها ائن لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن اجل ذلك ارسلت الجاريتين وانت تعلمين مكاننا من بني اسرائيل قالت سوسن والله لا أغضب الرب أبدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء العبيد فاخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوأ ثم اتى ابواكيم فاعلموه بالامر وانهما لم يقدرا على امساك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه انها دخلت البستان ومعها جاريتان فارسلتهما واغلقت الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا الله يا دائم يا عالم الخفيات انت تعلم انهما كذبا علي ثم اقاما عليها القتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم امر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما من تحت اي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب ثم اخره وقدم الآخر وقال له من تحت اي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت واقامهما فانتشرا ونزلت نار فاحرقتهما وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام (ومن الرابع ما حكي) في نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد وكان يدعى بالمخنث لما كان يظهر من التزيي بزي النساء فاجتمع ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة فقالوا له هازئين به هل تقدر ان تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلاني وكان معروفا بالوحشة بعيدا عن العمارة فمضى حتى صار فيه فحين شرع يدق الوتد سمع صرير سلسلة تدنو كلما دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فاخذه وهم ليخرج اذ سمع امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذي صنعت حتى تقتلني فيقول اقتلك واموت خير من ان تصيري الى زوجك واموت غما فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل فظنهما جنا فرمى السلاح فاخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فاخبرته بابيها فعرفه وان هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها الى ابيها فابى وهم بتزويجها من غيره وانها خرجت لتفترج فكبسها هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتي كن معها واخذها هو فصيرها الى هذه الحالة فاخذها عباد الى اهلها واخبر اصحابه بالقصة فكذبوه فاراهم ذلك فصار يعد من الشجعان (ومن الثالث) ما حكي عن حبوبة بن حباب الطانجي انه حين قتل أبوه رجلا من كلب من فخذ وبرة ووجبت عليه الدية رهنه صغيرا مع امه وخرج ليجمعها فمات فاقاما عندهم وانه كان شابا حسنا جميلا فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فوقع بعد ما قتل اخا امرأة اشتهر بها الى بلقين فاجاروه ففعل عندهم ما فعل في كلب واشتدوا عليه فجاء الى امه ليلا فاخفته واخبرت ظئر لها فقالت ادفعيه الي فاخذته فجعلته في متاع لها خارج البيت ومر عدي رئيس بني كلب فقال ما هذا قالت متاعي وانا على سفر واريد ان تجيره فقال قد أجرته وحمله الى بيته وقد انكره ففتش فرآه فقال لا حياك الله وخرج فاقام عنده زمانا

اقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر الناس فتوة وافزرهم مروة وارقهم قلبا واحسنهم من بي من أصبح بين المحبين قديم هجر وهجرة وامسى له بكؤس المحبة ألف سكرة لا جرم انه اعان ذوي المحبة ووازن بنفسه من في قلبه من الغرام مثقال حبة فسعى في اصلاح حاله وساواه بنفسه وماله ولله در القائل في هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا
أو معينا أو عاذرا او عذولا

فان كنت خاليا من ذلك كله أعني باطماع كذوب على النوى اذا لم تقاتل يا جبان فتشجع قلت أولا اقل من ذلك يا ابنة مالك ولله در القائل في ذلك

لو تعلم الناس من شوقي ومن كلفي
ما بت أعلمه استسقوا بعاذ
واستشفعوا الى الفي باجمعهم
وجاء عائدهم في زي قواد

(ومن أعجب) ما سمعته في اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله * وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا افلا احيي الناس جميعا (وحكى) الخرائطي انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك في المنام كأنما
عاطيتني من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكأننا
بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت يومي كله متراقدا * لاراك في نومي وانت براقد

(فأجابته الجارية)

خيرا رأيت وكل ما ابصرته *

فعاق ابنته وطال بينهما الامر فانشد فيها

مازلت أطوى الحى أسمع حسهم * حتى وقفت على ربيبة هودج

فوضعت كفى عند مقطع خصرها * فتنفست صعدا ولما تنهج

وتناولت رأسى لتعلم مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج

قالت وعيش ابى وحرمة والدى * لانبهن الحى ان لم تخرج

فخرجت خيفة اهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

وبلغ عدى بن أوس ذلك فقتله (ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل أوعبدالله اوعبد الرحمن بن كلال وكان من أمره انه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ مع ام البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر احدهما عن الآخر فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما فحين أفضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ابزيد والصحيح الاول لما سبق فى قصة حبابة وذكر وجات يزيد حجبها فازداد بوضاح الامر حتى نحل فخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى ان ظفر بجارية لام البنين فاخبرها بمكانه وانه ابن عم مولاتها فاخبرتها فادخلته فى صندوق فكانت اذا أمنت تمكث معه واذا خافت ادخلته الصندوق وجىء للوليد بجوهر نفيس فامر خصيا يحمله اليها فحين دخل الخصى وجد وضاحا فادخلته الصندوق واستوهبها الخادم لؤلؤة فابت فمضى واخبر الوليد فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق فأبت فراجعها فوهبته اياه واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل أمر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها للصندوق خفية قد بلغنا عنك أمر فان كان صحيحا فقد كفاناك والا فما علينا فى دفن الخشب ورماه ورمى الخصى حيا وقيل ضرب عنقه حين اخبره واهال التراب ولم يبين لها غيظا وقيل فارقها وانها كانت تأتى المكان فتبكى فوجدت ميتة فيه وقيل انه لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها فى طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبى دهبل حين شبب بأخته فابى الاقتله (ومنه ايضا) سحيم وهو حبشى نشأ فى بنى الحسحاس وكان أعجميا غليظا ثم تخرج فى الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان فقال لا حاجة لى به اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فرده فاشتراه رجل منهم اسمه ابو معبد فعاق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوق ابو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فاكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فيها فى التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا

توسدنى كفا وتثنى بمعصم * على وتحوى رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها وردائيا

فمازال ثوبى طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فانشد

وما كنت أخشى جندلا ان يبيعنى * بشئ ولو أمست انامله صفرا

أخوكم ومولى مالكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

اشوقا ولما يمض بى غير ليلة * فكيف اذا سار المطى بنا عشرا

ستناله منى برغم الحاسد

انى لارجو ان تكون معانقى * فتبيت منى فوق ثدى ناهد

وأراك بين خلاخلى ودمالجى

وأراك فوق ترائبى ومجاسدى

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما وأحسن اليهما على شدة غيرته (وقال) ابو الفرج بن الجوزى سمع المهلب فتى يتغنى فى جارية له فقال المهلب

لعمرى انى للمحبين راحم

وانى ببر العاشقين حقيق

سأجمع منكم شمل ودمبدد

وانى بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار (وروى) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه جاءته جارية تستعدى على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المؤمنين احب ابن أخيه فما انفك أراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى فقال اشهدك يا امير المؤمنين انها لابن اخى * واتى على ابن ابى طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد فى دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال له لست بسارق ولكنى اصدقك

تعلقت فى دار الرياحى خودة

يذل لها من حسنها الشمس والبدر

لها فى بنات الروم حسن ومنصب

اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر

فلما طرقت الدار من حر مهجة

ابيت وفيها من توقدها جمر

تبادر اهل الدار بى ثم صيحوا

هو اللص محتوما له القتل والاسر

فلما سمع على شعره رق له وقال للمهلب اسمح له بها ونعوضك عنها فقال يا امير المؤمنين اساله لنعرف نسبه فقال النهاس بن عتبة العجلى فقال خذها فهى لك (وحكى) التميمى فى كتابه امتزاج النفوس ان معاوية بن ابى سفيان اشترى جارية من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد

فرق له فرده ولامه قومه وارادوا قتل العبد فضن به ثم رفعه الى الحاكم فعزره ثمانين وانصرف به فانشد

أبا معبد بئس العراضة للفتى * ثمانون لم تترك لحالفكم جلدا
كسوني غداة البين سمرا كأنها * شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا
فما السجن الا ظل بيت دخلته * وما السوط الا جلدة خالطت جلدا
ابا معبد والله ما حل حبها * ثمانون سوطا بل يزيد بها وجدا
فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة * وان يتركوني يتركوا اسدا وردا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما علم مولاه اصراره احرقه (ومن الاول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء وكانت من اعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها اخذها ولده النعمان فكان يجالسها مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا فامر النعمان يوما النابغة ان يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابي المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد البسته احد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها فقتله وله فيها

ان كنت عاذلتي فسيري * نحو العراق ولا تحوري
ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشي القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير
فرنت وقالت هل بجسمك يا منخل من فتور
ما شف جسمي غير حبك فاهتدي عني وسيري
واحبها وتحبني * ويحب ناقتها بعيري
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائل * يا هند للعاني الاسير

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان فزاره ضيوف فاكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغناء وكان قد اخذت منه الخمر فانشد

محجوبة سمعت صوتي فارقها * في آخر الليل لما بلها السحر
تثني على فخذها مثنى معصفرة * والحلي منها على لباتها خصر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

ابياتا منها وفارقته كالغصن يهتز في الثرى * طريرا وسيما بعدما طر شاربه فسألها فقالت هو ابن عم لي فردها اليه وفي قلبه منها شرر النيران

* وذكر الخرائطي أن المهدي خرج الى الحج حتى اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا بشاب بدوي دخل عليه وبكى وقال يا امير المؤمنين اني عاشق ورفع صوته فقال للحاجب ويحك ما هذا قال انسان يصيح اني عاشق قال ادخلوه فادخلوه فقال من عشيقتك قال ابنة عمي قال ألها أب قال نعم قال فما له يزوجك بها قال ههنا شئ يا امير المؤمنين قال ما هو قال اني هجين والهجين الذي امه أمة ليست بعربية قال له المهدي فما يكون قال انه عندنا عيب فارسل في طلب أبيها فاتي به فقال هذا ابن اخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن اخيه وكان من اولاد العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن فما الذي يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدي زوجه اياها على عشرين الف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة آلاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين فدفعهما اليه فأنشأ الشاب يقول

ابتعت ظبية بالغلاء وانما
يعطى الغلاء بمثلها امثالي
وتركت اسواق القباح لاهلها
ان القباح وان رخصن غوالي

وعرض خالد بن الوليد عبد الله القسري محبسه يوما فكان فيه يزيد بن فلان العجلي فقال له خالد في اي شئ حبست يا يزيد قال تهمة اصلح الله الامير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم أيها الامير وكره ان يعرض بقصته لئلا يفتضح معشوقه فقال خالد احضروا رجال الحي حتى تقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد اخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظ انه غير سارق اقر بما لم يأته المرء انه *

في ليلة النصف ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من رقة للمشي ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يتفهمه وكانت عنده جارية اسمها عوان وكان يحبها حبا شديدا وهي مشهورة بالجمال فجاء اليها فرآها على صفة الابيات وكانت يقظانة فلما فطنت به قال يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

ألا رب صوت جاءني من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى امة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد راعك صوته قالت صادف مني يا امير المؤمنين فحلف ليقتلنه فارسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته قبل ذلك ديته وأنت حر فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه مليا ثم قال أنت الهتري ويلك فقال أنا فارسك فاستبقني فقال لا اقتلك ولكن ازيل تقدلك وأمر به فخصي وألقي في دير الخصيان قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة فكتب الى عامله أن أحصهم يعني اضبطهم لننظر في أمرهم فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة سارت مثلا فقال طويس ماهذا الا ختان أعيد علينا وقال دلال بل هو الختان الاكبر وقال نسيم السحر بالخصي صرت مخنثا حقا وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقا وقال برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح لا يستعمل ويروى ان الذي سمعه سليمان لم يكن سنان الكابي بل كان سمير الايلي وفي الرواية بدل محجوبة وعادت سمعت وبدل قوله في ليلة النصف في ليلة البدر وهو اليق في هذا المقام لان القمر وان لم ينقص ليلة النصف فهو في ليلة البدر أبهج ولم يلهج الشعراء الا به وان سليمان قال حين وجع في خصيه ان الفرس يصهل فتستودق الحجرة والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس ينب فتستحرم العنز والرجل يغني فتشبق المرأة *(ومن الثاني)* ماحكي انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة لفقره وكان عنده امرأة مفرطة في الجمال وكان اذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزا دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على ان تخلصها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة ولو طاوعتيني لزوجتك بالملك وأمرتها أن تعصيه وترجع عن خدمته فجاء فلم تقم اليه على العادة ولم تقدم له شيأ فقال ماهذا يا هناء قالت هو ما تراه فقال أطلقك قالت نعم ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده فشلت فرفع الامر الى نبي ذلك الزمان فجاء الوحي ان يعيني ما فعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية في النزهة في باب من عشق بالسماع وذكر ان المرأة ايضا فلجت وانها ماتت بعد سبعة أيام (ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب اهل زمانها وكان الناس يقصدونها السماع صوتها ويبذلون لها المال الاخطير افاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفي بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لي فيهما اربعون ألف درهم فقالت هبهما لي فقال أفعل ان شئت قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فمها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد واقفا منكسرا بين يديها يعني كانقا يديه فجلس مقعيا يعني على رؤس اصابعه وتقدم اليها فأقبلت لتتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها

رأى القطع خير من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه * لالقيت في امره غير ناطق
اذا بدت الرايات للسبق في العلا
فانت ابن عبد الله اول سابق
فلما قرأ خالد الابيات علم صدق قوله فاحضر أولياء الجارية فقال زوجوا يزيد فتاتكم فقالوا أما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده (وذكر) احمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بغلامه حتى صيره قريبا منها فلما كان في بعض ايامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم
من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبا قد اضر به
طول الصبابة اوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فاخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلي العريف ولا تخشين من احد
امسى العريف صغير السن ولهانا
أما الفقيه فلا يسطو عليه اذى
فانه قد بلي بالعشق الوانا

وذكر الخرائطي عن ابي عساف قال مر ابو بكر رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايسا مثل القضيب الناعم

فسألها احرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فتلكأت فاقسم عليها فانشدت

وانا التي لعب الغرام بقلبها
قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله قد مات بهن كريم وعطب بهن سليم ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر

فانقضت

فانقضت عليه فاخذتهما وقالت المغلوب في أسنه عود فقال أما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة في انفي وفي ما حييت ابدا وانها افضت الى جعفر بن سليمان وابوه عامل المنصور فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها في هذه الايام وقد خرج عليهم خارجي فغمز جعفر الخادم فاخرجها اليه فقبلت رأسه واجتليته فرضي ولم يعتب بعدها وان جعفرا قال للزرقاء يوما هل تمكن احد من محبيك يوما منك بشئ فخشيت ان تكتمه ما عساه ان يكون بلغه فاخبرته بواقعة الصيرفي فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات (ومن الثاني) ما حكي انه كان في بني اسرائيل رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يصبر عنها ساعة فتزوج بها واقاما مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله فمضى الى المسيح عليه السلام وسأله ان يحييها له فقال لا يتيسر الا ان تهبها من عمرك شيأ فقال قد وهبتها نصف عمري فأحياها الله ومضيا وقد لحق عبودا تعب شديد فجلسا يستريحان فوضع رأسه على ركبتها فنام فمر ملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهو ايضا بقلبها فاعرض عليها ان تكون معه فاجابته فحملها في قبته وانتبه عبود فلم يجدها احد فقام مرعوبا فوجد قوما من المارة ينعتون حسنها فسألهم فاخبروه بانها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها ما صنع وهي ساكتة فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح في احيائك ووهبتك نصف عمري على ان تكوني معي فحيث لم ترضي فردي علي ما وهبتك فقالت قد رددته فما خرجت الكلمة حتى ماتت (ومن الثالث) ما حكي عن لقمان بن عاد الذي كان يضبط عمره بان يمسك النسر من حين خروجه من البيضة الى ان يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه فتزوج جارية صغيرة وجعلها في بيت نقره في جبل لا يصعد عليه الا بالسلاسل وان عمليقا نظرها فوقعت من قلبه فأمر قومه فشدوه في سيوف حزمة واستودعوها لقمان مدة فوضعها في بيته فلما خرج تحرك العمليق فاتته الجارية فكان يكون معها الى ان يأتي لقمان فتجعله في السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها ثم جلس فنظر الى نخامة في سقف بيته فسألها عمن فعلها فقالت انا فامرها تفعل فقصرت لان النساء لا يقدرن على رفع النخامة الى الاعلى لضعف مزاجهن فقال يا ويلتاه والسيوف ذهبتي ثم رمى بالمرأة من اعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فكلمته فضربها بحجر فكسر رأسها فضربت العرب امرها مثلا لان يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صحر يعني ابنة لقمان (ومن الثاني) ما حكي ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فني في حبها فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة وكان بمجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع وان ابن عم لها غيرها اكترى دارا الى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل امها فقالت تقضي حاجة فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها واذا هي قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه اين كانت فقالت اما اذا عزمت علي فاني اصدقك وحدثته القصة فرمى عنقها واعتق امها وهرب فكان كثيرا ما يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتي

(الصنف الثاني في ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة فجرته الى تهمة محبوبه فآثر قتله على نيل مطلوبه)

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت الجزيها وعلى اثمها (حدث) محمد بن عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن أبي عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جواري فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومني فيك أقوام أجالسهم
فما ابالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه باربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال مالي لا أرى ابن أبي عمار فاخبر انه منقطع في منزله لفرط ما به فاتاه ابن جعفر فلما رآه أراد أن ينهض فاستجلسه وقال ما فعل حب فلانة قال هو في اللحم والدم والعصب والعظام قال أتعرفها ان رأيتها قال أو اعرف غيرها قال فانا قد ضممنا اليك واحدة والله ما نظرت اليها وأمر بها فخرجت في الحلي والحلل فقال هي هذه قال نعم بأبي أنت وأمي قال فخذ بيدها فقد جعلناها لك أرضيت قال أي والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكن والله لا أرضى أن أعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة ألف درهم

(الباب السابع عشر في ذكر دواء علة الجوى)

أقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذي أعجز أهل الطب فهم فيه حيارى سكارى وما هم بسكارى على ان الذي اجمعوا عليه وأشاروا اليه انه لا شفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال مثل غمز النهدين وقرع الشفتين والتصاق البدنين دابت الحب ليس له دواء *

سوى وضع الصدور على الصدور ولاسيما ممن بدت نهوده وثورت خدوده وعذب مذاقه وطاب عناقه

(حكى) ان عبد الله بن رغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصى كان اديبا حاذقا شاعرا لبيبا كأنما تنطق قريحته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشتياق وانه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتهالك فى حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمهما ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان قام فى نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما وحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره فى ذلك متظافرة ومن احسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله

يا طلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفى فى مجال خناقها * ومدامعى تجرى على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى * شئ اعز على من نعليها
ما كان قتليها لانى لم اكن * ابكى اذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها * وانفت من نظر العيون اليها

(ومن لطيف شعره ايضا)

جاءت تزور فراشى بعدما قبرت * فظلت الثم نحرا زانه الجيد
وقلت قرة عينى قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامى فيه مودعة * تعيث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذا زيارة من فى القبر ملحود

(وعند تقبيل برنية الغلام)

اشفقت ان يرد الزمان بغدره * او ابتلى بعد الوصال بهجره
قمر قد استخرجته من دجنه * لبليتى وأثرته من خدره
فقتلته وله على كرامة * ملء الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده * بالحى منه بكى له فى قبره
غصص يكاد يفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

(ومن لطيف شعره فى الدعاء على المحبوب)

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * ومالكى ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من اهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا ظلما

(ومما ارخه الفرس) عن أردشير ملك الطوائف انه لما حاصر ثرثار وهى قلعة فى برشنجار من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون وطال الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرأت أردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب فى نشابة فيه ان أنت شرطت لى ان تتزوجنى عرفتك كيف تأخذ القلعة فراجعها انى شرطت لك ذلك فدلته فلما اخذ القلعة وتزوج بها واقام مدة ضجرت ذات ليلة من شئ تؤلمها فى الفراش فكشفوا فاذا هى باقة نرجس فتفكر فى رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك ابوك قالت الشهد ومخ العظم والزبد

اعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كى تزول حرارتى
فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال الآخر)

شفاء الحب تقبيل وشم
ووضع للبطون على البطون
وزهر تذرف العينان منه
وأخذ بالمناكب والقرون

(وقال آخر)

اسقم قلبى ثم لم يبره
عاقد زنار على خصره
لا تلتقى روحى مع جسمه
حتى أرى صدرى على ظهره

(وقال أبو جعفر العذوى)

فسكر الهوى أدوى لعظمى ومفصلى
اذا سكر الندمان من لذة الخمر
وأحسن من قرع المثانى ونقرها
تراجع صوت الثغر يقرع للثغر

(وقال أبو دهقان)

حدثنا عن بعض أشياخه
أبو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفى العاشق مما به
بالشم والتقبيل حتى ينيك

وقال فى الاغانى قال أبو العيناء أنشدت أبا العير قول المأمون

ما الحب الا قبل
وغمز كف أو عضد
من لم يكن ذا حبة
فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا
ان نكح الحب فسد

فقال كذب المأمون وأكل من خراى وطلين وبعايا الميزان وأخطأ وأساء الادب هلا قال كما قلت انا وباض الحب فى قلبى * فواويلا اذا فرخ وما ينفعنى الحب * اذا لم اكسر البربخ * فقال

فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بى واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها (وحكى) صاحب محاسن البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتمييزا بحالة تغلب عليه من قبل ماتتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت فى طالع الجوزاء وهى تعرف عندهم بالتوامين والعذراء والمؤنثة ومقتضاها الرقة وسرعة التاليف واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر أثر ذلك فى أفعالهم قال ألا ترى الى لطف العزيز وتغافله وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلام ليقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا وقال للمرأة استغفرى لذنبك وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع فى طالع المريخ ومقتضاه الغلظة واليبس والقسوة وسفك الدم ألا ترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتا فلما انقضى المجلس جى بطست فوضع بين يدى مستعيد الصوت وقال له الملك اكشفه فاذا فيه رأس مقطوع فقال له استعد الصوت منها فقام مريضا وقد نقل الحكاية ابو حيان فى تفسيره ملخصا

(الصنف الثالث فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه فصنع من الحيل ما افضى الى قتله وقتل من شاركه فى فعله)

حكى لى رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ان رجلا موصليا علق امرأة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها واقام مدة وجاء يوما فوجدها تأكل فى طعام لم يكن جاء به هو فسألها عنه فقالت من بعض أهلى فداخله من ذلك شئ وقوى عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شئ فمضى وركب دواء سميا ثم جاء به اليها فقال احتفظى بهذا فانه باهى فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقى ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضا فوجدها والرجل ميتين ففرج وقد اتفق عليه الغم وباقى السم فمات من ليلته (ورأيت) فى الشهنامة الفارسية ماترجمته ان ابرويز أحد ملوك الفرس تزوج امرأة صغيرة بديعة فى الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد عشقه لها وهى تظهر حبه وتخفى بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان الملك دخل فرآهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه أن تزهق وعلم انه ان اظهر أنه رآهما أمرت المرأة ولده بقتله فرجع وأخذ فى تدبير الحيلة فاخذ كتابا وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر واودعه صندوقا وجاء به الى المرأة فقال لها قد علمت ماحوت يدى من الذخائر والنفائس غير انه لم يكن يعدل نفسى الا هذا الصندوق فاحتفظى به وعلم انها تستطلع عليه ولده فلما خلت به اخبرته القصة فقال على بالصندوق فأحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب مطبوقا فحاول فتحه فوجد ورقه متلاصقا بعضه ببعض فجعل يبل أصبعه من ريقه ويتصفح الاوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة فاخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين (ووقفت) فى سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم أعرف مؤلفه سماه ضر الافكار فى التحريض على تزويج الابكار ذكر فيه ماملخصه ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لان حكماءهم يقولون ان المرأة لا تلقى مقاليد طاعتها ولا تصدق لطائف شهوتها ولا تمحض حسن

وان لم يطرح الاصلام * فزجيه عن المطبخ ثم قال لى كيف رأيت قلت عجبا من العجب قال كنت ظننت انك تقول غير هذا فابل يدى فارفعها فات قول المأمون ان نكح الحب فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزبانى ان اعرابيا قال علقت امرأة كنت آتيها فاخذتها وماجرت بيننا ريبة قط الا انى رأيت بياض كفها فى ليلة ظلماء فوضعت يدى على يديها فقالت مه لاتفسد ماصلح فانه

ما نكح الحب الا فسد

وحكى عن بعض الادباء انه كان يعشق جارية فقالت أنت صحيح الحب كامل الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث شئت فلما حصل فى منزله لم يكن همه الا أن رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له وهى فى القالب

أسرفت فى نيكنا والنيك مصلحة
فارفق بفضلك ان الرفق محمود
فاجابها وهو فى عمله لا يفتر
ولم أنلك نيك من تبقى مودته
لكن نيكى هذا نيك مجهود

فنفرت من تحته وقالت يافاسق أراك على خلاف ماقلت كانك تجعل جماعى سببا لذهاب حبك والله لاجمعنى واياك سقف بعد هذا أبدا وعلى هذا القول جماعة أعنى ان الحب اذا نكح فسد ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد ايقاع الوطء وأنه اذا وقع الوطء ازدادت المحبة ويسمونه مسمار المحبة كما قيل

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا
وصلا يحل على كل اللذاذات

(وقال هدبة بن الخشرم)

والله مايشفى الفؤاد الهائما
نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون ان تلازما
وتعلق القوائم القوائما

(وقال آخر)

قولا لعاتكة التى * فى نظرة قضت الوطر
انى اريدك للنكاح * ولا اريدك للنظر
لو كنت مقتنعا بذا * لك كان هذا المقمر

مودتها الا ان يفض ختام بكارتها الا انه القاطف لزهر محاسنها والمجتلي على اول مطالع بدر مواطنها فان وقع منها الغيرة ودفنادر لا يعتد به ونزر لا ينبغي التمسك بسببه ولم تزل هذه الوصايا عندهم محفوظة وبعين الكمال ملحوظة وان ملكا جاوز الستين ولم يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم ومال ورزق جسيم فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع اهل التنجيم والخطوط وامرهم بالنظر في ذلك فرأوا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك فأرسل فجيء له ببنت فاختار والدها طالعا يبني بها فيه وواقعها فحملت وجاءت بذكر صحيح سوي حسن الخلقة فاولم الملك اربعين صباحا ونشأ الولد فحفظ الادب والحكمة وان اباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه فوقع اختياره على واحدة تنسب بالشريفة المناسبة للملك فارادوا تحويله عنها فأبى فزوجه بها على غضاضة في نفسه ودخل فوجدها ثيبا فكتم اباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها وان امه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن في حب كل منهما لصاحبه فيجدنه اعظم حب الهامنها له فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق الحدس فانها ثيب ولا يستطيع احد ان يكلمه في امرها فلما افضى الملك اليه بعد والده دخل يوم فوجدها كالتي فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها وكان اذا جامعها تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما وهذه والتي تغيب حال الفعل تسمى الربوخ فسألها عن العلة فأجابت انها تشكو صداعا وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره ان يغضبها فامسك وتكرر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى بها الى بيتها فوضعها في صندوق محرز في خزانتها واخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها واخبرها ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوي الاعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فأوهمها الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه واعلمها انه خارج في شغل يقيم فيه سبعة ايام وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسأل عن الرجل فاذا هو جارهما نشأ معهما صغيرا فعلم انه الذي ازال بكارتها ثم اقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه ما يذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها المسوقة عليه وايثارها الارذال فيسكن ما به ويعود فلم يزل اياما على ذلك حتى غلب الحب على التأسي فمات

(الصنف الرابع في ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق)

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد لكل باب عقوبة الفساق واهل العشق الصحيح بريئون من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم * فمن اهل هذا الصنف ما حكي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه آلى ان لا يهدر دم مسلم فأتي يوما بشاب أمرد مقتول فعرف المكان الذي وجد فيه واستكتم من جاءه أمره وقال أرجو ان لا يفوتني فلما كان بعد حول رأى طفلا ملقى موضع الشاب فقال قد ادركت ما أطلب واخذه فسلمه الى من ترضعه واجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلميني فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتي تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فاخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا ابوها شيخ من الانصار قد كبر فقال ابن

كان زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها الف قبلة
كفاك اما شيء لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه
وطول سهاد تستفيض له المقل
فقالت وايم الله ما لذة الفتى
من الحب في قلب يخالفه العمل

(واما نكاح الطيف) فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطائي الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه في ذلك جماعة ومنهم من اذا افضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك أمران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع في الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل

ولرب لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدفوع

(وقال آخر)

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

(وقال آخر)

خود حوائر ماههن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسيأتي ما ورد في هذا المعنى في باب العفاف والثاني ما قاله العلماء في اسباب الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكافيا لاستفراغ ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر المؤانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع فيما

ابتلت

ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سيرتها فقال على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحقي فقال مكانك حتى أدخل عليها واعظها فقال افعل فاستأذن عليها فحين صار عندها قال اصدقيني ما فعلت والا رميت عنقك فقالت يا أمير المؤمنين اني والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيأ اعلم ان عجوزا كانت تدخل علي من الصغر وتخدمني الى ان صرت كما ترى وأنا أظنها صالحة فقالت لي يوما قد عزمت على مكة وعندي ابنتي ولا آمن ان أتركها في البيت فاريد أن اجعلها عندك حتى أعود فقلت كرامة فمضت واحضرت شخصا مؤزرا مبرقعا فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدري فنال مني فعمدت الى شفرة بالقرب مني فبقرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت فبعد مدة رأيت اني حامل فلما وضعت جعلته مكانه فدعا لها وجزاها خيرا واوصى أباها بها

•(ومنهم اعرابي من أسد) •خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة فقدمت له ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها أحدا سامها نفسها فقالت على رسلك لا اصلح من شأني وغابت ثم جاءت وقد أخفت مدية فوثب ليعانقها فضربته بها في نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض اهلها وهي على تلك الحالة فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن علية وقيل صيفي بن سعيد الباهلي وقيل غيرهما هذه الابيات

لعمري لقد أخفت معاداة ضيفها • وسوت عليه مهده ثم برت
فلما بغاها نفسها اغضبت لها • عز وقعت وسط الثرى فاستقرت
وشدت على ذي مدية الكف معصما • وضيئا وعزت نفسها فاستمرت
فأمت بها في نحره وهو يبتغي النكاح • ومرت في حشاه وجرت
فمع كان الغيل في جوف صدره • وأدركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكي ان رجلا اضاف بني هذيل فحين خرج عن البيوت رأى جارية منهم فراودها عن نفسها فتعاسفا فأخذت حجرا فضربته به فقضت كبده وبلغ عمر فقال هو قتيل لا يودى •وغزا رجل فخرج جاره فرأى في بيته مصباحا وانصت فسمع قائلا يقول

واشعث غره الاسلام مني • خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويمشي • على جرداء لاحقة الحزام
كان مواضع الربلات منها • فئام ينهضون الى فئام

فدخل فقتله وكان في عهد عمر ايضا فلما اصبح اعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الا خيرا فقال له اقتله فقال قد فعلت فجزاه خيرا واقتدى به في عدم ايذاء الفاسق عبد الملك بن مروان وقد حمل اليه رجل راود امرأة عن نفسها فاغلقت بينها وبينه فادخل رأسه فشدخته وقال لا يودى واما مصعب بن الزبير فأخذ دية رجل وجده رجل مع زوجته فقتله

•(ومنهم ما حكي عن عبد الله بن سبرة) • ان امرأة مغيبة يعني غاب عنها زوجها ارسلت اليه فلما جاء اخبرته ان رجلا يسومها نفسها فقال ابعثي اليه واخفيني فلما جاء قام فقتله وامر الجارية فحفرت حفرة والقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه واعطى المرأة سبعين دينارا وقال اشتري بها خادما وقال • وكل حديث جاوز اثنين شائع • وكان عبد الله هذا من اعظم الناس مروأة حتى قيل ان شاميا اسمه فير وزخرج الى الغرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت يا عبد الله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان في طلب العطار الى

تنكره المرأة من الرجل كما قيل رأت حي سعاد بلا جماع • فقالت حبذا احبل انقطاع اذا المحبوب لم يك ذا امر • رأى المعشوق كالشئ المضاع

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم

اذا ما شئت أن تسلو حبيبا
فاكثر دونه عدد الليالي

(وقال الآخر)

وقد زعموا ان المحب اذا دنا
يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

(وقال الآخر)

وقالوا دواء الحب حب يزيله
لآخر وطول التمادي على الهجر

(وقال آخر)

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ أبو عبد الله البخاري في تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على الخاتم فلعله ينتهي عن ذلك والله أعلم • وقال شمس الدين بن الاكفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج الهندي اذا شرب العاشق منه أربع شعيرات بالماء قبل ان يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات في اجواف الدجاج اذا رمي في ماء وشرب به العاشق سلا وكذلك ان علق عليه أيضا وكذلك حجر السلوان ويحكه باللبن ومن علق عليه حجر اللقلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال حزنه ومن كان عاشقا الذكور راغ في مناخ بغلة زال عشقه انتهى (تنبيه) التداوي بالجماع لا يبيحه

الشام حتى قتله

(ومنهم ما حكى من جويرية بن اسماء عن عمه) قال خرجنا نريد الحج فبتنا الليلة وبالقرب منا امرأة فلما اصبحنا اذا حية قد التفت على عنقها فخفنا من ذلك فلم تزل الى ان دخلنا الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول للمرأة اى شقية اين حيتك فقالت في النار فقال ستعلمين من في النار فلما أردن الخروج عزمت على صديق لي وبينه وبين الغريض صداقة ان يمضي بنا اليه لنسمع من غنائه فلما سرنا عنده ذكرناه وسأله صاحبي الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل على جنوب * وادنيت والممشى الى قريب
فلا يبعد الله الشباب وقولنا * اذا ما صبونا صبوة ستتوب

واستعدناه الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الابيات السابقة فتخيلنا ان الجبال ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى ابيات ابي الاسود الدؤلي التي اوصى بها ابنته عند الزفاف

خذى العفو منى تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
فاني رأيت الحب في الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها وصفرت واذا بالوادي كله حيات فاقبلن ينهشنها حتى ماتت فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فتحرقه

(القسم السادس في ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة)

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال ما فرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ينحصر في صنفين أردفهما بثالث من هذا الكتاب اذ لم يكن مناسبا للباب قد سبق لك في الخطبة ان المؤلف رحمه الله قد اكثر في كتابه من التخليط في تبويبه وذكر غير المناسب لمطلوبه ولكن لعمري لم يقع له بهذه الاوصاف اكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر بالمحبوب وهجر فان الواقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر متحابين نكث احدهما عهد الآخر ثم اما عاد واما دام ولم يذكر من ذلك الاقصة كثير التي ترجم لها في الباب بمن تاب عن معشوقه ورجع الى معشوقه فمات في نادي الهوى وسوقه وها انا اذكر ما وقع لي من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

(الصنف الاول في ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف وكان محبوبه في الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود)

حكى المسعودي في جزء لطيف سماه اقتداح زناد الاشواق واسترجاع شوارد العشاق ان المجنون اخبر بعد توحشه بزواج ليلى فجاء ولبس اثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه لم يبق له فيها أرب لما كان قد عاهدها انها تدوم معه على المحبة ولا تنقض عهد الصحبة فبينما هو ليلة نائم اذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت اى غادر لو ملكت امرى ما ملكه انت من أمرك ما فعلت وأيم الله اني لم اكن معه الا كمفترش النار في الهواجر او متوسد السعدان عاريا فانتبه مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش * وفيه ايضا ان قيس ابن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحا احياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة واقام معها والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره وانما وقع

الشرع بوجه ما اذا كان المحبوب ممن لا يجوز نكاحه واما التداوي بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا أسهل من ذلك فان شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر *(شربة)* يستعمل البوس والعناق والشفاه الرقاق في قاعة وايوان وبركة وشاذروان وطعام سبعة ألوان وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان ودنان خندريس وألف دينار في كيس وجارية من بني الاتراك بساق سمين وطرف كحيل تستعمل هذه الحوائج على نطع أحمر ذي نقش أخضر وبعد هذا يدخل الحمام فانه مجرب والسلام *(شربة أخرى)* يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافي وصال الحبيب ومثقال من غيدان الجفاء وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع منقاة من غلث الهجر والانقطاع واوقية من خالص الود والكتمان منزوعة من عيدان الصد والهجران ويؤخذ عطر النحور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانية محكوكة مرضوضة منها خمسون صغار اسكرية وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيرية ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصرية ويضاف اليها حسن الاعكان المطوية ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وحطب الطرب في مرحل العجلة ويصفى الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة أيام ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة ارطال من المدام وتتبع برطلين من

بجيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر فى قصته * وفيه ونقله المصنف هنا ان عزة أرادت ان تعلم ما لها عند كثير فتنكرت له ومرت به متعرضة فقام اليها وكلمها فقالت اين حبك عزة قال جعلت فداءك لو أنها أمة لى لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد بلغنى انها لك مخاصة وفى المحبة صادقة فقال دعينى منها فهل لك فى المخالاة قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال أديره فيك ثم انشد يقول

ماوصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت فقالت الى هنا يا فاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده * ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى أن قبلته ولا مناقضة بين هذا وبين ما تقدم من انه انشد من جميل لقوله هنيئا مريئا البيت وقول جميل رمى الله فى عينى بثينة الابيات لان تلك أدل على الاشفق وهذه على الاعشق واما قصة ذى الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز فى الابيات التى منها

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا أأنت ام ام سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فاعادتها وصفحت فليس من هذا القبيل اذ ليس بنقض عهد وانما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب قاد اليه التوغل فى التشبيب ونظيرها ما سبق فى قصة كثير من اعتراض العجوز عليه فى قوله فما روضة بالحزن البيتين واما من رجع نادما على المفوات فوجد الحبيب قد فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل *(ومنهم ما حكاه فى النزهة ونقله هنا مجهولا) * ان كعب بن مسعدة الغفارى قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذرى نمشى فى القمر اذا بنسوة تقول احداهن اى والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست لياليك فى حاج بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقلت قد سمعت فاجب قال قد انقطعت فاجب انت فقلت ولم يحضرنى غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقريت الا وجارية تقول احب المرأة التى كلمتك فلما صرت اليها قالت انت المجيب قلت نعم قالت فما اقصى جوابك قلت لم يحضرنى غيره فقالت لم يخلق الله أحب الى من الذى كان معك فقلت على ان احضره اليك فقالت هيهات فضمنته فى الليلة القابلة ورجعت فرأيته فى منزلى فاخبرنى بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتغاتبا فانشدته ابيات اميمة امرأة ابن الدمينة

وانت الذى أخلفتنى ما وعدتنى * واشمت بى من كان فيك يلوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتنى * لها غرضا أرمى وانت سليم

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا * بجسمى من قول الوشاة كلوم

(فأجابها) غدرت ولم اغدر وخنت ولم اخن * وفى بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتنى * فحبك فى قلبى الى اذاه

شيل الساقين ويدخل الحمام فانه نافع والسلام * سيف قاطع وبرق لامع ساطع فيما يتعلق بتداوى علة الجوى وهو ما حكاه ارباب الرياضى فى الاعداد المتحابة وذلك أن فى الاعداد أربعة وثمانين ومائتين وتسمى العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعى هذه ٢٠ مامـا وحروف نطقه دفر وفى الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعى هذه مـا مـا وحروف نطقه كرفعدد عشرين ومائتين يحبه أبدا عدد اربعة وثمانين ومائتين فاذا كان عند انسان خاتم أو لوح فضة أو ما أمكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم ثان أو لوح زنته زنة الثانى من العددين فان الذى عنده أربعة وثمانون ومائتان يحب الذى عنده عدد عشرين ومائتين فان أردت الاستعطاف وجذب القلوب وأخذ النفوس فاكتب فى رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعى المتقدم صفته واكتب فى رقعة أخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين اللذين قد تباغضا فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر ما دامت الرقعتان معهما فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين فى حق نظيف واكتب اسم كل واحد منهما ولقبه المشهور وضع الحق فى موضع يمران عليه فانهما يقلبان وان كتبت الاعداد المتحابة بماء وسكر وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان وأعجب من ذلك انك تطعم انسانا قد ابغض آخر اربعة وثمانين حبة رمان ومائتين وتطعم الآخر المبغوض فى ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة من الرمان فانهما يتحابان ومما يؤكد المحبة فيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلة من ريق كل المتحابين الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد

فالتفتت الى وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم انشدت

تجاهلت وصلى حين لاحت عمايتى * فهلا صرمت الحبل اذ انا ابصر
ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته * نصيب ولى رأى وعقل موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذى جئت اقدر

(فأجابها) لقد جعلت نفسى وانت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

وفى روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت انهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأى عنك تطيب

وفيها انه قبلها وانشد

دمعى عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب
لاشئ فى الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

(فأجابته) خلوتم بأنواع السرور وهنا كم * وافردتمونى للصبابة والحزن
وعذبتمونى بالصدود واننى * لراض بما ترضونه لى من الغبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين انشد لقد كنت انهى النفس البيت قالت له اوكنت تفعل ما فيك خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ما قلت لك انك لا تفى بضمانك ولكن اذا كان السحر فائتنى قال كعب فجئت فاذا انا بالصياح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت فى عنقها انشوطة وخنقت نفسها فلحقنا ها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفكره فتقول انه لقاسى القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته فى النوم فقالت هلا كان هذا قبل فمات من وقته * قال فى النزهة واصل هذه الحكاية ان هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على اعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان فى الحى رجل يحبها وهى لا تحبه فغار منهما فوشى به الى اهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فارسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف انها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكانت عند مالك انفة فخرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما اخفاه زوجها اخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

(الصنف الثانى فى ذكر من تمادى على نقض العهود ومات على خلاف الوعد)

اخرج فى اقتداح زناد الاشواق عن الاصمعى قال نزلت على رجل من بنى هذيل فاكرمنى واطرفنى بلطائف الاخبار فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور فلما كان الليل فرش لى موضعا لطيفا موطأ أو غت وجلس فقلت هل بقى لك أرب فى السهر فقال لا وعافاك الله ثم ودعنى فالى فحدثت ان له شأنا فأوهمته النوم فقام وفتح مخدعا فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب فقدم لها طعاما وشرابا فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلا وهو مع الفعلتين يبكى بشهيق أخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها ما كان عليها وأدخلها المخدع وجلس يبكى وينشد

أأحبابنا لو تعلمون بحالنا * لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأبديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا * فقد وحياة الحب خنتم وما خنا

منهما فى وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهواء فاذا استنشقاه دخل فى الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى به كسريان النوم فى جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فيدب الى العروق الضوارب فى جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبة قال الشيخ مغلطاى وهذا الذى أميل اليه ويوشك أن يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالى وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

(فصل) اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من أضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف أن يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه فى الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها فى كل اربعة اشهر وتخير المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق فى الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه فى تلك المدة وهو أمثل القولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه أن يشبعها وطأ اذا أمكنه كما عليه أن يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح هذا القول ويختاره قال تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه

فدرتم

غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن * وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم * ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ليوقظني فرآني منتبها فلما ودعته تفرس ان في وجهي كلاما فقال انشدك الله هل رأيت من حالي شيأ انكرته قلت اللهم نعم قال أو تحب أن اطرفك به قلت اي والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فارسلها وانشد

أكفكف جفن العين والدمع سافح * كشبه غدير فوق خدي جاريا
فياليت شعري ذا البكاء الى متى * وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه وقال يا اخا العرب كانت لي ابنة عم لا املك الصبر عنها فتزوجت بها فكانت لي أبر من أمي وأم لي امدة لم آل جهدا في الانفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما املقت أنفت مني فأخذت في التعامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت أو فاعل أنت ما أقول قلت نعم قالت تطلقني فخامرني حبها فقالت قد فعلت فاعتزلتني وعاودني القلق فتأملت طويلا وجئت فشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسي وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيري فقمت وجئتها يوما فوجدتها على احسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها للدنيا وزينتها التي عندي الا كلبة وفعلت فأنا الآن أمثلها بتزيين هذه الكلبة واذكر غدرها فأسبها وأعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط قال نعم قد كلفها الذي تزوج بها شططا وسامها نقصا فندمت فراسلتني فلم اجب مع انه لم يكن على البسيطة أعز علي منها ولكن الغيرة تمنعني قال الاصمعي فلم أر أغرب منها * واخرج في النزهة عن الرياشي قال التجر صديق لنا فحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه انه نافق بها فلما حل بها صادف كسادا فمكث مغموما فبينما هو كذلك اذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره فقالت أما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا وأما وحدتك وغربتك فلا ارى لهما دواء الا ان تتزوج بمن تحفظك اذا غبت وتؤانسك اذا حضرت وتفرج عنك اذا حزنت قلت ومن لي بما ذكرت قالت وأنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى فشكرت صنيعها وأمرتها ان تفعل فما مضت عني الا وقد جاءت الدلالون فاشتروا البضاعة باحسن ربح الى اجل فتوسعت فيها الخير وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها فمضينا الى دار لطيف وقد فرش لي قطيفة بزة فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين الا ان عليها آثار الحزن وشعار الفرقة فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز هاهي فتراضينا ودخلت بها ودمت أسبوعا في أنعم حال غير اني اجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الاشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس فلم أسألها عن ذلك فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس انتبهت مرعوبة ترتعد ثم ذهبت الى المشرف وفادت فرقت اثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله الا بهذه الابيات

أياعين نوحي بالدموع السواجم * على طامس بالشرق خافي المعالم
وسحي دما ان شح دمعك واسعفي * حليف الهوى من قبل حمل التمائم

وفرح النفس وذهاب أفكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فان صادف ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا اي سهلا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء ولا سيما اذا وافقت كمالها فانها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها وتقابله المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبيعي وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول اللهم قوم لي ذكري فان فيه صلاحا لاهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي أهله يقول اللهم شد لي أصله وارفع لي صدره وسهل علي مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما اطيب هذا زدنا منه انتهى

اذا ناحت الورقاء على فقد الفها * ولم تلك ذا عقل فما حال عالم
حرام على النوم اذ فاتني به * زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدري لحالها وراجعت نفسي في سؤالها ثم غلب على عدم التصبر بعد أيام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما أحتاجه حتى اذا أمنت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها فقلت ياسيدتي قد ضاق صدري لحالك وأنا اعزم عليك الا ما اخبرتني بما انت فيه فقالت اولا بد قلت اي والله قالت قد كان أبي ذا ثروة وعز وكان لي ابن عم قد كفله ابي صغيرا فنشأت واياه ليس عند احد منا اعز من الآخر فزوجني منه فأقمنا لا نستطيع صبرا وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح فيغرد بانواع النغم يدفاذا اختفت واحدة في شجرة دارت الاخرى عليها حتى تكاد أن تموت فاذا التقيا تعانقا وغردا فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت احداهما اليه ومضت فلم ترجع فاقامت الاخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها فقلت له يوما ان فارقتني لا كونن كهذه فقال أنا لا أفارقك أو أموت فقلت له قد نجد أحسن مني قال معاذ الله ان يكون في الدنيا مثلك فأردت أن اعرف صدقه وكانت لي صديقة قد احتوت على ارفع رتبة من الجمال فاستحضرتها وأريته اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه فراسلها فأجابته فتزوج بها فلم توافقه فرجع يطلب مني ما كنت عليه فأبت نفسي ان تطيع كما كانت وتشفع فلم يفد فقال اطلقك مرة قلت نعم ففعل وخرج فلم اعرف خبره وانما اخذتك لانك غريب تفارقني فان رضيت هذا الحال والا فشأنك قلت فلأي شيء هجرك النوم قالت كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها الى

(الصنف الثالث في ذكر من اشبه العشاق في محبته وشا كلهم في مودته فتعاهدا لشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فنكث احدهما عهد الآخر بعد التلاق)

وهذا هو الذي عقدله المصنف الباب ووعد بزيادته لان الترجمة له خلاف الصواب وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها في مضي الصق (فمنهم صخر بن عمرو)* وكان من اشجع العرب واكرمهم واجلهم وكانت تحبه سلمى بنت عوف ابن ربيعة بن حارث الرياحي وصخر هذا هو أخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها وكان يقول اذا نظر اليها لا اكره الموت الا انه يفرق بيني وبين هذه فلما كان اليوم المشهود بيوم الكلاب وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث التقى صخر مع ربيعة بن ثور العوفي الاسدي بعد ما غلبت بنو الحرث على بني اسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخرا وكان رمح صخر قصيرا فاصابه ربيعة فادخل في بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة فكانت امه تلاطفه وقصرت سلمى في خدمته فسمع يوما امرأته تقول لامه كيف حال صخر فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه وسألت امرأته اخرى فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى فغم لذلك وأنشد

فاي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في عنا وهوان

(وحكى) في النزهة انه جلس يوما ليستريح وقد رفع له سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلا من بني عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها أيباع هذا الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه علي بسيفي لانظر هل صدئ أم لا فاتته به فجرده وهم بقتل سلمى فلما

لا يعرف طعمه الا من ذاقه وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب وتقول ضرب الحبيب زبيب
شرط المحبة عند أرباب الهوى
ان المليح على التجني يعشق
لا يصدهم صد ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حد فكم رأوا جور الحبيب عدلا وقالوا لخده اذا أقبل اهلا وسهلا لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى
والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي
جعل الحب على الجور فلو
أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج
كانها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف
واحسن أيام الهوى يومك الذي
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب
وقد زاد النميري على هذا فقال
راحتي في مقالة العذال
وشفائي في قولهم لا تبال
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب لصب الا بخمس خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح
وعتاب وكاشح ومطال
وقال جميل بن معمر
لا خير في الحب وقفا لا تحركه
عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي صبرها او عندها جزعي
لكنت املك ما آتي وما أدع * ومن أبلغ ما قيل في عنت الاحباب قول بعض الاعراب في محبوبته

دخلت

دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله فبكى وانشد

اهم بأمر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجوز والبيت والذى قبله من قصيدة لصخر وأولها

اري ام صخر لا تمـــل عيادتى * وملت سليمى مضجعي ومكانى
وما كنت اخشى ان اكون جنازة * عليـك ومن يغتر بالحـدثان
اهـم بأمر الحـزم لواسـتطيعه * وقد حيـل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له اذنان
فلوموت خـيرمن حياة كأنها * محـلة يعسوب برأس سـنان
فاى امرئ سـاوى بأم حليـلة * فلا عاش الافى شـقى وهوان

ولما اشتد غمـه وطال مرضـه نتأت قطعـة موضع الطعنة فقيل له اقطعها فحموا له حديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان اريب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده وقيل سبب موته انه سكر مع البلعاء بن ربيعـة وكان الآخر جيلا عنديه وذى يحسدهما على الحسن فسقاهما فى الشراب سما والاصح الاول

(ومن لطيف شعر الخنساء فى صخر قولها)

قذى بعينـك ام بالعـــين اعوار * ام اقفرت اذ خلت من اهلها الدار
كأن عيني لذكـراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكى لصخر هى العبرى وقد ثكلت * ودونه من جـديد الترب استار
تبكي خنـاس عـلى صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهـر ضرار
وما عجـــول على بو تحن له * لها حنينان اعـــلان واسرار
ترتع ماغفلت حتى اذا ذكرت * فانما هى اقبال وادبار *
يوما بأوجع مني حــين فارقني * صخـر وللـــدهر احـلاء وامرار
لابد مـن ميتـــة فى صرفها غـير * والدهـــر فى صرفه حول واطوار
ياصخـــر وراد ماء قـد تبادره * اهـــل المـاورد ما فى ورده عار
يمشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له ســـلاحان انياب واظفار
وان صخـــرا لمولانا وســـيدنا * وان صخـرا اذا يشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهـــداة به * كأنه علم فى رأســه نار
لم تره جارة يمشى بساحتها * لريبـة حـين يخلى بيته الجار
ولا تراه وما فى البيت يأكله * لـكنه بارز بالصخـر مهـــمار
طلق اليـدين بفـعل الخـير ذو فخر * ضخـم الدسـيعة بالخـيرات امار

(وقالت ايضا)

الا ياصخر ان ابكيت عيني * فقـد اضحكتني زمنا طويلا
بكيتك فى نساء معولات * وكنت احق من ابدى العويلا
رفعت بك الخطـوب وانت حى * فمن ذا يرفع الخطب الجليـلا
اذا قبح البكـاء على قتيـل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجـد قالت تعنتا
صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو فتقصيني فابعد طالبا
رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواى تؤذيها وصبري يسوءها
وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فياقوم هل من حيلة تعرفونها
أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي
وقد قسموا الهجر على أربعـــة أقسام
فقـالوا هجر دلال وهجر مـلال وهجر
مكافأة على الذنب وهجر يوجبه البغض
المتمكن فى الصـدور فاما هجر الدلال
فهو ألذ من كثـير من الوصال وعليـه
عقدت هذا الباب قال كشاجم
لولا اطراد الصيد لم تك لذة
فتطاردى لى بالوصال قليلا
هذا الشراب أخو الحياة وماله
من لذة حتى تصيب غليلا
وقال المتنبي
وأحلى الهوى ماشك فى الوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي
وقال أيضا
زيدي أذى مهجتي ازدك هوى
فاجهل الناس عاشق حاقد
(وقال آخر)
لئن ساءني ان نلتني بمساءة
لقد سرني اني خطرت ببالك
ويستحب لمن وسم بالجمال وأخـــذ
بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير
التدلل قليل التبذل فقد قال ابن وكيع
قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا
فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته
وانما عز ما عز مطلبه
فاذا ابتـــذل وأجاب كل من دعاه صار
عرضة للظنون لان النفس الحـــرة
لا تنفك عن غيره وقد قال العباس بن
الاحنف ياقوم لم أهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

وادركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما اتبكين صخرا وهو في النار فقالت هو اشد لجزعي عليه وادعى للبكاء فعد من الاجوبة المسكتة ❊ (ومنهم هدبة بن الخشرم) ❊ وكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروأة وله أخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن اليزيد الذبياني وهو رئيس قومه فراهنه أخو هدبة يوما على اطلاق جملين يوما وليلة في الغيط وحملوا الماء فاخذت اخت هدبة ماء زوجها الى أخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر وعلم هدبة ببيت زيادة فقتله ورفع الامر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فارسل الى سعيد أن يقود هدبة ان قامت البينة فكره سعيد الحكم وأرسلهم الى معاوية فسأل هدبة عن الخبر فقال تريد نثرا أو نظما فقال نظما فانشد

ألا يا لقومي للنوائب والدهر ❊ وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري

وللارض كم من صالح قد تراكمت ❊ عليه فوارته بلماعة قفر

الى ان ذكر القصة التي ذكرناها وانه قتله فقال معاوية قد أقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها ارسل الى زوجته وكانت من أجمل النساء وكان بها مغرما فحضرت اليه في طيب وثياب فاخرة فحادثها ليلة وراودها عن نفسها فاجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد

أأدنيتني حتى اذا ما جعلتني ❊ لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف

رأت ساعدي غول وتحت ثيابه ❊ جآجئ يدمى حزها والحراقف

وحين اخرج للقتل مر على زوجة مالك بن عوف فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فانشد ارتجالا

تعجب حبى من أسير مكبل ❊ صليب العصا باق على الرسفان

فلا تعجبي مني حليلة مالك ❊ كذلك يأتي الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته فجزع وأنشد

أقلي علي اللوم يا أم بوزعا ❊ ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا ❊ أغم القفا والوجه ليس بانزعا

كليلا سوى ما كان من حد ضرسه ❊ لدى الزاد مبطان العشيات أروعا

ضروبا بلحييه على عظم زوره ❊ اذا الناس هشوا للفعال مقنعا

وحلي بذي أكرومة وحمية ❊ وصبر اذا ما الدهر عض فاسرعا

وكوني حبيبا أو لاروع ماجد ❊ اذا ضن اعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الاشعار وهم يتعجبون فقال له عبد الرحمن بن حسان اتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التي ذكرتها لها وأنشد أقلي على اللوم الابيات ثم نظر الى زوجة مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فانشد

وجدت بها ما لم تجد أم واحد ❊ ولا وجد حبى بابن ام كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا ❊ كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها انفها وشفتيها قال ابن عساكر واذنيها واقبلت عليه فقالت

واما هجر الملال فيبسطه مرور الايام والليالي اما بتنائي الدار أو بطول الاختبار حكى ان متيم الهاشمية لما اشتراها علي ابن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الاوقات وتمادت في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ما أراني الا سأهجر من ليـ
س يراني أقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن اخاه
ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولاسيما اذا كان المحبوب

مالكه ملك رحمة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في المحب وقد أفـ
ـلح من كان همه الاتقاء

وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال الحصري وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص وذوي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه والذي أقوله أنا أيضا ان هذا القسم مرضه ممن لا يمكن علاجه ولا يعذب أجاجه فالمحبوب فيه لا يلام ومحبته كمن يرقص في الظلام ويسلم على من لا يرد عليه السلام

(أحبابه كم يفعلون بقلبه
ما ليس يفعله به أعداؤه)

أخذه الارجاني فقال

أأحبابنا لم تجرحون بهجركم
فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة
فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر يطالبني قلبي بكم كل ساعة ❊ إذا افلس المديون لج المطالب ❊ ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما ❊

فقالت أهذا حال من تتزوج قال لا الا آن طاب الموت ثم التفت الى ابويه فرآهما في اسوأ حال قد تهيآ للحزن فانشدهما

ابليـاني اليوم صبرا منكما * ان حزنا ان بدا بادئ شر
لا أراني اليـوم الا ميتا * ان بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليـوم فاني صابر * كل حي لقضاء وقدر

وأراد سعيد ان يفديه بمائة ناقة حمراء سلمية فقال أخو زيادة لو ملأت لي قبتك هذه مالا مافديته لقوله لنجدعن بايدينا انوفكم * ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه اليه فلما أراد قتله ارسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين واقبل على الناس وقال لولا ان يقال جزع لاطلتهما قال السيوطي في شرح الشواهد ثم قال للقاتل أحد سيفك وثبت جنانك و باعد بين قدميك واجد الضربة ثم قال بلغني ان القتيل يعقل فان كان كذلك فاني قابض رجلي و باسطهما ثلاثا فاما رمى عنقه فعل ذلك وفي شرح الشواهد انه أول قتيل في الاسلام قودا وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قارب الترعرع

(ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير) تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن ابي طالب وكانت ذات جمال ففتن بها فلما حضرته الوفاة أظهر انه لم يكن جازعا على شئ غير تزوجها بعده بطلحة بن عمرو وخافت له بصدقة مالها وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان حنثت وفيت عنك بضعف ما عليك فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورملة فزوجها بمائة الف دينار فقيل له انت أتجر الناس تزوجت فاطمة بأربعين ألف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم واربعين الفا

(ومنهم الحسن بن الحسن) خيره عمه الحسين بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لانها كانت منقطعة القرين في الجمال فقال الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك فاطمة لانها اشبه الناس بامي فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل علام هذا وانما تقدم على جدك وآبائك فقال هو كذلك ولكني أجد كربا غير الموت ثم قال لبعض أصحابه كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان وقد جاء في كبكبة يظهر جزعا علي وما هو الا يخطب فاطمة فلما سمعت حلفت ان لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق ما تملك فما كان الا ان مات فاقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فارسل اليها ان أبقي عليك فان لنا فيك رأيا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل ان أمها التي ألجأتها الى تزوجه بان وقفت في الشمس وحلفت لا تدخل حتى تجيب

(ومنهم غسان بن جهضم) وكان مفتونا بابنة عمه ام عقبة لانها كانت من اجمل النساء وأحياهن وافضلهن خصالا فلما حضرته الوفاة جعل ينظر اليها ويبكي ثم قال لها اني منشدك ابياتا اسألك فيهن عما تصنعين بعدي واعزم عليك ان تصدقيني فقالت قل فوالله لا أكذبك فانشد

اخبري بالذي تريدين بعـدي * ما الذي تضمرين يا أم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لما قد * كان مني من حسن خلق وصحبه
ام تريدين ذا جمال ومال * وانا في التراب في سجن غربه

وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا وهموا قتلي وانتم احبة * اذا الاعادي واحد والحبائب

(الباب التاسع عشر في الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب)

كقولي

دعوت على الحبيب بعشق ظبي
يقاسي منه أنواع الجفاء
فواصله وبالغ في صدودي
فكان اذا على نفسي دعائي

أقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلوله ومسه وأراد ان يدعو على روحه فدعا على نفسه فهو يشتهي ويشتكي ويشتفي ويتشكى لا يثبت على حال ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضي والحال فبيناهو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه وبيناهو يدعو له اذا هو يدعو عليه فمن أحسن ما قيل في الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني رحم الله شبابه وجعل من الرحيق المختوم شرابه

أعز الله انصار العيون
وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا
وان تك أضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا
وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما
على قد بهيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا
وان جارت على القلب الطعين

وقوله أيضا

أدام الله ايام الوصال
وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل اغصان التداني
وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها
تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون
تغازل مقلتي خشف الغزال

وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي

ادام الله أيام العذار * وبارك في لياليه القصار

(فأجابته) قد سمعنا الذي تقول وماقد * خفته ياخليل من ام عقبه
أنا من احفظ النساء وادعا * هن ماقد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ماحييت بشجو * ومراث اقولها وبندبه

(فقال) انا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الازواج ياخير من عو * شرفارعي حقي بحسن وفاء
انني قد رجوت ان تحفظي العهد فكوني ان مت عند رجاء

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

ساحفظ غسانا على بعد داره * وارعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني في شغل عن الناس كلهم * فكفوا فمامثلي من الناس يغدر
سابكي عليه ماحييت بعبرة * تجول على الخدين مني فتكثر

فلما طالت الايام قالت من مات فقد فات واجابت الخطاب فلما كانت الليلة التي زفت فيها جاءها في النوم فانشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك فقالت ماترك غسان في الحياة ار باولا في السرور رغبة اتاني في المنام فانشدني هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكي فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها اخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا في مجلس هشام حين تذاكر وا غدر النساء فقضى منه عجبا

(ومثل هذا ماحكي عن موسى الهادي) انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر فروي يوما يبكي فقيل علام تبكي يا امير المؤمنين فقال كأني بي وقد مت واخذ اخي هرون الخلافة فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد في البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لايتزوج بها وحلفت هي ايضا فلم يمض شهر حتى مات وافضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها مرعوبة فذكرت انه أتاها فوعاتبها وانشدها

اخلفت عهدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونكحت غادرة اخي * صدق الذي سماك غادر
لايهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد لابأس عليك انما هو اضغاث احلام وجعل يغمزها وهي تضطرب في يده حتى ماتت

* (الباب الثالث في ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ماجرى عليهم من تصاريف الزمان) *

اعلم ان اصل هذا قد نشأ في قوم لوط زينه لهم الشيطان فاخرجهم به الى العدوان (وحكى) بعضهم ان اصل ذلك من يأجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عز وجل ان

واغنى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار
ولازالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار
ولابرحت على العشاق تضفو
ثياب العار في خلع العذار

وقال ابن أبي الحديد
لاعانقتك من البرية كلها
الايدي اليمنى وبندقيا كا
كلا ولا رشفت رضابك بعدما
قد ذقته من فيك الافاكا

(وقال آخر)
يارب ان قدرته لمقبل
غيري فللمسواك أوللاكوس
واذا قضيت انابصحبة ثالث
يارب فاتلك شمعة في المجلس
واذا حكمت انا بعين مراقب
يارب فليك من عيون النرجس

ومن أحسن ماقيل في الدعاء على المحبوب
قول شهاب الدين بن غانم
والله ما أدعو على هاجري
الابأن يمعن بالعشق
حتى يرى مقدار ماقد جرى
منه وماقد تم في حقي

(وقال الآخر)
ياذا الذي كل يوم * يزيد عقلي خبالا
ولهتني فيه حتى * أعاد رشدي ضلالا
ادعو عليك وقلبي * يقول يارب لالا

وقال الآخر وأحسن ماشاء
قد قلت لامت حتى
أراك في العشق مثلي
وقلت في السر مني * يارب لاتستجب لي

وقال الآخر
أيها المعرض صفحا
عن خطابي وجوابي
لاأزال الله عمري * أوير يني بك مابي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي أن يرى قلبك في مثل عذابي

وقال الآخر
يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته فاشف السقام التي في طرف مقلته

ياجوج

ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فيجب على كل ذى نفس شريفة وهمة منيفة الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثة التى ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فلذلك حرمه النووى رحمه الله تعالى مطلقا وقدو رد انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدو فيهم امرد فاجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجه الامرد فاتهموه واخرج الخطيب عن انس موقوفا لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجوارى العواتق ونص النخعى والثورى على عدم مجالستهم وعن الخدرى قال رأيت ابليس فى النوم فقلت له تعالى فقال لا حاجة لى بنى آدم الدنيا وان لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال مجالسة الاحداث فأخذت العصا لاضربه قال انا لا تخوفنى العصا وانما يخوفنى نور القلب وعن الموصلى قال نهانى ثلاثون من الابدال عن صحبة الاحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل فقلت ايعذب الله هذه الصورة فقال لى استاذى اورأيته سوف ترى غبها فأنسيت القرآن بعد عشرين سنة والآثار فى هذا المعنى كثيرة ولله در من قال فى المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة * فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم فى الخسف ينتظرونكم * على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا لنا فى الفسق غير حميد
أتيناه بالذكران من عشقنا بهم * فاوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب احق من * يتابعكم فى ذاك غير رشيد
فقالوا وانتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا فى النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما فى ثلاثة أقسام

(القسم الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى اسلمه رمسه)

وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه

(أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى)

هو ابو بكر محمد بن داود بن على المعروف بالفقيه الاصفهانى كان اديبا حاذقا وفقيها شاعرا وله فى فقه الظاهرية والاحاديث والتواريخ اليد الطولى قال الخطيب انه كان ملازما للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب وانه شرع فى كتاب جمع فيه طرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهرة وشاربه عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلانى كان يبيع العطر ببغداد وكان من أجمل اهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفا وعليه عطوفا وبه رؤفا واشتهر أمرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيل إنه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة فى اول الكتاب المذكور بقوله وننكر من تغير الزمان وأنت احد مغيريه ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه ومن عجيب ما يأتى الزمان ظالم يتظلم وغاصب يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه انه خرج من الحمام يوما فنظر فى المرآة فأعجبه

واستر ملاحة خديه بلحيته * وقال الآخر
كم جئتنى فرمت أدعو عليه *

فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لا شفى الله طرفه من سقام
وأرانى عذاره وهو سائل
وقال ابن سناالملك
أسر اطول اسرى فى يديه
فيغضب اذ أسر اطول اسرى
سألت الله أن يبلى بعشق
فيصبح عاشقا لكن لهجرى
وقال ابن وكيع
ان كنت تعلم مابى
وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش
تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى
عليك ثم بدالى
وقوله أيضا
فهم غالط منى فهما
جاءنى يسأل عما علما
مقسما ما بلغته علتى
كاذب والله فيما زعما
رزق المظلوم منا رحمة
ثم لا أدعو على من ظلما
وقال ابن منقذ
يا ظالما يعرض عنى اذ
دعوت غضبان على ظالمى
أظنه أنت والا فلم
تخشى دعائى دون ذا العالم
يارب لا تسمعه فيه وان
كان دعاء المغرم الهائم
(وقال الآخر)
قلت لمحبوبى وقد مربى
محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه
من طرفك الوسنان بالثار
(وقال الآخر)
ولما بدالى انه غير زائرى
وان هواه ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن يهوى سواى اهله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

*(الباب العشرون فى الخضوع)

و جهه فبرقعه واتى ابن داود فلما رآه غشي عليه فقال له لا بأس عليك انى لم ابرقع وجهى اسوءاصابه ولكن رأيته غب حمام فأعجبني فأحببت ان لا أمتع به احدا قبلك ففداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أياما فسئل فى ذلك فقال دخلت يوما فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا مذرأيانى فآليت أن لا ادخل مكانا فرقت فيه بين محبين وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعى فى مجلس الوزير ابن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب بالكفارة فى الظهار فقال هو اعادة القول ثانيا فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح فحين وقف على القصة قال لابى بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه غاية امرنا ان نعد قول من خالفنا خلافا فغضب ابن شريح وقال له انت أعزك الله بكتاب الزهرة أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرنى والله لا تصلح للنظر فيه لم أقل فيه

أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وامنع نفسى ان تنال المحرما
واحمل من ثقل الهوى مالو انه * على جامد الصلد الاصم تهدما
ويظهر سرى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * وما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح بم تفتخر على ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغماته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
صبابه وبحسنه وحديثه * وانزه اللحظات فى وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود يحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة فقال يلزمنى فى ذلك ما يلزمك فى قولك انزه فى روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة فى مسئلة فى الايلاء وان ابن شريح قال انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق ومن لطف ابن داود انه سئل يوما

يا ابن داود يا فقيه العراق * افتنا فى قواتل الاحداق
هل عليها القصاص فى القتل يوما * أم مباح لها دم العشاق

فاجاب

عندى جواب مسائل العشاق * فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى اهل الهوى * اجريت دمعا لم يكن بالراقى
اخطأت فى نفس السؤال وان تصب * بك فى الهوى شفقا من الاشفاق
لو ان معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب انعم العشاق

وقيل له وهو فى مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرنى الى ما ترى فقيل ما منعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد اخذت منه بحظ واما التلذذ بالمحرم فمنعنى منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق فى المقدمة وانشد

ما لهم أنكروا سوادا بخديه * ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعر * فعيب العيون شعر الجفون

فقيل له أنكرت القياس فى الفقه وأثبته فى الشعر فقال غلب الحب وتوفى نهار الاثنين تاسع رمضان

وانسكاب الدموع) * اقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا على مسكوب فبات وهو من جريانه كالرمح كما قيل انبوب على انبوب ولا سيما اذا تمادى الهجر او كان عليه بعض حجر هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر وينشد اذا عزم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو * ب فلا خلت منه الربوع
بعث الرسول وقال لى * وأنا السميع له المطيع
بالله قل لى ما جرى * بعدى فقلت له الدموع

(وقال الآخر)

قال لى من أحببت والبين قد جد * وفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى * قلت أبكى عليك طول الطريق

وما احسن قول القاضى الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سرى * وما اطلقت لى بالوصل اجره
ولم أر لى على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعى فى الشمس عصره

وقوله ايضا وهو من نثره الذى أصبح بين النجوم نثره فيصير حتى تنجلى هذه الغمرة وتقلع سحائب هذه السكرة وتجف مناديل الجفون فانها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البين ما أكثر فضوله بدخوله بين المحبين وفى هذا المعنى الباهر يقول ابن عبد الظاهر

لا تسلنى عن اول العشق انى * انا فيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جبينك ارخ * ت غرامى بمستهل وغره

ومن معانى المتنبى الغريبة قوله

أقرا ما الكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقوله ايضا لا تعذل المشتاق فى أشواقه

رمضان أو لايام بقين منه او سابع شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ومن لطيف اشعاره فى محبوبه قوله

يا يوسف الحسن تمثيلا وتشبيها * يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك فى الحور فلينظر اليك فما * صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتحريف يا املى * نور البدور عن التحريف يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت * ولا تزاد على النقش الذى فيها

ومنها
أشكو عليل فؤاد أنت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقمى تزيد مع الايام كثرته * وانت فى عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلى فى الهوى سفها * وانت يا قاتلى ظلما تحلله

ومنها
حملت جبال الحب فيك وانني * لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به النفس تكلف

ومنها
سقى الله أيامًا لنا ولياليا * لهن باكناف الشباب ملاعب
اذ العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها
انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمل دب فى عاج

(اخبار القاضى شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفرى)

هو قاضى القضاة ابو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفرى احمد بن مسعود ابن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان اباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفى يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فاقام الشمعة لينظره فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه فى الارض فالتهبت نار عشقه فى قلبه وخرج فكتم ذلك أياما فمرض واشتد به الحال فبينما هو كذلك اذ ارسل المظفر ولده يعوده فحين رآه وثب قائما كأن لم يكن به مرض وكان الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فأخبر اباه بذلك فحجبه فقال من رأى القاضى بعد ذلك انه كان يبيت الليالى الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك * آيس من سلامتى أو أرى القامة التى * قد اقامت قيامتى

وقيل مات وهو ينشدهما وحكى انه كان بعد حجبه لا يركب الا يوم الموكب وان القاضى كان يقصده مستخفيا فينظر اليه فبلغ اباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتى انى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها فى الحب أصعب مركب

وهبت السلوان لامى
وبت من الشوق فى شاغل
كأن الجفون على مقلتى
ثياب شققن على ثاكل
(وقال الآخر)
شققت عليه يد الاسى
ثوب الدموع على الذيول
وقال الآخر فى الخضوع وانسكاب الدموع
ولم أنس لا انس ذاك الخضوع
وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها
قياما الى الصبح لم نرقد
(وقال ابراهيم بن المعمار)
وبى غضبان لا يرضيه الا
دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل
وفى عينى بعد الهجر قطره
(وقال الآخر)
وقائلة ما بال عينك مذ رأت
محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عينى بنظرة طلعة
فحق لها من فيض ادمعها غسل
(وقال السرى الرفاء)
بروحى من رد التحية ضاحكا
فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بينى وبينه
كأن دموع العين تعشقه معى
(وقال ابن وكيع)
وسحاب اذا همى الماء فيه
ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا
ظل يذكى على القلوب الحريقا
(وقلت من قصيدة حجازية)
خليلى روض الرقمتين طرازه
اذا لمع البرق الحجازى مذهب

فلا تعجبا من سحب دمعى اذا همت * فما كل برق لاح للعين خلب (وقلت من أخرى حجازية)

لولم أكن في رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذلي * خلع العذار ولوالح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذيالك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

(أخبار أحمد بن كليب وصاحبه اسلم)

هو احمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما واسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالاندلس بعدما كان حاجبا وله يد في الادب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحاطة بتاريخ غرناطه معروف بالرئاسة والفضل والعرافه فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الاشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك فلما غلب عليه حبه فشا امره واشتهر فيه على الالسنة شعره وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك وشمع زامر السلطان يغني به قوله

أسلمني في هوا * ه أسلم هذا الرشا غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى ولوشاء ان يرتشي * على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الامر انقطع في داره عن جميع الاشياء فصار يجلس على بابه احيانا فجعل احمد لايبرح الاعلى بابه فانقطع وصار يجلس ليلا عند العشاء فضي احمد واخذ دجاجا وبيضا وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم واقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله عن الضياع فاستلغاه فحين عرفه قال اما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنا ثم حلف لايخرج من بيته ومضى احمد حزينا فكان مماجن فيقال له ذهب دجاجك وبيضك فيقول أود لوقبلت يده قبلة واذهبت كل ليلة مثل هذا ولما طال عليه الامر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لوسعيت في ان تجمع بيني وبينه لاثابك الله على ذلك ثوابا عظيما فضيت اليه فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ماضمك مع ابن كليب من الطلب فقال نعم ولكن قد رأيت ما فشا من امرنا قلت ماعليك ان تزوره فتنقذه من التلف فامتنع فلم ازل به حتى اجاب ان يمضي من الغد فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال في هذه الساعة أموت ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة ودخلت على احمد وقد بشره غلامه بقدومه فلما لم يجده معي تغير واختلط عقله فقمت عنه فأتيت نفسه اليه فقال لي اسمع وانشد

أسلم ياراحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك فقال قد كان فلم أخرج عنه الا وقد قام الصراخ عليه ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعرا في أسلم يعرضه عليه فقال انه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

ألحق لي التنوين في مطمع * فانني انسيت الحاقه
لاسيما اذا كان في وصل من * كدرني في الحب اخلاقه

فالدر ماعز حتى جاوز الصدفا
لا تعجبوا من وفا دمعي غداة جرى
من عينه ماجرى فالبحر فيه وفا
مازلت أبكي على وادي العقيق الى
ان قيل هذا الذي من عينيه قد رعفا
(وقلت ايضا من قصيدة)
بكيت على أرض بها كنت ماشيا
فاشبهت دمعي على صخرها الخنسا
تجرأت يادمعي فلم تجر دائما
فيادمع ماأجرى وياقلب ماأقسى
(وقلت ايضا من قصيدة)
ان عيني على العقيق اذا لم
يحك دمعي بلونه حمراء
منذ امسى لجين دمعي نضارا
صح عندي انني الكيمياء
لايسل ماجرى من الدمع لما
صار من عاذلي على اجتراء
طلع الليل أدمعي فوق خدي
مثل ماتطلع النجوم السماء
(وقلت من قصيدة)
لئن فترت عيني بحر دموعها
فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاؤه
فهذا الذي حلت بطرفي عاقد
(وقلت من قصيدة)
سقيت بحر الدمع باردا رضها
وارسلته فيها على حين فترة
فياطرف ان لم تسعف الصب بالبكى
قطعت حبال الدمع من حيث رقت
(وقلت من قصيدة)
خالفت فيك معنفا ونصيحا
واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فدامعي
كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على شفع المقطم دمعه
تجري العيون به دما مسفوحا
لوشاهدت عيناك أحمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا (وقلت أيضا) الطرف من فقد الكرى

(اخبار مدرك وصاحبه عمرو)

هو مدرك بن على الشيبانى نسبة الى بنى شيبان عرب بادية البصرة دخل بغداد صغيرا ونشأ بها فتفقه واحسن العربية والادب والخط وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصرانى البغدادى كان بدير الروم من الجانب الشرقى وكان لمدرك مجلس علم لا يحضره فيه الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه وزاد فيه وجده فالقى اليه يوما رقعة فيها

بمجالس العلم التى * بك تم حسن جموعها * الا رثيت لمقلة

غرقت بماء دموعها * بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع عن المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمرا وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ودخل الناس عليه يعودونه فقال اما بينكم وبين حرمة وعشرة اما فيكم من يرحمنى بالنظر الى عمرو فمضوا اليه فلما أعلموه بحاله وما صار اليه من اجله مضى معهم فحين سلم عليه أغمى عليه ثم أفاق وأخذ بيده وانشد

أنا فى عافية الا من الشوق اليك أيها العائد مابى * منك لا يخفى عليك

لا تعد جسما وعد قلبا رهينا فى يديك كيف لا يهلك مرشوق * بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة ولطفها بتخميس الحلى لها أوردناه معها غير ان المصنف ابدل أبياتا يسيرة من التخميس وزاد آخرها ان الحلى لم يقف عليها وهذه القصيدة بالشرط المذكور وغير انى أقول فى ابيات المصنف له وهى هذه

من عاشق ناء هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان

موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران

طليق دمع قلبه فى أسر

من غير ذنب كسبت يداه * غير هوى نمت به عيناه

شوقا الى رؤية من أشقاه * كأنما عافاه من أضناه

اذا كان أصل نفعه والضر

(له) ياويحه من عاشق ما يلقى * من ادمع منهلة ما ترقا

ناطقة وما اجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا

اخبار من يعلم اخفى السر

لم يبق منه غير طرف يبكى * بأدمع مثل نظام السلك

تطفيه نيران الهوى وتذكى * كأنما اقطار المها تحكى

هيهات هل قيس دم بقطر

(له) الى غزال من بنى النصارى * عذار خديه سبى العذارى

وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب به أسارى

تنشد قول مدرك فى عمرو

(له) زيم بدار الروم رام قتلى * بمقلة كحلاء لا عن كحل

وطرة بها استطار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل

وعظم ردف ونحيل خصر

وذمع عينى لا تسل * عن حاله ياما جرى

(كان) المسعودى شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت هند تلك تبكى

دما حذار التنائى

فلم تعرضت عنها * بعد الدماء بماء

فقلت ماذاك منى * لسلوة وعزاء

لكن دموعى شابت

من طول عمر بكائى

وقال الآخر

وقائلة مابال دمعك أبيضا

فقلت لها يا علو هذا الذى بقى

ألم تعلمى أن البكا طال عمره

فشابت دموعى مثل ما شاب مفرقى

وما قليل لادموعى ولادمى

يرينى ولكن لوعتى وتحرقى

وقال الآخر

وقائلة مابال دمعك أسودا

وقد كان مبيضا وانت نحيل

فقلت لها جفت دموعى من البكا

وهذا سواد العين فهو يسيل

(وقال آخر)

كانت دموعى حمرا يوم بينهم

فذنا واقصر تها بعدهم خرقى

قطفت بالحظ وردا من خدودهم

فاستقطر البين ماء الورد من حدقى

(وقال الناشئ الاكبر)

بكت للفراق وقد راعنى

بكاء الحبيب لفقد الديار

كان الدموع على خدها

بقية طل على جلنار

(الباب الحادى والعشرون فى الوعد والامانى وما فيهما من راحة المعانى)

اقول هذا باب عقدناه لذكر الامانى التى لابد منها ولا غنى عنها فلا اقل منها أعلل بالمنى قلبى لعلى

ولم يزل المحبون يعللون بالامانى نفوسهم

أروح بالامانى الهم عنى * وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

الحبيب على قصة
من نال من دنياه امنية
اسقطت الايام منها الالف
وهذا النوع الاخير كثير والسقيم به
من المحبين جم غفير
من كان مرعى عزمه وهمومه
روض الاماني لم يزل مهزولا
نعم منهم من بات من وعد الحبيب
مسلوب الرقاد بعيدا من لقاء الردى على
ميعاد يصدق قول الحبيب و يكذبه
و يمتحنه ويجربه و يقول
مازلت منتظر الوعد سيدتي
في البيت ملتفتا القرع الباب
ياكاذبا في وعده بلسانه
من لي ببعض اسانك الكذاب
فالما أيس من وعد المحبوب وتمسك
من رؤيته ساقه مواعيد عرقوب كما قيل
وما بلوغ الاماني في مواعدها
الا كاسعت يرجو وعد عرقوب
(تنبيه) قولهم في المثل مواعيد
عرقوب يقال لمن وعد وعدا واخلف
واصل المثل المذكور ان عرقوبا كان
له اخ فسأله شيأ فقال له عرقوب اذا
اطلع نخلي فلما اطلع قال اذا ابلح فلما ابلح
قال اذا ازهى فلما ازهى قال اذا ارطب
فلما ارطب قال اذا صار تمرا فلما صار
تمرا اخذه من الليل ولم يعط اخاه شيأ
فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل
مواعيد عرقوب (قال الشماخ)
وواعدتني مالا احاول نفعه
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
(وقال ابن حجاج)
فديت من لقيني مثل ما
لقيته والحق لا يصعب
فقلت يا عرقوب اطمعتني
فقال لم نفسك يا اشعب

ديم به أي هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولم يخش القود
متى يقل هاقالت الالحاظ قد * كانه باسوته حين الحد
أفديه من ريم ومن هزبر
ماأبصر الناس جميعا بدرا * ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
احسن من عمرو فديت عمرا * ظبي بعينيه سقاني خمرا
فما أفقت ساعة من سكري
ها أنا ذا بقده مقدود * والدمع في خدي له اخدود
ماضر من فقري به موجود * لولم يقبح فعله الصدود
فديته لقد أطال هجري
ان كان ذنبي عنده الاسلام * فقد سمعت في نقصه الآثام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
ياخيبتي ان لم افز بغفر
ياليتني كنت له صليبا * أكون معه أبدا قريبا
أبصر حسنا واشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف ابدا من غدر
ياليتني كنت له قربانا * ألثم منه الثغر والبنانا
أوجاثليقا كنت أومطرانا * كيما يرى الطاعة لي ايمانا
فلا يزال الدهر طوع أمري
ياليتني كنت له مصحفا * يقرأ مني كل يوم أحرفا
اوقلما يكتب بي ما الفا * من ادب مستحسن قد صنفا
و يجعل الريق بذيل الحبر
ياليتني كنت له عوده * اوجلة يلبسها مقدوده
أو بركة باسمه مخدوده * او بيعة في داره مشهوده
يدلج في ارجائها و يسري
ياليتني كنت له زنارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
اضمه الى طلوع الفجر
قد والذي يبقيه لي افناني * وابتزعقلي والضنا كساني
ظبي على البعاد والتداني * حل محل الروح من جثماني
فليس لي عن قربه من صبر
واكبدي من خده المضرج * واكبدي من ثغره المفلج
لاشيء مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
الاجمال ثغره بالدر
اليك اشكو ياغزال الانس * مالي من الوحشة بعد الانس
يامن هلالي وجهه وشمسي * لا تقتل النفس بغير النفس

(وقالت أنا من قصيدة حجازية) يهددني بالهجر في كل ليلة * أصدق فيها وصله وأكذب

وجد بوصل لسقام يبرى

جد لي كما جدت بحسن الود * وارع كما رعي قديم العهد

واصدد كصدي عن طويل العهد * فليس وجد بك مثل وجدي

وليس ذكرك مثل ذكري

ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا افيق

محترق مامسني حريق * يرثي لي العدو والصديق

من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم لي وضنى طويل

ام هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل

انحله حبك طول الدهر

في كل عضو منه سقم وألم * ومقلة تبكي بدمع وبدم

شوقا الى بدور شمس وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم

افديه من شمس ضحى وبدر

اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ واصلته لقد سعد

وكان من اشقيته في حر

يا عمرو وناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح

يخبر عن قلب له جريح * باح بما يلقى من التبريح

كسير قلب ماله من جبر

يا عمرو بالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت

ذاك الذي في مهده المنحوت * عوض بالنطق من السكوت

وانشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم

ثم استحال في قنوم الاقدم * فكلم الناس ولما يفطم

مصرحا عن امه بالعذر

بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ماقصصا

وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبرى أكمها وأبرصا

بما لديه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور

ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور

وما به صرف القضا يجري

بحق من في شوامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع

يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع

ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بوسا

يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس ومنهم يقول ليس الترجي مما ينجي فيرى الاماني من الخداع والوقوع في النزاع ولكل من القول حجة ومذهب مسلوك المحجة ومن احسن ماسمعته في القول الاول قول بعض بني الحرث

أماني من سعدى حسان كانما

سقتني بها سعدى على ظما بردا

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى

والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

(وقول الآخر)

ولما حللنا منزلا طله الندى

أنيقا وبستانا من النور خاليا

أجد لنا طيب المكان وحسنه

منى فتمنينا فكنت الامانيا

(وقال افلاطون) الاماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون * وقال غيره الاماني رفيق مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك * وقيل لاعرابي ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق واماني تقطع بها أيامك * وقال القاضي الفاضل واحسن ماشاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلامنا

أتمنى تلك الليالي المنيرا

ت وجهد المحب أن يتمنى

(وقال ياقوت الرومي)

لله ايام تقضت بكم

ما كان احلاها واهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها

شيء سوى ان نتمناها

(وقال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

اصبو الى البان بانت عنه ما جرى * ته الا بليالي وصلها فيه عصر مضى وجلا بيت الصبا فشب * لم يبق من طيبه الا تمنيه

وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
قد اخلصوا في سرهم والجهر

بحق ماري مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيال بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل اواب رحيب الصدر

ونينوي اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه * ونال عند الله ما احبه
اذ رام من مولاه شد الازر

بحق ما في قلة الميرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر

بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد اشعوني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر * وعيد مرمار الرفيع الذكر
مواسم تمنع حمل الاصر

وعيد شعياء وبالميا كل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبرى

بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله في البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر

بحق ثنتي عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم * ساروا بهم الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر

بحق ما في محكم الانجيل * من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبأ جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
يسند زيد علمه عن عمرو

بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تليخا الحكيم الراجح * والشهداء بالفلا الضحاضح
الراغبين في عظيم الاجر

بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح * وعابد باك ومن نواح
ينثر عقدا من دموع حمر

بحق تقريبك في الاجساد * وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد * وطول تقطيعك للاكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر

(وقال العفيف) استحق كاتب الانشاء للناصر داود
لولا مواعيد آمال اعيش بها * لمت يا اهل هذا الحي من زمن
وانما طرف آمالي به مرح
يجري بوعد الاماني مطلق الرسن

(وقال ابن خفاجة)
وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا ان اضاحك ساعة
ثغور الاماني في وجوه المطالب
حسبت الدياجي فيه سود ذوائب
لها عنق الآمال بيض الترائب

(وقال آخر)
في المنى راحة وان عللتنا
من هواها ببعض ما لا يكون

(وقلت أنا)
رقي لصب غدا مما يكابده
من دمعه الصب يجري في مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددها
لولا المنى مات يا اقصى امانيه

(وقلت ايضا)
يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا
لولا تلافيه في الهوى تلفا
كم ذا أعلل قلبي بالنسيم وما
أرى لداء غرامي في هواه شفا

(وقال ابن زيدون)
لاسرحن نواظري
في ذلك الروض النضير
ولاكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

(وقال آخر)
عللني بوعد * وامطلي ما حييت به
ودعيني افوز منك بنجوى تطلبه
فعسى يعسر الزمان بحظي فيتنبه

(وقال آخر)
وشادن قلت له * هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه

(وقال ابو بكر الحاتمي)
لي حبيب لو قيل لي ما تمنى
ما تعديته ولو بالمنون
أشتهي ان أحل في كل طرف * لاراه بلحظ كل العيون (وقال أيضا) أماني قلبي فأنت جنيه

بحق ماقدس شعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومايرويه * عن كل ناموس له فقيه
متبع فى نهيه والامر
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم * موتهما كان حياة الخصم
وعنهم اخبر كل حبر
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبترك الاكبر والرهبان
والمغربانى ذى الخصال الزهر
بحرمة المحبوس فى اعلى الجبل * ومارة ولاحين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالسليح المرتضى بما فعل
وما أتاه من فعال البر
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وماحوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر
بحق يوم الذبح ذى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
والمذهب المذهب للنفاق * والفصح يامهذب الاخلاق
وكل ميقات جليل القدر
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسى * وقدموا الكاس لكل حاسى
توقد فى راحته كالجمر
الارغبت فى رضا اديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب * أعلى مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر
فانظر أميرى فى صلاح أمرى * محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر * فى نثر الفاظ ونظم شعر
فيك نظمى أبدا ونثرى

قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التى هو منها وظاهر انه كان روميا ولكن مدرك لم يكن خبيرا بتفاصيل فرقهم واقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الاحكام ولولا وجود هذا الباب فى الاصل والتزامى ذكر ما فيه لحذفته أصلا لعدم الرغبة اليه لكن سأذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف أى جعل الناس رقا والفاعل الحب (قوله فى ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية فى الاصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلا كأن رتبة العشق جعلت المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه

ياليتنى اصبحت بعض مناك * يدنى مزارك حين شط به النوى * وهم اكاذبه اقبل فالك (وقال الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى
خلت انى وما أراك أرا كا
واذا ما تنفس النرجس الغض
توهمته نسيم شذا كا
خدع للمنى تعللنى فيـ
ـك باشراق ذا وبهجة ذا كا
(ومما احتج به أرباب القول الثانى)
وأكثر أفعال الغوانى اساءة
وأكثر ماتلقى الامانى الكواذبا
(وقال الخالدى)
ولاتكن عبد المنى فالمنى
رؤس أموال المفاليس
(وقال ابن شرف القيروانى)
غلف تمنوا فى البيوت أمانيا
وجميع أعمار اللئام أمانى
(وقال ابن المعتز)
لاتأسفن من الدنيا على أمل
فليس باقيه الامثل ماضيه

(وقال) على بن أبى طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ماخولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى (وحكى) ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها اللبن يقول متمنيا ان أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشترى كذا ثم أبيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج وأتزوجها فتلد لى ابنا وأدخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ورفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال النبى لو رفست ابنتى هكذا فجعتنى فيها وقال على ابن عبيدة الامانى حبائل الجهل وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك اتفق ان الزكى عبد الرحمن القوصى حضر عند الملك المظفر قبل ان يلى حماة وأنشده

متى اراك ومن تهوى وانت كما * تهوى على رغمهم روحين فى بدن هناك انشد والآمال حاضرة

الربقة وقوله ريم يعنى غزالا والروم الفرقة الاصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفى البيت من البديع التجنيس فى ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والمزبر الاسد يقول ان اشجع الوحش الاسد فلو كان العاشق أسد الصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت فى الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الاكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو أول من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الاب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الالهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لان حصة العذراء يعنى مريم تفنى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق والصليب شئ ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع اصلها المحور واصل تبرك النصارى به انهم لعنهم الله اعتقدوا ان الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صليبه على شئ هذه صفته وانهم سقوه الخمر فى حنك الختزير فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة وحرم الختزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصا ومدلول هذا ان الخمر حرام فى الانجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه تقسيم الصفائح وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال فى الاصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة اخذ القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة واما المطران فهو الفقيه الورع المستحب للبس الصوف الاسود وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارئ للانجيل من اول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيسا ويدوم كذلك مادام عنده زوجة وان بلغ فى العلم ما بلغ فان ماتت زوجته فان تزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سائخ القسوسية والا صار مطرانا فان تنزه عن الذفر وما يخرج من الارواح صار بتركا فى مذهب الارمن وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لا يجوز ان يكون بتركا الا من تنزه عن النساء وأكل الارواح وما يخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك لانه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى وأما الاسقف والمير ون والراهب فاسماء للمتعبدين خاصة فالماكث فى القلة ميرون وكثير السياحة أسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وان لا يصلى خارج كنيسة ولو نجس قوله كما يرى الطاعة لى ايمانا * بقوله (يكشف الرأس اذا ويجرى) لكان اليق لما فيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين والمصحف المراد به المعنى اللغوى والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما اشتملت على عواميد الاناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات والصومعة مكان رفيع رقيق الاسفل والقلة مثلها الا انها الاتسع اكثر من واحد والزنار منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة ومن هنا الى آخر ما شرح مؤخر والمغربانى الخادم الملازم للبترك وباقى البيت تقدم استطرادا والمحبوس فى رأس الجبل هو الراهب نقولا وكان بانطاكية فى بيعة البرتز فارسله لوقا نذير الاهل السد فحبسه شعياه

هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده الملك المظفر اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها انشده

مولاى هذا الملك قد نلته
برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته
فذا أوان الموعد الصادق

فوقع له بألف دينار وأقام معه ولزمته اسفار فانفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ذاك الذى اعطوه لى جملة
قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد انزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم
ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى
وان مت تدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك قال قولك حسبي الله ونعم الوكيل فامر بخنقه فلما احس بذلك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة
ياليت شعرى أم اعطيتنى دينى

قلت وقد غيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبي الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان حاله معه كما قيل

فكنت كالمتمنى ان يرى فلقا
من الصباح فلما ان رآه عمى

(ولله القائل)

وربما يرجو الفتى نفع فتى
خوفه اولى به من امله
رب من ترجو به دفع أذى
سوف يأتيك الاذى من قبله

(ذكرت هنا قول الآخر) لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم قلت هذا عارض عطر

دعاني فيه العذاب الاليم وقال ابن سنا الملك من رسالة الى المحبوب وأنت

الذي نقضني من يده ورفضني من باله
وأنت الذي فصلني قبل أن يستكمل
الوصل مدة حمله وفصاله
وأنت الذي اخلفتني ما وعدتني
وأشمت بي من كان فيك يلوم
لعل عينا أصابتنا فلا نظرت
أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعل عتبك محمود عواقبه
وربما صحت الاجسام بالعلل
لعل الرضا منكم وكيف مناله
يسر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى في النفس يروى أوامه
وجمر جوى في القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدني الى أمل
قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضى ممن كلفت به
يوما تبهرج ما قالته حسادي
لعل زمانا قد تولى سيثنى
الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع
تجررها الجافي على مفرق الذنب
لعل سلو الفؤاد يعوده
وذا غلط حاشى فؤادي أن يسلو
لعل وما تغني لعل وانها
علالة صب واستراحة هائم
ولا أقل من التعلل بلعل
وما أقل غناها وأكثر عناها

(الباب الثاني والعشرون في الرضى من المحبوب بأيسر مطلوب)

أقول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع والعاشق القنوع ممن يقنع من الحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة في العام فهو في الرضا منه بالنزر اليسير كما قيل

(قليلك لا يقال له قليل)

أنا راض منكم بأيسر شيء
يرتضيه من عاشق معشوق

بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق (وقال المعري) لاقاك في العام الذي ولي ولم *

اليهودي في جبل الغمام وضربه على أن يرجع عن النصرانية فأبى ومات جوعا عند الارمن واليعاقبة تقول ان المسيح اخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ومرقولا أول بترك بعد لوقا وهو الذي قسم الكنائس بين الارمن والروم والسليح بالمهملة رجل أقامه مرقولا في خدمة الكنيسة الرومية ولو احسن المخمس لقال (ووضعه البخور فوق الجمر) لانها وظيفته والاسقوفيا هو الاسقف وقد تجوز فيها مدرك كما زاد الالف في مرقولا والبيرم الفراش في الدير وأشار بمغفر رأس مريم الى بولس الذي نحر عن مريم يوم صورت في القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوما صوما مبدؤها خامس عشر ايلول وهو تاسع عشر توت والصوم الكبير هو الصوم الذي تستفتح به السنة اليونانية وأوله من أول ادار يعني برمهات وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يوما واصله في الانجيل ثلاثون يوما ثم زاده لوقا عشرة ايام لاجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته وكانت زمنة فاصبحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فامر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن والبركة محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو احسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لان بركة الغطاس لابد أن يحضر عندها القسيس ومعه شيء من دهن البلسان وأنواع الطيب لانهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك في تغسيل عيسى ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن وليلة الميلاد هي ليلة ميلاد المسيح وهي سابع كانون الاصم اعني ثالث عشر طوبة والفصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الاكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف في مصر بالخماسين والقداس هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه في المعمودية يعني يحطه في الماء ومن هنا الى عند ما تقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الاقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كازردشت عند المجوس وخاخان عند اليهود وازدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه في الفرق والذي قص بعد موت المسيح كما سبق والذين حلقوا الرؤس وتشمعلوا يعني اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا وامليخا وجرجس ودوبيل وبنيائيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها في الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد في رؤس الجبال بالعبادة ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير في الجبل البحري بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم اقوال عجيبة لا يسعها هذا المحل وما بعد ذلك أسماء انبياء من بني اسرائيل والدواء الذي في قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة ارجل البتاركة في القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها في الزجاجات عند أهل القال فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب المالنخوليا فان صح ذلك فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوما أنا أغسل رجلي بالماء وأرفعه فلا يتغير أبدا فتبطل مزيتكم ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم احد خامس يوم من الصوم الاكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشيء من خوص النخل فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون في الباطن رفع اليهم من ذلك شيئا وأمرهم بادخاره فبقي رطبا الى القابل فدنو لملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن في اليوم المذكور ويطرح في الكنائس فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون

عندهم الى القابل ولو عرف المجمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعني الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخور الكنائس وغيرها ويداوون به امراضا كثيرة كالحميات ثم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه في الارض أسبوعا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غيره فبالعكس وله احكام طويلة ذكرناها في كتاب الفلاحة وعيد الصليب معروف وعيد اشمونا عاشر نيسان وعيد الشعانين هو الذي يأتي في الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر بلا فصل بأعياد وعيد مرماري هو الذي يأتي بعد صوم بولس وقد سبق وعيد شعياء يكون في صوم الميلادة بشباط يعني أمشير والارمن تسمي عيد الشعانين عيد شعياء واليعاقبة تسمي يوم الزيتون أيضا كذلك والعمدة على كلام الروم والهيا كل الاماكن التي فيها قبور مثل البتاركة والمطارنة والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثناعشر من الامم المراد بهم السبعة السابقة وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه واسباب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها في الفرق ومرعيد عابد كان بدير شمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير اول من حل الانجيل ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الانبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين احكامها واحكام الانجيل والزبور والتوراة ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

(النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله وقد رأينا أن نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة)

(فمنهم) سعيد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء وأهل الادب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعري وغيرهما فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الادب فعلقه سعيد وزاد به وجده فانشد يوما

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفي * وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فاجابه اهله بعد جهد فخرج الى دير زكى وأقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه أي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا أتى فلما أيس مضى فاحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله وان الصنوبري أتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا أبا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذي على شرافة الدير قلت نعم قال لي اسأله جعل رسالتي الى عيسى فابى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زكى * وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما * الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عني * فقلبي مايقر من الوجيب

يسألك الاقبلة في القابل   ان البخيل اذا تمدله المدى * في الجود هان عليه بذل الباذل
(وقال جميل)
أقلب طرفي في السماء لعله
يوافق طرفي طرفه حين ينظر
(وقال أيضا)
واني لارضى من بثينة بالذي
لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لا تلتقي وأوائله
(قلت) انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل واكتفى باللمع من خلال الاستار والكلل ومن هذا المعنى المبتز قول ابن المعتز
ألست أرى النجم الذي هو طالع
عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها
فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع
(والعلم) المشهور في هذا الباب قول بعض الاعراب
أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علاني
كان الشيخ أثير الدين أبو حيان يقول عن صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع وقال الآخر
الى الطائر النسر انظري كل ليلة
فاني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده
فنشكو جميعا ماتجن الضمائر
(قال بعض الاعراب)
وما نلت منها وصلها غير انني
اذا هي بالت بلت حيث تبول
ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى امرأة حسناء في طاقة فاحبها ولازم المقام على بابها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت

وقالوا

وقالوا رابنا المام سعد * ولا والله ماأنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو * لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
وان الك مت فاكتب حول قبري * محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فأراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا منه بمائة الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة اهله تضربه الصبيان بالحجارة يقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان (ومنهم شرف العلاء) عاشق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى الكنائس والبيع وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن ايوب فاستحضره فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشرب به وانشد

جمعت بالكاس شملي * الله يجمع شملك بحق رأسك دعني * حتى اقبل نعلك

وصار على ذلك هائما حتى مات ومنهم ما اخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس اليه فانشد

يوم الفراق من القيامة اطول * والموت من ألم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا (ومنهم) ما حكاه النوري في روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدوري عشق غلاما وكلف به فلما علم ابوه بذلك نقله الى مؤدب آخر فعدو له فضعف واشتد غمه فكتب الى ابي الغلام يستعطفه فاجابه بانه ان لم يرجع رفع امره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايا الدم وحمل الى بيته وجاء الطبيب فأخبر ان كبده تقطرت فمات في الرابع (ومنهم) ما حكاه في ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق في الباب الثاني قال عشق شاب بدمشق غلاما فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدد بالضرب فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما انا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فامسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان اول ما حكم الحاكم الجديد ان شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبي كان شابا لطيفا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى في الادب وكان من اولاد الجند عشق شابا من اولاد الحسينية وافرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل أصحابه عليه ليعودوه فقال أريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قدمات ثم قال احملوني من هنا والح عليهم فأخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معا ومن شعره

ملأت فؤادي من محبة شادن * أميل اليه وهو كالظبي رائح
وقلت لقلبي قم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا صائح

(ومنها)
ان السيوف كلها * قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظه * اذا انصدت قتلت

الجارية اليه فدفع اليها الصحفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه فبالت له في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل تتبعه الى ان دخل بعض الخربات فوضع ايره في ذلك البول وقال يا مشؤوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق (وحكى) ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال لسليمان عليه الصلاة والسلام اريد أن تكون في ضيافتي فقال له سليمان أنا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هنالك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثل
ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

(الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أفرط في العناق اذا التفت الساق بالساق فاصبح هو ومحبوبه كالشئ الواحد في رأى العين حتى عند الاحوال الذي يرى الشئ شيئين وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال كما قيل

وكدت وهو ضجيعي أن اقول له
من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(وقال ابن الرومي)

أعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تداني
والثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه رشفا ما سوى الشفتان
كان فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان

(وقال آخر) سريت اليه والظلام كانه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد
فلو أن روحي مازجت ثم روحه *

(ومنها) وصفت خصره الذى * أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

(ومنها) له عين لما غزل وغزو * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فيا لك مقلة غزلت وحاكت

(ومنها) عودوا الصب بكى عليكم * يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحرا * وقلبه ماله قرار

(ومنها) لا تبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

(ومنها) لم انس ليلة بتنا * والحب قد غاب عنا
وقد دوى عنه لفظ * حتى حسدناه معنا

(وقال) لم أنس ايام الصبا والهوى * لله ايام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهى من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة فى شرح بديعته انه مدح بها صاحب حماة

ثانى المعاطف كنت أول عاشق * فى حبه ولكل ثان اول
يدنو فيحلو للانيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
ويميس منه شمائل لم أدر من * مشمولة او حركتها شمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

(القسم الثانى فيمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر ما له)

(فمنهم) ما حكاه من له اعتناء بطرائف الاخبار قال نزلت دارا فوجدت مكتوبا على حائط

دعوا مقلتى تبكى لفقد حبيبها * ليطفئ برد الدمع حر كروبها
ففى حبل خيط الدمع للقلب راحة * فطوبى لنفس متعت بحبيبها
عين لو رأته القاطعات أكفها * لما رضيت الا بقطع قلوبها

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاما وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ما تم من أمرهما (ومنهم) ما حكاه بعضهم قال دخلت درب الزعفرانى ببغداد فرأيت غلاما قد طرح شيخا على التراب وهو يعضه ويضربه فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا اظن انه ابوه فقال حتى أفرغ واكلمك فلما فرغ اقبل على وقال هذا الشيخ يزعم انه يهوانى وله ثلاث ما رآنى (ومنهم) ما حكاه عن الاصمعى عن ابى نواس قال رأى غلاما بمكة فعلقه وقال لا قبلنه عند الحجر فقلت اتق الله فى ذلك قال لا بد منه فدنا وقبله حين أراد ان يلثم الحجر وأنا انظره فلما عنفته قال ان الله رحيم وانشد

وعاشقان التف خداهما * عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما * كأنما كانا على موعد

(ومنهم) رجل بافريقية كان يهوى غلاما وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجنى الغلام عليه وهجره له فأخذ قبسا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين اصبحوا رفعوه الى القاضى وكان لطيفا فقال لاى شئ فعلت هذا فانشد

لما تمادى على بعادى * واضرم النار فى فؤادى

فلت ادن منى ايها المتباعد
(وقال ابو الحسين التونسى)
ثم اعتنقنا فترانا معا * فى ظلمة الليل ونور العتاب
جسمين صارا فى الهوى واحدا
كشكلتين اختلطا فى كتاب
(وقال خالد الكاتب)
كانى عانقت ريحانة
تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى
حسبتنا فى جسد واحد
(وقال نفطويه النحوى)
ولما التقينا بعد بعد بمجلس
تغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادى ضمه وعناقه
فلم يفترق حتى توهمته بعضى
(وما احسن قول أبى بكر الاربلى)
هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا
ليلا وقد بات من اهواه معتنقى
عانقته فتحدنا والرقيب أتى
فذراى واحدا ولى على حنق
(وقال سيف الدين المشد)
ولما زار من أهواه ليلا
وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا الاخفيه فصرنا
كانا واحد فى عقد كاتب
(وقال آخر)
توهم واشينا بليل مزاره
فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا
فلما أتانا ما رأى غير واحد
قال قاضى القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين امسكه امسالك أعمى (وقال ابو الفضل)
سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا
ونحن نحكى عناقا شكل تنوين
فصرت اذ علقت كفى حبائلكم
بسهم هجرك ترمى ثم تنوينى
ومثل هذا القول فى عدم السلامة وتوجيه الملامة (قول ابن سنا الملك)
وليلة بتنا بعد سكرى وسكره * نبذت وسادى ثم وسدته يدى وبتنا كجسم واحد من عناقنا

ولم اجـــد من هواه بدا * ولا معينا على الســهاد
جات نفسي عــلى وقوفي * ببـابه جــــلة الجـواد
فطار من بعض نار قلـبي * اكبر في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

فاستظرفه القاضي وحمل عنه ما افسده

(القسم الثالث في ذكر من ساعده الزمان في المراد حتى بلغـه ما أراد) فمنهم ما حكي انه كان ببغداد رجـل صوفي معروف بالزهد والعبادة فهوى غلاما جنديا حتى امتزج حبـه بلحمه ودمه واشتهر امره عند غالب غلمان الغلام لان الصوفي كان يتقصده في الطرق والدوا كب لينظره فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحـكوا فقال مولاهم مالـكم فقالوا الاشئ فاقسم عليهم فتقدم اليـه بعضهم واسر الخبر اليـه واعلمه انه يهواه فقال منذ كم قالوا من زمان طويل فقـال بئس المرء الذى لا يعرف من أحبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فأنشد

يا محرقا بالنـار وجـه محبـه * رفقا فان مـدامعي تطفيـه
حرق بها جسدي وكل جوارحي * واشفق على قلبي فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعـدها وساق الحجازي في روض الآداب الحـكاية عن الخياط الدمشقي (ومنهم) البحتري المشهور كان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه ابو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه ألف دينار فابى وكان لا يساوي أكثر من مائة فقـال خذ الفين فقال احضرهما فاحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحتري أكثر من يوم حتى ذهب عقله واكثر التردد الى ابي الفضـل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

أبا الفضل في تسع وتسعين نعجة * غـنى لك عن ظبي بساحتنا فرد
أتاخـذه مني وقد اخـذ الهوى * فـؤادي له فيما اسر وما ابدى
وتغدو عليـه صبوتي وصبابتي * ولم يعـده وجدي ولم يأله جهدي
وقلت اسـل عنه فالمنيـة دونه * وكيف يسلو الظمآن عن الورد

فقال أبيعكه بجميـع ما تملك في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما اصبح اقاله وقال اياك وهجر الاحرار فان لهم مكائد (ومنهم) ما حكي عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له أخ جميل فاختار له معلما ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه في بيته فامتحن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوما الى الغلام امره فقال ما أصنع واني لا يفارقني ليلا ولا نهارا فقال الشيخ ان داري ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتناولك فتجلس معي لحظة لطيفة ثم تعود فاجاب فلما كان الليـل أظهر الشاب انه نائم فقام اخوه ففتح الباب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفا فاخـذه ومضى فرآه قد هيأ مجلسا لطيفا ما بين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الـكاس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والـكاس في يد الشيخ وهو ينشـد

سقاني شربة من خمر فيـه * وحيا بالعـذار وما يليه * وبات معانقي خدا لخد

والا كحرف في الـكلام مشدد لو قال كحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشـدد في اللفظ معدود عنـد العروضيين بحرفين وأما في الخط فلا فعلى هذا لا يتم له ما أراد ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد ولا عذر له لان الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة
وقال بعض شعراء الذخيرة

بتنا وراء الحجاب يلحقنا
بردوقار والشمل مشتمل
اثنان من شدة التعانق قد
صارا كفرد بالروح يتصل
لو أن غيث السماء امطرنا
لم يصب الارض تحتنا بلل

قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سـفينة ونحن غـير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكرة فكان في بعض مقاله انا اشعر الناس فقلت له بماذا قال بقولي

الا رب ليل ضمنا بعد هجعة
وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة
من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقلت له والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال بأي شئ قلت بقولي

لا والمنازل من نجد وليلتنا
بقيد اذ جسد انا بيننا جسد
كم رام فينا الـكرى من لطف مسلكه
يوما فما انفك لا خد ولا عضد

الاصل في هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكي

ومرتجة الارداف مهضومة الحشا
تزور بسحر عينها وتدور
اذا نظرت صبت عليك صبابة
وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا الاخلاص الماء بيننا
الى الصبح دوني حاجب وستور

ذكرت بقولي في اول الباب الاحول الذى يرى الشئ شيئين قول بعض

احوى الجفون له رقيب احول * المغار به في ملعبه رقيب احول
باني رشا يحوي مع الاحسان * مليكه موضوعها النساني

مليح في الانام بلاشبيه * وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا يتم على اخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا انم عليكما وانصرف وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصا كان يهوى غلاما فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر ان يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده * وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف * لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته (ومنهم الشيخ) مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديبا ظريفا عارفا بالشعر والادب وكان شيعيا وكان السيد المرتضى الموسوى نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لان السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد أسود فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان معروفا بالشهامة فما قال له اما رأيت شرا من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه اما بعد فلو علمت عددا أقل من الواحد او لونا أشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكا له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه او رمى بمحنة نظر اليه فزال ما به فحلف لا يرسل الى الشريف الهدايا الا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه واخذ يقاسي مشاق فرقته فلما وصل المملوك الى الشريف توهم انه من جملة الهدايا تعويضا من ذنب العبد فأمسكه وطال الامر فلم يزل ما يشكى به الشريف ويبعثه على ارسال المملوك الا اظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب اهل السنة وان دليل ذلك امر عظيم اخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر وهي

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر * ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر * ومنحت جثماني الضنى * وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر * يا قلب ويحك كم تخا
دع بالغرور وكم تغر * والام تكلف بالاغن * من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما * ك بسهم ناظره النظر * تركتك اعين تركها
من بأسهن على خطر * ورمت فأصمت عن قسى * لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر * تلهو وتلعب بالعقو
ل عيون أبناء الخفر * وكأنهن صوالج * وكأنهن لها اكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر * أفهل لوجدك من مدى
يفضي اليه فينتظر * نفسي الفداء لشادن * انا من هواه على خطر
عذل العذول وما رآه * فحين عاينه عذر * قمر يزين ضوء صبـ
ـح جبينه ليل الشعر * ترمي اللواحظ خده * فيرى لها فيه اثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر * ويلاه ما أحلاه في
قلبي الشقي وما أمر * نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر

الشيء في ادراكه شيآن ليته ترك الذى انا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني وقال ابن اسرائيل من دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين
من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذي حول
من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت بأحول
يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف اختها
فعادت بطول الدهر تنظرها شزرا

(الباب الرابع والعشرون في عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أدى به النحول الى الذبول وأصبح كالطال بين الطول فهو من شدة الضر كما قال صردر

وكم ناحل بين تلك الخيا
م تحسبه بين اطنابها

فمحبوبه في الجفاء واحد كالالف وهو في رقته كالخيال يمشي الى خلف

ولما رأتني كعود الخلال
وجسمي كما نسج العنكبوت
فقالت تموت الى كم تئيك
فقلت انيك الى ان اموت

والعلم المشهور في هذا الباب قول المتنبي

أبلى الهوى اسفا يوم النوى بدني
وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

(وقال ايضا)

ولو قلم القيت في شق رأسه
من السقم ما غيرت من خط كاتب

(وقال ايضا)

الام طماعية العاذل * ولا اري في الحب للعاذل يراد من القلب نسيانكم * وتأبي الطباع على الناقل بالمشعر

بالمشعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجر * ومن سعى فيه وطا
ف به ولبي واعتمر * انى الشريف الموسوى * ابن الشريف ابى مضر
أبدى الجحود ولم يرد * الى مملوكى تتر * واليت آل امية الطـ
ـهر الميامين الغرر * وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذاجرى ذكر الصحابة * بين قوم واشتهر * قلت المقدم شيخ تيـ
ـم ثم صاحبه عمر * ماسل قط ظبى على * آل النبى ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر * وأثابها الحسنى ولا
شق الكتاب ولا بقر * وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر * وقرات من أوراق مصـ
ـحفه براءة والزمر * ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أو عذر * وأقول ام المؤمنيـ
ـن عقوقها احدى الكبر * ركبت على جمل لتصلح من بنيها فى زمر
واتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر * فاتى ابو حسن وسـ
ـل حسامه وسطا وكر * وأذاق اخوته الردا * وبعير امهم عقر
ماضره لو كان كف وعف عنهم اذقدر * وأقول ان امامكم
ولى بصفين وفر * وأقول ان أخطا معا * وية فما اخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو ومكر * بطل بسوءته يقا
تل لا بصارمه الذكر * وجنيت من رطب النوا * صب ما تمر واختمر
وأقول ذنب الخارجين على على مغتفر * لا اثأر بقتالهم
فى النهروان ولا أثر * والاشعرى عايثو * ل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر * فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر * واقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
وبجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر * والشمر ماقتل الحسيـ
ـن ولا ابن سعد ماغدر * وحلقت فى عشر المحرم * ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر * ولبست فيه أجل ثو
ب للملابس يدخر * وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر * ووقفت فى وسط الطر
يق أقص شارب من عبر * وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جوفى الجفر
وجعلتها خير المآ * كل والفواكه والخضر * وغسلت رجلى كله
ومسحت خفى فى السفر * وأمين أجهر فى الصلا * ة كن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر * واذاجرى ذكر الغديـ
ـر أقول ماصح الخبر * ولبست فيه من الملابس * ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر * وأقول مثل مقالهم
بالفاشريا قد فشر * مصطبتى مكسورة * وقطيرتى فيها قصر
بقر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر * وخفيفهم مستثقل

ولا اصبحوا من اجلها احصائى ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلحت خلال الضوء مثل هباء

بكيت على حبي الزائل (وقال المعمار)
ترك اصفرارى والنحول كلاهما
فى العشق جسمى ينظر العشاقا
فكانه ألف بخط مذهب
جعل الدجى ارقى له أوراقا
(وقال أنا من قصيدة)
كأن ضباب الافق ندسرت به
نسيم الصبا من نحو أرض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم
ولم يبق منه غير صوت وأنة
(وقال المتنفل)
ان جفانى الكرى وواصل قوما
فله العذر فى التخلف عنى
لم يخل الهوى بجسمى شخصا
فاذا جاءنى الكرى لم يجدنى
(وقال ابن لؤلؤ)
وأرقنى خيال من حبيب
تناءت داره لما رآنى
فن سهرى بلم خيالا اراه
ومن سقمى يطوف فما يرانى
(وقال محيى الدين بن عبد الظاهر)
أيها الصائد بالعينا ومن
هو من دون الورى مقتنصى
لا تسم طائر قلبى هربا
انه من أضلعى فى قفصى
(وقال مضر المغربى)
أذابه الحب حتى لو توهمه
بالوهم خلق لاعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه
لم يدره بعيان من يكلمه
(وقال محاسن الشواء)
ضنيت وضن من أهوى بوصلى
وعادانى الخيال وكان عائد
فاشبهت الذى للسقم نقصا
وان خالفته صلة وعائد
(وقال الارجانى)
ولولا سناها لم يروقى من الضنى
(وقال آخر)

وصـوابقوا لهم هدر * وطباعهم كجبالهم * خبثت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـريد البلابل فى السحر * وأقول فى يوم تحا
ر له البصيرة والبصر * والصف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هـذا الشريف أضاننى * بعد الهداية والنظر * مالى مضل فى الورى
الا الشريف أبو مضر * فيقال خذ بيد الشريـف فمستقر كماسقر
لواحـة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر * والله يغـفر للمسى
ء اذا تنصـل واعتذر * فاخش الاله بسوء فعـلك واحتذر كل الحذر
* واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر * شامية لو شامها
قس الفصاحة لافتخر * ودرى وأيقن اننى * بحـر والفاظى درر
حبرتها فغـدت كزهـر الروض باكره المطر * وبديهة كبديعة
عـذراء ترفل فى الحبر * والى الشريف بعثتها * لما قـراها وانبهر
رد الغلام وما استمر * على الجحود ولا أصر * وأثابنى وجزيته * شكراوقال لقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هدايا حسنة فمدحه مهذب الدين فقال

الى المـرتضى حث المطى فانه * امام علـى كل البرية قدسما
ترى الناس أرضا فى الفضائل عنده * ونجل الزكى الهاشمى هو السما

وذكر ابن حجة ان مهـذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم بقصره مابعده من الكلمات المهملة التى تستعملها أهل دمشق فى الخلاعة والمصطحة خشبة فى الاصل تجعل تحت دود القز وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطحة ويكون معهم فى المواسم وقد تظرف فى المبالغة فى المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسب القصر الى الفطيرة والكسر الى المصطحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوالج قائمة فى لعبة فمن جاء ص ولجانه قصير اخرج من اللعبة فيقول مصطحتى قصيرة وكذا فى لعب الفطير يردمن فطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم انه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وانما قاله تفاؤلا وحسن ظن بالشريف واعتمادا على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

(القسم الرابع فى ذكر من منعه الزهد والعباده أن يقضى من محبوبه مراده)

قد رأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم ان يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع فى الخطا وأسبل عليهم الغطا وهو نوعان (الاول فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى) فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذا اصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله ياهؤلاء لاينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لى اجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره انى اشتريت منه بقرا وراعيها وانه آتانى يطلب أجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لى انما لى عندك فرق من ارز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج

قد كان فيما مضى خاتم * فدق جسمى فتمنطقت به
وزادنى السقم فلو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

(وقال أبو العتاهية)

لم يبق الا القليل فى وما
أحسبه أن يترك الذى بقيا

(وقال ابن عبد ربه)

رأيت العاشقين لهم جسوم
براها الشوق لو نفخوا لطاروا

(وقال آخر)

ولما ان رأى اهلى سقامى
تجاوز جده حد السقيم
سددت منافس النسمات عنى
مخافة أن أطير مع النسيم

(وقال آخر)

واذا عائدونا الكلامى
لعبت بى انفاسه فى الفراش

(وقال آخر)

عبثت به أيدى الضنى فكانه
سر خفى فى ضمير كتوم

(وقال ظافر الحداد)

انحلنى حبك يامنانى
وزادنى الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمى بى الهوا
فى ناظر الناظر لم يطرف

(وقال ناصر الدين القفصى)

يقول جسمى النحول وقد
أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
فعلت بى ياسقم مالم يكن
يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط فى هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال وأحسن فى المقال

واها على الخصر الرقيق وانما
قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة
فكان تقبيلى له تعنيق

وقال الشيخ صفى الدين الحلى

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه * فما فيه معنى ناقص غير خصره

عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فابطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدوا أهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا اسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت ان أوقظهما وكرهت ان أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم من احب الناس الي واني راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فاتيتها بها فدفعتها اليها فامكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا (وحكى) ان رجلا افتتن براهبة فتبعها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد فلما قدر عليها جعلت يدها في مجمرة فاحترقت فقال لاي شيء فعلت هذا قالت خفت أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية فحلف لا يعصي الله بعدها وتاب (وحكى) ان رجلا عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان اهلها ارسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت اني احب لك منك لي ولكني أخاف الله فقال أتخافينه ولا اخافه ورجع فناله عطش كاد أن يأتي عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لي عمل فقال الرسول انا ادعو وانت امن وفعلا فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالي عمل وقد تبعتك اخبرني مافعلته فاخبره فقال ان التائب عند الله احسن من العابد (وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فابت عليه فلما افضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا امير المؤمنين قد كنت امسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سرورا بالغا ثم قال لها اخلعي ثيابك فحين همت اجلسها ثم قال لها من اين جيء بك في الاصل قالت اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفاني منه وارسلني لعبد الملك فوهبني لابنته فقال أحي هو قالت لا قال هل له ورثة قالت ولد فاحضره وأمره أن يذكر ما اغرم الحجاج اباه واعطاه عمر رضي الله عنه ذلك مع الجارية وقال له احذر ان يكون ابوك نالها فقال هي لك يا امير المؤمنين فابى فقال ابتعها فابى فقالت الجارية اين وجدك بي قال قد زاد ولكني أنهى النفس عن الهوى (وحكى) ان امرأة كانت في بني اسرائيل قد حازت ثلث الحسن وكانت لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت ادفعها الى الجهبذ يعني الناقد ففعل فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها اخذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال احبتك فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لي زوج غيرك ففرج فساءت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت اما هذا فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به اكراما له قال ابن عباس فجاء منها سبعة انبياء واما قصة بشر وهند فقد آلت بها الشهرة الى ان افردت بالتأليف وحاصلها ان بشرا رجل من اسد ذكره الحافظ ابن حجر في القسم الاول من الاصابة وهند جهينة قيل ذكرت في حديث ساقط وكانت بالمدينة في عمر بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلقته وتعرضت اليه براسلات باشعار اظنها

خلفه ليعثر على المنى فاعثر عليه بل تعثر والفرق بينهما كما بين الاجاج والكوثر والخصر والخنصر ألا ترى قول ابن العفيف وحلاوة منطقه الظريف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل
وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعي صونا وهذي جفونه
بفترتها للعاشقين تواعد

(وقال أيضا)

شكوت الى ذاك الجمال صبابة
تكاف جفني انه قط لا يغفو
فلانت لي الاعطاف والخصر رق لي
ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

(وقال أيضا)

يلاعب الشعر على ردفه
أوقع قلبي في العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره
رفقا به ما انت الا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الا

للبدر من وجنته نكتة
وقبرة في الظبي من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه
كأنه يمشي الى خلفه

وقال الشيخ صفي الدين الحلي في مليح راقص

جاء وفي قده اعتدال
مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال
وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد
تثني الى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه
فيه مياه الحيا تجول
ونح الرقص منه عطفا
يخف به اللطف والدخول

(وقال ابن رشيد) أحمل أثقالي على ردفه
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وامسك الخصر ائلا يضيع (وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة) سألت النقا والبان يحكي لناظري *

موضوعة لاهما الها فاذلك حذفتها فلما رأى بشر الحاحها هجر المرور وصار يأتي من غيره فلزمت الوسادة وهم زوجها ان يدعو لها الاطباء فنهته وقالت أنا اعرف علتي فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر اخبرت زوجها انها رأت في نومها انها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر اليه فبرئت واطلعت عجوزا على امرها فوعدتها ان تجمعها به ثم وقفت له فسألته ان يقرأ لها كتابا او يكتبه ففعل وهند تسمع ثم قالت له العجوز اراك مسحورا وما قلت لك الاعن يقين ثم وعدته ان يأتيها يوما لتنظر فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فتهيئي فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرا فعاء فحين جلس ادخلت هندا عليه واغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآها طلقها ثم مضى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ اسلمت ولا زنيت منذ عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فادب العجوز وقال انت اصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلي بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرة فاخلصت توبتها (وفي امتزاج النفوس) عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا كنت اعرف فيه راهبا معروفا بالاخبار فوجدته مسلما وجميع من في الدير فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاما مسلما عابدا وافتتنت به ودعته اليها فابى فلما ازادها الوجد اعطت مصورا مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت الصورة فلما اصبحنا وجدناها ميتة الى جانبها وعلى يدها مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها * خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يخصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب ومات بعده كمدا * محبة لم تزل تشفي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها في النوم فقلت ما فعل الله بك فانشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدي * وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابني رحمة منه وأسكنني * مع من هويت جنان آخر الابد

فعلمت ان الاسلام حق فاسلمت وأسلم أهل الدير بسببها (وحكى الشيزري في روضة العشاق) عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن سبب اسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فهويها شاب مسلم واشتد حاله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها في الحرام فابى فعرضت عليه التنصر فابى فامرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرأته في النوم وقد انطلق بها الى الجنة فمنعت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فاراها قصرا من اللؤلؤ وقال هذا لي ولك وستأتي بعد خمس ليال فاستيقظت فاسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس

ليال

زوادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أناجلها
وقال قضيب البان ما أناقدها

* (الباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابده الاحباب من الامور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق وألم الفراق) * كقوله

شكى ألم الفراق الناس قبلي
وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعي
فاني ما سمعت ولا رأيت

أقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار في طلب الاوطار فهو لا يزال مشغولا بحاله متقلبا تحت أحماله يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال ما هو أثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال (قال الطغرائي)

ومن طلب الاحبة كان أسخى
ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من
نضي من دون مطلبه حسامه

(وقال ايضا)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني
باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك واني
لاعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة
ولكنه شيء به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر

وكم في الناس من حسن ولكن
عليك لشقوتي وقع اختياري

وقد أنصف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو احسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس اوقعاه

ليال فاسلمت لذلك (وحكى ابن عاصم) قال قال لى بعض اصحابى بالكوفة هل لك ان تنظر الى عاشق فقلت نعم فانى أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بى الى دار فرأيت شابا مطرقا ساكتا يكامه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبى كأن فلانة أرسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وانشد

جعلت من وردتها * تميمة فى عضدى
أشمها من حبها * اذا علانى كمدى
فمن رأى مثلى فتى * بالحزن اضحى مرتدى
أسقمه الحب وقد * صار حليف الاود
وصار سهوادهره * مقارنا للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا للشهده فحين دفناه اقبلت جارية مسفرة مارأيت احسن منها فاتركت ترابا على القبرحتى جعلته على رأسها فجاء قوم فجروها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا اهمتهم فوالله لا ينتفعون بى فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل فى شرائها ملكه فأبوا عليه حسدا ان يكون عنده مثلها فارسلت اليه تقول مرنى بما شئت فارسل اليها ان الزمى طاعة ربك ومولاك واقبل على الزهد وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى مارأيت

* (النوع الثانى فى ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان) *

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الاحوال عن قبيح عواقب الافعال فرجعوا الى انفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه (قال) بعضهم مررت بمدائن قوم لوط فأخذت منها حجر الحاجة فحين نزلت فى دار جعلته فى طاقة فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بى فقضى منه وطرا فسقط الحجر عليهما فماتا فتعجبت من ذلك * فمن المذكورين صوفى يسمى المهرجان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ماشاء وينام يفعل ذلك مرارا كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم انت تعلم ان الليل قد مضى على سليما لم أقارف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة على فيه معصية وان الذى اضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت اوكان بالارض لتدكدكت ثم بالليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عزوجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدى انت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذى يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه * وعالج بعضهم نفسه فى صحبة الاحداث بالهجر قال ابو حمزة رأيت صوفيا يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسى عند الخلوة به تحدثنى بما يسقطنى من عين الله ففارقته ليثيبنى الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا فى دار الكرامة قال ورأيت ايضا رجلا ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونا فقلت له ما اراك تسلو عن صاحبك فقال كيف أسلو عن شخص احسن تأديبى وعصمنى من الفسق * وحكى ابو حمزة الصوفى قال نظر رجل صوفى الى غلام جميل فافتتن به فاقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به وبلغ الغلام حاله فعاده فهش له وضحك فاكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعزم معه الفتى يوما فأبى ان يذهب معه فقلت له لاى شئ امتنعت فقال لست معصوما واخاف ان تحدثنى نفسى عند

فى هواه ومن أحسن ماسمعته فى طلب الاوطار وركوب الاخطار قول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحى كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرق * منمم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم الق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هنالك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) انظر الى هذه الابيات التى أفرغت فى قالب عجيب واسلوب غريب فبيناصاحبها يصف أدهم الليل اذ مالت عليه الخيل كل الميل وبيناهو يكافح الاسود اذا به يتنهد على النهود وبيناهو يقيم قدود الملاح مقام الرماح اذا به يقول لخدودها

من صد عن نيرانها * فانا ابن قيس لابراح

قد أحسن فيها الاستعارة وسار بنظمها العالى وعددها السبعة السيارة فنظمه فى النجوم ودمع المتلبس بحالته كالرجوم ومن شعره فى هذا النمط ودره الداخل فى هذا السقط قوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الاسنة أنجما * ودرست بهالات البدور ديارا

(وقال أيضا)

يعللنى منه بموعد رشفة * خيال له يغرى بمطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من أسنة مران

وفيك داريت قوما الاخلاق لهم

(وقال ابن بسام) لقد صبرت على المكروه أسمعه * من معشر فيك لولا انت مانطقوا

الخلوة بما يحجبنى عن الله * وحكى ايضا قال صحب محمد بن قطن الصوفى غلاما زمنا طويلا فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه فرايته يوما وقد وقف على قبره يبكى والسماء تمطر فما برح حتى جئت من الغد فوجدته ميتا فدفنته الى جانبه * وصحب ابو الحسن غلاما كانما خلق الحسن على صورته او خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتى به الى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام اهله من صحبة ابى الحسن فنحل حتى شارف الموت فانشد

يا من بدائع حسن صورته * تثنى اليه أعنة الحدق
لى منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم * وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية ابى حمزة عنهم والكل متقارب مكرر وانتهى ما أردنا تحريره من احوال العشاق على اختلاف أنواعهم

(خاتمة فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى) وهو الباب الرابع من الكتاب قد سبق فى صدر الكتاب انه لا علاج للعشق على الاصح الا دوام الوصال ما لم يتمكن او يوقع فى الخبال فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضى الله عنه انه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك انه مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها * اومن سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
نمته اعراق صدق حين تنسبه * أخى حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امرأة معها من نصر قالت رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا احد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعاد احسن ما كان فقال له لا تساكنى فى بلد يتمناك النساء بها واخرجه الى البصرة وخافت المرأة فكتبت الى عمر تستعطفه

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر اونصر بن حجاج
انى غنيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجى
ان الهوى ذمه التقوى فقيده * حتى أقر بالجام واسراج
امنية لم أطرفيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجى
لا تجعل الظن حقا او تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فأرسل اليها قد بلغنى عنك خير فقرى ومضى على نصر مدة بالبصرة فأراد عاملها ارسال بريد الى المدينة فدس نصر بن حجاج كتابا يستعطف فيه عمر ويسأله العود وفيه يقول

لعمرى لئن سيرتنى او حرمتنى * وما نلت من شئ عليك حرام
أئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء فمالى فى الندى كلام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى فى المكتين مقام
ويمنعنى مما تظن تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهذان حالانا فهل انت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

لولاك ما كنت ادرى انهم خلقوا (وقال الآخر) تهون علينا فى المعالى نفوسنا * ومن يطلب العليا لم يغله المهر

(وقال آخر)
يغوص البحر من طلب اللآلى
ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام ليلا
لقد أطمعت نفسك بالمحال

(وقال المتنبى)
تريدين ادراك المعالى رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون فى طيب ذكر الحبيب)

(اقول) هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه حين تكسرت النصال فى كل موقف الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة ولاسيما اذا أقيمت القسى مقام الحواجب والتبست الخدود بنهود الكواعب واشتبهت الرماح بالقدود والبيض بحمرة الخدود وهنالك يجعل جبينه المشار اليه نصب عينيه لا يلهيه عنه ضرب الحسام ولا جعله غرضا للسهام وعلى هذا حكاية الطغرائى التى أربى فيها على عنترة العبسى وزادها فى الوفاء بشرط المحبة على كل جنى وانسى وهو ما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ ممن خبر وخبر وتصدى وتصدر وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب أبا اسمعيل الحسين الاصبهانى المنشئ المعروف بالطغرائى كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين اخيه السلطان محمود بالقرب من همدان والرى وانهزم الملك مسعود كان اول من اخذ الطغرائى فلما عزم السلطان اخو مخدومه على قتله بعد أن قيل له عنه أشياء من جملتها أنه ملحد وانه يحب المملوك الفلانى من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه فاغروه عليه الى أن أمر بقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل ذلك واوقف انسانا خلف الشجرة من غير

فقال

فقال عمر أما ولي سلطان فلا وبعث اليه فاقطعه بالبصرة ما يعيش به وقيل نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمي من بني عمه فاكرمه ورفع محله وسمي نصر بها المتمنى وكان تحت مجاشع شميلة بنت ابي حيا بن ابي بهر وكانت من اجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبهما فاخفياه وكان مجاشع أميا فكتب لها نصر يوما في الارض أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك او تحتك لاقلك فكتبت هي وأنا وقيل قالت ذلك بلفظ خفي فقال مجاشع ما قال قالت يقول ما احسن داركم فقلت وأنا قال ما هذا لهذا وجعل على الكتابة صحفة فحين أصبح دعا غلاما فقرأها فقال هي طالق ألفا يا ابن اخي فقال نصر وهي طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبها فارسلها مجاشع اليه بطعام فضمت نصرا الى صدرها وأطعمته بيدها فشفي من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل الله الاعشى حيث يقول

لو أسندت ميتا الى صدرها * عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل وقيل اسمها خضراء وانها من بجيلة وانها أول من لبست الشفوف وقيل ان مجاشعا حين طلقها اخبر ابا موسى بالقصة وكان عاملا على البصرة فقال لنصر ما اخرجك امير المؤمنين من خير اخرج عنا فاتى فارس فعلقته دهقانة فبلغ عثمان بن أبي العاص فقيل اخرجه الى الشام وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان أخرجتموني لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فامر بجز شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هي فريعة بنت همام كانت اذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفي فاولدها الحجاج وبها كان يضرب المثل فتقول العرب اصبا من المتمنية وادنف منها * ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض في المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات وكتابات قيل وجد على قبر الملك حمير أو صحفة ذهب مكتوب عليها

ما أحدثت سلمى اليك صنيعها * تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البنت قالت كانوا يكتبونه مقلوبا ويسقونه العاشق فيسلو ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منه في خشب الطرفاء يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس احدث السلو (واخبرني) من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجامع الاموي قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى انقد ما معه وهي تكثر التجني عليه ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على ان يشرب السم ليموت فشكا ذلك الى صاحب له فكتب له في كفه يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث باآت وخمس هاآت وعشرين كافا وأمره ان يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثا فكان الله لم يخلق حبها عنده (ورأيت في كتاب للبوني) سماه خزائن الاسرار في علم الحروف والاصفار انه من كتب سورة يس في نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا وقيل ان عين البوم اليسار واظفار الخفاش اذا جعلت في جلد حمار وحش وجعلت على العضد الايسر أحدثت السلو ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حمله يورث الهم

(الباب الرابع في ذكر ما سوى البشر وما القوا من العبر)

وهو نوعان (الاول) في الجن وما القوا من المحنة اسند المصنف عن الحافظ بن حجر العسقلاني برفعه الى البيهقي انه قال تزوج سعد بن ابي وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانا فهم بقتله فقالت هذا كان يتبعني وانا في بني عذرة عند أهلي فقال له سعد هذه امرأتي تزوجتها

ان يشعر به الطغرائي وأمره أن يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لاترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام في ايديهم مفوقة لرميه (واخبرني) بعض من حكى لي هذه الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فانشد الطغرائي في تلك الحالة يقول

ولقد أقول لمن يسدد سهمه
نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه
دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى
فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لولم يكن في طيه
عهد الحبيب وسره المستودع

فامر السلطان باطلاقه وحل وثاقه لما رآه من ثبات جنانه وسحر بيانه وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندي حيث يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا
وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري واني لصادق
أداء عراني من حبالك أم سحر

(وقال عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(وما أرق قول الطغرائي ايضا)

اني لاذكركم وقد بلغ الظما
مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت أحبتي عاينتهم
قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال آخر)

ذكرت سليمى وحر الوغا
كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها
وقد ملن نحوي فعانقتها

(وقال ابن تميم)

الا من يبلغ المحبوب أني * وقفت ولاظي حولي صشيل

على كتاب الله وسنة نبيه فاذا تريد منها فانساب حتى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وصعد فى السقف فلم ير بعدها (ويحكى) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء من طرق مختلفة كثيرة (حكاية) حاصلها ان جنيا أتاها فى هيئة ثعبان اسود فعالجها فاتى بكتاب أو قال رق أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبرا الى الكبر أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على أمتى بنت عبدى الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت أو قالت جعل يده فى حلقى فاسود واخبرت بذلك عائشة (وحكى) عن رجل انه سافر فجاء جنى الى زوجته فى زيه فلما جاء قال له تلك ليلة ولى ليلة والا قتلتك فانى أحبها فاتفقا على ذلك فجاء الجنى ليلة فقال انا نسترق السمع بالنوبة وهذه ليلتى فهل لك ان تكون معى قال نعم قال فحملنى حتى لصق بالسماء فسمع قائلا يقول ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فوقع وراءه فصرت أقولها اذا جاء فيذهب الى ان مضى ولم اره وعندى فى هذه بعد لانه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجنى فى الخراب (واما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها واصل ذلك ان رجلا خرج لحاجة له فرأى شخصا يمشى فتحادثا الى ان قربا من القرية فقال الشخص للرجل انا جنى وقد صار بيننا صحبة ولى اليك حاجة فهل تقضيها قال نعم فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكا أبيض معشرا فاشتره بما عساه ان يكون واذبحه فقال له كرامة ولكن انا أيضا الى اليك حاجة فقال وما هى فقال تخبرنى اذا استعصى الانس ما الذى يخرجكم فقال له الجنى انى مفيدك ذلك بشرط ان تكتمه فلما وافقه قال له خذ عنى من اخذ من بين عينى حمار وحش قطعة كالسير فجعلها فى عضده الشمال والبس من حافره خاتما لم يقربه جنى فمضى الانسى فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به فقال على برؤها فمضى وصنع لها الخاتم والسير فحين دنا بهما منها صاح الجنى وقال له او على نفسى عليك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه والسها ذلك فذهب عنها

* (النوع الثانى فى ذكر من كاف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتى تلف او كاد ان يتلف) * قد أسلفت لك فى صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين فى التكاليف وتداخل اللطيف فى الكثيف واختلاف القوابل والفواعل وقد روى أستعداد كل لصاعد أونازل وان العشق سر يودعه الله فى الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعى وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعا دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليه أدلة التجربة القياس غير انه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوى الادب وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه باحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهى القول الى الاجرام العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية وحيث أنهينا الكلام فى هذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق فى باقى أنواع الاعيان فننظم هذا النوع فى خمسة أصناف * (الصنف الاول فى الطيور) *

هى ألطف الحيوان مزاجا لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها فى نحو الريش فلذلك داخلها التألم بالنوى * حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد فى معبد منقطع فوجد فيه حمامتين بيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل قال وكنت أشهد

من هولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو فى الحشا
شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا وهلم جرا شيمتى
حفظ الوداد فكيف عنه ارجع
(وقال الشريف البياضى)
ولقد ذكرتك والطبيب معبس
والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه جديده
وعيني حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وانه
لتضيق منه برحبها الاقطار
(وقال ابن رشيق)
ولقد ذكرتك فى السفينة والردى
متلاطم متوقع الامواج
والجو مظلم والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر
يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة
وأنا وذكرك فى ألذ تناجى
(وقال أبو الثناء محمود)
ولقد ذكرتك والسيوف لوامع
والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله
حسناء ترفل فى رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطرى
يلهو بطيب ذكرك المستعذب
(وقال صفى الدين الحلى)
ولقد ذكرتك والعجاج كانه
مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والسوس بين مجندل فى جندل
مناو بين معفر فى مغفر
فظننت انى فى صباح مسفر
بضياء وجهك اومساء مقمر
وتعطرت ارض الكفاح كانما

احداهما تخلف فتأتيها الاخرى بقوتها ودا اما على ذلك مدة فلما كان يوم من الايام خرجتا فاذا بباشق انقض فاخذ الواحدة فرأيت الاخرى تتبعه حتى غاب وايست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تميز ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الارض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلا وماء فلم تلتفت لشئ فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فمها (ورأيت في كتاب) لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الاسرار وكيفية جريان الاقدار طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لي اذ ذاك اعتناء بهذه الاشياء ان غرابا كان يأوي الى حائط فيقيم به فجاء يوما فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من رآه انه رمى به واخذ الحجر فتبعته فمضى حتى القاه في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضي بهما الى افراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يوما الا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياما فبينما انا يوما اذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يزق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر الى جانبه يضطرب فمات وانا أنظره قلت ولم أزل اتفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الاحجار فرأيت ان داخل الصين اغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرا اذا ترك مدة وغزل خيوطا كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابا اذا اتسخت ألقيت في النار فيذهب ما فيها وانه قبل ان يغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى اعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها ان اليرقان اعتراها فتمضي الى أماكن هذه الاحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شئ رشده (وفي الكتاب المذكور) ان رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات * وقالوا ان أوفى الطيور في المحبة القمري والشفنين أعني الفاخت وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيرا ما سمعنا عن نحو البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهي والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات (وحكى) عن سفيان أن بلبلا كان لولده وانه أقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبور رجع فاضطرب حتى مات واما قصة الزاغ فمشهورة جدا وهي ان السعدي قال وجه الى يحيى بن أكثم بالمثلثة فدخلت واذا عن يمينه قمطر جلد يعني قفصا فقال اكشفه فكشفته فخرج شخص نصفه الاعلى انسان والاسفل زاغ فقال لي كلمه فاستنميته فانشد

أنا الزاغ ابو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه * أحب الراح والريحا
ن والنشوة والقهوه * فلا عدوان لي يخشى * ولا يحذر لي سطوه
ولي اشياء تستظرف يوم العرس والدعوه * فمنها سلعة في الظهـ
ـر لا تسترها الفروه * واما السلعة الاخرى * فلو كانت لها عروه
لما شكت جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيل انشدني غزلا فقال يحيى قد استنشدك فانشده فانشدته

أغرك ان أذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم اهجرك ثم ذنوب

والمسام في افق العجاجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور

فاعادني من طيب ذكرك نشوة *
وبدت على بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي
والراح تجلى والكؤس تدور
(وقال آخر) وله حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدمة مذكورة في منازل الاحباب
ولقد ذكرتك والرماح تنوشني
عند الامام وساعدي مغلول
ولقد ذكرتك والذي أنا عبده
والسيف فوق ذوائبي مسلول
(وقال أبو طالب الرقاء)
ولقد ذكرتك والظلام كانه
يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وللناس في هذا البيت كلام وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان
ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت
أمواجه والورى منه على سفر
في ليلة أسدلت جلباب ظلمتها
وغار كوكبها من أعين البشر
والفلك في وسط الامواه تحسبها
عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت
صدري فيا لك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي
وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري
وقلت أنا في رمل طريق مصر الى الشام من مقامة
ولقد ذكرتكم برمل روعه
في قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا
بسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبري هام كل مدجج
من كف أشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع في الدجا
كوميض برق في الدجا متلهب
وعلى العوالي كل نسر واقع * يفري أديم الليث منه بمخلب
والرعد للارماح رعد قاصف * والبحر يهدر كالهزبر الاغلب

واكثرت حتى قلت ليس بصارمي * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت لهيي اصلحك الله اوعاشق ايضا ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجه به صاحب اليمن الى امير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم أفضه اظن فيه امره ورويت هذه القصة عن سوى السعدى وانه كان عند احمد بن ابى داود ان الابيات التى انشدها للزاغ هى

وليـــل فى جوانبه فضول * من الاظلام أطلس غيهبان

كأن نجومــه دمع حبيس * ترقرق بين أجفان الغوانى

(الصنف الثانى فى ذكر بعض ما وقع للحيوان من أمور العشق فى اختلاف الازمان)

حكى الشيخ قدس الله سره ان اعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيـــل وانها اقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا احوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد فى كتب الزردقة والخيل احسن الحيوان مزاجا وادراكا حتى انها لاتنزو على محرم ابدا قال الشيخ جىء بحصان باخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشفت الثوب فعرفها فجعل يجرى حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع * وفى لطائف الاسرار ان رجلا من اصفهان ولدت عنده فرس حصانا واخرى أنثى فائتلفا فكان اذا فرق بين واحـدة واخرى لاتمشى كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا قال وربما كان يطرح الاكل للواحدة قبل الاخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى قال وشاهدت احـداهما تدفع بيـدها حشيشا الى الاخرى وان احـداهما مغلت فقصـدها البيطار فلما رأت الاخرى الدم قطعت الرباط وجاءت ففرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المقصودة طرحت نفسها عليها فاذا هى ميتة (وحكى) فيه ايضا ان ملك الهند بعث الى صاحب بخارى بفيل فاحسن خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الافيال يقاتلون على ظهورها اخرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر فى ذلك العسكر فعلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الارض وجعـل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان * وفى اللطائف ايضا ان غزالا كان يأوى الى محل فى جبـل وان شخصا رآه يتردد الى ذلك المحـل فتبعه فرأى وعلا فى غار وبيده ألم لايمكنه المشى ورأى مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه فى فم الوعل فانصرف عنهما (وحكى فيه ايضا) عن شخص بغدادى خرج فى بعض اسفاره فبينما هو جالس فى القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب اقبل فاخذ رغيفا فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع فى فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف (وحكى) الجاحظ ان ملكا من اقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويحمله معه حيث كان فالفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لايستقر فاعتراه يوما ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه فى المطبخ وكان قد اوصى ان يطبخ له أرز بلبن فجعل الطباخ اللبن فى القدر وخرج ليأتى بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت فى اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الارز ولم يشعر حتى نهرت وخشى الطباخ سطوة الملك وقد فجأه بطلب الارز ونزل وطلب ان يأكل فى المطبخ فحين شرعوا فى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب فقال الملك ماله فقالوا لانعلم فقدم له طعام فامتنع وجيء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده

فيها لمن يرجو النجا من مهرب
وانا باوتار القسى كانى
فيه اغنى بالرباب وزينب
واقول ليت احبتى يدرون ما
أنا فيـه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج
بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن فى بلد حرام
به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يارحمن مما
جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فاما عن هوى ليلى وتركى
زيارتها فانى لا أتوب

وللناس على هذا البيت الاخير كلام (وحكى) عن ليلى الاخيلية انها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذى قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت
على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك الا مادنوت منه فسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندقت عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث قال

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها
لمر يهوى سريعا نحوها رأسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى
لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
لو يقبض الله روحى صار ذكركم * روحا أعيش به مادمت فى الناس (وقال آخر)

حتى

حتى قطع السلسلة وعاجل الملك قبل ان يأكل فوضع فمه فى الطعام واكل فتفزر جلده لوقته ومات فضرب الملك الطباخين واستقررهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه فى حرير وبنى عليه قبة قال الجاحظ وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب (وحكى) عن ابى العيرانه كان عنده حمار فمات فرآه فى النوم ينشده شعرا يقول فيه انه مات عاشقا فسأله المتوكل ما الذى كان من شأنه قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته فى النوم فقلت له ألم أنق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر اذ وقفت بى على الصيدلانى يعنى العطار قلت نعم قال مرت اذ ذاك أتان فافتتنت بها ومت فقلت وهل قلت فى ذلك شيأ قال نعم وانشد

هام قلبى باتان * عند باب الصيدلانى * تيمتنى يوم رحنا

بثناياها الحسان * وبخد ذى دلال * مثل خد الشيقران

فيمامت ولو عشت اذا طال هوانى

فقلت له يا أبا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حمارا ومن كان أولا حمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وامر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات

(الصنف الثانى فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية)
نقل فى لطائف الاسرار وبه جزمت الحكماء ان اصح النبات وأعدله وأكمله خلقا جميع أمور تسعة الورق والعود والثمر والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل فى النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفى الاخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل وفى الصحيحين أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم الحديث وفى الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب فى اصلها بفاس ويقول شخص آخر لاى شئ هذا فيقول الضارب دعنى اقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها فى ضمانى العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك (وحكى) فى النفائس قال زرع شخص اربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التى فى مقابلتها (وحكى) ايضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر وتسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا ووربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها فى تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فاعاده فصلحت (وحكى) بعض ذلك فى الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فاشهر من أن يحكى وغاية الامر أن يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص

(الصنف الرابع فيما ثبت من الاسرار بين أصناف الاحجار)
اعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك فى وجوده وهذا الكثرة وجود المغناطيس والا فلسائر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما فى الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل وأغرب منه ما حكى فى اختصار الكائنات للعلم ان بالبحر دابة كالارنب

ولقد ذكرتك والظلام معبس * وأنا قعيد فى البيوت وحيدتى

والجو يصفر من فعوذى فى الهوا
مافيه من خل يكون عنيدتى
والبق والناموس حولى عسكر
يتقاتلون على شرب دميتى
والفار يلعب فى الزوايا دائما
وينط كالقعقاع فوق كويرتى
والعنكبوت يحوك حلة خيمة
يصطاد ذبابا لعجوز كويتى
والاكل خبز مثل رأسى يابس
والشرب مر من دخين بليدتى
وسماع نغماتى طنين بعوضة
وصرير صرصرة وصفر بويمة
فوددت تعنيق الفويرة كلما
نطت لانك مثلها فى الخفة
وحسدت أيدى العنكبوت لشبهها
باصابع لك شبهها فى الرقة
وطربت من صوت الصراصر نغمة
اذ أشبهت نغمات صوت حبيبتى
فبكيت شوقا حيث لا أنت معى
تتنعمين تنعمى فى غرفتى

(الباب السابع والعشرون فى طرف يسير من المقاطع الرائقة والاغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك)
أقول هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه ويوخذ لطالع الحسن ارتفاعه كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع
ومن شقوتى خط بخديك نازل
نعم قد تناهى فى الجفاء تطاولا
وعند التناهى يقصر المتطاول
وما كنت مجنون الهوى قبل أن يرى
لقلبى من صدغيك فى الاسر عاقل
ولولا سنان من لحاظك قاتل
لما كنت أدرى ان طرفك ذابل
ولم لا يصح الوجد فيك وناظرى * لنسخة حسن من سناك يقابل
ولوان قيسا واصفا منك وجنة

يتولد فى رأسها حجر اذا أخذ واشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا ان شخصا نزل بارض اللؤلؤ مما يلى جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار

(الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد)

اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر متطابقة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحا وأقطابا وطبعا وتشعبت قوى وجوانب ونقصا وزيادة الى غير ذلك فنالها فى الانسان اثنا عشر مخرجا عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر فى قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقى وهكذا الى درج فى العروق ومفاصل بالجوزهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه فى كتبنا الحكمية وجاء ينافيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولو الابصار وليتذكر أولو الالباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه واثر فيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان

(الباب الخامس فى تتمات يفتقر اليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الالباب) فذلك هو المشرع الجامع لما ذكر فى المصارع وينحصر فى فصول مختلفه وان كانت فى الجنس مؤتلفه

(فصل فى تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف فى ذلك من الاقوال)

الاصل فى المحاسن والمطلوب عند العقلاء فى كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما ضم اصلاح الظاهر الى ماذكر طلبا لتحصيل الكمال ودلالة فى الاغلب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق فى تلك المواقف مستمدا بالمراصد مستعدا للاوامر الالهية وتلقى ما فى تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المنقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات فى الدنيا والآخرة ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالحظ الاوفر من أمهات الاخلاق وهى الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم ماذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلا بدل المروءة لانها تندرج فى العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلا أيضا وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان المتخلق بها محال ان يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول غير

فيه يتميز سمين الشعر من غثه وجديده من رثه ولا يكاد يجود فيه الاذاك ولا يدركه الاكثير الدراية وما أدراك وقد تقدم ان أغزل بيت قالته العرب قول بشار

أنا والله أشتهى سحر عينيـ
ـك وأخشى مصارع العشاق

(وقال محمد بن العفيف) واحسن ماشاء

وعيون أمرضن جسمى وأضر
ـن لقلبى لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض ذواه
مالايام وردها من زوال
لم أكن من جناتها علم الله
وانى بجمرها اليوم صالى

وقال أيضا

يحكى الغزال نظرة ولفتة
من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
أحسن خلق الله لفظا وفما
ان لم يكن احق بالحسن فمن
فى ثغره وخده وشكله
الماء والخضرة والوجه الحسن

ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقى المقتول بالقاهرة

(وقال ايضا)

إذا ما رمت حل البندقات
معاطفه مجانا لا يحل
وان حاكت بوجنته مدام
يرى لعذاره دور ونزل

(وقال ايضا)

بدا وجهه من فوق اسمر قده
وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى
وقد طلعت شمس النهار على رمح

(وقال ايضا)

أحلى من الشهد من هويت وكم
فتنت به فى الهوى مرارات
وكيف لا تستطاب ريقته * وثغره سكر سنينات

(وقال آخر)

ومليح قال صفنى * انت فى القول فصيح

ماهو

ماهوله فهذه أصول السياسة ونظام المدينة وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقد أغنت عنها فهذه الاخلاق التى لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها اشارة المترسمين وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح أو هو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة أو مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدى الى الافكار وهذا معنى قوله الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولى

جميلة أوصاف لطيفة منظر * مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الالباب ادراك حسنها * وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمة لم تلبس الوشى زينة * ولكن أحبت ان تزان الملابس
غرست بلحظى الورد فى وجناتها * ومن دمى المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لاجنى ما غرست فصدنى * من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن فى نفس الامر كذلك ولكل ذى نظر دقيق مالك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل فى تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع * وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة فى العين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعنى فى الثغر وطلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج واحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين وأخذ شئ فوق الحاجة والخروج من بيتها وابيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها اما اللثة فقد مدحت العرب سوادها والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أياة الشمس الا لثاته * أسف ولم تكدم عليه باثمد

اسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر واحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعنى يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ودق منها الحاجب والانف والبنان والخصر وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج فهذه أوصاف بها اجماع الحسن اذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارات الكثيرة

(وقال ابراهيم المعمار)

ومليح قال صف حسنى ازداد سرورا * قلت قولا باختصار * كل ما فيك مليح
كم حوى جفنى مغنى * قلت ألفا وكسورا

(وقال أيضا)

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى
ولى دم طل على خده
فانهم الحاكم لحظا له بحق
الفتنة من عنده
ومال للحق فلما رأى
قد غر بى مال مع قده

(وقال خطيب مهود)

قال لى من هويت شبه قوامى
وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل
صافحته يد النسيم فمالا

(وقال السراج الوراق)

قلت للاهيف الذى فضح الغصـ
ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح
قلت أخشى يا غصن ان يستميلك

(وقال آخر)

قال لى اهيف المعاطف صف لى
هيفى قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيـ
ـك لغنت عليه ورق الحمام

(وقال النور الاسعردى)

قد فقنا بالخمر والماء والخضرة
والاهيف الرشيق القوام
وتركنا مناصب الناس زهدا
فلماذا يؤذوننا بالكلام

(وقال ابن خفاجه)

ومهفهف طاوى الحشا
كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما
مة والغمامة والقمر

(وقال كثير عزة)

الله أعلم لو اردت زيادة
فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها

تفنن في الاوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه قيل وصوته حكى بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت وقال سقراط اذا احسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتفاء موجبه فيهم وأوتي يوسف شطر الحسن وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالاول الاول فانه من مطالب الحكمة التي غايتها السعادة وهي من الاعراض اللازمة والثاني من مطالب الشهوة وقد توقع في المحنة ولا بد وأن تفارق

(تنبيه) قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدي بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وباشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدي والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت في التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

تم العذار بعارضيه وسلسلا * وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله

صبح مع الجوزاء لاح لناظري * متبلجا فأزاح ليلا أليلا
من لي بغصن نقا تبدى فوقه * قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده * بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفا * من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فدأسفل صدغه * ألفا الفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة * من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاجرة خده * خالا فهم هواه قلبي المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه * لاخالفن على هواه العذلا

(وللشواء) من الاسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله

أرسل فرعا ولوى هاجري * صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلقه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي ألف ليست بوصل وذي * واو ولكن ليست العاطفه

وقال آخر

لا تقولي لا فمكتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم

بحروف

خروا العزة ركعا وسجودا (وقال أيضا) من أبيات وهو احسن ما قيل في حسن الحديث ولها حكاية حكاها المبرد في الكامل

من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

(وقال ابن الرومي)

وحديثها السحر الحلال لو انه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت
ود المحدث انها لم توجز

(وقال ابن حمديس)

لا يمل الحديث منها معادا
كانتشاق الهواء ليس يمل

(وقال ابن أبي الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجري
فلقد قنعت من الوصال بذا كا
وأطل محادثتي فان مسامعي
تهوى حديثك مثل ما اهوا كا

(وقال آخر)

ومليح قلت ما الاسم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا
هي وصف ابن اعتدالك
قال كالبدر وكالغصن وما اشبه ذلك

(وقال العطوي)

ذات خدين ناعمين ضنينين بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير
من عقار وروضة من أقاح

(وقال امرؤ القيس)

خليلي مرابي على أم جندب
نقضي لبانات الفؤاد المعذب
ألم تر باني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال النميري واحسن في الوصف

وبيضاء مكسال كعوب خريدة
لذيذ لذي ليل التمام التزامها
كان وميض البرق بيني وبينها
اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

(وقال ابن أبي ربيعة) طفلة باردة الصيف اذاما * معمعان القيظ اضحى يتقد

بحروف خلقت من قدرة * ماجرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة) اعلم ان الاساليب فى هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به فى العادة مشبها ومقابله فى المحبوب مشبها به وفى كل ذلك اما ان تبقى الاداة أو تحذف وفى كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وأرفع الكل جعل الممدوح مشبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولى من الفن الثانى

بروحى أفى من خانها حين اقبلت * على أثر حزن تنثر الدمع فى الخد
قضيبا من الكافور يمطر لؤلؤا * من النرجس الوضاح فى فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على اهل الاسلوب الاول

شمس الضحى كجبينك الوضاح * أف لمن جعلوه كالمصباح
ياقدها ما الغصن لولا الميل مع * داعى الهوى كالغصن بالارياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب * ابدا وان أظهرت فعل الصاحى
فدع الملام وعذل من لم يستمع * قول النصيح وخلنى ياصاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باحتياج المشبه به فى العادة الى المشبه ما قلت

يهنالك ياقلب من زارك فى السحر * ولم تخف ثم من واش ولاضرر
حسناء لولم تعاين نور طلعتها * شمس الضحى مابدت يوما على بشر
ووجهها لو رآه البدر واحتجب * عنه فذاك لم تخف نقصا على القمر

(فصل فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

اعلم ان مدار تلون البدن اما على صفاء الخلط او شدة الحرارة او ماتركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض فى البلغم أو الحمرة فى الدم أو الصفرة فى الصفراء أو السواد فى السوداء وماتركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس او جبل اوسد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثانى يلزم السمرة وان غلب البلغم واما الثالث فهو الذى تناط به امثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكى ماتحته وان الباعث اليه الاخلاط هو الحرارة فهى كالنار ان اشتدت صعدت مالاقته وموضعها القلب وحركاتها مختلفة مابين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة او تدريجا أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذى يخصنا من ذلك هنا أن نقول ان استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطانى حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا أنه لا يطفئها كل هواء اذا تقرر هذا وجمع الى ماقررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه اشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لانجذاب الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم اذا أمن

ارخت ثلاث ذوائب من شعرها
فى ليلة فأرت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا

(وقال ابن المستوفى الاربلى)

رأت قمر السماء فاذكرتنى
ليالى وصالها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعينى

(قلت) وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا

(وقال آخر)

بروحى وجسمى ذلك العارض الذى
غدا مسكه فوق السوالف سائلا
درى خدها انى أجن من الهوى
فاظهر لى قبل الجنون سلاسلا

(وقال سعد الدين محمد بن عربى)

لما تبدى عارضاه فى نمط
قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط
وقال قوم انها اللام فقط

(وقال آخر)

رأيت الهلال على وجهه
رأيت الهلال على وجهه

(وقال آخر)

برزت فقابل ناظرى من وجهها
مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خدها
تجرى فاحسب انها تبكى لى

(وقال ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(وقال الخبزارزى)

رأيت الهلال ووجه الحبيب
فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتى فيهما
هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين * وماراعنى من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر

من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا * فان اجتماعي بالامان أماني

وأما حمرة المعشوق فهي اما حياء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته احمرار الالوان وصفاؤها فافضل الالوان الاحمر الصافي المشرق مطلقا حتى في الثياب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه اهلك الرجال الاحمران يعني الخمر واللحم والنساء الاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين كذا الطلا * بالزعفران فلا ازال مزوعا

وقال المتنبي من للجاذر في زي الاعاريب * حمر الحلي والمطايا والجلابيب

واحب ما يكون اليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه قال ابو نواس

يا قمرا أبصرت في مأتم * تندب شجوا بين أتراب

تبكي فتذري الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشئ عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعنا فيهما بل مدح لانهم ارادوا انهما من المطالب التي لا تنال الا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

ارى العقد في ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعي غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعث رشادي بغي الهوى * لاجلك يا طلعة المشتري

(ومن ألطف ما يحكى) في وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن ابي الحديد من قصيدته التي اولها

الصبر الا عن فراقك يجمل * والصعب الا من ملالك يسهل

يصفر وجهي حين أنظر حسنه * خوفا ويدركه الحياء فيخجل

فكأن ما بخدوده من حمرة * ظلت اليها من دمي تتنقل

(وقال بعض المتأدبين) لم يقع في هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى ابليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقيل انشدهما الابن دريد في النوم فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحة في هذا الوقت يا بغيض * (تنبيه) * قد توسع الناس في هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقا وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل اما بداعية الشهوة او النفع ولا ضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثاني فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ في نحو الحجاز أنفع كما ان الحبشيات في نحو الروم اجود لان حرارة الابدان

فكل من رام لحظه رشقه

قد كتب الحسن فوق وجنته

هذا مليح وحق من خلقه

(وقال ابن رشيق)

معتدل القامة والقد

مورد الوجنة والخد

قل للذي يعجب من حسنه

اقرأ عليه سورة الحمد

(وقال ايضا)

شكوت بالحب الى ظالمي

فقال لي مستهزئا ما هو

قلت غرام ثابت قال لي

اقرأ عليه قل هو الله

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة

أشفي بها من كبدي حره

فقال اخشى يا شديد الظما

أن تتبع الشربة بالجره

(وقال يحيى الخباز)

طلبت منه قبلة قال لي

اياك أن تطمع في القرب

البوس شاليش وقد اختشي

أن تتبع الشاليش بالقلب

(وقال ابن أسد)

أريقا من رضابك ام رحيقا

رشفت فاست من سكري مفيقا

وللصهباء اسماء ولكن

جهلت بان في الاسماء ريقا

(وقال السراج الوراق)

قال من شبه ريقي * بالزلال العذب زلا

انما ريقي شهد * قلت ذا من فيك احلى

(وقال آخر)

ظبي ترى وجهك في وجهه

وتشرب الخمرة من فيه

(وقال آخر)

يا ناصفا والدعته وشاربا

من بعد ما استوى اقلبي آكلا (وقلت أنا) يا صاح سكري من هوى اغيد * قوامه كالغصن ان ماسا

تختبئ فى الاغوار زمن البرد وبالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين اجود والبيض للمحرورين كذلك وعندى ان عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح ان الحبشة ألطف مما عداهم مزاجا وأرق بشرة وأعدل حرارة فلذلك هن اوفق مطلقا ولكنهن فى معرض التغير وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات وأما الحكم على المصريين بانهم الى السمر اميل فمن قبيل ما قررناه من التحكم ومن ألطف الاشعار المقولة فى التفضيل قول على ابن الجهم

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذى عك
قولوا له عنى اما تستحى * من جعلك الكافور كالمسك

وقال ابو جعفر الشطرنجى

اشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقلت فى ذلك

أرى السمر أشهى منظرا عند عارف * وأشرف مطلوبا سما فى المطالب
فقل للذى قد فضل البيض جاهلا * رويدك لاترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة * وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت فى عكس ذلك

بيضا تجلوا الهم عن ناظرى * بعين حق لابعين انتقاص
فقل لمن يرغب فى أسمر * ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

واذا أحكمت ما قررناه من علة اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع والرؤية من لازم ذلك الشان وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك فمن ألطف ما قيل فيه قول الوراق

يقول حين وافى * قد نلت ما ترتجيه * فما لقلبك قد جا
بخفقة تعتريه * فقلت وصلك عرس * فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البهاء زهير

لاتنكروا خفقان قلـبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وتظرف ابن غنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لابد من رقادى * فاضلعى هالك كالوساد
فنم على خفقها هدوا * كنومة الطفل فى المهاد

وكثيرا ما تتبعت كلامهم فلم أر من جمع بين الاعتذار من تغير اللون والخفقان فقلت فى ذلك

قالت أراك اذا عاينتنى وجلا * عديم لون بهيج كنت تملكه
والقلب منك خفوق لايسكنه * شئ فياليت شعرى ما يحركه
فقلت ماتدران الشمس ان جمعت * بالبدر بعد تمام النور تنهكه
والطيران الف الغصن الرطيب وقد * مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفى الابيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هى المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها غصنا يميل مع الهوا والقلب طائر عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب

ساقى منى مالاح لى كاسه * ذكرنى شاربه الآسا
(وقلت أيضا)
فتاة حين زارتنى عشاء * رأيت الشمس ليلا وسط دارى
فورد خدودها مالاح الا * وأحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها ليلا وطول * وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير انامل شفها عقارا * قريب العهد من كاس مدار
(ومنها)
عذمتك ياعذولى فيه قل لى * اذا لاح العذار فما اعتذارى
كانك ماشعرت بان حبى * غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط * قريب الشكل من قلم الغبار
سقانى من مقبله شرابا * طهورا لم يدنس باعتصار
وأعقب وصله هجرا فقلبى * على حرف من الهجران هار
إذا ما قادنى يوما هواه * مشيت وقطر دمعى كالقطار
أيطمعنى بخفض العيش دهرى * وجرى الدمع فيه على الجوار
(وقلت أيضا) من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان حسن
ترادفت التهانى والسرور * وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح * وافراح وأحباب حضور
بروج الافق فيها فردبدر * وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ فى دجاها * فمانامت ولافتر الفتور
(ومنها)
أغار من النسيم بها اذا ما * تصافح كفه فيها الستور
اذا نشرت ذوائبها تبدى * لميت الحب فى الدنيا نشور
لها ثغر يصون الدر منا * يبيت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

اما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتذار عنه فكثير قال ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم انسه اذ قال ابن تحالني * حذرا علي من الخيال الطارق
فاجبت في قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق

وقد نسب ابن تقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعا لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة) وهي باعثة نفسية مادتها المروأة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمحمود منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني وقمط شرعي فتبعث المتانة في الدين والمروأة على اصلاح ما نقص باليد ان امكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشارع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فاضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحجوا الصلاة وغير ذلك مدعيا انه ليس بأهل لها وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك غير اني لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فلله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الالفاظ الرسمية وذلك قوله

وأنزه اسمك أن تمر حروفه * من غيرتي بمسامع الجلاس
فأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا ان فيه بحسب ما يظهر مناقشة فان ظاهر كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وأدق منه وأسلم وان كان هذا أسجم قول يزيد بن معاوية

الا فاملي لي كاسات خمر وغن لي * بذكر سليمى والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انني * أغار عليها من فم المتكلم
أغار على أعطافها من ثيابها * اذا لبستها فوق جسم منعم
وأحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن لطيف كلام ابن أبي الحديد في هذا المعنى

فيارب بغضها الى كل صاحب * سواي وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيري كما أرى * قبيحا سواها كل باد وحاضر
فياجنة فيها العذاب ولم اخف * حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

وذوات الجمال وما في معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء بسماع الغناء من كل محب يشبب بالشباب ويغني بالرباب فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لا يلهيه غير ملاهيه ولا سيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب ويقيم الاعراب ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب أجناس الايقاع ويعطي النغم حقه من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ما شاكلها من النقرات ويحسن الاختلاس وملء الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشان من القيان ممن جمع في ذلك بين الحسن والاحسان كما قيل

ما تغنت الا فرجهم * عن فؤادي وأقلعت أحزان
يفضل المسمعين طيبا وحسنا * مثل ما يفضل السماع العيان

والناس في الغناء كلهم عبيد معبد واسحق الموصلي اللذين هما أطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ وفي معبد يقول جحظة

محاسن أوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

وقال البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كان في نغماته * نبرات معبد في الصهيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في أيام الرشيد وأخباره أشهر من أن تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني وغيره وأما اسحق الموصلي فانه كان من أهل العلم والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن اشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغناء وميز طرائقها تمييزا لم يقدر

وقال

وقال أبو تمام

بنفسي من أغار عليه مني * وتحسد مقلتي نظري اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في قلبي هواه * وأمسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى * بريق عليه الطرف مني باكي
ترددة من فوق در منضد * سناه لانوار البروق يحاكي
فقلت وقلبي قد تفطر غيرة * أيا ليتني قد كنت عود أراك
فقالت أما ترضى السواك أجبتها * وحقك مالي حاجة بسواك

(فصل في أحكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة) قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها يسر القلب ويسري الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن أكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ما فيه ذوه ولم يكن ارتضع من هذا اللقح دره وانا انبه على من استنتج هذه الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة فاقول اعلم ان الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفثات فيه الاقطار القائم باعباء المحبة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطاف عناياته فمن كلامه في المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول

وللحب اقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب يا خلي
اذا أودعوا سرا رأيت صدورهم * قبور والاسرار تنزه عن نقل

ومن قوله في المذهب الثاني وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة

وأبثثتها ما بي ولم يك حاضري * رقيب بغى سري بخلوة جلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الاول

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى ففزت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي

وأما كلام السهروردي فكأنه وقف عن كل الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو

وارحمة للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وللواثق في المذهب الثاني

ظهر الهوى وتهتكت أستاره * والحب خير سبيله اظهاره

عليه احد قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفا واحدا وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عنده متيقظ مثله ومن كلامه حدود الغناء أربعة النغم والتأليف والايقاع والقسمة وكان قد سأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا أراد الغناء دعاه فأجابه الى ذلك وقال الواثق ما غناني اسحق قط الا ظننت انه زيد في ملكي وان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ احد بمثلها ولو أن العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر ملكي وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم الا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها
من الشمول وأتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته
بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشا
تقبيل راحته أشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها في داره (ومما) لحنه اسحق وله حكاية ظريفة

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أرد * ت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيـ * ـت وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف في أخبار اسحق في هذا الموضع (وحكى) أبو الفرج انه أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال فخلا معها في قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن ألفي جارية في احسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فعظم ذلك عليها وارسلت الى علية اخت الرشيد تشكو اليها فارسلت اليها علية

فاعص العواذل فى هواك مجاهرا * فالذعيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ولبعضهم فى المذهب الثالث

يا موقد النار الهابا على كبدى * اليك أشكو الذى بى لا الى احد

اليك اشكو الذى بى من هواك فقد * طابت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وللامرى فى نصرة الاول

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

والطف منه قول ابى جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك بل امته * وصير من حشاك له حجابا

فما أودعت مثل النفس سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ماهو ادق والطف حيث قال

ومستودعى سرا تقصيت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

وما السر فى قلبى كميت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى اخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما احطت به خبرا

ولبعضهم

يا ذا الذى اودعنى سره * لا ترج ان تسمعه منى

لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه مامر فى ذهنى

فهذا وأمثاله من اكابر الدوال على ان المذهب الاول هو الصحيح المعتبر ومالتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدى عمر بن الفارض من انه نصر المذهب الثانى قوله

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى * فابدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلى فى دين الهوى اهله وقد * رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

فممنوع لان التهتك الذى اراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار بدليل قوله رضوا فيك عارى يعنى ان اهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادون عاره فى ذلك خصلة جميدة فاين هذا مما نحن فيه وقد اسلفت فى المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس فى طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فاذا استدلينا بشئ منه فهو استئناس لاهل الترسم فى مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل واغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بان المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول

لقد أودعتنى سرها فكتمته * ولا والهوى ما فر البعد خاطرى

ولكن جوى الكتمان صعد مهجتى * وقطرها دمعا جرى من محاجرى

فشف لطول السقم جسمى من الذى * كتمت فابدته هناك سرائرى

عندك والبسهن أنواع الثياب والجواهر حتى ألقى عليهن الصوت مع جوارى ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن ألفى جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن فى نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عنى وما * قلبى عنه منفصل

يا قاطعى قل لى لمن

نويت بعدى أن تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر ومعه علية وهو فى غاية السرور وقال لم أر كاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لا تترك فى الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره فى ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم وما سمع بمثل ذلك قط (وحكى) عن القاضى أبى عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبرة فعزم عليه فى الميل اليه فنزل واحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح

وزهى بحمرة خدك التفاح

واذا الربيع تنسمت ارواحه

نمت بعرف نسيمك الارواح

واذا الحنادس ألبست ظلماءها

فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده (وما احسن قول ابن تميم فى عوادة)

وفتاة قد راضت العود حتى

راح بعد الجماح وهو ذليل

خاف من عركه اذنه اذ عصاها

فلهذا كانت تقول (وقال آخر) سقى الله أرضا أنبتت عود ذلك الذى * زكت منه أغصان وطابت مغارس

فهم

فثم به الواشـــون بيني وبينهـا * فصـــدت وقالت لاوفاء لغـادر
فقلت وقد ضاقت هنـالك مذاهبي * ومن كان قدما عاذلي صار عاذري
فمن شـافعي يوما اليها ومالكي * هواها ومن شرى يحدث ظاهري

ومن الثالث يامعشر العشاق اوصيكم * بكتم اسرار الهوى والغرام
الا مع المحبوب في خلوة * فثم كتم السر عنـدي حرام

ومنه ايضا بوصلك والود الذي كان بيننا * حلفت ولا والله ما انا غادر
لانت أعز الناس عنـدي وسرك * بقلبي باق يوم تبـــلى السرائر
فان لم يجـد لي الدهر منك بخلوة * ففي الحشر تشكوه اليك الضمائر

(فصل في ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ماصدر عن المحبوب من الانحراف)
وهو عبـارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من احكمه غاية المطلوب وموضوعـه عود الالفة بعـد النفور ومادته أقيسة شـعرية غالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمـالة قلب المحبوب وما الطف ماقيل فيه لابن الاحنف

كأن لم يكن بيني وبينـكم هـوى * ولم يك موصولا بحبلـكم حبلي
واني لأسـتحي لـكم من محـدث * يحـدث عنكم بالملالة والمطل

وقال آخر أتنسب لي ذنبا ولم اك مذنبـا * وحملتني في الحب مالا أطيقه
وما طلبي للوصل حرص على البقا * ولـكنه أجرى اليـك أسوقه

وقال ابن أبي حجلة
لم أطلب الوصل من أجلي فديتك يا * من زاد قلبي سوادا منه شامات
لـكن خشيت بان تبلى بحب رشـا * يقتص لي منك والدنيا مكافاة

وقال جميل وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة * الي وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك
وغانية لم تعد عشرين حجـة * أقول لهـا قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * لانك في العشرين وهي نصاب

وقال بعضهم قم بنـا يانور عيني * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيـبي * يأثم القـائل فينا

وقلت تملكت أوصاف المحاسن والبهـا * وزينت أرباب اللطافة والعقل
فـذا عجز الحسـاد شيء تقوله * رموك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تتدني بالهجـر زور كلامهـم * ولكن صليني وابطلي الزور بالنقل
ولا تمطـلي بالوعـد قلبا معـــذبا * وان صح ان الشيء يعذب بالمطل

(فصل في ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل)
وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن ألطف ماوقع فيـه كلام الواوا الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتبـاه اعل العتب يعطفـه
وحـدثاه وقولا في حـديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه

فغنى عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس (وقال ابن قاضي ميلة) جاءت به وذينا فيها ويسعدها
فانظر بدائع ماخصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة
غضا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزال عليه أو به طرب
يهيجه الاعجمان الطير والوتر
(وقال ابن حجاج)
هذا ومحسنة بالعود عاشقها
بذلك الطيب في الاحسان مشرور
اذا انثنت وتغنت خلت قامتها
غصنا عليه قبيل الصبح شحرور
(وقال آخر)
وجارية اذا غنتك صوتا
فمالك من فراق الحلم بد
كان يسارها في العود برق
ويمناها اذا ضربته رعد
(وقال آخر)
أشارت باطراف لطاف كأنها
أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسا كأنها
بنان طبيب في مجس عروق
(وقال النور الاسعردي في جنكية)
لبنت شعبان جنك حين تنطقه
يغدو باصناف ألحان الورى هازي
لاغرو ان صاد ألباب الرجال لما
اماتراه يحاكي مخلب البازي
(وقال) الصلاح الاربلي وأحسن ماشاء
الجنك مركب عقل في تشبكه
والرق قلع له الاوتار أطناب
يجري بريح اشتياق في بحار هوى
يؤم ساحل وصل فيه أحباب
(وقال ابن دانيال في دفية)
ذات القوام الذي يزري بغصن نقا
لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدي على الدف كالجمار معصمها
لنقره ببنان يشبه البلحا
غناؤها برقيق الريح تمزجه
فما ينقط الا كل من رشفها (وقال ابن عـذيم في مغنية) والله لو انصف الاقوام انفسهم * اعطوك ما ادخروا فيها وما صانوا

فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضرلو بوصال منك تسعفه
وان بدالسكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه
وقال آخر ألا يانسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كانك مازح
فان اعرضت عنى فوه مغالطا * بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح
وقال القاضى مجد الدين
شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت فى رسائلها الزكيه
لا غرو ان حفظت أحا * ديث الهوى فهى الزكيه
وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدى
يا طيب نشر هب لى من أرضكم * فأثار كامن لوعتى وتهتكى
أهدى تحية كم وأشبه لطفكم * ورو ى شذا كمان ذاريح ذكى
و يجب اختيار الرسول وأن يكون ذا عفة وصيانة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقا و يخاص من سلطان الهيبة والمطلوب ان يكون بالحجة ناطقا وللعشاق فى هذا المساق كلام لا تحصره الاوراق قال ابن سنا الملك
راح رسولا فجاءنى عاشقا * وفاقه من رسائلى عاتق
وعاد لا بالجواب بل بجوى * اخرسه والهوى به ناطق
وقال ايضا راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الى وهو متيم
وما ألطف قول الارجانى فى هذا المعنى
قسما القدر جع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد خاننى * فقد اجر من الحياء ذبولا
ومن ألطف ماوقع فى الرسائل من النكت العجيبة والطرق الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذى يغلب نوره على ابن ذكاء ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم ابوه امره فنعه عنها فازداد غمه فأرسلت اليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زرا من ذهب فلم يدر ما ارادت بذلك فأطلع على سره القاضى الفاضل فقال
اهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر قليل اللحام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا فى الظلام
ومثله ان رجلا دعا محبوبته الى النزهة فارسل اليها مروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشرابة وعود فأرسلت اليه بخيط احمر وصبارة وثلاث كونات سود وغاسول وزر وفى ذلك من لطيف الاشارة ما يدق عن الافهام فانه أراد بالمروحة نروح و بالنرجس الى الزهر و بالسكر النبات نبيت ليلة و بالشراب نشرب و بالعود الغناء وأرادت بالخيط الاحمر انها حائض و بالصبارة ان تصبر و بالثلاث كونات ثلاث ليال و بالغاسول الاغتسال و بالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما اظن
رسولى تلطف واجذ كرى لها فان * رأيت الرضا فى وجهها فابسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذى قد نشرته * ودعنى بنيران الهوى فى الهوى اكوى
فقد صرت أرضى كل ماترتضى به * واستعذب التعذيب فى السر والنجوى

ما انبثت حين تغنى فى مجالسهم * بلطف ما عليه من مزيد
اذا ما أطربتنا بالمثانى * تثنت بين رمان النهود
بغار السمر منها حين تبدو * كغصن البان فى خدر البرود
باطراف من الحناء حمر * وألحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان أطرى * يواخيها الشقيق من الخدود
(وقال آخر)
يا بى اغانى مطرب * أبدا وترضاه النفوس
يشدو فنربو بالكو * س له ونرقص بالرؤس
(وقال آخر)
و زامر يبعث فى زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل فى نايه * ينفخ فى الاموات أرواحا
(وقال آخر فى مشبب)
ومطرب قد رأينا فى انامله * شبابة اسر والنفس أهلها
كانه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها
(وقال ابن قرناص فى مليح مشبب)
مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تدارك بالنفخ أحيانا
هو يت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
(وقلت أنا)
رعى الله أرباب اليراع فانهم * أزاحوا اعتذارى عنهم بالهوى العذرى
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة * جلبنا الهوى من حيث أدرى ولا ادرى
(وقلت أيضا ملغزا فى شبابة)
وما خرسا ان نطقت رأينا

تناقض فعلها أمرا عجيبا منقبة وليس لها ازار * تواقفنا ولم تخش الرقيبا فياان خلوت بها وصحى * فعاد

فعاد رسولي بعد عقل وحكمة * باضعاف ما عندي من العشق والبلوى
ولم ارض ارسال النسيم لانه * يرى البث في التدبير من سائر الادوا
فيفقت عليه عشقها ان يعله * فاحمل وزرا لست في حمله اقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت في هذا المنوال وسبكه في قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجذ كري عندهم * علهم ان ينظروا عطفا الى

فان في قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلب وما احسن قوله واجذ كري فانه الطف من واذ كرني لهم لانه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معاني كثيرة وكذا قوله عندهم اي ولو على سبيل الهذيان او محادثة غيرهم فاني لست اهلا لمشافهتهم بذكر ولهذا لم يقل واجذ كري لهم الى غير ذلك مما لو اخذنا في بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر وما من مشرب للعشاق باطن او ظاهر الا يوجد في مطاوي كلامه ولكن بلسان اهله

(فصل في ذكر الاحتيال على طيف الخيال) وهو امر مهم عند اهل الغرام يتوصل اليه بالمنام وانما تدعو الحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه الطف من كلام استاذ الوجود وقطب مراتب اهل الشهود سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل اظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال

نصبت على عيني لتحصيل غمضها * لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت * على بدمع دائم الصب هطال

ففي البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعي ما لا يخفى

(وقال ابن النقيب في المعنى)

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة في اخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجي بقوله)

انعم بوصلك لي فهذا وقته * يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني * اعطى وصالا بالذي انفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبري فرقته
قال العواذل يدعي بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم * عبدي ومملوكي وما اعتقته
اوقيل مشتاق اليه فقل لهم * ادري بذا وانا الذي شوقته
ياحسن طيف من خيالك زارني * من فرحتي بلقاك ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة * لوكان يمكنني الرقاد لحقته

(وابن السروجي) هذا ذكره في منازل الاحباب في عشاق الغلمان وفي ثمرات الاوراق سماه تقي الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هنا البيتان

وكم جمعت بمجلسها حبيبا
تجدد لي اذا انطقت سرورا
يعيد زماني البالي قشيبا
أرق من النسيم الرطب صوتا
واسرع في الورى منه هبوبا
تغازل دائما بعيونها من
يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومي اذا ماهمت فيها
وانشدني من الشعر الغريبا
وشبب لي بها أبدا وقل لي
ضروب الناس عشاق ضروبا
فاعذرهم محب ذو ملال
واعذرهم اشبهم حبيبا
(وقال) المصيص الخياط يهجو عوادا
واذا تربع لا تربع بعدها
وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلها
في عوده يقرضن خبزا يابسا
(وقال آخر)
غنى أبو الفضل فقلنا له
سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه
فاشرب فانت اليوم في حل
(وابلغ) ماقيل في ذم المغني قول كشاجم
ومغن بارد النغمة مختل اليدين
مارآه احد في * دار قوم مرتين
(وقال آخر)
ومغن بارد * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فأبى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى الفؤاد منا
(وقال آخر)
مغنية سواء الفاظها
يميت السرور ويحيي الكروب
مقبحة الوجه مفلوجة
فلا للنكاح ولا للطروب
(وقال آخر)

الاخيران وانما ذكرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الامثال البحتري ومن قوله فيه

ولم انس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو ولم تدر
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله) وليلة هومنا على العيس اقبلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندي حميدة * وللصبح من خطب تذم هوائله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها على الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد انشدهما يوما عند الوزير الزيني وادعى انه لا يمكن تثليثهما فانشد الحيص بيص بديهة

وما درى أن نومي حيلة نصبت * لطرفه حين أعيا اليقظة الحيل

(وقال ابن العفيف)

يا حبذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم في العالم * طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم * يا غائبا يحكم في مهجتي * على طابت غيبة الحاكم
غار على حسنك ان يشتكي * حظي منه انه ظالمي

(وأحسن كشاجم حيث قال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها * على وقالت رحمة لنحيبي
أخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارني طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

أبصرته في المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * أنبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت) مليكة الحسن ماشئ يقال له * نوم فان جفوني ليس تعرفه
هل تسمحين بشئ منه يطرقني * فيه خيالك ان القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لا حراك به * اطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراؤهم في التفنن في الخيال (فمنهم) من رده ملالا وضجرا ويشبه هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك من هجر (فمنهم) طرفة ويقال انه أول من ذكر الخيال وفي ديوان

تسعى اليه على خيار الشنبر هذا مثل قولهم في المثل ابصر الحامل والمحمول ودار الوكالة بخنافس قصدت كنيفا واعتمدت

(وقال آخر)

كانها في حالة العيان
خنافس دبت على ثعبان

(وما احسن) قول الوجيه الدروى فيمن يغني بالرباب ويجمع بين الاحباب

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر
فالشيخ في كل الامور مهذب
طورا يغني بالرباب وتارة
يأتي على يده الرباب وزينب

(الباب التاسع والعشرون في ذكر من ابتلي من اهل الزمان بحب النساء والغلمان) اقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ما هم تعرفهم بسيماهم فمنهم من اتصف بالانصاف وسلك طريقة السلف في العفاف وهذا النوع فيما يظهر أعز من الكبريت الاحمر لم اره ولا رأيت من رآه وان وجدت اسمه فأين مسماه

فاشهد بصدق مقالتي
أولا فكذبني بواحد

هيهات بل قصارى اهل هذا العصران يعشق احدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها في مجلس تشاكيا وانشدا الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كانه على نكاحها امين الامناء كما قيل

لم يخط من داخل الدهليز منصرفا
الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها فقالت يا ابن اخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد

(وسئل) اعرابي عن ذلك فقال هو مص الريقة ولثم الثغر والاخذ من

الصبابة ان أول من ذكره عمر بن قمئة وان طرفة أول من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

وسيأتي لهذا البيت حكاية في الخاتمة نذكرها هنالك من رد عليه (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوزت من حامل

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

(ومنهم) من ذم النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات في الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم الا ترى ان من يحلم بمحبوبه أوشئ من مطلوبه يتنبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم انه أحدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جريا على عوائد الزمان في الاتيان بغير الملائم للانسان وما أحسن قول المتنبي في هذا المعنى

وأحسب اني اذ هويت فراقكم * أفارقكم والدهر أخبث صاحب

فياليت مابيني وبين أحبتي * من البعد مابيني وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم

أرى في منامي كل شئ يسوءني * ورؤياي بعد الصبح ادهى وأقبح

فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاء في قبل أصبح

(وقال المعري)

الى الله أشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث احلام

(وقال الاحنف العكبري)

واحلم في المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يراني

ولو أبصرت شرا في منامي * لوافى الشر من قبل الاذان

(وقلت) لك الحمد انى لم أبت قط ليلة * من الدهر خلوا من أليم النوائب

وفي النوم ان أحلم بشئ يسوءني * من الصبح يأتيني بسوء العواقب

وان كان خيرا الا أرى منه ذرة * لسوء مزاج أوقران كواكب

(ومنهم) من تظرف في وصف النوم وابليس بالقيادة قال ابن المعتز

ألم الخيال بلا جهده * وابدى لي الوصل من صده

وكم نومة لي قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر) تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذلك الاعز عند سلوكه

يقرب من أهواه حين نافاني * حكاه خيالا في الكرى فانيكه

ومما يصلح ايراده هنا الامسية ان بعض المغفلين أحب امرأة واجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لم تفعل ذلك قال من شوقي اليك لعلي أراك في النوم فقالت انا عندك بنفسي فقم فانظرني

اطايب الحديث بتصيب فكيف هو عندكم ايها الحضري فقال العض الشديد والجمع بين الركبة والوريد وهز يوقظ النيام ويوجب الآثام فقال تالله ما يفعل هذا العدو فكيف الحبيب قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم في العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وهناك طبقة أخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنائعهم وطبقة أخرى يخلون بادبانهم وعقولهم فن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم و يحرم عليهم وما سوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل مرض من الامراض اذا وصلوا اليه أسرعوا بانصرافهم عنه و ربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر العمر وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا وهو افسد انواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عنه الشغل و يحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو واضح فقه الاستحالة وامر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء ويحب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل أمره وانطفأ بالسلوة جمره فمن أهل هذا العصر من اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع في الامرد العذار وقال للسلو عن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين الفريقين وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه يأتي على ما حضر ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

انا الرجل المضنى بكل امرئ

دخلت من التصابي كل باب

فيهوى المرد والشبان قلبي

ولا يأبى مواصلة الكعاب

(وقد زاد بعض المجان على هذا حيث قال) اعشق المرد والنكاريش والشيب وعندي مثل البنين البنات حذ ما يشتهى و يعشق عندي

حيوان تحل فيه الحياة (وقال ايضا) انا من قولي مليح * او قبيح مستريح كل من يمشي على وجه * الثرى عندي مليح

* (فصل في أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب في ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق) * فما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الاحبة

يا ليل طل أو لا تطل * لابد لي ان أسهرك لو بات عندي قمري * ما بت أرعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم في طول الليل وهجر المحب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليل * أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصلينا بها النارا
فالشمس بالقوس امست وهي نازلة * ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

(حكى) ان محمدا سئل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مسقفيا وآلى على نفسه ان لا يجلس في حلقة حتى ينظر في النجوم (وقال بعضهم) في قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل * والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا افديتهم * ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال الشريف بن الهبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما اشتكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال القاضل في زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال الارجاني معتذرا عن طول ليل الهجر

لا ادعي جور الزمان ولا ارى * ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح تنفسي * لهم اصداوجهها المصقولا

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر ارخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتلي

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية * ادهى وقد رقدوا من زورة الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

بعدما ينكح عندي * حيوان فيه روح

(وقال ابن تميم مضمنا)

ومعشر عدلوا لما ركبت على
أحوى محاسنه قبحن فعلهم
دع يعذلوا ما استطاعوا انني رجل
لو استطعت ركبت الناس كلهم

(وقال بعض مشايخ العصر)

وعارض قد لام في عارض
وطاعن يطعن في سنه
وقال لي قد طلعت ذقنه
فقلت لا افكر في ذقنه

(وقال ايضا)

شب وجدي بشائب
من سنى البدر أوجه
كلما شاب يقتني * بيض الله وجهه

(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)

وقد عنفوني في هواه بقولهم
ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع
وحقكم بالوجد فيه الى الذقن

(وقال ايضا بعض مشايخ العصر)

وكامل العارض قبلته
فصدني وازور من قبلتي
وقال كم انهاك عن فعل ذا
وانت ما تفكر في لحيتي

(وكتبت انا الى بعضهم)

لين مولانا حبيب لم يزل
بوصله في كل حين محسنا
كم زينته لحية في وجهه
انبتها الله نباتا حسنا

(فكتب الي الجواب عن ذلك)

يا مادحا اللحية سلوانها
عن روضها المازهالن يحسنا
مذ أنبتت فيه نباتا حسنا
قبلتها منه قبولا حسنا

(فكان كما قيل)

تحاشى لمثلي عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب اهواه طفلا في القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

في

فى هذا البيت من الانواع حسن المقابلة فيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه فى مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان أولى وللمتنبى دقائق لطيفة ألا ترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر ان المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثانى لا يفعل الا الخير فنقول ان زيارة المحب اعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا فى قولهم

(وقال ابن رشيق)

ايها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة فى الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى نور الوجوه الملاح

وانما اكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما انقضى وماهو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شئ ولا ينسيه مراده (وقلت جامعا لغالب هذه المعانى)

بذكرك يا من فى هواها ضنى حالى * شغلت فما منه أرى ابدا خالى
فنيت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر فى بالى
ولو زارنى طيف الخيال لقال لى * ألا انعم صباحا ايها الطلل البالى
سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع اوصالى
فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا * ووالده بالحزن فى الدهر اوصى لى
متى تنتمى والشمس بالقوس ليلة * وفى ضده يوما على رغم عذالى

(وقلت ايضا مخترعا فيما اظن)

ألوم جميع العاشقين لذمهم * ضيا الصبح فى تفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا فى شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول احتباك الغياهب

(فصل) فيما ذكروا واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذى اوقعه فى الفضول وكيف ادخل نفسه بين الاحباب حتى ابتقمت منه اهل الآداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يسلك ما استغنى عنه من الكلام فهو احق بالملام وليس فى هذا الباب الطف من كلام سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو   يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامن اذا باعت الابصار أسودها * بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيد فى العذل تبريحا اسر به * فليت عذال حبى فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمسانى

على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العقل يدرى ما يراد من الفتى
امنت عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان فى شرعة الهوى
لسود اللحى ناس وناس الى المرد
فقلت لهم لو كنت أصبو لامرد
صبوت الى هيفاء مياسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا
فاثرت أن أبقى بابيضهم وحدى
(وقال آخر وقد عشق عجوزا)
كلفت بها شمطاء شاب وليدها
وللناس فيما يعشقون مذاهب
(وقال) ياقوت الحموى وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل (وقال فيهم الشاعر)
كتب العذار على صحيفة خده
سطرا يلوح لناظر المتأمل
بالغت فى استخراجه فوجدته
لا رأى الا رأى اهل الموصل
ولقد جبت البلاد ما بين جيحون النيل فن رايته لا يخرج عن هذا المذهب فلا أدرى لم يخص به أهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكر لا يخلو منه بقعة انما أهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى أصحاب الذقون وربما مالوا الى من فى عذاره شيب ويقولون هذا شعرة وشعرة أى شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم يسميه ذرزوريا وهذا قل ان يوجد فى غير بلادهم وقد رموا بهذا من بين أهل البلاد وأهل الاسكندرية لانهم يقولون مانعطى فلستنا الا لمن ينفقها على عائلته وليداته مانطعم المن يأكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية فى كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضى اليه بهم الهوى

 من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق أئمة الفساق انا كعبر

اسرفت في اللوم ولم تقصر * وزدت في ذلك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده) ولي على عاذلي حقوق هوى * شكري عليها من بعض مايجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بعينه
وقال سل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا ولامه عليه صاحبه فمر بهما المعشوق ولم يدر العاذل انه هو فقال له لو عشقت هذا ما لمتك عليه فانشد

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه * فقال لي لو عشقت هذا
ما لامك الناس في هواه * قل لي الى من عدلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * اخذوا طيبا واعطوا خبيثا

(وقال آخر) من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الا أذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

ايها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلي وكم لحبيبي * ذاك تكبيرة وذا تهليله * يا ثقاتي وأين مني ثقاتي
أين من يبتغي الى الوسيلة * أنا ان مت قبلوني اليه * فحياتي وحقه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذري في عاذل * يلوم في حب رشا اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

(وقال الوداعي)

يا لائمي في هواه * أفرطت في اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال البهاء زهير)

الذكران وتاركي النسوان وكيف اخذهم * وهم في خوضهم يلعبون وقطع دابرهم وهم في سكرة عشقهم يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات مالم يجمعه على أمة من الامم اجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتأخرين قال المتبحر واعلى هذه المعصية وتمردوا ونهجوا لاخوانهم طريقا وقاموا بها وقعدوا وضجت الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت الملائكة الى أقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما اخبر به في كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم * فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونهم * على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم * ألم يعدكم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا لنا في العشق غير حميد
أتيتنا به الذكران من عشقنا لهم * فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب احق من * متابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم انذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون ذوق مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * وجمعنا في النار غير بعيد

(وحكى) قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان

وظي

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التفاتة
يدافعني عن وصله بتوهم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

أبغض العشاق منه انني * لم أبح في حبه رشدي بغي
قلت قد أضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي

(وقال أيضا) اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي * فآنسوا مقلتي ولاتو (حشوا)

(وقال ابن مطروح)

والله ماخطر السلو بخاطري * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(وقال آخر) لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(وقال آخر) قل للعذول أطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم مافي حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من لا رآه فقد * أضله الله على علم

(وقال البهاء زهير)

أنت الحبيب الاول * ولك الهنا المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ماعهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
يعارض المحبوب ماتنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

(وقال آخر) وشادن مبتسم عن شنب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * ومادرى شعبان اني رجب

المراد بشعبان العاذل ورجب الاصم وهي أسماء كانت مشهورة في الجاهلية

(وقال السراج الوراق)

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل ياعذولي كف عني * سبق السيف العذل
هذا مثل سائر أصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه فكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقول له سعد ام سعيد فيقولون سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغ موضعا فقال له

عن الاصمعي انه قال دخلت يوما أنا وأبو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على نحو سبعة أذرع

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلاشك بقيتهم
منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

قال لي ياأصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره واثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك ابو نواس (قلت) وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط (فصل في النظر الى وجه الامرد) ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر (وفي الكامل) عن ابي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى غلام امرد فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة او بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن واقد عن عمرو بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجواري العواتق * وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهم من السالف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء (حكى) عن أبي سعيد الجزار وكان من المشايخ

الرجل قد قتلت هنا رجلا وأخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرده وضرب الرجل فعذل فقال ضبة سبق السيف العذل (وقال شيخ الشيوخ بحماة)

أعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذل

ما دمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق فقولك مقبول على ولي

(وقالت) لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى * للومهم العذال وهو عجيب

أما عذر المجنون مع ذي جهالة * لدى الشرع حتى يرعوي ويتوب

وما عاذل ذاق الهوى فيذمه * ويعذل صبا ان جفاه حبيب

(فصل في أحكام الزيارة وما جاء في فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق في فضل زيارة الحبيب وايثار أنفاسه على نفائس الطيب) * قيل كان الشافعي رضي الله عنه يكثر من زيارة أحمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعي انك لتزوره أكثر وهو المحتاج اليك فانشد

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله

ان زارني فبفضله أو زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده في هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا * سواء سبيلي دارها وخيامي

فرشت لها خدي وطاء على الثرى * فقالت لك البشرى بلثم لثامي

جعل الزيارة تفضلا منها ثم أشار الى أخذه في أسباب السعي اليها بل شروعه في ذلك رفعا لجانبها من التكليف الكلي كأنه يقول انه ليس أهلا لها ثم فرش خده في مقابلة السعي ولم يقل لها فقط بل أطلق في جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفي ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه ايضا بغاية رفع شأنه منها بما كثرما كان يؤمله ولذا لم تسمح نفسه بما سمحت له به غيرة كما صرح به هضما لجانبه عن هذا المقام كما أشار اليه ولما أعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات اشار الى ذلك بقوله بعد البيت الذي تضمن ما ذكرنا

منت ولم تعتب كأن لم يكن قلي * وما كان الا ان أشرت وأومت

فانظر الى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت ما ضنت على بوقفة * تعادل عندي بالمعرف وقفتي

حيث عدد بارتها منة عليه لا ثابته وهما يأتي هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فاين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن في خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيل في الزيارة والعجلة قول العكوك

بابي من زارني مكتتما * خائفا من كل شئ فزعا * زائر نم عليه عرفه

كيف يخفي الليل بدرا طالعا * رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا

ركب الاخطار في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال ابن المعتز)

زارني والدجى احم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود

المعروفين بالزهد والعبادة أنه قال رأيت ابليس في منامي وهو يمر عني ناحية فقلت تعالى فقال أي شئ أعمل بكم أنتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا ثم قال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث فاخذت العصا الاضربه فقال أنا ما اخاف من العصا انما اخاف من نور القلب (قال فتح الموصلي) صحبت ثلاثين شيخا من الابدال كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث (وحكى) ابو عبد الله احمد بن الجلا دقال كنت امشي مع استاذي فرأيت حدثا جميل الصورة فقلت اترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال او نظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم أن النظر الى الامرد يوقع في سكرة العشق كما قال تعالى من عشاق الصور لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر والعشق هو سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم من سكر الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات

سكران سكر هوى وسكر مدامة

ومتى يفيق فتى به سكران

(انشد في بعض مشايخ العصر)

يا من غدا بالمرد ذا ولعة

ما انت في حبهم بالمصيب

في الخرد العين الذي تشتهي

منهم ويفضلن بحب الحبيب

(وقال آخر)

حبك الغلمان ان أمـ

ـكنك النسوان غبن

انما يفسق في الظهـ

ـر اذا اعوز بطن

على ان عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها فيه ما فيه مما لا يدرك تلافيه وقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء

وكأن

وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود
(وقال آخر) زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها * اقصر من جلسة الخطيب
وقال عبد العزيز و يقال انه أصدق ما قالت الاواخر
يقولون لى بالله ما أنت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أنيكه
(قال ابن النبيه)
قلت لليل اذ حباني حبيبي * بعتاب يسبي النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بردارا
(وقال ابن العفيف)
ومليح كالبدر زار بليل * فجلى حسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هواه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكى * جهل النزاع كيف استدلا
وقال بشار يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة * عودى ولا تجعليها بيضة الديك
انما قال ذلك لانه قد اشتهر ان الديك يبيض فى عمره مرة ولم يذكر الطبيعيون ذلك واقول ان القياس لا يأباه لما تقرر فى الطبيعة من أن البيض الريحى فضلات غليظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المنى الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامى ومن له يد فى الفلسفة سهل عليه علم هذا وقال ابن ابى حجلة
زار الحبيب ووجهه الورد خجلان * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ما ضر فى ضيق عيشى حين واصلنى * سم الخياط مع الاحباب ميدان
(وقال ابن سكرة)
اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وضوء البرق فى الغلس
ومما يدرجوا اليه من ذكر زيارة الحبيب وصف مجرها بالطيب قال ابن النبيه
ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى و يستنشق
(وقال الطغرائى) فسر بنا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل
(وقال آخر) لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال
(وقال المتنبى) و يفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق
ومما ينخرط فى سلك الزيارة و ينتظم فى عقد الاشارة ذكر العيادة وما يئول الى الحب فيها من الافادة وهى فى الحقيقة زيارة بحيلة تستعطف بها النفوس البخيلة قال الطغرائى
خبروها انى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا

(قال) ولاسيما نساء هذا الزمان من كل شمس خدر تطلع من قوادها بين قرني شيطان وغيرها من اشتغالات بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب أو الطاق كما قيل فى معنى ذلك
شغل المرد بالبدال وأضحى
نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تلاقى
فعزاء يا معشر الفساق
(وحكى) عن بعضهم أنه قال لجارية تساحق ارجعى الى الحق فقالت الحق بعض مرادى تريد ان السحق بعض حروفه الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما احقها أن يقال فى حقها
مغرمة بالسحاق أضحت
تبكى عليه بكل عين
فما كنفت فى المتوك الا
تضيف اسحاق فى حنين
(حكى) أن رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحاق فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال * وقال شيخنا زين الدين بن الوردى فى نساء أهل العصر هذا الشعر
قولوا لمن تهوى السحاق الذى
حرمه الله وما فيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ
أقمت اسحاق مقام الزبير
(وقال آخر)
قل لمن تدعى السحاق الى كم تساحقى
ليس يشفى غليلك من جميع الخلائق
غير ذى الاضلع الفقير الحايق الجوالق
(وقال ابن سناء الملك)
يا هذه لا تستحى
منى قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تنا
عب ان ايرى قد تمطى
(وقال بعض مشايخ العصر)
ايرى اذا نذبته * لحاجة تختص بى
قام لها بنفسه * ما هو الا عصبى (وسألنى) بعض الاصحاب أن أنظم له مثل هذه الابيات واستغفر الله وأتوب اليه تأخرت لحيضها

وأشار وابان تعود وسادى * فابت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

ومملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المتهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال آخر) لاتهجروا من لاتعود هجركم * وهو الذى بالبان وصالكم غذى
ورفعتمو مقداره بالابتدا * حاشا كم أن تقطعوا صلة الذى

وعلى ذكر الذى والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير فى المعنى)

يقولون لى انت الذى شاع ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد
فقالت له هبنى الذى قد ذكرته * فاين صلاتى منكم وعوائدى

(وقال ابن عباد)

مرضت فاشفقت الزيارة عامدا * وماعن قلى أمسكتها لا ولاهجر
ولكننى أشفقت من أن أزوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

(وقال الارجانى)

غالطتنى اذ كسا جسمى الضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

(ابن أبى حجلة) شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وماقاسيت من ألم البعاد
فقالت انت حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد

(ابن النقيب) ومابى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * فقلت نعم عين الحبيب ونظرتى

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبى وما يعانى * قد خير خاطرى وبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوافى فقلت قلبى

(ابن الوكيل) وبى من قساقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى

يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم
كأن الشمس قد ولى الوزاره
(وقلت أنا)
ياايران مرالحبيب مسلما
واشار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تك أجفا
مافى وقوفك ساعة من باس
(وقالت) ايضا واستغفر الله العظيم من
كل ذنب
لما وفى فى الصيام الحب انشدنى
ايرى وقال اشترط ماشئت واحتكم
فقال امر أمرك ماعندى مخالفة
ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم
(وحكى) قاضى القضاة شمس الدين بن
خلكان بعد أن ردقول بعضهم
ولقد قال لى صديق لما
أن رآنى اضرنى الافلاس
قم تسكع بذا العمود فهذا ال
سائر يرجى بمثله ويراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى
أهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الاي
ر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما بمقادير
الايور الكبار مات الناس
فقال قيل ان الاشهر فخر الدين بن الشيخ
رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب
بخط شرف الدين بن قسيم الشام فكتب
تحتها من خلف مثلك امامات
(وقال آخر)
زعموا أننى خسرت عليها
ليت شعرى من أين تلك الخساره
من مغل من ضيعتى من قماشى
من بقايا أموال تلك التجاره
حضرتنى فقام ايرى اذا
لك يحاكى بقطنه او خياره

تطالع من طوقى كذا عامدا * تنكس العمة عن راسى (وقال ابن مطروح)

أقر برق اذا أقول أناله * وكم قالها ايضا ولكن لتهديدى

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيرى من شاطر اغضبوه * فجرد لى مرهفا فاتكا
وقال أنالك يا ابن الوكيل * وهل لى د جاسوى ذلكا

وتشبيهاته فى نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت اذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت فى اصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار جبينها * ليل الشعور مخافة الرقباء
فوثبت اجلالا اقبل نعلها * بل تربه للبرء من ادوائى
قالت لك البشرى فطب نفسا بما * اوليت من نعم وحسن وفاء
بثناو كل جوارحى تشكو لها * شوقى وما صنع الهوى بحشائى
فسكرت من ألفاظها ورضابها * مع لينها ومحاسن الحسناء
ونسيم انفاس لقلبى ارسلت * سحرا فأحيا ميت الاحياء
لله من وطر قضيت مؤازرا * معها بثوبى عفة وحياء
يا ليلة غلط الزمان بها ولو * وضنتها بالعمر كان منائى

(وقلت ايضا) افدى التى زارت بلا موعد * فى غفلة الواشين والجانى
والوجه منها روضة اينعت * ما استها راحة الجانى
فقمت لاجنى الورد من خدها * وهى بسيف اللحظ ترعانى
فقلت ما هذا وقد راعنى * قالت حديد يمنع الجانى

واما كلام سيدى عمر بن الفارض فى وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت فى الشرق انفاس طيبها * وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم

فانه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى اليها الا من خص بالعناية ألا ترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله فى الغرب الذى يكثر الهواء منه لا اليه كما فى القرينة الثانية وجعل المحبوبة فى القطر الحار الذى تفنى فيه الرائحة اذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعد البخار ومع ذلك يشم ومنه اخذت فقلت

لو اشتاقها فى الغرب فاقد شمه * وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت فى العيادة)

اقول لها هل تسعفى بعيادة * مريضا كواه البين بالهجر والسقم
فقالت اذا ما فارق الروح زرته * لان محالا جمع روحين فى جسم

ومما يتخرج على الزيادة تخريج الفروع على الاصول ويهتدى الى الحاقه بها اهل العقول ما جرى على ألسنة الاحباب من احوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لانه أكيد المحبة ودام له بين الاحبة * والصحيح انما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو احق بان ينصر ومنه يستكثر قال فى احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن اولى الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع فى نفسه من اخيه شئ لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره واما عتاب يفضى الى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فقبيح يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا

سألت من أمرضنى * فى قبلة تشفى الالم
فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم
فقال غصبا قلت لا * الا سماحا وكرم
قال فسرا قلت لا * الا على رأس علم
قال فخذها بالرضا * منى حلالا وابتسم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

* (الباب الثلاثون فى ذكر من اتصف بالعفاف وباحسن الاوصاف) * أقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر المحبين ميلا وأطهرهم ذيلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولا سيما بنو عذرة الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما فلذلك قلت وأقول العشق مع العفة فى بنى عذرة كثير والمقتول منهم عشقا جم غفير فان ذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات وسنورد من أخباره فى هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى ويحقق أن التسلى بالمحبوب عن غيره ضرب من السلوى (فن ذلك) ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازى قال مرض جميل بمصر مرضه الذى مات فيه فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول فى رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا اله الا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا فقلت له ما أحسبك سلمت وأنت منذ عشرين سنة تتشبب ببثينة فقال انى فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا نالتنى شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت يدى عليها لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة ومن غريب ما حكاه الزبير من أخبار جميل أن بثينة المذكورة من بنى عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق فى قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذرى لانهم اشد سائر خلق الله عشقا (قال سعيد بن عقبة) لاعرابى ممن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذرى ورب الكعبة

أنكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا فى الحى قد خامرهم الموت مالهم داء الا الحب (وقال) رجل من بنى فذارة لرجل من بنى عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رميتنى
من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم
فيا عجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لوظفرت بمن تحب فقال احل الخمار وأحوم ماوراء الازار واطهر للعب ما يرضى الرب (وقال) الحافظ ابو محمد الاموى ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى علقها وعلقته وشاع امرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمى نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وانا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقيل) لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما أنت صانع ان ظفرت بها ولا يراكما الا الله قال والله لا جعلته أهون الناظرين لا افعل بها خاليا الا ما أفعله بحضرة اهلها حديث طويل ولحظ من بعيد واترك ما يكره الرب ويفسد الحب (وقيل) لآخر ما كنت صانعا لوظفرت بمن تحبه فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان فى اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها الى ان قال هذا اللئيم ولم يلدنى كريم (قلت) وممن اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد

و وصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن امثالهم فى الاول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه اشار من امر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

اقلل عتابك فالبقاء قليل ✽ والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل ايام الحياة قصيرة ✽ فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر) وبعض العتاب اذا ما رفقت ✽ يباعد هجرا ويدنى وصالا
فعاتب اخاك ولا تجفه ✽ فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع اشار بالترك من قال)

لا تقرعن سماع من ✽ تهوى بتعداد الذنوب ما ناقش الاحباب الا ✽ من يعيش بلا حبيب

(والى تأييد الاول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر ✽ ولا شئ ألذ من العتاب
فلا هذا بمل حديث هذا ✽ ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر) وأحسن أيام الهوى يومك الذى ✽ تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا ✽ فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك) وأملى عتابا يستطاب فليتنى ✽ أطلت ذنوبى كى يطول عتابه
ومن غرتى ذكرا العذيب وبارق ✽ وماهو الا ثغره ورضابه

(أبو نواس) أساء فزادته الاساءة حظوة ✽ حبيب على ما كان منه حبيب
تعد على الواشيات ذنوبه ✽ ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس فى أعطافه طلعت ✽ حسنا او البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان عظمت ✽ منه الاساءة معذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته ✽ من القلوب وجيه حيثما شفعا

(ابو فراس) قل لاحبابنا الجناة علينا ✽ دزجونا على احتمال الملال
أحسنوا فى عتابكم أو أسيئوا ✽ لاعدمناكم على كل حال

(وقال آخر) اذا مرضنا أتيناكم نعودكم ✽ وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر) حججى عليك اذا خلوت كثيرة ✽ واذا حضرت فاننى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى ✽ الله يعلم اننى مظلوم

(وقال آخر) ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى ✽ فؤادى ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز) اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ✽ ان برعندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ✽ وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء فى تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن على يعنى اعف واصفح بلا عتاب وورد عنه صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا او كاذبا لم يرد على الحوض (وما احسن قول القائل)

ذنبى اليك عظيم ✽ وأنت أعظم منه ✽ فخذ بحقك أولا ✽ فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن فى فعالى ✽ من الكرام فكنه

وقال

(وقال آخر) ما احسن العفو من قادر * لا سيما من غير ذي ناصر
يا غاية القصد واقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فماله من غيرك غافر
أعوذ بالود الذي بيننا * ان يفسد الاول بالآخر
(وقال آخر) وزعمت اني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغتفر لي زلتي * هذا مقام المستجير العائذ
(ابن زيدون) يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب
فان من اغرب ما مر بي * ان عذابي فيك مستعذب
(وقلت) رأيت أساليب العتاب كثيرة * وألطفها ما أكد الحب في القلب
اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله * يلذ سوى الشكوى اليها مع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا * عقوبته الهجران في مذهب الحب
ومن يرذنبا من حبيب فدع * وما الحب الا ان تنعم بالذنب

وهذا مستمد من مدد قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدي عمر بن الفارض حيث قال وكل الذي ترضاه البيت السابق وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة في الاعتاب وخدمة الابواب وقال بعضهم كن اذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيك ذنبك فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق احد اجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدي عمر بن الفارض حيث يقول

ولو عز فيها الذل ما لذ لي الهوى * ولم تك لولا الذل في الحب عزتي

(فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح ان يكون معه في باب) الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح عن التجني حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه برضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع في قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند ارباب الهوى * ان المليح على التجني يعشق

لا يصدهم صد ولا يتقون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظالم من المظالم

(ابن النبيه) من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدي في هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو * انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الاعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فابعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتنفر من بعدي وتجزع من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * اشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

وذلك انه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت ان اباك ألم بي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه فكان ينشد

أرى ماء وبي عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

فقال له القاضي أو كلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة مرتبة فانظر ما احسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة شغفه بها (ودخل عليه) منصور بن عمار فاستدناه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا أمير المؤمنين تواضعك في شرفك أحب الينا من شرفك فقال عظني فقال من عف في جماله وواسى من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدني فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة (وحكي) عن السلطان ملكشاه السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم اني أغار على هذا الوجه المليح الجميل أن يعذب بالنار وأن الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي وتزوجها وأقامت في عصمته حتى مات رحمه الله (وحكي) سهيل أكبر خدام السلطان نور الدين الشهيد أن السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسمائة دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الي وكنت قد دريت السلطان فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار ثم تركني أياما وقال أحضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد أيام قال احضره بعد العشاء الى الخيمة ثم انت واياه على باب البرج

ولما كان التجني من المحبوب وتعنته الذي يكاد ان يفوت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد اذ اشرنا الى حقيقة الاول ان نشير الى الثاني ونذكر ماله من الاقسام والمباني سالكين في ذلك مسلك ديوان الصبابة اذ لا مزيد في هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند اهل المحبة بعد الاستقصاء الى اربعة اقسام

(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا اصفت مرآة اهل المحبة اتحدوا في كل رتبة فيقع لاحدهم بعد المبالغة في هذا الصفاء ان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل احد بما عنده من الاوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير في قوله

عتب الحبيب فلم اجد * سببا لذاك العتب حادث
ما كنت اعلم انه * ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما افهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لانه هو كذلك وفي هذا الاصل كلام للعارفين وكل ياخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكري ادام الله مدده يقول انه كان اماما عارفا وذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيرا والقليل كثيرا قال استاذ الوجود في هذا المعنى

ففي نظرة منها ولو عمر ساعة * ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضي الله عنه

وان لم افز يوما اليها بنظرة * لعزتها حسبي افتخارا بتهمتي
ودون اتهامي ان قضيت اسى فما * اسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محبا وان لم يعلم به احد ويكون شهيدا مع ذلك فائزا بالسعادة في غاية الرضا لذلك بعد ما اذ سأل الوصل اولا ثم نظرة ما في يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هذه المرتبة وما احسن التكميل بعزة النظرة في هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر في الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالي عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضي الله عنه ولو عز فيها الذل يحقق ذلك واما قوله

ونفس ترى في الحب ان لا ترى عنا * متى ما تصدت للصبابة صدت

فزجر ينفي و يمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترجمين) قال بعضهم هجر الدلال اعذب من الوصال

و يدل هجركم على * اني خطرت ببالكم

(وقال آخر) ائن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال واخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك ادعى للسلامة وابعد عن الملامة (ابن وكيع)

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه

فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل ان يقع في المعصية فاخذت كتارة فاصلحتها وجئت بالمملوك وانا في قلق فسهرت عامة الليل ونور الدين في اعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي واحضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت حالي وانت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت حاشا الله قال فلم جاءت الكتارة وحدثتك نفسك بالسوء ما انا معصوم لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت اشتريه لعله يذهب عني ما اعانيه فلم يذهب فقالت لي نفسي اريد كل يوم ان اراه فامرتك باحضاره فقالت اريد ان تحضره الى البرج بالليل فامرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس انام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان اصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت راسي وقلت الهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم الذي عمر المساجد والمدارس والربط تختم اعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث به حدث واما انت فجزاك الله عني خيرا والله ان القتل عندي اهون من المعصية ثم احسن الي (وحكي) عن فاطمة بنت الخثعمي انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذي رأته بين عينيه فابى وقال

اما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه
يحمي الكريم عرضه ودينه

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم في المثل

لو

لو جادها ان وقات الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

(العباس بن الاحنف)

ياقوم لم اهجركم الالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

(وقات) عدي واضمري خلفا يلذ بخاطري * كوصلك وعد منك غايته الخاف
فعندي موتي في هواك وعلمك * بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثانى هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه غير عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ماذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما اراد ورعاية محبته المدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه انشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على اطلاقه الا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة اصل وانما ضعف بالملازمة والالفا بعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبة عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب في دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو ممن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوما العتق * لو تخليت عنه ماخلا كا

فقد حقق في هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال ولا ينحيه عنه في سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جاب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته في مرامه فقال

وبما شئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضا كا

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضاحا لمراتب السالكين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال وقد صرت مستدع قضاك وما به * رضاك ولا اختار تأخير مدتي

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة * وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما في الاول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعي طولا وأما قوله

وما غدرت في الحب اذ هدرت دمي * بشرع الهوى لكن وفت اذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تمشي على القسم الاول او هو له حقيقة

(القسم الرابع الهجر الخلقي)

ومما بعض الصوفية الازلي يقال ان الجنيد رضي الله عنه فسر قوله صلى الله عليه وسلم

واحد يشتهي التين وآخر يقطفه فحاله معها كحال توبة مع ليلى الاخيلية وهو ما حكي انه راودها عن نفسها فنفرت منه وأنشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
وأنت لاخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا
وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا
غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام بن الامام محمد بن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ونشر أبرادها فمن ذلك قوله لكل شئ زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان أهل العفة من النظر اليه (وحكي) محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني أنه دخل على أمير المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رأيت منه ما تكره فقال لا يا امير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول اللهم أنت تعلم اني أحبه واني أراقبك فيه قال فبلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي وآليت ان لا ينظر أحد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني مغطي الوجه خاف أن يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة فاحببت أن لا يراه أحد قبلك فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد ابن واسع ينفق على محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر الا هذا مع ما هو فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا

الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتنا كر منها اختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله في كفه ثم اخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون في نسب أوجب الصحبة وحقق المحبة وتدابر الآخر فحققت بين افراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة اه وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوي غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة اعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز من قائل لو أنفقت ما في الارض جميعا الآية وهذا القسم والذي قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضي الله عنه وكل الذي ترضاه البيت لم يكن القسم الثاني فضلا عن الثالث من متعلقاته واذا عرفت ماقررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له اصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤل الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون في الحقيقة دعاء له وقد يستخير عند تمادي الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ماسطر في الاول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تلك أضعفت عقلي وديني
وخلد دولة الاعطاف فيها * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضا) أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل أغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولازالت ثمار الانس تجني * تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال

(وقال آخر) يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك أو للاكوس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العائم)

والله ما أدعو على هاجري * الا بان يمعن بالعشق
حتى يرى مقدار ماقد جرى * منه وماقدتم في حقي

(وقال آخر) أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي
لا أراك الله عمري * او يريني بك مابي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
زق قلبي ان يرى قلبك في مثل عذابي

(وقال آخر) كم جفاني فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل

المعشوق حكاية غريبة اضربت عنها جامع المذكور وهو مجموع أدب اتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر انيق وقال في أوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وأنت احد مغير به ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ماتأتي به الايام ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت في كتاب الزهرة وأنا في الكتاب ونظر أبي في أكثره * ومن ألطف ماحكي عنه أنه التقى هو وأبو العباس ابن سريج في مجلس ابي الحسن ابن عيسى الوزير فتناظرا في مسألة من الايلاء فقال له بن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق من أن تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي
وأمنع نفسي ان تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى مالوانه
يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري
فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم
فلست أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج بم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته
قد بت أمنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه
وأكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده
ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه أيها الوزير ما أقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدي عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك

قال فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن لطيف

لاشفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

ان كنت تعلم مابى * وأنت بى لا تبالى * فصار قلبك قلبى
وصرت فى مثل حالى * بل عشت فى طيب عيش * تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدالى

(وقال آخر) ولما بدالى انه غير رائدى * وأن هواه ليس عنى بمنجلى
تمنيت ان يهوى ويحيا لعله * يذوق مرارات الهوى فيرق لى

(وقلت) الى طلعة بالحسن واللطف ناضره * أرى كل أرباب المحاسن ناظره
لقد بطنت فى كل معنى وصورة * من الكون لما اصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل فى الهوى * فما طلبى للوصل الا مكابره
ولكننى أرجو تبدل ما بنا * من الميل واستكشاف حجب المساتره
فتطلبنى من بعد ما أنا طالب * لها وتحيينى بحسن المحاضره
فيارب خذ منها بحقى وانتصر * لنفس غدت فى ابحر الشوق حائره
ولا تستجب منى وسلطان عزها * أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضاء فيأخذ العاشق فى سح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع الى حضيض الخضوع واقطاب هذه الدائرة وبدر تمام هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق وقصب السبق التى لا تدرك والجواد الذى لا يسبق قوله

ومن درجات العز امسيت مخلدا * الى دركات الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى * ولا جار لى يحمى لفقد حميتى

فقد اشار فى هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول باشارة يدق ادراك كنهها عن العقول فقد اثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجا لعدم امكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والاضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لانه فى غاية المقابلة وكذلك بالاشارة الى غاية المحو الذى به حقق اثباته كما اشار بعده بقوله والفقد مثبتى واما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التى لا يدرك منها الناس الا القشور فمنها قوله

فسهدى حى فى جفونى مخلد * ونومى بها ميت ودمعى له غسل

فانظر الى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام وارتقى فى مسالك هذا المقام بقوله

وادمع هملت لولا التنفس من * نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج

وابلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحى كادمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى * ولولا دموعى احرقتنى زفرتى

لعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوى المعنيين فى القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة الى اللجج فى الاول لانه انقلاب العناصر كلها

كأنهن قبال دب فى عاج وأنشدنا لنفسه ما لهم أنكروا سوادا بخديه ولم ينكروا سواد العيون

ما يحكى عن محمد) ايضا ما حكاه ابو القاسم الصائغ قال قال لى محمد بن داود ما دخلت جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان فلما رآيانى تفرقا فآليت أن لا ادخل من باب كنت فيه السبب فى الفرقة بين المتحابين ودخل عليه ثعلب فقال له أسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله أياما لنا ولياليا
لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذا العيش غض والزمان بغرة
وشاهد آفات المحبين غائب

(ومن شعره)

لكل امرئ ضيف يسر بقربه
ومالى سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلى كيف صبرك بعدنا
فقلت وهل صبر فيسئل عن كيف

(وقال ابن السراج) فى كتاب مصارع العشاق وعن أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال دخلت على محمد بن داود الظاهرى فى مرضه الذى مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم أورثنى ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثانى اللذة المحظورة فانه منعنى منها ما حدثنى أبى قال حدثنى سويد بن سعيد قال حدثنا على بن مسهر عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وأدخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه
وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه
ان يكن عيب خده بذر الشعر

الى واحد وهذا في الدقة كقوله رضي الله عنه وان لم يكن مما نحن فيه

وتخفت أخفافها فهي تمشي * من جواها في مثل جمر الرماد

حيث نسبت تخفية الاخفاف الى حرارة الجوى التي شأنها الصعود وعكس الاخفاف فكأنه يقول لشدة هذه الحرارة أستوعب الاحياز كلها وامادوله

فلو بكى في قفار خانها الحيا * وان تنفس عادت كلها يبسا

وغيره فالكثير لا يمكننا ادراك اقله واني للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الالهية والكرامات التي خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضي الله عنه حيث قال

فما لنا منهم نبي ومن دعا * الى الحق مناقام بالرسلية

واصرح منه قوله فما كان منه معجزا اصطفاه بعده * كرامة صديق له او خليفة

(رجع الى كلام المترجمين) قال القاضي الفاضل

قد استخدمت بالافكار سري * وما اطلقت لي بالوصل أجره
ولم أرها على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعي في الشمس مصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسلني عن اول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك ارخت غرامي بمستهل وغره

(المتنبي) أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الاماقي

(وله أيضا) وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل

(وقال آخر) ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي يضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار) وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

(وقال آخر) وقائلة ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبي ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعت * فحق لها من فيض ادمعها غسل

(السري الرفاء)

بروحي من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينها * كأن دموع العين تعشقه معي

(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أسودا * ولونك مصفرا وأنت نحيل
فقلت لها ان الدموع تجففت * وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع) وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا * ظل يذكي على القلوب الحريقا

(المسعودي شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك مني * ولم يكن عن تناسي لكن ضلوعي شابت * من طول عمر التنائي

اليه ومات في ليلته رحمه الله (قلت) وقد اختلف الناس في قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصري احب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب احد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي في كتابه الواضح المبين هذا حديث إسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يردبها يعني قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل في كتابه المذكور ايضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس قال ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعي وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيي الدين النووي فانه اطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميت طلقا يعني من الشهداء هذا مع شدته في الدين وعدم مساهلته في هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد الناجي

إذا مات المحب جوى وعشقا
فتلك شهادة ياصاح حقا
رواه لنا ثقات عن ثقات
الى الحبر ابن عباس ترقى

وقال عبد الكريم القشيري

ان المحب اذا توفي صابرا * كانت منازله مع الشهداء
يرويه اقوام غدوا في صدقهم

وقال

(وقال آخر) كانت دموعى حمراً يوم بينهم * فذ نأوا قصرتها بعدهم حرقى
قطفت باللحظ ورداً من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى

(ابن الناشئ الاكبر)

بكيت الفراق وقد راعنى * بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقلت) ومحبوبة مذ كلمتني كلمت * فؤادي وألفت بين سمعي وناظري
الى ان رأتها مقلتى فاض دمعها * على الارض أمثال البحور الزواخر
فقالت عقيقاما أرى قلت بل دمى * جرى عندما من هجرك المتواتر

(فصل) فى نفى كدر الهم والصدود باستجلاب الامانى والوعود والتعلل بالامانى والطمع فى التهانى وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافى الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته وأعجب ما فيه ان الراضين به مع العلم بز وره أكثر العشاق واغلب من نودى عليه فى هذه الأسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة واستثنى الرضا بزور هذه الحقيقة الاستاذ رضى الله عنه فقال

عدنى بوصل وامطل بنجازه * فعندى اذا صح الوفا حسن المطل
وما الصد الا الود مالم يكن قلى * وأصعب شئ دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة وانغمس فى بحار الحقيقة فانطوت نفسه الآبية فى مطاوى الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به * أملى وماطل ان وعدت ولا تفى

وأما المترسمة فقد أكثروا فى هذا الباب الأقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أروح بالامانى الهم عنى
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمنى

(وقال آخر) وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام أفلاطون الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمنى مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك * قيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك (ياقوت الرومى)

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها

(ابن الوردى) وشادن قلت له * هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت فى المنى دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك
خدعات المنى تعللنى فيـ * ـك باشراق ذا وبهجة ذاك

(ابن أبى حجلة) رقى لصب غدا مما يكابده * من دمعه الصب يجرى فى مجاريه

غلماونا هيكم بهذا الداء (وقال الحسن ابن هانئ)

ولقد كنا روينا * عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده
قال من مات محبا
كان من أهل الشهاده
(وقال ابن زواحة الحموى) واحسن ماشاء
لاموا عليك وما دروا
ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى
او كان هجر فالشهاده
وانه عكس قوله هذا فقال
ياقلب دع عنك الهوى واسترح
ما أنت فيه هاهذا أمرا
اضعت دنياى بهجرانه
ان نلت وصلا ضاعت الاخرى
(وقال آخر)
خليلى هل خبرتما أو سمعتما
بأن قتيل الغانيات شهيد
(وقلت كانى حاضر اخاطبه)
نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى
وعف الى أن مات فهو شهيد
فخذ عن مقال أنت فيه مذبذب
فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذى يرويه ركب ذوى الهوى
به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم
فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون فى بحر المدامع عندما
تميل بهم سفن الهوى وتميد
أتبكى دوين العام من عام منهم
وقد حد حولا للبكاء لبيد
قلت وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود النقية النقود المجبورة الكسور العالية القصور مشتملا كل باب منها على بيت قصيد وبحر مديد يسقى ثمر غروسها ويروى المجدب من طروسها بعينين نجلاوين لورقتهما * لنوء الثريا الاستهل سحابها وما بقى الا ذكر مصارع العشاق واخبار من اصبح من المحبين

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا أقصى أمانيه

(وقالت) عدى فتى شفت الاسقام مهجته * بزورة منك يا أقصى تمنيه

فالهجر منك اكاس الموت يسقاه * والوعد منك ولو بالزور يحييه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد و الامانى وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير (الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(ابن المعتز) لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقية الامثل ماضيه

قال على كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين انى رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الامانى وسمع الحجاج ليلة ابانا يقول أبيع اللبن بكذا واشترى بضاعة فاكسب فيها كذا فيكثر مالى فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لى ولدا وآمرها يوما بشئ فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال ألست تفجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا

(وقال آخر) لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم

وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع المانع عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غفير يعدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس فى هذا النمط ألطف من جميل فى قوله وانى لارضى من بثينة الابيات السابقة فى قصته (وقوله)

ألست أرى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقى فى الافق طرفى وطرفها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(وقال بعض الاعراب)

أليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذاك انا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسر انظرى كل ليلة * فانى اليه بالعشية ناظر

عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكو اليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير اننى * اذا هى بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم) وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه اشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير واصله ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام انت فى ضيافتى بجميع عسكرك فى جزيرة كذا فلما حضر واأخذ جرادة ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك اذا ذكره وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله واطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتاليف الذى لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا فى العين الاحول الذى يرى الشئ اثنين (قال بعضهم)

ميتا بالاشواق ان لم امت فى هوى الاجفان والمقل * فواحياتى من العشاق واخجلى ما طيب الموت فى عشق الملاح كذا

لاسيما بسيوف الاعين النجل

ياصاحبى اذا امامت بينكما

دون الشهيين وردا لخدو القبل

فاستغفرا لى وقولا عاشق غزل

قضى صريع القدود الهيف والمقل

(وقال بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله)

للعاشقين بأحكام الغرام رضا

فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا

روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا

عهد الوفا الذى للعهد ما نقضا

قف واستمع راحما أخبار من قتلوا

فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا

رأى فخب غرام الوصل فامتنعوا

فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال جرير)

ان العيون التى فى طرفها حور

قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله اركانا

(وقال آخر)

مازال يهوى المقلا * قلبى الى أن قتلا

الحمد لله الذى * مات وما قيل سلا

(وقال آخر)

ترى المحبين صرعى فى ديارهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

قوم اذا هجروا من بعدما وصلوا

ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

(وقال محمد الواعظ)

دعا لومى فلومكما معاد

وقتل العاشقين له معاد

ولو قتل الهوى أهل التصابى

لما ماتوا ولو ردوا لعادوا

(خاتمة الكتاب فى ذكر من مات من حبه وقدم على ربه) من صغير وكبير وغنى وفقير على اختلاف ضروبهم وتباين مظلوبهم ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب لا تواصل منه الى وكدت

وكدت وهو ضجيعي ان أقول له * من شدة الحب قد ابعدت فاقترب
(ابن الرومي) أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى
والثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * تشفيه مما ترشف الشفتان
ولم يشف مقدار الذي بي من الجوى * سوى ان ترى الروحان يمتزجان
(خالد الكاتب) كانني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجا * حسبتنا في جسد واحد
(نفطويه النحوي)
ولما التقينا بعد بعد مجلس * نغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه * فلم نفترق حتى توهمته بعضي
(ابو بكر الاربلي)
هم الرقيب ليسعى في تفرقنا * ليلا وقد بات من أهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى * فذرأى واحدا ولي على حنق
(وقال بعضهم) توهمواشينا بليل مزاره * فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا * فلما أتانا ما رأى غير واحد
(ابو الفضل)
سقينا العيش مضى والدهر يجمعنا * ونحن نحي عناقا شكل تنوين
فصرت اذا علقت كفي حبائلكم * بسهم هجرك تنوى ثم تنويني
(ابن سنا الملك) وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي
وبتنا كجسم واحد في عناقنا * وكالحرف في لفظ الكلام المشدد
قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قال في الخط لحسن مطلوبه واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم انا اشعر منك حيث اقول
الا رب ليل ضمنا بعد هجعة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
و بتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب
فقال احسنت ولكني اشعر منك حيث اقول
لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد اذجسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه * نوما فما انفك لاخد ولاعضد
(بشار بن برد)
ومرتجة الاعطاف مهضومة الحشا * تمور بسحر تي فيها وتدور
اذا نظرت صدت عليك صبابة * وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دوني حاجب وستور
وكلام بشار وان كان في الحقيقة اصلا للبيتين الا ان ابن الجهم تلطف حيث ابدل الماء بالخمر لانه اشد نفوذا واما ابن عروس فلا الطف منه اذ لا شيء اشد سريانا من النوم وحاصله انه يمكن الجمع بين اهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لم يقف على غاية في المطلوب

ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا اشرع في ذكر مصارعهم وعرض بضائعهم اذ منهم الخاسر والرابح والصالح والطالح (فمنهم شقي وسعيد) ومنهم قتيل وشهيد (فمنهم شقي وسعيد) * (حكى) ابو الفرج ابن الجوزي قال ذكر لي شيخنا ابو الحسن علي بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم ألق فلانة في الدنيا واخشى ان أموت على الاسلام ولا القاها فتنصر فمات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما لقيت صاحبي في الدنيا واريد أن ألقاه في الاخرى وانا اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قالت لم أسمع بأغرب من هذه الحكاية ولا أعظم من هذه النكاية قد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب فابتلى من فراق محبوبته ودينه بداءين ودارت عليه دائرة السوء في الدارين وكيف لا وقد ورد بكساده في الحب دار البوار واصبح بكفره واسلامها على شفي جرف هار
سارت مشرقة وسرت مغربا
شتان بين مشرق ومغرب
ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدي يرثي حبيبا له نصرانيا واحسن ما شاء حيث قال
أخي بوداد لا اخي بديانة
ورب أخ في الود مثل نسيب
وقالوا أتبكي اليوم من ليس صاحبا
فقلت إن هذا فعل غير لبيب

باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش وغمام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع فى ضيق القفص ومن صقاله الزمان فحين عن مطلوبه فهو زاهد فى محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الاول لقد صار يشفينى الهوا الممزجه * بانفاسها من ان داقى من الهوى
و يفرحنى ماجد فى الصبح والمسا * لانى واياها بمدركة سوا
ومن الثانى رب ليل ضممتها فيه حتى * لو فرقنا كناهيولى وصوره
مع انى سألتها القرب منى * بخضوع وان تمن بزوره
وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكرى اذ لا يتصور افتراق الهيولى والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا ابلغ منه

(فصل فى ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه و يرضى باليسير كالكفاف ولو كان ذلك يفضى الى التلف وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها نظامه سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى ادراك دقائق نفحاته فقال
ونافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
ومن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل
فانظر كيف أضرب عن ذكر ماسوى النفس وان عز وأمر ببذلها من بادئ الرأى فكم طوى فى ذلك من المراتب وهذا فى الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله
بكل قبيل كم قتيل بها قضى * أسى لم يفز يوما اليها بنظرة
فانه اشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهى السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشئ اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واوضحه قوله
بحيث ترى ان لا ترى ما عددته * وان الذى اعددته غير عدة
فانه يقول ان هذا المرام لا يعظم عنده شئ ومتى عد الشخص بذلا لنحو نفس فقد جعل له شيأ بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه فى هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولو الالباب فلنرجع الى كلام المترجمة (الطغرائى)
لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار والكلل
(ابن خفاجة) وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
فغالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست بهالات البدور ديارا
(ابن بسام) لقد صبرت على المكروه أنفسنا * من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم * لولاك ما كنت أدرى انهم خلقوا
(وقال آخر)
يغوص البحر من طلب اللآلى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام عنه * لقد أطمعت نفسك بالمحال
واعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء وامام

فقلت لهم هذا أوان تلهفى
وشدة أعوالى وفرط تحببى
ومن أين لى أبكى حبيبا فقدته
اذا خاب منه فى المعاد نصيبى
وكان هذا النصرانى موسوما بالجمال خمارا فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به وأقام ببابه فى الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة فى الاعياد والحدود وطول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم أن عليه قسما شديدا أن لا يكلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فا فتصد فى احدى يديه ودعا فاصدا آخر فافتصد فى اليد الاخرى ودخل داره وأغلق باب بيته وفجر الفصادين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذى هو فيه فادركوه وقد أشرف على الموت فصالحه محبوبه النصرانى خوفا على نفسه (ومن شعره فيه)
انظر الى الشامة فى خده من
ألحاظه بالسيف جراحه
كأنها من حسنها اذ بدت
حبة مسك فوق تفاحه
(ومنهم شهيد)
ذكر التميمى فى كتاب الامتزاج عن أبى زيد النحوى عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا فى بعض المنازل ذكر لى ان فيه راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت اليه فوجدته فى حجرة وعليه زى المسلمين فسألته عن سبب اسلامه فحدثنى انه كان فى هذا الدير جارية نصرانية من بنى تغلب كثيرة الاموال وانها هويت غلاما مسلما فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يأبى عليها فلما أعيتها الحيلة أعطت رجلا مصورا

هذا الشان والمنفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائى فاراد قتله واشهر شفقة على المملوك من الالسنة ان الطغرائى ملحد فشده الى شجرة وامران تفوق اليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم والمملوك امام الكل ثم أمر رجلا يسمع ما يقول الطغرائى وهو لا يشعر فاذا هو يقول

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي واطراف المنية شرع
والموت فى لحظات احور طرفه * دونى وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش فى فؤادى هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لولم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فاطلقه ورفع شأنه (ابو عطاء السندى)

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما ادرى وانى لصادق * بداء اعتراني من حبابك ام سحر

(عنترة العبسى)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(الطغرائى) انى لاذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرف بالزلال البارد
واقول ليت احبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم) ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(ابن رشيق) ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وادبم وجهى قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما يليق وانه * ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضى)

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى ألذ تناج

(ابو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل فى رداء مذهب
سامى السماء فمن تطاول نحوه * للشمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلمع بالنفوس وخاطرى * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(الصفى الحلى) ولقد ذكرتك والعجاج كانه * مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل فى جندل * منا وبين معفر فى مغفر
فظننت انى فى صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت ارض الكفاح كانما * فتقت لنا ارض الجلاد بعنبر

مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فما زالت تأتى كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ماتحب منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على ذلك مدة فتوفى الغلام فعلمت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وبكت الى ان أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

يا موت دونك روحي بعد سيدها
خذها اليك فقد أودت بما فيها
اسلمت روحى للرحمن مسلمة
ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها
يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا
محبة لم تزل تشفى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه واخذوا ما لها فبت مغموما بما آل اليه أمرها فرأيتها فى المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

أصبحت فى راحة مما جنته يدى
و بت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا
قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابنى رحمة منه واسكننى
مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذى صارت اليه خير من الذى أنا عليه فاسلمت واسلم معى اهل الدير فكانت رحمها الله السبب (ومنهم شهيد) وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين

(وقلت) لقد رد روحي عندما رام نزعها * ملائكة ذكراك حين تلوته
فلولم يكن موت البرية لازما * اذا فرغت آجالهم ما نسيته

(تتمة) تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها التلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة واثارة ما قرمن البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعدما حال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوي الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته افكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته فى هذا الباب اذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) ان اغزل بيت للمتأخرين قول بشار أنا والله اشتهي سحر عينيـك واخشى مصارع العشاق

(شمس الدين بن العفيف)

يحكي الغزال مقلة والفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
احسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن احق بالحسن فمن
فى ثغره وشكله وخده * الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهود يومئذ بها الحلى اقترح عليه بعض اعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما * على ربوع للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكا * لما تذكرنا بهن من سكن
وكم اقمنا بالبكاء مأتما * اذبعتهم روحي بغير ما ثمن

فاستحسن الجل ابيات الحلى ودامت الناس مدة طويلة مفترقين فى ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه اهل الادب فمن الاول قول ابن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(وله ايضا) قالت وقد ابدى جبينا واضحا * وفوقه ليل دلال قد سجا
افدى الذي جبينه وشعره * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران) ظباء اعارتها المها حسن مشيها * كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك الشئ جاءت وقبلت * مواطئ من اقدامهن الغدائر

(اسمعيل السكندري) لم ار قبل شعره ووجهه * ليلا على صبح نهار عسعسا
والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

(حسام الدين الحاجري)

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى فى ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي فى خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

(ابن الصائغ) مشى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين اطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم ار مثل ذاك الفرع اصلا

أبو عبد الله مغلطاى اجازة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت فى الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا وله ولد يكنى أبا يزيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتى الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس موزونا ولا معنى له ملخصه ان حاكما من حكامهم اخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث فى الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث أن جماعة قتلوا فى المعركة فقال له ابو يزيد يا مولاى كيف قتل هؤلاء قال له ماتوا فى سبيل الله تعالى فقال أمولاى وانا الآخر اموت فى سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان فحسبوه يتوله فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لى غير واحد من شاهده

(ومنهم شهيد)

ذكر ابن داود فى كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرئ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته له هجرته فزال عقله واشرف على التلف وصار ترحمه الناس فلما بلغها ذلك اتته فأخذت بعضادتى الباب وقالت كيف تجدك يا امرأ القيس فقال

ولما رأتنى فى السياق تعطفت
على وعندى من تعطفها اشغل
اتت وحياض الموت بينى وبينها
وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم اغمى عليه فمات (ومنهم شهيدان) ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن التغلبي قال كان رجل من اهل الادب والطرب يقال له على عشقته جارية من

(السراج الوراق) ذو طرة يعيذ هارب الدجى * وطلعة يعيذ هارب الفلق
الماء والنار معا في خده * اما ترى الماء طفى ثم احترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيبا كيف لم يظهر الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبي) كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(آخر) برزت فقابل ناظري من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل

(ابن المعتز) سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت في ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

(البجلي) رقت محاسنها ورق اديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر

(الخبزراني) رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي منهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب * وكنت اظن الحبيب القمر

(التهامي) وفي كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن ما في اجمل الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(آخر) ارى سهم لحظ تحت عقرب سالف * وكيف نجاتي بين سهم وعقرب
وألحظ ما طلته باللحظ من دمي * على وجنتيها والبنان المخضب

(وقال) لله بالناس لطف في معايشهم * لولاه لم تر موجودا من البشر
اذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم * للشمس في نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون به * من المتاعب ابدى مسبل الشعر

(ومن الثاني قول ابن نباتة)

وأغيد جارت في القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا في حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او ادنى

(الوأوا الدمشقي)

يامن هو الماء في تكوين خلقته * ومن هو الخمر في افعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمي * والسيف ما فخره الا بزرقته
ءامت انسان عيني ان يعوم فقد * جارت سباحته في بحر دمعته

(علاء الدين الوداعي)

رمتني سود عينيه * فاصمتني ولم تبطي وما في ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطي

(الصلاح الصفدي)

بسهم اجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

(ابن نباتة) نسبوه حسنا للهلال وحسنه * للبدر ينسب لا بليت ببينه

جواري القينات ووصلته فكان يظهر لها ماليس في قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم تزل على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها في المنام ليلة وهي تقول له

أتبكي بعد قتلك لي علي
فهلا كان ذا اذ كنت حيا
سكبت دموع عينك لي وفاء
ومن قبل الممات تسيء اليا
فيا قمرا برى جسمي وروحي
وأهلكني وما أبقى عليا
أقل من النياحة والمراثي
فاني لا أراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكا حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله (ومنهم قتيل) أخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ المذكور اجازة قال حدثني طقطاي مملوك نائب الكرك الساكن بالخمر نفسا ان أخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تحبه وجدا شديدا وولدت له ولدا وأقامت عنده مدة سنين فحنث فيها يوما فلما بلغها ذلك ألقت نفسها من سطح دارها أسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اصبعها بالتشهد واستشهد بحضوره علاء الدين استاذ دار نائب الكرك وغيره من الساكنين هنالك فقالوا نعم هي قصة معروفة في تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا احينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه وأسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا (ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بأبي الفتح الاعور يجلس في مجالس أبي عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قراءة

فاذا بدا قالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

بابى سلطان حسن حسنه * لقتال القلب فى الحب نوى
صال فى العشاق منه ناظرى * هو والسيف على حد سوى

(ابن نباتة)

ويح قلبي من كاسر الطرف أضحى * فيه قلبي كما ترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عنى * وكذاك السيوف تحمى الثغورا

(الصلاح الصفدى)

سيوف الحاظه المرضى سفكن دمى * ولم يطق دفعها حولى ولا حيلى
لولا السقام الذى فيها لما فتكت * ورب ما صحت الاجسام بالعلل

(الفرزدق) ومقلة شادن اودت بنفسى * كأن السقم لى ولها الباس
يسل اللحظ منها مشرفيا * لقتلى ثم يغمده النعاس

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت بانى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين ابن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملاله * منى وان وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(أمين الدين كاتم سر الشام)

ان كان قيد هواك اطلق ادمعى * فوكيل شوقى عاجز عن حبسه
اوكان منك الطرف اسهر ناظرى * فلكل شئ آفة من جنسه

(الصلاح الصفدى)

غزال من الاتراك ماضاق لحظه * لحظى الا كى تضيق مذاهبى
كان الحشى طير وكاسر لحظه * تصيدها من جفنه بالمخالب

(ابن اسد الدين)

الى الله أشكو حب أهيف فاتن * وقمت فمالى من يديه خلاص
جرحت بلحظى خده وهو جارح * بلحظيه قلبى والجروح قصاص

(وقلت) يقولون ان الشمس تحرق كل ما * تحاسده من كانسات الكواكب
فها خدها المريخ مع شمس وجهها * قد اقترنا فى سمت قوس الحواجب
نعم قضيا لى بالشقاوة منهما * بسهم لحاظ عاقنى عن مطالبى

(ومن الثالث قول ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(الصنوبرى)

ذات خد يكاد يدميه وهم * من مشير بالجد او بالمزاح
فى بياض وحمرة فكان قد * صيغ حسنا من ماء مزن وراح

حسنة وصبي يقرأ ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفى بلى بلى دفعات وأغمى عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع فى صحن دار كنت أنزلها فلم يفق الصوفى الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية فى الكرخ تقول فى القضيب

وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتى الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان أغمى عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخى واستفاض الخبر بهذا وشاع وأخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهى

يا بديع الدل والغنج
لك سلطان على المهج
ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتى الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى ما لهم فى ذلك من المعانى وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار (ومنهم قتيلان) قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكرونى له فاحضرنى بين يديه فلما رأى قبح صورتى كره النظر الى وأمرلى بعشرة آلاف درهم فأخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحق بن ابراهيم الموصلى وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته وكنا بسرمن رأى فركبنا فى الحراقة وكانت دجلة فى غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فلما كانا

(محمد بن ياقوت) مالى بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لى
حمرة خديه من دمى صبغت * ويدعى انها من الخجل

(علاء الدين المدنى)

ياحسن وردطغى فى ماء وجنته * فزاد أهل الهوى فى حبه شغفا
وراح يجنى ثمار الوصل عاشقه * لما تمكن من خديه واقتطفا

(وقال آخر) وأغيد تدمى وجناته من اللمح * تحاقق الامن صدودى بالشح
غدا قائلى ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(كمال الدين بن النبيه)

صنعة الكيمياء صحت لعينى * حين يزداد اذ تراه احمرارا
فاذا ما ألقيت أكسير لحظى * فى لجين الخدود عاد نضارا

(مظفر الاعمى) قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وخال بينهما ماء ومن عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال بعضهم) فتنت بتركى جانى عناقه * عقارب صدغيه على خده صرعى
ألم ترأنى كلما رمت لثمه * تخيل لى من سحرها انها تسعى

(عز الدين الموصلى) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن الوردى)

قال من أهواه صف صدغى بما * فيه توجيه وحببه الى
قلت ان الصدغ لام قد كوى * نصبها قلبى فهذى لام كى

(برهان الدين القيراطى)

عنقود صدغ الذى أهواه تيمنى * وقال لى ريقه لما رأى وصبى
ان كان فى الصدغ عنقود فتنت به * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

(وقال آخر) وبين الخدو الشفتين خال * كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى الرياض فليس يدرى * أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

(الصلاح الصفدى)

بروضة خده الحمراء أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة)

بروحى فاتر الالحاظ الى * ملى الحسن حالى الوجنتين
له خال على دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمسانى)

أدنته لى سنة الكرى فلثمته * حتى تبدل بالشقيق السوسن
مارام منى الابلال الخال من * خديه فى صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الخيمى)

وعذولى لج فى عذلى اذ * لم ير الخال على الخد الاسيل

ثم امر بالنبيذ والغناء فناشدته ان لا يفعل فابى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوادة ماسمعت احسن من صوتها ولا احذق منها بصناعة الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى انا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا * ماان أرى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو
ن ويبعدون فيصبرونا
وتراهم مما بهم * بين البرية خاضعينا
يتعذبون ويظهرو * ن تجلدا للعاشقينا

فقالت لها العوادة يافاجرة فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيديها فى الستارة فهتكتها وبدرت علينا كالقمر ثم القت نفسها فى الماء وكان على رأس محمد غلام رومى الجنس يضاهيها فى الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما رأى ما صنعت الجارية ألقى المذبة من يده واتى الى الموضع الذى طرحت نفسها منه ونظر اليها وهى تمر بين الماء فقال

انت التى عرفتنى
كيف القضا لو تعلمينا
لاخير بعدك فى البقا
والموت ستر العاشقينا

ثم القى نفسه فى اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم ير احد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله الامر ثم قال ياعمر لتحدثنى حديثا تسلينى به عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى امير المؤمنين

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(شمس الدين الصائغ)

بروحي أفدي خاله فوق خده * وما أنا ذو مال فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

(جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان مهدي بأن الخال لا يرث

(الصلاح الصفدي)

أفدي حبيباً له في كل جارحة * مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ابن الوردي) لحبيبي شامة في خده * لا علا شان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد * نسيت في خده انسانها

(وقال آخر) يا سالبا قمر السماء جماله * البستني في الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

(ابن تميم) رأيت حبة قلبي حين لاح لها * محبوبها نفرت من حر أفكاري
ثم استجارت بخد منه فهي به * كالمستجير من الرمضاء بالنار

(وقال بعضهم) له على حاجبه شامة * تنزهت في الحسن عن عائب
مثل طواشي زاد في حقه * يعلو على الناظر والحاجب

(تقي الدين بن حجة) قلت للخال اذ بدا * في نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

(وقال آخر)

غدا خاله رب الجمال لانه * على عرش كرسي الخدود قد استوى
وأرسل في الاصداغ رسلا أعزة * على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر) يريك بوجنتيه الورد غضا * ونور الاقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

(وقال آخر) أبو طالب في كفه وبخده * أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله * الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وقال آخر) لهيب الخد حين رآه طرفي * هوى قلبي عليه كالفراش
فاحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشي

(القيراطي) انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم * قد راحت الارواح فيه اغلاط

(وقال آخر) ومهفهف يحمي ورود رضابه * بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية * في خده سطرا من الريحان

(أبو غالب) سأصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء فليقض الدليل كما أقضي
ألا انه كاللام واللام شأنها * اذا اتصلت بالاسم صار الى الخفض

ان يخرج الى جاريته فلانة تغني ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وامر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول برسول آخر يأمره بان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فامره بالجلوس بعد ان لم يبق احد من بني أمية حتى خرج ثم امر بها فخرجت ومعها عودها قال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي

قال فغنت قال له يزيد قل الثاني فقال لها غني

تألق البرق نجديا فقلت له
يا برق اني بروحي عنك مشغول

قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لي برطل من شراب فأمر له به فلما شربه أشار اليها بأبيات فغنتها ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أكان الأحمق يظن اني أخرج اليه جاريتي تغنيه وأردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى اهله ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة في وسط دار يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها من بين أيديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت (ومنهم قتيل) حكى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له جار قبل ذلك رأيت جاري البارحة في النوم فقلت له ويلك

(البدر الدماميني) تحدث ليل عارضه بأني * سأسلوه و ينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى * حديث الليل يمحوه النهار

(سيدي أبو الفضل ابن وفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حمى حما

(ابن النبيه) جنت بمنظره البديع عيوننا * فتسلسلت مدافع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره * فعجبت للجنات في النيران

(تاج الدين اليماني)

بخلت لواحظ من رآني مقبلا * برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه * يخشى العذار لانه نمام

(الصلاح الصفدي)

عذارك والطرف يا قاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(الطنبغا الجاولي)

عذارك والطرف قد أظهرا * جميع الذي فيهما يرمز
واني بصان الهوى عنهما * وهذا ينم وذا يغمز

(وله أيضا) من قال عما قد بدا في خده من * أجيده شعرا به ما انصفا
هذاك نمل رام شهدة ريقه * فرأى تلهب خده فتوقفا

(محمد بن الرعاد)

أعد نظرا فما في الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

(عز الدين الموصلي)

لقد كنت لي وحدي ووجهك جنتي * وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ريقك شارب

(ابن نباتة) واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لا يجيب دمعي * وسائل لا يجيب سائل

(الشهاب الحجازي)

سال العذار بخده فاذا الـ * ـمبيض في خديه مسود
ولسان حال الخد ينشدنا * هل بالطلول لسائل رد

(الزين المصري)

ان ماس فالغصن بالاوراق مستتر * أو لاح فالبدر بالانواء محتجب
عذاره بسواد القلب منتقش * وخده بدم العشاق مختضب

(وقلت) يا وجنة من تحت أصداغها * لانفس العشاق كم تجتذبي
وهاجية كادسنا برقها * يذهب بالابصار لم تحجب
أهل المجسطي لو رأوها قضوا * بشرف المريخ في العقرب

مالك مت قال لانك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فمت وأنشدني

سيدي شمت أتانا * عند باب الاصبهاني
تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبغنج ودلال * سل جسمي وبراني
ولها خد أسيل * مثل خد الشيقراني
فبها مت ولو عشـ * ـت اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا أبا معاذ ما الشيقراني قال هذا من لغة الحمير فاذا لقيتم حمارا فسلوه (قلت) وذكر جماعة من أهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي منصور وكان له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر أصاب حمارا أسود فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبي ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غيرك وأنا أتوقع ان تركبني وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت أعثر به عمدا فكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفورا أتشتهي الاتان قال لا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا نزل عنه بعث به في حاجته فيأتي باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فصارت قبره (ومنهم قتيل) (قال محمد بن هرون) حدثني فيما أذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت

(وقلت) ياعجبا للخال فى خدها * كيوان بالمريخ يستمسك
نحسان دلا فى اقتران على * ان دم الصب هنا يسفك
يا مطلب طلسمه مانع * هل مطلب الا له مهلك
(وقلت) سألتها عن بياض * فى وجنتيها وحمره
اذا طربق اجتماع * قالت وراية نصره
(وقلت فى العذار)
جرى الخلف فى نبت العذار فذاهب * الى انه مسك على الورد منثور
ومن قائل آس فقلت كلاهما * غدا مصلحا للورد اذ فيه كافور
(ولبعضهم) ولا تحسبن الخال فى الشفة التى * يتيه بها المحبوب نقصا ولا خال
ولكنه ختم على ما بثغره * من الدر والياقوت والخمر والعسل
(ومن الرابع قول بعضهم)
سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فها كها فى الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه
(وقال آخر)
وموعدي بقلة * ارشفها من مبسمه سوف بى ولم يزل * يوعد لكن بفمه
(وقال آخر)
ذكرت ريق حبيبى * بشرب راح معطر وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر
(جمال الدين بن نباتة)
وأغيد فى فيه المدام ولحظه * وفى وفى اعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضابه * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
(وقال آخر) نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه حقا عن صحاح الجوهرى
(الصلاح الصفدى) يا ثغره ليس الثناى التى * تفضى بغير الانجم الغر
فليقل المسواك ما عنده * فهو عن الضحاك والزهرى
(ابن قلاقس) جمعت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خملته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق
(وقال آخر) خد وثغر فجل رب * ببدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدى يروى * وذاك يروى عن المبرد
(شمس الدين بن الصائغ)
بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عنى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ريقه وهو بارد
(الصلاح الصفدى)
رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر
(ابراهيم بن المعمار)
عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا

المكبة فجعلت تضطرب تحت المكبة حتى كادت أن تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فجاءت فلم تزل تضطرب فى دم الذكر حتى ماتت (وقال) أبو عبد الله محمد بن محمد التميمى فى كتاب امتزاج النفوس ليس فى جميع الطير أوفى من القمرى والقمرية وذلك انه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا فردا الى أن يموت (ومنهم قتيل) ذكر الكيحى فى تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم فى المحبة فى المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات (ومنهم شهيد) ذكر العتبى قال جلست يوما وعندى جماعة من أهل الادب فنزع بنا الحديث الى أخبار العشاق وفى الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لى ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتى فحضرت فى بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى
على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا

فقال لها أحسنت يا سيدتى أتأذنين لى أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلى بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتى كلامى نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك منها فقمت فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فاخذنا فى

فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت بسم الله في النظم أولا

(الصلاح الصفدي)

أحببته كالغصن كم شاعر * له عليه نوح ورقاء
وثغره الصادي من حسنه * مجاز في تشبيهه الطائي

(يوسف بن مسعود)

رأى ثغر من أهوى عذولي فلامني * ولم يدر ان اللوم في حبه يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجي) لله ثغر للحبيب تجمعت * في ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله المسك الختا * م وفيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدي)

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
بسبحة من جوهر أودعت * حق عقيق ختمه مسك

(ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في التثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد) أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة * أشفي بها من كبدي حره
فقال أخشى ياشديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

(الحريري) نفسي الفداء لثغر مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين) ياغزالا اروى الغواية رشدا * في هواه واحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدرا * يفتر عن نجوم الثريا

(ابن سنا الملك) له فم منعه ضيقه * ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم
ما فهمه ميم ولكنه * علامة الجزم على الميم

(وقال آخر) كان على انيابها الخمر مجه * بماء الندى في آخر الليل عابق
وماذقته الا بعيني تفرسا * كما شيم من أعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس) لئن كان من لؤلؤ ثغرها * فان له صدفا من عقيق
وان كان من أقحوان النبات * فان مشاربه من رحيق

(أبو العشائر) ثغر كلمع البرق حسن بريقه * يشفي فؤاد المستهام بريقه
قد بت ألثمه وارشف المنى * من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر) بأبي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بانه عذب
كشهادتي لله خالصة * قبل العيان بانه رب
والعين لا تعيا بنظرتها * حتى يكون دليلها القلب

جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها قول ابنتي ففعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد (ومنهم شهيدان) ذكر الشيزري في روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخبز فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فأبى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فأبى فسلطت عليه الصغار فاثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب قالت فأخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما أردت ادخلها منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيأ عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا لي ولك وأنا لا أدخله الا بك والى خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره وماتت في الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامي (ومنهم قتيل) ذكر أبو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهي تقول أين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك أظهرت له السرور وقالت يشتهي أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا ليأتيها بما سألت وغفل عن الباب فلما عاد وجدها قد خرجت فكثر ولهه بها فكان يمشي في

(ابو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاوية وهو الصحيح)

واستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وسأذكرها فى الغزل المطلق وأما بيت أبى عبادة الذى بنى عليه الحريرى المقامة الحلوانية فهو

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد او اقاح

(الحريرى) سألتها حين زارت نضو برقعها الـقانى وايداع سمعى اطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا * قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

واقبلت يوم جد البين فى حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

(وقلت) أقول لمن بالطب أصبح جاهلا * مقالا صحيحا قيما غير ذى عوج

يرى ثغرها خضراء لى ذى حرارة * لان به شهدا مع الخمرة امتزج

أغرك أن الخمرانى مزجتها * بشهد أتت بالحر فى رابع الدرج

أما اعتدلت اذجاورت برد ابه * تنضد والجريال فى ذلك الفلج

وهبك جهلت الطبع ماذا تقول فى * عقيق وبلور معا فيه قد نسج

و بينهما خلف طويل مفصل * بكتب أرسطو والذى قبله درج

(وقلت) أرى ريقها عند الشفاء لكل ما * تعذر من داء عن البرء أو فسد

عليك به فهو النجاة لشارب * وان جاوز القانون فيه أو اقتصد

فهذى اشارات كفت كل عاقل * وان قيل شئ غيرها ليس يعتمد

(وقلت) عجبت من المسواك يرشف ريقها * مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع

ويبقى جمادا كيف لم يحى بالحيا * وتفنى الليالى وهو أخضر يانع

رضاب يقوم الميت ان شم عرفه * ولو قطعت اوصاله والاضالع

فقال خشيت الهجر منها فعاقنى * فحسبك عذر فى جوابى قاطع

بنفسى ثغر قلت اذ لاح نوره * ابرق بدا من جانب الغور لامع

و برد رضاب قلت عند وداعه * زمان اللقا بالخيف هل انت راجع

وقد أكثروا من هذا النمط اعنى التشبيب بالوجه وأعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وأبهج وأعلى وألطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت او بيتان او أكثر فى عضو بعينه أما فى ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما اشرطنا وأما مطلق القامة بما فيها فأكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من ان اول من وصف الثدى عمرو بن كلثوم

وثدى مثل حق العاج رخص * حصان عن اكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيرا غاية الامر ان المتأخرين الطف فن وصفهم الجيد فى ضمن غيره قول بعضهم

لها جيد أم الخشف ريعت فأقبلت * ووجه كقرن الشمس ريان مشرق

وعين كعين الظبى فيها ملاحة * هى السحر أو ادهى التباسا وأعلق

(دعبل) أتاح لك الهوى بيض حسان * سلبنك بالعيون وبالنحور

نظرت الى النحور فكدت تقضى * فاولى لو نظرت الى الخصور

(ابن الرومي) صدور فوقهن حقاق عاج * وحلى زانه حسن اتساق

يقول

الطريق ويقول

يارب قائلة يوما وقد جهلت

كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقى على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها

حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يارب قائلة يوما البيت حتى مات (ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم الشروطى فى كتاب التسلى عن أبى الفرج الصوفى وغيره انه كان عندهم رجل صوفى يعرف بابى القاسم الشواء وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع و يجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة فى ذلك قال فبينما هو يرعى يوما عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغنى فى حقل

أن هواك الذى بقلبى

صيرنى سامعا مطيعا

أخذت قلبى وغمض طرفى

سلبتنى العقل والهجوعا

فابعد فؤادى وخذ رقادى

فقال لا بل هما جميعا

فراح منى بحاجتيه

وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبى وأقبل نحوه كيف قلت فقال جيد وكان يقال له حميد الفاخورى فتردد اليه ثلاثة أيام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف فى منزله عليلا يصيح فؤادى فؤادى الى ان قضى عليه (ومنهم شهيدان) ذكر المفضل الضبى عن كامل انه عشق أسماء بنت عبد الله بن

يقول الناظرون اذا رأوها * اهذي الحلى من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي * قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد ليس يعدوهن عيب * سوى منع المحب من العناق
(المهلبي) أقاتلتي بفتور الجفون * ورمانتين على معصر
كحقين من لب كافورة * برأسيهما نقطتا عنبر
(الرفاء) ومن وراءه بجوف الحي شمس ضحى * تجول في جنح ليل مظلم داجي
مقدودة حفظت ايدي الشباب لها * حقان دون مجال العقد من عاج
(الثعالبي) قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقد مصطبري
كأنه والعيون ترمقه * عمود صبح في دارة القمر
(وقال بعضهم) كان الثدايا اذا ما بدت * وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة * يسعن من المسك شيأ يسيرا
(الحسن بن هانئ)
بأبي غادة تميس بقد * تنثني فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت * غصن قد ذي قد اثمر الرمانا
(وقلت) اذاب لهيب الخد منها بناره * لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذاك برأي العين اما ملابس * فلاسين حرير والنهود من الدر
ومن اوصافهم في الارداف والخصور بالضمية كما سبق قول عبد الوهاب السنذوبي
قام فكادت ابن اعطافه * تقصها الارداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه * وبعضه جار على بعضه
(ابن قزل) واهيف القد بت اشكو * له تلافي وما تلافى
فمال عطفا ورق خصرا * وانما ردفه تجافى
(آخر) ياخصره كم جفاه * تبدي وأنت نحيل
ياردفه ملت عني * ما انت الا ثقيل
(ابن مكانس) كسلت ارداف حبي * فدموعي تتوالى
ايها المحبوب فارحم * رب دمع فيك سالا
(الصلاح الصفدي)
اقول له قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غني
وقال الذي اهواه خصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى
(سيف الدين المشد)
مهفهف القد نحيل الحشا * يسبي الورى عمدا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في الطويل العريض
(ابن سنا الملك)
تلاعب الشعر على ردفه * اوقع قلبي في العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل
(ابن الوردي) اذا قيل ما ردفي وشعري اجبته * كثيب مهيل فوقه حية تسعى

مسافرا بنة عمه فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي فشكا أبوه الى أبيها خالد فامر بحمله الى داره ليزوجها به ولم يعلم بكامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه قالت والله لاموتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لاشقق نسائها اعلميها صورتي الى مثاله فاني احب ان أزوره قبيل موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب أبو الفتاة الى أبيه ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسي هما ما امتعا بهواهما
على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة
فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبر الحبه
و يا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم شهيدان) ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغساني تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملكا شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثقل منها

ألا ليت شعري عن غزال تركته
اذا ما أتاه مصرعي كيف يصنع
فلو انني كنت المؤخر بعده
لما برحت نفسي عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال من يلي امرها زوجوها لعل لسانها ينطلق و يذهب حزنها فانما هي من النساء فزوجوها بفتى

وان قيل هل ترعى عذارى موريا * اقول له اى والذى اخرج المرعى

(الصلاح الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * وغدا على اقدامه يترامى

(البهاء زهير وهو مما شاع ولم نره فى ديوانه)

حبذا نفحة ريح * فرجت عنى غمه * ضربت ثوب فتاة
اظهرت تيها وحشمه * فرأيت البطن والسرة والخصر وثمه

(الباخرزى فيما يكتب على التكة)

لم لا اتيه ومضجعى * بين الروادف والخصور * واذا نسجت فاننى
بين الترائب والنحور * ولقد نشأت صغيرة * باكف ربات الخدور

(بشار) نظرت فى القصر عينى * نظرا وافق حينى
شترت لما رأتنى * دونه بالراحتين * فضلت منه فضول
تحت طى العكنتين * ليتنى كنت عليه * ساعة او ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدى دخل على بعض جواريه وهى مجردة فلما استترت منه بيديها افاض عنهما فانشد * نظرت فى القصر عينى * وارتج عليه فاستدعى بشارا فقال له اجز وأنشد الابيات

(العباس بن الاحنف)

ومثلك لم ار فى العالمين نصفا قضيبا ونصفا كثيبا
وانت اذا ما وطئت الترا * ب كان ترابك للناس طيبا

(ابو الحسين الجزار)

وكم ليلة استغفر الله بتها * بخد وثغر بين ورد وجريال
سرت راحتى غورا ونجدا الى الضحى * وما ذاك الا فى خصور واكفال

(الصفى الحلى) اذا انثنت باعطاف يجاذبها * مدار غصن من الكثبان مغمور
رأيت امواج ارداف اذا التطمت * فى لج بحر بماء الحسن مسجور

(وقال آخر) واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود
وتموجت كثب الروا * دف تحت اغصان القدود
شاهدت فى ايدى الظبا * قياد اعناق الاسود

(ابن نباتة) سألت النقا والبان ان يحكيا لنا * روادف او اعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

(الصلاح الصفدى)

اقول وقد نامت على حر وجهها * ومالى عليها فى الظلام دبيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب

(ابن أبى حجلة)

مالت كغصن مع الارواح مياس * مصرية الحلى تبدو لى بمقياس
ما جن ليلى وأمسى حليها قلقا * الا وثار بها جنى ووسواسى
ولا بدا ردفها الراسى اذا قعدت * الا وباتت يدى منه على راسى

ابناء الملوك فساق لها ألف بعير فلما كانت الليلة التى اهديت اليه فيها اقامت على باب القبة وقالت

تقول رجال زوجوها العلها
تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت فى النفس التى ليس بعدها
رجاءلهم والصدق أفضل قيل
وحدثنى اصحابه أن مالكا
صروم كماضى الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت * (ومنهم شهيدان) * قال احمد بن محمد الغنوى فيما ذكره فى ذم الهوى دخلت الكوفة فعانى ظرفاؤها فقالوا ههنا فتيان تحابا وقد اعتل احدهما فتريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر فى وجهه فلما رآنا فرج انسانا عن صاحبه فجلس اصحابى حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أواه قال الصحيح أواه فاذا قال العليل أواه من فخذى قال الصحيح أواه من فخذى واذا قال أواه من يدى قال الصحيح أواه من يدى الى أن قالوا قد قضيا رحمهما الله فشد اصحابى لحيى العليل وشددت لحيى الصحيح وما برحنا حتى دفناهما (ومنهم شهيد) قال أبو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندى وابو زبيد الطائى يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هو وام البنين بنت عبد العزيز ابن مروان صغيرين فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت بالوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح

شمس الدين بن جابر النحوي وهو الشهير بالاعمى والبصير في شرح الالفية يعني باعتبار البصر في الاول والبصيرة في الثاني وبالعميان في البديعية يعني انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفي العلة حتى رأيته في كلام العلامة السيوطي رحمه الله تعالى

مقدمة الارداف ركب فوقها * مقدمة الخصر الذي هو ذابل
فتم قياس الحسن لما تركبا * وجاء على النظم الذي هو كامل
فانتج حسنا لم يلم فيه عاشق * بوجه ولم يوجد من الناس عاذل

(وله ايضا) سبب خفيف خصرها وورائه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

(وله ايضا) ردف يقيم لنا بها فتن الهوى * واذا أبت لتقوم قال لها اقعدي
أبصرتها من بين ذلك وبين ذا * فوقعت منها في المقيم المقعد

(وله ايضا) تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وقته اجفان
خد عليه رياض الحسن قد خلعت * وفي حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبري في هواه ومن * توقيع مدمعي المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
اقسمت بالمصحف السامي واحرفه * ما مر بالبال يوما منك سلوان
ولا غبار على حبي فعندك لي * حساب شوق له في القلب ديوان

(وله ايضا) وقفت يوم الوداع ملتفتا * أطمح في نظرة ازددها
فاعرضت والظباء تغبطها * في حسن اعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا * يكاد عند القيام يقعدها

(وله ايضا) رقم الخال خدها في اناء * قرالا فق فيه نقطة ليل
قلت اين الكثيب والغصن قالت * كلما قد ذكرته تحت ذيلي

(وله ايضا) ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى * أو زهر بان في الكثيب الاميد
فللحظها ولوجهها ولشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

(وله ايضا) اقبلت في لاز وردي على * ناعم ابيض لدن معجب
والحلي والوجه والثغر وما * لبست والعطف والردف حبي
انجما حفت ببدر في دجى * في سماء فوق بان الكثب

(ابن نباتة) افدي التي تشتكي في مشيها ولها * بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكثب والاغصان لاعنة * فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف

(الشهاب الحجازي)

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وأنا * مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

(وقلت) ما اخطأ الفيلسوف فيما * قرر من رفعة اللطافه
ها خصرها قد علا بأقد * حوا من الظرف والظرافه

فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها ويأنس بها الى أن قال لها هل تعرفين أم البنين قالت انك لتسأل عن مولاتي فقال انها لابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو أخبرتيها قالت نعم فاني أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت ويلك هو حي قالت نعم قالت قولي له كن بمكانك حتى يأتيك رسول ثم انها أدخلته في صندوق فمكث عندها حينا اذا أمنت أخرجته فيقعد معها واذا عبر رقيب أدخلته الصندوق وأهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى أم البنين قال فدخل الحمام من غير أن يستأذن ووضاح معها فلمحها ولم تشعر أم البنين فأدى الخادم الرسالة وقال لها هي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت لا أم لك وما تصنع أنت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فاخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذي رأى وضاحا دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين هي لي صندوقا من صناديقك قالت يا أمير المؤمنين هي لك وانا لك أيضا فقال أريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط فقالت ان فيه شيئا من أمور النساء قال ما أريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك وان كان

ودونه الردف حط وصفا * مذ كان في غاية الكثافه
(وقلت) قد غرت من عشاقها * وتركهم للغزل * في خصرها وشببوا
بردفها والكفل * قلت الى كم تلهوا * بسافل لا بعلي
(وأما الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص) فكثيرة لا تحصى وغزيرة لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الاذواق عند السماع شمس الدين بن العفيف
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا * فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيا نيله فقضى
(وقال آخر) لو كان مالك عالما بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * وان استغاثوا غاثهم بفراق
(المظفر الآمدى) قل للذين جفوني اذ هجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلا كي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه
(ابن الوردى) دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودى * واجمعينا أجمعينا
(ابن نباتة) أهلا بسائرة الصبا من نحوكم * وبما عهدنا من تعاهد طولها
أمات على الزهر المقطب ذكركم * حتى تبسم ضاحكا من قولها
(الصفى الحلى) لا غرو ان يصلى الفؤاد بحبكم * نارا توججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم بصور شخصكم * فيه وكل مصور في النار
(وقال آخر)
صلوا مدنفا قد واصل السقم جسمه * ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
باحشائه نار يهب ضرامها * ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد
(الارجانى) تمتعتما يا مقلتي بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين في قتل واحد
(الملك الصالح داود)
عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون
(ابن اسرائيل)
وقلت شهودى في هواك كثيرة * وأصدقها قلبي ودمعى مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها * فدمعك مقذوف وقلبك مجروح
(القيراطى) لما حدا بالركب حاديهم * واسمع الداني والقاصي
أطاعني دمع جرى نهره * فدمعى الطائع كالعاصي
(لؤلؤ) وأرقني خيال من حبيب * تنباعت داره لما أتاني
فمن سهري لم فلا أراه * ومن سقمي يطوف فلا يراني
(وقال آخر) قد كان لي فيما مضى خاتم * فرق جسمي فتمنطقت به
وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

كذا بأخا علينا في دفن صندوق من خشب حرج ثم أمر به فالقى في الحفرة وأمر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال أبو مسهر فكانت أم البنين لا تزال توجد في ذلك المكان تبكي الى أن وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبد الملك وفيه نظر * (ومنهم شهيد) * ذكر الشيزرى في كتاب روض القلوب انه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها أحبت شابا خياطا فعملت الحيلة في وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها أن يعتقها ويتزوجها ففعل ثم أراد تزويجها فانظرته حتى ارسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محى الدين أبي حامد محمد بن محمد الشيرزى فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى مات في تلك الايام (ومنهم شهيد) عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فأتته في خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة فغشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما أفاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرئه مني السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فأخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله * (ومنهم شهيد) * قال أحمد ابن أبي الحوارى فيما ذكره الخطيب بينما أنا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هي قالوا قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا

شمس

(شمس الدين بن العفيف)

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذا جفونه * تفسر للعشاق منها مواعد

(وله أيضا) اذا ما رمت حل البند قالت * معاطفه حنانا الأيحل
وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وتزل

(وقال آخر)

قال لي أهيف المعاطف صف لي * هيفي قلت يارشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيـ * ـك لغنت عليه ورق الحمام

(ابن خفاجة) ومهفهف طاوي الحشا * كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

(ابن أبي الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجري * فلقد قنعت من الوصال بذا كا
وأطل محادثتي فان مسامعي * تهوى حديثك مثل ما تهوا كا

(ابن المستوفي) دأت قمر السماء فاذ كرتني * ليالي وصلنا بالرقتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأيت بعيني

(ابن نباتة) علقتها هيفاء حالية الطلى * تجني على طرف المحب وقلبه
بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

(الدمياطي) وفتانة الالحاظ معسولة اللمى * أهيم بها شوقا اذا هي اعرضت
تصاممت لما ان سمعت كلامها * لتشفي قلبا بالاعادة أمرضت

(الوداعي) قلت للعاذل المفند فيها * يوم زارت وسلمت مختاله
قم بنا ندعي النبوة في العشق فقد سلمت علينا الغزاله

(ياقوت) وعدت أن تزور ليلا فالوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(وقال آخر) تجلى محياها فشافت رقيبها * فارخت عليه من ذوائبها سجفا
محيا رآه الصب للحسن جامعا * فأجرى عليه من مدامعه وقفا

(ابن الرومي)

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه ان نظرت وان هي أقبلت * وقع السهام ونزعهن أليم

(شمس الدين)

حتى اذا طاش عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك في الظلم
تبسمت فاضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم

(ابن الساعاتي)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال اجد فافاق عند شماءها وهو يقول
الم يأن للهجران أن يتصرما
وللغصن غصن البان أن يتكلما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى
أما آن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي
كتابا حكى نقش الوشي المتمما
ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت (ومنهم شهداء) عن صالح المري قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال أرني عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذن عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس في مصلى له فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة وندر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى ادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم اتيت به السابع فاستأذن فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما

(الارجانى) وفتانة صاغت سلاسل صدغها * قيودا على أعداد عشاقها الاسرى
تبسم عن درتنظم مثـله * فلم أرا حـلى منـه نظما ولا نثرا
(وقال آخر) نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكرى فى بديع صفاتها
وأوحى اليها الوهم انى أحبها * فاثر ذاك الوهـم فى وجناتها
(ابن مكانس) علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى و ياجسمها * لله ما أغـلى وما أرخصا
(أمين الدين السليمانى)
أضيف الدجى معنى الى لون شعرها * فطال ولولا ذاك ما خص بالجـر
وحاجبها نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر
(ابن الوردى)
ردفها والخصر منها * جل من ربى ودقق نهدها يطفى لهيبى * فهو رمان محقق
(أبو الحسين الجزار)
تـكلف بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف
وقام بعـذرى فيك العذار * فأجرى دموعى لما وقف
(وله أيضا) جمت خدها والثغر من هائم شج * له أمـل فى مورد ومورد
وكم هام قلبى لارتشاف رضابها * فاعرض عن تفصيل نحو المبرد
(ابن النقيب)
يامالكى ولديك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فوخدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى
(شيخ الشيوخ بحماة)
لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملنى بما يحيي سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره
(وله أيضا) حروف غرامى كلها حرف اغراء * على ان سقمى بعض أفعال اسماء
(وله أيضا) و بدردجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال فى القلب والطرف
يلوح لعينى ماشقا نون صدغه * فابدخلاقى على ذلك الحرف
(وله ايضا) قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقة الحاجب لم يحجب
قدست يارب الجمال الذى * ألف بين النون والعقرب
(وله أيضا) سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الصبر لى والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه * فكم له فى دبيب النمل من قصص
(وله ايضا) يا نظره ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت واذامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل
(مجير الدين الدمشقى)
لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت واقف مدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا
(ابن لؤلؤ الذهبى)

الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاثة ايام عقل (ومنهم شهداء) ذكر ابن أبى الدنيا عن خالد قال كررت ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فنادى مناد كم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا (ومنهم شهيد) قال محمد ابو يحيى التميمى كان يختلف معنا شاب من النساك يقال له ابو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتتن الناس اذا رأوه فاكثر الناس القول فيه وفى صحبته اياه فمنعه اهله صحبته وكلامه فذهل عقل ابى الحسن حتى خشى عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لى قل له لا تقربنى ولا تأت مجلسى فانى له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يامن بدائع حسن صورته
تثنى اليه اعنة الحدق
لى منك ماللناس كلهم
نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم
وشقيت حين اراك بالفرق

قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه

(ومنهم قتيل) ذكر الشيزرى رحمه الله فى كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدبا يقال له الوردى واصله من حمص وكان فاضلا شاطرا فى فنه فافتتن بصبى من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك اباه فمنع الصبى من المضى اليه ثم انه أرسله الى مؤدب آخر غيره وكان عدوا له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه

رفقا بصب مغرم * أبليته صدا وهجرا وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

(ابن قرناص)

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضا) ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
أنزلتهم في مقلتي * فاذاهم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

أسعدني باطلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو انقسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين ابن نباتة مضمنا (فقال)

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعبر قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضا) وافى بوجه كالهلال مركب * في قامة غصنية هيفاء
وبقلبه خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله أيضا) أسكرني باللفظ والمقلة ال * كحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاسي

(وله أيضا) بأبي شادنا غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب الغصن لينها فهي غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

(وله أيضا) لولم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني ابولهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

مسكية الانفاس تملا الصبا * عنها حديثا شاقط لم يملل
جننت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

(وله أيضا) وشادن أوردني هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
أصبحت حوان الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعي) يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا جار

(وله أيضا) الحاظه وهي السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

(وله أيضا) ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

(وله أيضا) فديت من مبسمه * زهر لغصن قده
فصدغه مطوق * في روضة من خده

(وله أيضا) وذي دلال أهيف احور * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قلت في وسطي

(ابن نباتة) بروحي مشروطا على الخد اسمر * دنا وقوى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته الفا على ذلك الشرط

(وله) وضعت سلاح الصبر عنه فتاله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

الجأته الضرورة الى ان كتب الى ابيه يستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرأ الرقعة أطرق الى الارض ساعة واجرت عيناه وجهه حتى كاد يقطر منه الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج مبلبلا الى باب المسجد فتقايأ قيأ أسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فاخبر أن كبده تقطعت قطعا فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع (ومنهم قتيل) قال ابن الجوزي كان ببغداد سنة ثمانين وأربعمائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقي لا يطعم ثم خنق نفسه فمات (ومنهم شهيدان) ذكر العتبي عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لطيئ فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فلما أبصرني أنشأ يقول

ألا ما للحبيبة لا تعود
أبخل بالحبيبة أم صدود
مرضت فعادني عواد قومي
فما لك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكوني
لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد

قال ثم أغمي عليه فمات فوقعت الصيحة في الحي فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت تقول

عداني ان أعودك يا حبيبي
معاشر فيهم الواشي الحسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي

وغابوا وما فيهم رشيد
فاما اذا حلات ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فواقا
ولا لهم ولا أثر جديد
قال ثم شهقت شهقة خرت ميتة فخرج من بعد الاخبية شيخ فوقف عليهما وقال والله لئن كنت لم اجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين فدفنهما في قبر واحد (ومنهم شهيد) قال ذو النون المصري فيما ذكره عبد الله محمد بن جعفر القنطري في أماليه بينا أنا في ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر فاذا هي ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت قالت سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تساقطت الامواج المتلاطمات انت الذي سجد لك سواد الليل وبياض النهار في الفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي الغفار ثم أنشأت تقول
يا مؤنس الابرار في خلواتهم
يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما
فرح الفؤاد وحشوه بلبال
فقلت لها هي أن تزيدينا من هذا فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت
أحبك حبين حب الوداد
وحب لانك أهل لذا كا

وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتي فليتق الله سائله
(وله أيضا) لاتخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي قتاله
(وله أيضا) بروحي معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منامن حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى
(وله ايضا) بابي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي
فاتح في الكرى فما سكريا * باله من مسكر مفتوح
(وله أيضا) ومن الشقا ان الجفا وتشوقي * لا ينتهي هذا وذاك الى الطرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتي * يوما ولا دينار وجنته انصرف
(الصلاح الصفدي)
وطي معانيه بيان بديعها * له حار فكري اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريري كلها * على خده مشروحة للطرزي
(وله ايضا) قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت في العشق بلا فائده
فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده
(ابن الوردي) ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود ترويه عن الرمان
(وله ايضا) عجبت في رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
جاءت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذا الشمس قد طلعت
(وله أيضا) أنحلتني حبيبة * انحل الله خصرها كسرتني جفونها * ضاعف الله كسرها
(وله ايضا) مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور وعلى الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج
(وله ايضا) يقوم ثغرك صح يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك ولي اب * والثغر يضحك منك وهو يتيم
(وله ايضا) ووعدت امس بان تزور فلم تزر * فغدت مسلوب الفؤاد مشتتا
لي مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى
(ابن الصائغ) يا ملجا رو والناعبه حسنا * وقبيح ان لم يكن ثم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغي ان تطيب في الدهر معنى
(ابن مكانس) بابي عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
قلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت
(وقال والده) يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلت لهم مني
فقالوا الناعوصوا على دره وما * يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا
(وله أيضا) بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بانسك
وكف الصد يا مولاي عني * يبوءك رحت تحرم بامسك
(وله ايضا) يا لائمي اذ فقدت الصبر في قمر * أضداغه سلبت اهل الهوى وسبت
نبت سيوف اصطباري عنه حين بدا * آس العوارض في وجناته ونبت

(سيدي

(سيدى أبو الفضل بن وفاء)

ماخادم واسعه فى درمسمه * الأغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول

(البدر الدمامينى)

وبى وجنة حمراء زاد صفاؤها * فابدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمى ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالسالى صفاها ولونها

(وله أيضا) تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

(وله ايضا) لاماعذاريك هما اوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
فجدله بالوصل واسمح به * ففيك قد هام بلامين

(وله ايضا) قلت لعطاربه صبوتى * محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غرام به * ذبت وما احسن هذا الشراب

(الحافظ ابن حجر)

سألوا عن عاشق فى * قربادسناه اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

(وله ايضا) رسول أتى ممن احب فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

(وله ايضا) ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت اعد وصالى قال كلا * فها انا ذبت من رد الجواب

(وله أيضا) محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما دنت وتفتت

(وله ايضا) وأهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملالى

(وله ايضا) تجرد من احب فقال لى من * يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجادلك الحبيب باثم جسم * له كالخز قلت نعم وانعم

(التلعفرى من قصيدة) رشا عهده وجفناه والخصر وجسمى كلا أراه عليلا
أشبهته البدور نورا ولكن * ماحكته لونا وخصرا نحيلا
قرجاعل من القلب والطر * ف له فى سعوده اكليلا
كما اضل عن طريق جفاه * ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فى فترة الجفن لانذار عاشقيه رسولا

(وله ايضا من قصيدة)

هذا العذول عليكم مالى وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم * صب يطيع هوى ويعصى عذله

(يزيد بن معاوية)

أليل دجا ام شعرك الفاحم الجعد * وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك ام هى مقلة * وتفاحة ذاك المضرج ام خد

فاما الذى هو حب الوداد
فحب شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هى ميتة فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا أنا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عنى فغسلنها ثم اقبلن بها فى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فصليت عليها ومن خلفى ثم احتملنها ومضين

(ومنهم شهيد) عن حماد المركبى فيماذكره المعافى فى كتاب الاندلس قال وصفت للمأمون جارية بكل ماتوصف امرأة من الكمال والجمال فبعث فى شرائها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فأمر فخرجت اليه فلما نظر اليها أعجب بها واعجبت به فقالت ماهذا قال أريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله ياسيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وأنشأت تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حربا
ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وانشأ متمثلا يقول

فياحسنها اذ يغسل الدمع كحلها
واذ هى تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى
وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يامسرور احتفظ بها

نقابرد فى فيك هذا منضد * أبيتى لنا ام لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج اطيفان ركبا * بصدرك ام ثديان هذان أم نهد
ودعصان اذو ليت ام كفل يرى * وكثبان رمل فى الغلائل ام قد
وانك لو عاينت مابى من الاسى * لقلت جنون ثابت بك ام وجد
اذا ما اتى من نحو ارضك مخبر * تضوع من ارجائه المسك والند
وقفت فاضجرت الرسول مسائلا * وانشدته بيتا له المثل الفرد
وحدثتنى ياسعد عنهم فزدتنى * شجونا فزدنى من حديثك ياسعد

(وله من قصيدة سلف صدرها فى الغيرة)

خذوا بدمى ذات الوشاح فاننى * رأيت بعينى فى أناملها دمى
ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها * بلى خبروها بعد موتى بمأثمى
وقولوا لها يامنية النفس اننى * قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
لها حكم لقمان وسورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب ووحشة يونس * وآلام أيوب وحسرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى وهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وابدت فى الحشى حرق الجوى * مقالة من فى القول لم يتبرم
وعيشك ماهذا خضابا عرفته * فلا تك بالبهتان والزور متهمى
ولكننى لما رأيتك نائيا * وقد كنت لى كفى وزندى ومعصمى
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى وهذا الاثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكى * بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الالحاظ مهضومة الحشى * هلالية العينين طائية الفم
منعمة الاعطاف يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف اهضم
ومشوطة بالمسك قد فاح نشرها * بثغر كان الدر فيه منظم

(وله ايضا من قصيدة طويلة)

نالت على يدها مالم تنله يدى * نقش على معصم اوهت به جلدى
كانه طرق نمل فى أناملها * اوروضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو رأتها الشمس ماطلعت * من بعد رؤيتها يوما على احد
سألتها الوصل قالت لاتكن عبثا * من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سألت عنى فقيل لها * مافيه من رمق دقت يدا بيد

واستطرت البيت السابق فى الثغر (البهازهير)

رقت شمائله فقلت شمول * وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع * ونأى فما للقرب فيه سبيل
أهواه اما خصره فمخفف * طاو وأما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا * أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثنى والثنايا لم يزل * لى منهما العسال والمعسول

واكرم محلها واصلح لها كل ماتحتاج اليه من المقاصير والخدم والجوارى الى وقت رجوعى فلولا ماقال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح من حالها ما امره به فاعتلت الجارية علة شديدة اشفق عليها منها وورد نعى المأمون فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء وانشأت وهى تجود بنفسها

ان الزمان سقانا من مرارته
بعد الحلاوة أنفاسا وأردانا
أبدى لنا تارة منه فاضحكنا
ثم انثنى تارة أخرى فابكانا
انا الى الله فيما لا يزال لنا
من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها
مالا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها كانا لانزايلها
للعيش أحياؤنا يبكون موتانا

(ومنهم شهيدان) ذكر أبو الحسن القارئ ان على بن صالح ذكر له ان جارية من جوارى القيان عند أهل البصرة كانت تميل اليه وتحبه وتكاتبه وكانت موصوفة بالادب شاعرة فكره مراسلتها فحضر يوما عند بعض أهل البصرة وكانت عنده قال فلما طاب عيشنا فى يومنا فلم التفت اليها فاطرقت هى ايضا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت اهل المجلس والقت المنديل فأخذه فاذا فيه

لعل الذى ابلى بحبك يافتى
يردك لى يوما الى احسن العهد

قال على فما والآن قرأت الشعر حتى

إحبابنا

احبابنا ان الوشاة كثيرة * فيكم وان تصبري لقليل
اخاف قلبي فدركم مع انه * جار أقام لديكم ونزيل
فاصد حتى لا يقال متيم * وأزور حتى لا يقال ملول

(وله ايضا) رعى الله من لم يرع لي حق صحبتي * وسلم من لم يسمح لي بسلامه
وفي ذمة الرحمن من ذم صحبتي * ولم آلُ يوما ان افضا الذمامه
واني على صبري على فرط هجره * وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفي لحظه في خياله * ويشتاق سمعي لطفه في كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا * بوجه يحاكي البدر عند تمامه
شكوت الذي القى فظل مقابلا * بكائي وشكوى حالتي بابتسامه
فارق من شكواي غير خدوده * ولا لان من نجواي غير قوامه

(وله ايضا) كاني والمدام في فمه * قد عبقت من حباب مبسمه
وواحد كالراح في تمايله * سكران يشتط في تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * من نار وجدي وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فتى الى فمه
عجبت من بخله علي وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرني * رب خذ الحق من معلمه

(وله أيضا) يامن لعبت به شمول * ما الطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال * كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن * قد حمل طرفه رسائل
ما اطيب وقتنا واهنى * والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر * والعقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح في قناع * والغصن يميل في غلائل
والورد على الخدود غض * والنرجس في الجفون ذابل
والعيش كما احب صاف * والانس بمن احب كامل
مولاي يحق لي بأني * من مثلك في الهوى اقائل
لي فيك وقد علمت عشق * لا يفهم سره الاوائل
في حبك قد بذلت روحي * ان كنت لما بذلت قابل
لي عندك حاجة فقل لي * هل انت اذا سألت باذل
في وجهك للرضا دليل * ما تكذب هذه المخايل
ما اطلب في الهوى شفيعا * لي فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعري * هل يحصل لي رضاه قابل * ها عبدك واقف ذليل
بالباب يمد كف سائل * من وصلك بالقليل يرضى * الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجميعه جناس خطى)

هواك مازج روحي قبل تكويني * وانت ظالما بنار الهجر تكويني
صبرت فيك على اشياء ايسرها * ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني

وجدت في قلبي من امرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم ازل اعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تشعر فتيتها بذلك حتى ملكتها فلم اوثر عليها احدا من حرمي ولا اهلي ولم يبق عندي شيء بعدها فتوفيت فانا لا عيش لي ولا سرور بعدها والله ما لبث بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات اسفا عليها وكذا فدفن الى جانبها (ومما يحسن هنا)

قفي اخبرك ما صنع الغرام
عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل في ثوبي حداد
وقد القى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور
كوامل لا يفارقها التمام
وفي الاحداج ذو لعس لماه
لنا كاس وريقته مدام
رمى وقلوبنا الاغراض فانظر
بعينك هل يطيش له سهام

(ومنهم شهيدان) ذكر المرزباني عن ابي الحسن علي بن الحسين الصوفي المعروف برباح قال حدثني بعض اصدقائي انه دخل بيمارستان ببغداد فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفي يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد احسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال علي فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى اكل ثم قلت له هل بقي لك من حاجة قال نعم ولا اظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى أن ييسرها قال تمضي الى نهر الدجاج الى درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق الغفلة

وكلما قلت صحت لى محبتها * أرى ودادك ممزوجا بتلوين
قد حل عقد اصطبارى طول هجرك لى * وليس غير وصال منك يبرينى
اذا شممت شذا ريّاك منتشقا * فما نسيم أتى من نحو يبرين
(وقلت) هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت * تختال فى ثوبى حيا ودلال
تسبى القلوب باسرها فجميعهم * فى اسرها لكن بقيد جمال
ياوجهها الحاوى لبهجة روضة * أنواره أنت العزيز الغالى
اذ فيك كل عجيبة ما بين تفاح وورد يانع ولآلى
والشهد والخمر الحلال وقرقف * مع برده يسلى ولست بسال
ياجفنها الغزال كم من عاشق * بك فى المحبة مثل شن بالى
عجبا اميت العاشقين ونحن * نعرف سوى الاحياء للغزالى
(وقلت) وسالبة بالحسن عقل ذوى النهى * لطلعتها اسنى الدرارى آفل
اذا ما تجلت دك طور قلوبهم * وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب * سواك اليه تستحث الرواحل
و ياطلعة أصبحت للحسن جامعا * له القلب وقف والتبدل باطل
عذولى اتئدوا قصر فكل جوارحى * لها من سماع الزور والعذل شاغل
اذا ما اطلت اللوم لابد ينتهى * وعند التناهى يقصر المتطاول
لئن لم تزرنى أو تمن بنظرة * وينعم دهرى بالذى أنا آمل
فياموت زران الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل
(وقلت) أفدى فتاة فتنت مهجتى * وقد أذيب القلب من صدها
مالى وللدنيا اذا لم تزر * اذ ليس يحلو العيش من بعدها
يقول لى الآسى وقد راعه * مابفؤادى من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسان معا * تشرب بالماءين من شهدها
قد صدق الآسى هذا الدوا * هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرها * يجنى وماء الورد من خدها
(وقلت وفيه نكتة حكمية)
نار بوجنتك التى حرق الورى * منها كنار فى فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحران * افنى الرطوبة محرق ما اضمره
فلذاك أحرق مهجتى تصعيدها * قطرته اجفانى وخدك جمره
اذ فيه ماء نحيا العشاق غدت * فيه الحرارة باعتدال مزهره
انتهى ما أردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق فى الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف ببديع النكت واللطائف فلنورد منها ما الطف (قال بعضهم فى النقش)
كأن خضرة نقش فوق معصمها * شباك مسك على كف من البرد
فمن ملاحظتيه من محاسنها * كأن الامان لعينيه من الرمد
(ابن المعتز فى الحناء) اشرن على خوف باغصان فضة * مفوفة أثمارهن عقيق

قاطرق وقل ان فلانا قال لى سر للحبيب وقل له
محبوبكم من اهله
قال فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الى عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة ثم خرجت فقالت ارجع اليه وقل له *
عليكم من اهله فرجعت الى الفتى فاخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت الصراخ فى الدار وقد ماتت الجارية (ومنهم شهيدان) ذكر الاصمعى انه رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت منه لاسأله عن حاله فقالوا اذكر له شيأ من الشعر يكلمك فقلت
سبق القضاء بانى لك عاشق
حتى الممات فاين منك المذهب
فشهق شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم انشأ يقول
أخلو بذكرك لا اريد محدثا
وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة
يأتى فيأتى من احب اسيرا
فاذا أتى شمع بفرقة بيننا
اعقبت منه حسرة وزفيرا
فقلت له اخبرنى عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملنى وألقنى على باب تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت ضعيف
ألا ما للمليحة لا تعود
ابخل ذاك منها ام صدود
فلو كنت المريضة كنت اسعى
اليك ولم ينهنى الوعيد
فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك

سلام كاسقاط الندى تحت ليلة * سرى حيث لم يعلم اليه طريق

(ابن نباتة) خضبت باحمر كالنضار معاصما * كالماء فيه رونق وصفاه
واهالمن معاصما مخضوبة * سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسى)

تقمعت بسويداقلب عاشقها * أنامل بدم العشاق تختضب
فى كل أنملة ليل به شفق * كأنه البسر فى اطرافه الرطب

(الشواء) مخبة لها خال كمسك * على خد أشف من الزجاج
بدت والنقش يحكى فى يديها * محزم آبنوس فوق عاج

(على بن عباس الرومى)

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى * باعلاه قصرى الدلال رصافى
أشار بقضبان من الدر قمعت * يواقيت حمرا تستبيح عفافى

(الصنوبرى)

بسطت أنامل لؤلؤا طرافها * فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

ملقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أوفى العين أوفى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما * ابصرت أقلاما بغير مداد

(ابن الوردى)

مصرية كانها * بدرقبل من خلق تعلقت مكرا ولا * ينكر من مصر الملق

(وله ايضا) ياليتنى حاشية زركشت * يوما بكفى هذه الجاريه
قد أصبحت فى الحسن سلطانة * تفرق التبر على الحاشيه

(وله ايضا) عوادة عوادة * بالنغم الملذ قالت لنا اوتارها * أنطقنا الله الذى

(الشهاب الحجازى)

فى ثوبها الخمر قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فات سكرا حين ابصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

(ابن تميم) جاءت بعود كلما العبت به * لعبت بى الاشجان والتبريح
غنت فجاوبها ولم يك قبلها * شجر الاراك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدى)

أتتنا بعود حركته أنامل * هى الماء لطفا فى اتباع الاناشيد
يكاد وقد جست ملاويه يكتسى * بأوراقه لما جرى الماء فى العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع عظيم الفائدة فى الايصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من ذوى الفهم ولم تدر الاغبياء وجل علماء المعانى على ان التلميح يرادفه والصحيح انه اخص فن طريق ما حكى فيه أن أبا العلاء المعرى حضر مجلس

وسترتهما بثوبى خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعى فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ أحمد بن محمد بن على الابنوسى فى اخباره (ومنهم شهيدان) ذكر ابن دريد عن الرقاشى قال قال عسكر بن الجميح الاسدى كان لى صديق من الحى وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتينى فيشكو شوقه الى فالبث ان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفى بالنظر اليها ثم يخرج الى مسرورا الى أن برئ عمه فقال

أبكى من الخوف ان يرى فجعتها
واست أبكى على عمى من الجزع
لامات عمى ولا عوفى من الوجع
وعاش ما عاش بين اليأس والطمع

فخطبت الجارية فزوجها أبوها فجاءنى الفتى فودعنى وقال هذا وداع لا نتلاقى بعده أبدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه فقلت واين تذهب فقال أذهب ما وجدت ارضا ونهض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه (ومنهم قتيلان) ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسى كان جالسا مع ندمائه وقد اخذت الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع
أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قد قضى كل ذا
منك على رأسى فما اصنع

الشريف الموسوى فنال من المتنبي وكان أبو العلاء يتعصب له فقال للشريف لو لم يكن من شعره الا قوله «لك يا منازل فى القلوب منازل» لكفاه فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال انما قصد قوله فى القصيدة

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل

واثنى سيف الدولة يوما على المتنبي فبالغ وكان الرفاء حاضرا فقال اشتهى ان تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرنى بمعارضتها لتعلم انك اركبته فى غير سرجه فقال بديهة عارض قوله «لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى» قال الرفاء فتصفحتها فلم اجدها كبيرا امر فعلمت ان هناك نكتة فاعملت الذهن فى اخراجها فاذا انا به قد اراد قوله

اذا شاء ان يلهو بلحية احمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

(وحكى) أن ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من اظرف نساء زمنها وكان لها بعد ان قعد بها الدهر ولوع بالوزير ابى الوليد فكتبت اليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كاننى جئت لاخصى على

أشارت بذلك الى عبد للوزير كان متهما به * ودعت امرأة للرشيد يوما فقالت أتم الله امرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيرا فقال انها تدعو على فان قولها أتم الله امرك تريد قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وقولها فرحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم استقرها فأقرت فقال وما ذنبى اليك قالت قتلت رجالى واخذت أموالى فقال ممن انت قالت من بنى برمك فقال أما الرجال ففاتوا واما المال فيأتيك ورده اليها وسأل احد الظرفاء امرأة ملفوفة فى كساء فقال من انت قالت أنا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزى قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله ابا العلاء المعرى وافترقا فتبعهما رجل فقال لها اقسمت عليك الا ما أخبرتنى ما اراد وأردت فقالت أراد بابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت بقول ابى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبي مدح بعض اعداء ملكه فغضب عليه وهم ان يفتك به فهرب فأمر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتى فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب فى آخر الكتاب قد عقونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رجل وارسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد الفا بعد النون المشددة وهذه من الطف

قال وعلى رأس محمد غلام على احسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا (ومنهم شهيد) قال محمد بن بشر الانصارى وليت صدقات بنى عذرة فبينما أنا بينهم واذا بشئ يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس نرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت ما بك فقال

كان قطاة علقت بجناحها
على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيان

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذى كان فيه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذرى (ومنهم شهيد) يروى ان الحكم ابن عمرو الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى

تعز بصبر لا وربك لا ترى
بشام الحمى أخرى الليالى الغوابر
كان فؤادى من تذكره الحمى
واهل الحمى يهفو به ريش طائر

فوقف وقال على بالرجل فجئ به فقال ويحك من انت قال أنا رجل من اهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك فى الحمى فقال ما لى الى ذلك سبيل ولى بتلك البلاد اهل وولد قال انى أحملك الى اهلك وولدك فقال لا حاجة لى فى هذا قال ليس من ذلك بد وأمر به

الاشارات فان الكاتب أراد بان قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين وأراد المتنبي بزيادة الالف قوله تعالى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها

(ومما ينسج فى هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطى عن ابن دريد انه مشتق من اللحن يعنى الفطنة وان فائدتها التخلص من ان شوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الاحراج (قيل) اسر شخص من تميم هند بكر بن وائل او سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى اهله لحاجة فقالوا الا بحضرتنا لئلا تنفرهم قال لكم ذلك فجاؤه بولد فقال اخاف ان يكون احمق فقال الرسول ما انا احمق وانى ابلغ ماتقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا أدرى وانها كثيرة فقال له النيران اكبر ام الكواكب قال الكواكب وكل كبير فأوما الى الشمس فقال ماهذه قال الشمس فقال انك عاقل بالغ قومى التحية وان يكرموا الاسير فان قومه يكرمونى وان يعروا ناقتى الحمراء فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب وقل لهم قد ارى العرفج واشتكت النساء بائعة ما كانت معكم الحيس واسألوا الحرث عن خبرى فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الاعور بعدنا اذ لم نعرف له ناقة ولا جملا وصرفوا الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال قد أنذركم فقوله اكرموا الاسير يعنى استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على ان يدهموكم بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء الدهناء والجمل الاصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وادبى العرفج يعنى لبس الرجال السلاح واشتكت النساء اى اتخذت الشكاء وهى قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء والحيس كناية عن اختلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك) أمثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة كقولك ماسألت فلانا حاجة ضربا من شجر شائك ولا رأيته أى ضربت رئته ولا كلمته اى جرحته ولا أعلمته اى شققت شفته العليا ولا أخذت له شعيرة اى رأس مسمار فضة ولا ثوبا اى قطعة من أقط ولا كسرت له سنا اى قطعة عشب ولا ضرسا اى قطعة من المطر ولا لبست له جبة شئ يستتر به السنان ولا أخذت له حمارا ولا أتانا صخرتان معروفتان ولا عنزا اكمة سوداء ولا دجاجة كبة من غزل ولا فروجا مدرعة ولا بجشة صوف كالحلقة ولا ظلمته اى ماسقيته لبنا ولا جلست له على حصير لحمة فى جنب الفرس ولا اخذت له جرابا ماحول البئر ولا بيضة يعنى الخوذة ولا فرخا هامة الدماغ ولا فروة جلدة الرأس ولا ابرة عظم المرفق ولا فأسا عظم القفا ولا كتبت جمعت ولالى هنا خط سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر الفرس ولا اعبت سال لعابى ولا رويت الحديث شددته بالرواء وهو الحبل ولا رأيت بطنا ولا نحذا قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلا قطعة الجراد ولا وجها اى قصدا ولا أبصرته اى رأيت قشرا على الجلد *(خاتمة)* تشتمل على لطائف متفرقة تروق بها المسامع وتزين بها المجامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع ابى وجميل وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لا تجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به فى الزمان فقال جرير هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها ان تكون سببا لما أردتم فقالوا انعم الرأى وانطلقوا وطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

ان يحمل فاضطرب فى ايديهم حتى مات (ومنهم شهيد) عن الاصمعى قال خرجت اريد بعض احياء العرب فادركنى الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا يقول من القبر

أنعم الله بالحبايبن قبرا
وبمسراك ياسعاد الينا
وحشة مالقيت من خلل القبر
رعى ان نراك اوان ترينا

قال فأرقت ليلتى فلما اصبحت دخلت الحى واذا بجنازة قد أقبلت فسألت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية بعد ان مات وها هى قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذى بت عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم بما سمعت فتعجبوا من ذلك (ومنهم شهيد) حكى الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بنى نهشل فخرجت فى طلبه أريد اليمامة فلما صرت على ماء لبنى حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسألتهم القرى فاجابوا فانخت ناقتى تحت بيت لهم من جريد النخل وفى البيت جويرية سوداء فخرجت جارية كأنها قمر فسألت الجارية السوداء لمن هذه الناقة فاشارت الى وقالت اضيفكم فعدلت الى وسلمت وقالت ممن الرجل قلت من بنى نهشل قالت فانتم الذى يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه اعز وأطول

قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول

اخزى الذى سمك السماء مجاشعا
واحل بيتك بالحضيض الاوهد

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا * وسجال كل مجلجل سجام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام
يجرى السواك على أغر كانه * برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير أنا قلته قالت فما احسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لاستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بكاف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فرحبا * نفسى فداؤك فادخلى بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها فى سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد أفحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت أيكم القائل

ألا حبذا البيت الذى انا هاجره * فلا انا ناسيه ولا انا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه * ولا زال مغشيا وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائما * واسعد بى جده من هو حاذره
به كل موشى الذراعين يرتعى * اصول الخزامى ما ينفر طائره
هما دليان من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى يرجى ام قتيل نحاذره
فاصبحت فى اهلى واصبح قصرها * مغلقة ابوابه ودساكره

قال ابى يعنى الفرزدق انا قلته فقالت ما وفقت ولا اصبت اما أنست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب انا قلته فقالت اغزلت واحسنت ولا كرمت لانك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات باحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت ايكم القائل

واعجبنى ياعز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق اربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا * ومدك اسباب الهوى حين يطمع
وانك لا تدرى غريما مطلته * أيشتد ان لاقاك أو يتضرع
وانك ان واصلت اعلمت بالذى * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير انا قلته قالت اغزلت واحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت ايكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * واى جهاد غيرهن اريد

واقضل

قال فاعجبتنى فلما رأت ذلك فى وجهى قالت اين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى
بها اهل المروءة والكرامه
ألا فسقى الاله سحاب غيث
يجود بسحه بلد اليمامه
وحيا بالسلام أبا نجيد
واهلا للتحية والسلامه

قال فانست بها وقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا
لكالقمر المنير المستنير
ومالى فى التبعل من مراد
ولو رد التبعل لى اسيرى

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشأت تقول

تخيل لى أبا عمرو بن كعب
كانك قد حملت الى السرير
فان تك هكذا يا عمرو انى
مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسألت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسألت عن عمرو فقيل لى ابن عمها كان يحبها وتحبه وقد دخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد مات فى ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية اعجب من جميع ما تقدم فان كلا من أولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بمعاينة موته أو اخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة فقد الالف وتحقق اليأس يغمران القلب وهلة واحدة فتحتقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادة سمه فيفيض الدم

وافضل ايامي وافضل مشهدي * اذا هيج بي يوما ومن قعود

فقال جميل انا قلته قالت اغزلت واحسنت وكرمت وعففت ادخل فلما دخلت سلمت فقالت سكينة انت الذي جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وافضل ايامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الالف درهم وابسط لنا العذر انت اشعرهم وهذه الحكاية هي التي سبقت الاشارة اليها في فصل الخيال من الباب الخامس واجتمع كثير وجميل وعمر بن ابي ربيعة عند عبد الملك فقال انشدوني ارق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يمينا يا بثينة صادقا * فان كنت فيها كاذبا فعميت
فلو ان جلدا غير جلدك مسني * وباشرني دون العشار شريت
ولو ان داعي الموت يرقى جنازتي * لينطقها في الناطقين حييت

(وانشد كثير) بابي وامي انت من مظلومة * طبن العدو لها فغير حالها
لو ان عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الى بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نعالها

(وانشد ابن ابي ربيعة)

الاليت قبري يوم تقضي منيتي * بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
الاليت أم الفضل كانت قرينتي * هنا او هنا في جنة او جهنم

فقال اعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها افي هذا المكان يقال هذا قالت الست ظريفا قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت اما سمعت قولهم

بيض غرائر ماهممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وابا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها الوصل فوعدته الى وقت فلما جاء انشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب ابياتا لم تناسب المقام وانشد ابو نواس

وليلة اقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كانك كنت حاضرا معنا وامر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فايقظها فقالت وقد علمت به (يا امين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر

وتذهب الروح واما هذه فلطفت نفسها الى أن رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الاحماء بردعليها من ذلك الانين فكان بمنزلة المصباح الذي للبصير فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصير بذهاب نور المصباح اذا طفئ (ومنهم شهيد) قال في منازل الاحباب ومن ألطف ما وجدته من أخبار المتأخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه واخفى ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم في بل صدره ومات على كتمانه ولم يبح بشانه فمن قوله فيه

هذا خيالك في الجفون يلوح
لو كان في الجسم المعذب روح
يا سالما مما كابد في الهوى
هل يشتفي من قلبي التبريح
غادرتني غرض الردى وتركتني
لاعضو لي الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك في دمي
لو بلغت جسمي الردى فتريح
لو عاينت عيناك قذفي من فمي
كبدي ودمعي مع دمي مسفوح
لرأيت مقتولا ولم تر مقتلا
ولخلت اني من فمي مذبوح
قل للذي علقت منه منيتي
أأباح قتلي يا ظلوم مبيح
كبدي على صدري جرت والى متى
أعدو واعزب في الهوى وأروح

(ومنهم شهيد) قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله به الهادي من المحبة وعاقبه به ان كان مغرما بجارية له تسمى غادرا وكانت احسن الناس

(فقالت) بسرور سيدى اخدمه * ان رضى بى وبسمعى والبصر

فلما اصبح احضر ابانواس وقال له أجز (ياامين الله ماهذا الخبر) فانشد

طال ليلى حين وافانى السهر * فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت امشى فى مكانى ساعة * ثم اخرى فى مقاصير الحجر
واذا وجه جميل حسن * زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موقظا * فرنت نحوى ومدت لى البصر
واشارت وهى لى قائلة * ياامين الله ماهذا الخبر
قلت ضيف طارق حيكم * يرتجى المأوى الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى * اخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال له ا كنت معنا قال لا ولكن الجأنى الشعر الى ذلك فاحسن صلته

(فصل فى النوادر والحكم)

(نادرة) قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود فى يدى واذا بشاب على اجمل مايكون من الهيآت قد دخل على فاصلح العود بعد ماشرب وانشد

ألا غنيالى قبل ان تتفرقا * وهات اسقنى صرفا شرابا مروقا
فقد كادضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلى من حسن غنائه فلما افاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فاحسن صلتى وقال ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ماحكاه لى ابى انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع اهله فوهبه السبت لانه كان يستثقله فخلا ابراهيم يوما وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا واوصى بحفظ الابواب من احد يدخل فبينما هو جالس على احسن مايكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت ان اقضى فروضت نفسى فذاكرنى الادب وأيام العرب حتى ظننت ان غلمانى حيونى به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعدما ابى من الطعام واخذ شيأ من الشراب هل لك ان تغنى شيأ مما فقت به فتحشمت المشقة وغنيت فقال احسنت ياابراهيم فزاد غضبى ثم استأذننى فى الغناء فاذنت له متعجبا من تجريه بحضرتى فاصلح العود وانشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس ان يشترونها * ومن يشترى ذاعلة بصحيح
أئن من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا ياحمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت باسرارى لهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما * شربن حميا أوبهن جنون
فلم ترعينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ماسمعت باحسن منه ولقد خلت ان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل أحد فرجعت واذا بهاتف من جانب

البيت

واطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له مابال امير المؤمنين فقال وقع فى فكرى انى اموت وان اخى هرون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا فأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ماخطر بباله فلم يزل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما احلفك به انى اذا مت لا تتزوج غادرا فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولى هرون الخلافة وطلب الجارية فقالت ياامير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التى حلفنا بها فقال قد كفرت عنى وعنك ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها احسن من اخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا يتقلب حتى تنتبه فبينما هى فى بعض الليالى فى حجره اذا انتبهت فزعة مذعورة فقال لها مابالك فدتك روحى فقالت رأيت اخاك الهادى فى المنام وانشدنى

أخلفت وعدى بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجديـ * ـد ولاتدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكأن الابيات مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة

البيت يقول لا بأس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته ان الشيخ أخبرني اني احكمت الغناء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتي (وحكى) عنه في الاصل ايضا وفي غيره عن والد اسحق قال اصبحت في يوم مطير ايقنت فيه ان لا يأتيني احد فصنعت لنفسي ماشئت من طعام وشراب وجلست في سرور وحدي وولى النهار فذكرت جارية أهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما أكملت القول حتى جاء في غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم املك نفسي فاذا بعرس التمني قد اثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها والبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما ارسلت احدا فجلست واخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها * وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه اذا ماغاب عني حكاه لي * وان لم يكن في حسن صورته البدر
فلما اضاء الصبح فرق بيننا * وأي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك الى فانكرت اذلم اعرفه وعجبت من دخوله لان المفاتيح عندي هكذا في الاصل وفي غيره ان الجارية حين استقربها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق انا قالت لا انت ولا انا ولكن أخرج فالتمس لنا احدا فخرجت طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوني وان سكت استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا الليلة فقال خذ بيدي ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لي غن فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنيا فكدت ان اموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشيء فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عودا جديدا فاصلحه وكانت الجارية حين طرقت الباب قالت ايدخل محبوب على الباب واقف فانشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * حبيب باوقات الزيارة عارف
وماراعني الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم ازل اترضاها واحلف اني لم اقل واتقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ

الا ربما زرت الملاح وطالما * لمست بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل * أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها انا اعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وابطأت فطلبناه فلم نجده فعلمت انه ابو مرة فتمثلت بقول ابي نواس

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما اظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

(قال بعض الادباء) كان ابو نواس اول من فتح هذا الباب على ابليس فكثرت فيه الاقوال من الشعراء

(لطيفة ووصية) قال بعض الحكماء لولده ونقله في الاحياء لا تتزوج حنانة يعني التي ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيأ ثم تمن به

فقال هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون وما لقي بعدها (ومنهم قتيل) أخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بسنده عن ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال كنت اختلف في النحو الى محمد بن الخطاب في جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن اسلم ابن سعيد الاسلمي قاضي قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون واحمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة ونوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض شوارع قرطبة والزامر يغني بقول احمد بن كليب

اسلمني في هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشا بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي
على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يساره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره فعيل صبر احمد فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة صوف من جباب اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا

عليه ولا اناثة يعني على زوجها الاول وعليها انقل في تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تزل تظهر الاسف على لقيط فحنق عمرو وقال لها ويلك انه لم يجئ من بعض عبيدي فصف لي بعض ما رأيت من حسنه قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فاركبني وخرج الى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها اسدان فشد حتى قتل واحدا ورجع الى فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمر وذلك وضمها فقال اين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصدا ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره ۞ وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب والا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والادب والا احتقرتها

۞(عجيبة)۞ قيل اعظم الولائم الاسلامية اثنتان احداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى انهم كانوا يهبون اواني الذهب مملوأة بالفضة واواني الفضة مملوأة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر احد على تقويمه وضبط ما خرج فكان خمسا وخمسين الف الف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلي ما اغنى خلقا كثيرا قال شارح المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان اربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين واوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا باسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيأ منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذي اوقد فيها قد نقل باربعة آلاف بغل اربعة اشهر فلم يكف حتى اوقد الكتان (فائدة) في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فان ابقراط يقول اكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق واول الشهر ما عدا رمضان قيل وليلة النصف

(لطيفة ووصية) قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير وان كثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة الى طلب شئ ولم يعصها في الخلوة ولم يطعها في شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعني حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الاذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفئ للغضب فان غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله لم يطعها في الشهوة يعني المفضية الى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من مأكل وملبس فان قطع ذلك عنها اعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لا يذكر الرجل محاسن المرأة لاحد فان ذلك يؤل الى نزعها منه وعلى ذكر التحبب ولو بالكلام نقل ابن الجوزي عن بعضهم قال قلت لجاريتي الا تلبسين الحلي قالت لا لانه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقلت لها اجلسي بنا في القمر فقالت ما اولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوما فقالت ما كسفت الا حياء مني

(لطيفة) اللذات اربع لذة ساعة وهي الجماع ولذة يوم وهي الحمام ولذة جمعة وهي

فيه بيض ونحن جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده وقال يا مولاي تأمر من يقبض هذا فقال له اسلم ومن انت فقال اجيرك في الضيعة الفلانية فامر اسلم بقبض ذلك منه على عادتهم وكان احمد قد عرف اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند ورودهم منها فجعل يسأله عن الضياع ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام فتأمله فعرفه فقال له يا اخي بلغت بنفسك الى ههنا تبغي اما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على بابي نهارا حتى انقطعت عن جميع مالي فيه راحة وقد صرت كاني في سجن والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا جلست بعدها على بابي ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا فقلنا لاحمد خسرت دجاجك وقفصك قال هات كل ليلة قبلة في يده واخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد ابن الحسين فاخبرني شيخنا ابو عبد الله محمد بن الخطاب انه عاده قال فوجدته باسوأ حال فقلت له الا تتداوى فقال دوائي معروف واما الاطباء فلا حيلة لهم في البتة فقلت له ما دواؤك قال نظرة من اسلم فلو سعيت في ان يزورني لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله يؤجر قال فرحمته وتقطعت نفسي له فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه فاذن لي وتلقاني بما احب فقلت له لي اليك حاجة فقال وما هي قلت قد علمت ما جمعك مع احمد بن كليب من زمام الطلب عندي فقال نعم ولكن قد

النوره ولذة حول وهي تزويج البكر

(نادرة) جاءت امرأة الى عمر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار و يقوم بالليل وكررت ذلك وعمر يقول في كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا امير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فاحضر الزوج وقال ان امرأتك تشكوك فقال لم اقصر في شئ فانشدت

يا أيها القاضي الحكيم رشده * الهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يرقده * فلست في حكم النساء احمده
زهده في مضجعي تعبده * فاقض القضايا كعب لا تردده

(فقال زوجها)

زهدني في فرشها وفي الحجل * انى امرؤ اذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف جلل

(فقال كعب) ان لها حقا عليك يا رجل * تصيبها في اربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل * فاعطها ذاك ودع عنك العلل
فان خير القاضيين من عدل * وقد قضى بالحق جهرا وفصل

ثم قال ان الله قد احل لك اربع نساء فاجعل لها ليلة من اربع فقال عمر رضي الله عنه لا ادري اعجب من حلمك ام من فهمك و ولاه البصرة

(وصية) قيل كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الالفة فتقول للواحدة كوني له ارضا يكن لك سماء وكوني مهادا يكن عمادا وامة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولا تقربي فملك ولا تبعدي فينساك ولا تعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولا يرى منك الا حسنا ولا يشم الا طيبا ولا يسمع الا ما يرضي ولا تفشي سره فتسقطي من عينه ولا تفرحي اذا غضب ولا تغضبي اذا فرح (لطيفة) قال ابو العلاء اغزل بيت قول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

واشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا * او تنزلون فانا معشر نزل

(اخرى) قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها فاسالت دمها فقالت له اترسلني الى مجنونة فدخل عليها فقال لاي شئ فعلت بالمرأة ما فعلت قالت احببت ان لا ينظر في غيرك فان رأيت حسنا كنت اول من نشره او قبيحا كنت اول من ستره فعظمت عنده

(نادرة) قيل جلس المنصور في قصره وقت ظهيرة فاشرف على رجل يتردد في الطريق وعليه امارة الكرب فاحضره وسأله عن حاله فقال يا امير المؤمنين انا تاجر املك الف دينار وقد احضرتها بالامس الى زوجتي وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تعلم على امرأتك شيأ قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند زوجتك واعلمها اني حبوتك بها وعاودني ففعل وامر المنصور حراس الابواب ان يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان بأقرب من ان جاؤه بشخص فهدده وقال لئن لم تأتني بالالف دينار التي اخذتها من موضع كذا لاضربن عنقك فجاء بها واحضر

ملت أنه تزوج بي وشهر اسمي فآذاني فقلت كل هذا مغتفر في مثل هذه الحالة التي هو فيها فنعوده فقال لي والله ما أقدر على ذلك فلا تكلفني هذا فقلت له لا بد من ذلك فليس عليك في ذلك شئ وانما هي عيادة مريض قال فلم أزل به حتى اجاب فقلت فقم الآن فقال والله أفعل ذلك لكن غدا فقلت له بلا خلاف قال نعم قال فانصرفت الى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى اسلم فقلت له الوعد فوجم وقال والله لقد حملتني على خطة صعبة علي وما أدري كيف أطيق ذلك قال فقلت له لا بد ان توفي بوعدك لي فاخذت رداءه ونهض معي راجلا فلما أتينا منزل احمد وكان يسكن في آخر درب طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال لي يا سيدي الساعة والله أموت ولا أقدر انقل قدمي ولا استطيع أعرض هذا على لساني قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا فاتبعته فاخذت برداءه فتمادى وخرق الرداء وبقيت منه قطعة في يدي لشدة امساكي به ومضى ولم ادركه فرجعت ودخلت على أحمد بن كليب قال وقد كان غلامه دخل اليه اذ رآنا من اول الزقاق مبشرا قال فلما رآني تغير وجهه وقال واين اسلم فاخبرته القصة فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من التوجع فاستشنعت الحال وجعلت أتوجع وقت قال فثاب اليه ذهنه وقال لي يا عبد الله قلت نعم قال اسمع مني واحفظ عني ثم أنشأ يقول

أسلم يا راحة العليل
رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادي
من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لي قد كان قال فتزوجت ... فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت

الخليفة التاجر وقال له هذا مالك قال نعم وقبل الارض فدفعه له وحكمه فى زوجته

(فصــل فى المجون) قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنحيين اعنى ظرفين من عسل فأتاها خوات بن جبير وكان فاتكا فى الجاهلية فحل احدهما وذاقه واعاده فمسكته باحدى يديها وفعل الآخر كذلك ثم امسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لا هنئت قال بل هنئت وانشد

وشدت على النحيين كفى ضنينة ✽ واعجلتها والفتك من فعلاتى

وبهما ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوات (قال الاصمعى) بينا نحن بطريق مكة اذا باعرابى يقول من احس من بعير بعنقه علاط وبأنفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهديه عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يا فاسق لا رد الله عليك ضالتك فقلنا مالك ولمن ينشد ضالته قالت انما ينشد ايره قوله علاط بالمهملة حبل يجعل فى عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعنى الناقة وجىء لابن ابى مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداءك بلغنى ان العزل مكروه فقال وما بلغك ان الزنا حرام ✽ وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد فشكوه فنفاه الوالى الى عرفات فقال لاصحابه يوما ما يمنعكم ان تأتوا الى على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعادامره اعظم فرفعوه الى الوالى فقال الم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون على فقالوا للوالى اجمع حمير مكة وارسلها فان لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته فجرده ليضربه فقال اوضاربى انت قال نعم فقال افعل فوالله مابى الا قول اهل العراق ان اهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله

(وفى منازل الاحباب) قال غلام جئت حيا قد ازمعوا الرحيل وامرأة على احسن ما يكون من الحسن والهيئة والثياب قد تخلفت تهيئ امرها فاجبتها يسيرا فقالت ايما احسن عاريا الرجل ام المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان اتجرد وامشى الى تلك الاكمة واعود وتعاهدنى ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهى وانا على اجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين ومشت كما ذكرت وعادت وسألتنى الوفاء ففعلت فلم امش المسافة حتى تدرعت ثيابى واعتقلت سيفى واستوت على جملى ومضت فلم اجد حيلة الا اخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحيي ان الحق القوم وهم يصرخون على حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى اوصلتنى اليهم فجاءت امها فقالت اى بنية كم اتعبتنا فى هذه الليلة وادخلتنى الستر فلما عرفونى واستخبرونى عن القصة اخبرتهم بها فقالت لى امها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعنى خبالا فى عقله فهل لك ان تكون مكانها ساعة ولك عندى اليد البيضاء فاجبت الى ذلك فحين دخلت عليه ما نعته ساعة واتت المرأة فخرجت ✽ اشترى بعضهم علاما فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرا حتى نجمت قرناه ✽ وفى الحلية عن الشافعى قال قيل للعطية وقد حضرته الوفاة بم توصى للنساء كين قال بالمسئلة قيل فى مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكنى اقوله ثم احملونى على حمار فانه لم يمت عليه كريم ✽ وتزوج رجل اسمه حماد بامرأة من ولد دارا فاعجب بها فامرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلا فقالت هو خير لكنك لم تخرج من الاصطبل بعد ✽ واتى كفيف نخاسا فقال له اطلب لى حمار اليس

الضراح عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ أبو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة واسلم هذا من بنى خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال أبو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابى عبد الله محمد بن سعد الخولانى الكاتب قال فعرفها وقال لقد أخبرنى ثقة أنه رأى اسلم هذا فى يوم شديد المطر لا يكاد أحد يمشى فى طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له وقد تحين غفلة الناس فى مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى أسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا كما وهبتك روحى

(ومنهم قتيل) حدث الخالدى فى كتاب الزيارات باسناده عن ابى بكر احمد ابن محمد الصنوبرى قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان فى دكانه مجلس كل أديب وقد كان احسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه أنا وأبو بكر المعوج الشامى الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من أحسن الناس وجها وأحلاهم قدا واظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبى فى الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده فى دكانه

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى
وهاك فابرى عظامى موضع القلم
وصير اللوح وجهى وامحه بيدى
فان ذلك لى برء من السقم
ترى الغوالم لا تدرى بمن كلفى
وانت اشهر للصبيان من علم

ثم شاع خبره بعشق الغلام فى الرها فلما كبر وشارف الاحتلام احب الرهبنة وخاطب اباه وامه فى ذلك والح عليهما حتى اجاباه وخرج به الى دير زكى بالصغير

بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلى الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم في السواري ولا يدخلني تحت البواري ان أقللت علفه صبر وان اكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبته غيري نام فقال له النخاس اصبر فان مسخ الله القاضي حمارا قضيت حاجتك وشدد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في النهي عن المعاصي كشرب الخمر فقال لصاحبي عسسه وخبره اذا رأيتما سكران فاتيان به فطافا الى آخر الليل فاذا هما بشيخ حسن الهيئة بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا * جبال حنين ما سقوني لغنت

فقالا له اما تستحي وانت بهذه الحالة فقال ارفقا بي فقد شربت مع اخوان احداث فحين اخذ الشراب مني اخرجوني فقال صاحب العسس لصاحب الخبر اكتم علي وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له اذهب يا شيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان في الليلة الآتية رأياه كذا كرو هو يغني

انما هيج البلى * حين عض السفر جلا * فرماني وقال لي
كن بعيني مبتلى * ولقد قام لحظه * لي على القلب بالقلى

فقالا له أين التوبة فقال ان اخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا علي وحلفوا أن لا يخرجوني اذا عمل بي الشراب فغلب علي وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه في تلك الحالة وهو يغني

ارض عني قط الما * قد سخطت * أنت ما زلت جافيا مذ عرفت
انت ما زلت قاطعا الوصولا * بل بهذا فدتك نفسي الفت
ما كذا تفعل الكرام بنو النا * س باحبابهم فلم كنت انت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال اخطأتما قالا ولم ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثة لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعة لم تقبل له صلاة اربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة اهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت ابكي وما حنت لهم ابل * فما اقول اذا ما حل الثقل
كأنني بك نضوا لا حراك به * تدعى وانت عن الداعين مشتغل
فقلبوك بايديهم هناك وقد * سارت باحمالك المهرية الذلل
حتى اذا استيأسوا من ان تجيبهم * عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فقالا له لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه حتى افاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتني يا امير المؤمنين لاني عبد وقد جلدتني حد الاحرار فقال اخطأت اذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا امير المؤمنين واجعل الاربعين سلفا عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب العسس اذا رأيت مثل هذا فارفعه الي واجتمع قوم عند بصيص جارية ابن نفيس وكانت اعجوبة وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل أحد رؤيتها ولو بذهاب نفسه فتذاكروا الحل فزيد فقالت

عجبت مات من هجر الحبيب رقيب واحد تنغص عيشه * فكيف من له مائتا رقيب

بنواحي الرقة وهو في نهاية حسنه فابتاعاه فلابة ودفعا الى رئيس الدير جملة من المال عنها فاقام الغلام فيها وضاقت على سعيد الدنيا بما رحبت فاغلق دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام وسعيد في خلال ذلك يعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان المام سعيد به ونهوه عنه وجرموا عليه أن يدخله قلايته وتوعدوه باخراجه من الدير ان ادخله اليه فاجابهم الى ما سألوه فلما رأى سعيد امتناعه منه شق عليه وخضع للرهبان ورقق لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا في هذا اثم وعار ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب في وجهه ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار قال أبو بكر الصنوبري ثم عبرت أنا والمعوج الشامي ببستان بتنافيه فرأيناه جالسا في ظل الدير وهو عريان وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه فقال دعاني من هذا الوسواس اتريان ذلك الطائر الذي على هيكل الدير وأوما بيده الى طائر هناك فقلت نعم قال وحقكما يا اخواني أنا أناشده منذ الغداة أن يسقط فاحمله رسالة الى عيسى ثم التفت الي وقال يا صنوبري معك ألواحك قلت نعم قال اكتب

بدينك يا حمامة دير زكي
وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما
الى قمر على غصن رطيب
وقولي سعدك المسكين يشكو
لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد
اذا ما كنت تمنع من قريب
وان أنا مت فاكتب حول قبري

ثم تركناه وقام يغدو الى باب الدير وهو

انا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي واولمت لك يوما بالعقيق فقالت ارفع الغيرة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيأ فدرج ابن مصعب فرآه في مسجد المدينة فقال له يا ابا اسحق اما تحب ان ترى بصيص جارية ابن نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطا علي فيها وان لم اكن اسأله ان يرنيها منذ سنة فما يفعل فقلت له اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا قال امرأته طالق ان برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فاخذت بيده واتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فاقبلت بصيص على مزيد فقالت يا ابا اسحق كأن نفسك تشتهي ان أغنيك الساعة لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم ينلوا فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا ابا اسحق كأن نفسك تشتهي أن تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات وأغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وبأي أرض تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم انك تشتهي ان تقبلني شوق البين واغنيك هزجا

انا ابصرت بالليل * غلاما حسن الدل كغصن البان قد أصبح * مسقيا من الطل

فقال انت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا ابا اسحق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا ابا اسحق هلم درهما نشتري به ريحانا فوثب وصاح واحرباه اي زانية اخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى اليك وعطعط القوم وعلموا ان حيلتهم لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد اليهم واعاد القوم مجلسهم فكان اكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) أبو يعقوب قال حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حوز المكان الذي ينام فيه فلما هجر الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب علي فاخذت يده وجعلتها على عيني العوراء فلما عرفني ولى وهو يقول وفديناه بذبح عظيم وروي ان نصرانيا وجد مع مسلمة آخر يوم صومه فأكره على الاسلام فاسلم وضرب مائة سوط واخذ منه مائة دينار وكان أول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد ايام كيف حالك فقال كيف حال من صام خمسين واتبعها بثلاثين وضرب مائة وزن مائة وخرج من ملة الى اخرى وزوج فاجرة وسأل رجل عالما فقال أفطرت يوما من رمضان سهوا فقال صم عوضه قال صمت عوضه واتيت اهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي اليه فأكلت منه قال تقضي يوما آخر قال قضيته واتيت اهلي وقد عملوا هريسة فأكلت ساهيا فما ترى قال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك ودخل رجل على الشعبي وعنده امرأة فقال أيكما الشعبي فقال هذه واشترى جحا يوما دقيقا وأعطاه لحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال أخاف أن يطالبني بالاجرة وقدم الى أبي خازم القاضي سكران ليحده فقال له من ربك فقال أصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة انما هو من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله وولي رجل تفرقة مال على العميان والايتام والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال اثبتني في القواعد فقال وبلك انهن

لغلق دونه وانصرف قناعته وما زال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان أمير البلد العباس ابن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وبأهل الزهاخرجوا الى الدير وقالوا اما قتله غير الرهبان فقال لهم ابن كيغلغ لابد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولابد من تعزير جميع الرهبان بالسياط في قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم ودبرهم بمائة ألف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة أهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخوله المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما أدرى ما كان منه (ومنهم شهيد) قال ياقوت في تاريخه كان مدرك ابن علي الشيباني شاعرا أديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو ابن يحيى وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الاحداث لاغير فان حضر شيخ أو صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره فقرأها فاذا فيها

بمجالس العلم التي

بك تم حسن جموعها

الا رثيت لمقلة

غرقت بفيض دموعها

بيني وبينك حرمة * الله في تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها من كان في المجلس وقرؤها فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم

وجعل يتبع عمرا حيث شاء وقال فيه شعرا كثيرا قال الحريري وقد رأيت عمرا أبيض الرأس واللحية

نساء لا أزواج لهن وانت رجل فقال اثبتني في العميان قال صدقت فان الله تعالى يقول فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال واثبت ولدي ايضا في الايتام فقال افعل ذلك لان من انت ابوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوما فقال له كم عيالك قال ثمانية فامر له بثمانية آلاف درهم فاخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحدا من عيالي قال من هو قال انا فضحك المهدي وامر له بمثل ذلك * مر يهودي في سوق وكان كاتبا فصاح به صبي يا عم قف حتى اصفعك فالتفت اليه وقال انا مستعجل اصفع اخي عني وقال له بعض السوقة هذه النعل في قفاك فقال له اذا كان في رجل اختك ومثل ذلك رجل قال لامراة في يدها خف ليته على كتفي فقالت بشرط ان يكون فارغا * وقال رجل لا [illegible] اني اعرف صناعة الفضة واريد ان أعلمك ولكن احتاج الى ألف درهم للآلات فاعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لانه علمني كيف صناعة الفضة اي أخذها وكيفية الحيلة فان شئت ان افعل مثله فعلت

(فصل في ذكر نبذة من لطائف الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب)

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء المستلطف

(بعض الاعراب)

الا يا حمام الشعب شعب مؤنس * سقيت الغوادي من حمام ومن شعب
سقيت الغوادي رب خود خريدة * اصاخت لخفض من غنائك او نصب
فان يرتحل صحبي بجثمان أعظمي * يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا أشكو هواك فانني * اخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضنى صبابة * وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجب موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

(أبو عكرمة الضبي)

فلو ان ما بي بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب
ولو ان أنفاسي اصابت بحرها * حديدا اذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الاصل)

وروض اتيناه عشية اقبلت * ملاح البرايا من غضيض وغضة
حكى لونه والبيض محدقة به * زمردة خضراء في وسط فضة

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وماذقت كأسا مذ تعلقني الهوى * فاشربها الا ودمعي مزاجها

(صاحب الاصل)

أنا الكاسات انى في انتظام * وبنت الكرم واسطة العقود
وقد رمنا تزوجها ابن مزن * فهل لك ان تكون من الشهود

(وله ايضا) ولما رأيت البدر التي شعاعه * على نيل مصر والسفين بنا تجري

ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهورة وهي

من عاشق ناء هواه داني *
ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران
موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه
يشكو هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه
كأنما عافاه من اضناه
ياويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ناطقة وما اجادت نطقا
تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي
بأدمع مثل نظام السلك
تطفيها نار الهوى وتذكي
كأنها قطر السماء تحكي
الى غزال من بني النصارى
عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى
في ربقة الحب له اسارى
ريم بدار الروم رام قتلي
بمقلة كحلاء من كحل
وطرة بها استطار عقلي
وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به أي هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد
كأنها ناسوته حين اتحد
ما أبصر الناس جميعا بدرا
ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا
ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها أنا ذا بقده مقدود
والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود
لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام
فقد سعت في نقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
ياليتني كنت له صليبا * أكون منه أبدا قريبا

تخيلته نسرا بســيرا بسيرنا * من الفضة البيضاء في لجة البحر

(وله ايضا) ولما رأيت الشمس عند طلوعها * ونحن بوسط البحر في النيل من مصر

تخيلت هاتيك القلوع وسقفها * قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا شزرا

نصــد اذا ما كاشح مال طرفه * الينا ونبدي ظاهرا بيننا هجرا

فان غفلوا عنا رأيت خــدودنا * تصافح او ثغرا اقرعنا به ثغرا

ولو قذفت اجسادنا ما تضمنت * من الضر والبلوى اذا قذفت جمرا

(صاحب اصل الاصل)

لحى الله يوم البين كم مات عاشق * أرى قومه لا يطلبون بثاره

وعاذلة أضحت تلوم على الهوى * أخا لوعة لم يستفق من خماره

واغيد في جيش من الحسن يقتدي * لماه وعيناه وخط عذاره

حكى الظبي ظبي الرمل جيدا ومقلة * فياليته لم يحكه في نفاره

(أبو العلاء الرقي)

أحبك ياسلمى على غير ريبة * ولا بأس في حب تعف سرائره

فقد مات قلبي اول الحب فانقضى * فان مت أمسى الحب قد مات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذه الحدق * فليــدن من بفؤاده يثق

لوانهــم عشقوا لما عذلوا * لكنهم عذلوا وما عشــقوا

عنفوا على بلوى مسهفها * لو جرعوا كاس الهوى رفقوا

ليس الفؤاد معي فاعــلما * قد نال منه الشــوق والقلق

ما الحب الا مســلك خطر * عسر النجاة وموطئ زلق

(احمد بن يحيى)

اذا انت رافقت الرجال فكن فتى * كانك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرى لكل صديق

(صاحب اصل الاصل)

اذا كنت من اسر الهوى غير منفك * فدع جسدي يضني ودع مقلتي تبكي

الا قاتــل الله الرقيب وموقفا * بكينا به والبين يغــتر بالضحك

وغرب بغربان النوى حين بشرت * نعيبا من البين المفرق بالوشك

فياويح ذي العشاق أمست دماؤهم * تطل غراما وهي هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب الا شعلة قدحت بها * عيون المها باللحظ بين الجوانح

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها * كفعل الذي جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف انعت

أو جاثليقا كنت أو مطرانا
كيما ارى الطاعة لي ايمانا
ياليتني كنت لعمرو مصحفا
يقرأ مني كل يوم أحرفا
أو قلما يكتب بي ما ألفا
من أدب مستحسن قد صنفا
ياليتني كنت لعمرو عوده
وحلة يلبسها مقدوده
أو بركة باسمه معدوده
أو بيعة في داره مشهوده
ياليتني كنت له زنارا
يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
وا كبدي من خده المضرج
وا كبدي من ثغره المفلج
لا شئ مثل الطرف منه الادعج *
أذهب للنسك وللتحرج
اليك أشكو يا غزال الانس
ما لي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي
لا تقتل النفس بغير النفس
جد لي كما جدت بحسن الود
وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل الصد
فليس وجد منك مثل وجدي
ها أنا في بحر الهوى غريق
سكران من حبك لا أفيق
محترقا ما مسني حريق
يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي
من سقم ومن ضنى طويل
أم هل الى وصالك من سبيل
لعاشق ذي جسد نحيل
في كل عضو منه سقم وألم
ومقلة تبكي بدمع و بدم
شوقا الى شمس وبدر وصنم
منه اليه المشتكى اذا ظلم

أقول اذا قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

فليس لشيء منه حد أحده * وليس لشيء منه وقت موقت
(وقال آخر) لي في محبته شهود اربع * وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي وارتعاد مفاصلي * وصفار لوني واعتقال لساني
(وقال آخر) فسألتها باشارة عن حالها * وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون

(ذو النون المصري)

شوق اضر بمهجة المشتاق * اجرى سوابق عبرة الآماق
لعبت يد العبرات في وجناته * وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد اورده في الباب الثاني في قصة رملة مستشهدا به على الفرقة

أقول لورقاوين في فرع ايكة * وقد طفل الامساء او جنح العصر
وقد بسطت هذي لتلك جناحها * ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما ان لم تراعا بفرقة * ولا دب في تشتيت شملكما الدهر
فلم ار مثلي قطع الهجر قلبه * على انه يحكي قساوته الصخر
(وقال آخر) قالت ومدت يد الحوى تودعني * وروعة البين تأبى ان امد يدا
اميت انت ام حي فقلت لها * من لم يمت يوم بين لم يمت ابدا

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لي اليكم وقد نأت * بي الدار من بعد الديار رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد المغيب طلوع
وهل لي ولا والله ما ذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق يطيع
وقد كنت ادري والحياة شهية * تروق بكم ان النوى سيروع

(العباس بن الاحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه * كلما جد النحيب به
زادت الاسقام في بدنه * ولقد زاد الفؤاد شجا * هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

(وله ايضا)

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك الا حين اخبرت انه * يمر بواد انت منه قريب
يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
ايا ساكني اكناف دجلة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضي)

ومن حذري لا اسأل الركب عنهم * واعلاق وجدي باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

(وقال آخر)

ايا ظبية الوادي التي سفكت دمي * بالحاظها بل يا مهاة الاجرع
لي ان ابث اليك ما القاه من * الم الجوى وعليك ان لا تسمعي

يبيح عن قلب له جريح
ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو وبالحق من اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم
يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قصا
ثوبا على مقداره ما قصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفي ويبري اكمها وابرصا
بحق محيي صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع
من ساجد له وراكع
يبكي اذا نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا
مستعملين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيال بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما في قلة الميرون
من نافع الادواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر

وعيد مرماري العظيم الذكر * بحق شعيا وبالهيا كل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفى بها من كل خبل خابل *

(ابو نواس) يا نظرة ساقت الى ناظري * اسباب ما يدعوا الى حتفه
من حسن ظبي حسن دله * يقصر الواصف عن وصفه
في البدر من صفته لمحة * ولمحة في الظبي من طرفه
مقاتل الانفس في ثغره * وفي ثناياه وفي كفه

(سعد بن الدهان)
قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمي ولم تتورعي
هل تسمحين ببذل ايسر نائل * ان اشتكي بي اليك وتسمعي

(أبو الحسن السلامي)
ظبي اذا لاح في عشيرته * يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام الحاظه مفوقة * فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقة * وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه * هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى) يا جفونا سواهرا اعدمتها * لذة النوم والرقاد جفون
ان لله في العباد سهاما * سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)
ألا انما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشموله بنصيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشق * وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)
ليس المحب الذي يخشى العقاب ولو * كانت عقوبته في الفه النار
بل المحب الذي لا شئ ينفعه * أو يستقر ومن يهواه في النار

(وقال آخر)
أراني منحت الحب من ليس يعرف * فما أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم اعرضت * وفي أصبعيها اسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب له اني ودهرك معجب * يقوم بتحريف العباد محرف

(بشار بن برد) وكاعب قالت لاترى بها * ياقوم ما أعجب هذا الضرير
هل يعشق الانسان مالايرى * فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان عيني لاترى وجهها * فانها قد صورت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)
اذا المرء لم ينصف اخاه ولم يكن * له غائبا يوما كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا * كريما على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوما اوحضرت فوجهه * على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة) تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما * وجد على اكليل برأس جارية
والله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

وارشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق اثني عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الدجى جلا الظلم
ساروا الى الله ففازوا بالحكم
بحق ما في محكم التنزيل
من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مر عيد الشفيق الناصح
بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تلميذ الحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابس الامساح
وعابد باك ومن سياح
بحق تقريبك في الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيتك للاكباد
بما بعينيك من السواد
بحق ما قدس سعيا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه
عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم
وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم
موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني
والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي
وقدموا الكاس لكل حاس

باللّه تطمع ان أبكى اسى وجوى * وأنت تلتذ طيب العيش والوسن
(وعلى عود) يا أيها الزاعم الذى زعما * ان الهوى ليس يورث السقما
لوان مابى بك الغداة لما * امت محبا اذا اشتكى ألما
(وعلى ميل) لوكان يدرى مالك ما الذى * ألقى من الاحزان والكرب
وما الاقى من اليم الهوى * عذب أهل النار بالحب
(وعلى كاس) الحمد للّه على ماقضى * قدكان ذا فى القدر السابق
ما تحمل الارض على ظهرها * أشقى ولا اوثق من عاشق
فبينما يمشى على مرمر * و بينما يسقط من شاهق
(وعلى اترجة) يا للّه أترجة مطيبة * توقد نار الهوى على كبدى
لوان اترجة بكت لبكت * لرحمتى هذه التى بيدى
(وعلى تكة) ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق اللّه انسانا
(وعلى خاتم) قلبان فى خاتم الهوى جمعا * فأرغم اللّه انف من قطعا
(وعلى آخر) تمنيت القيامة ليس الا * لالقى من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت فى الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين احدهما وما وجدنا لاكثرهم من عهد والثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمى به الى من ينظر الى حدث وكان ابن شمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوما اتعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين احدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وعلى الثانى ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما ينخرط فى هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل ان صاحب المصارع كتب على اول جزء منها

هذا كتاب مصارع العشاق * صرعتهم يوم النوى بفراق
تصنيف من لذع الفراق فؤاده * وتطاب الراقى فعز الراقى
فاذا تصفحه اللبيب دنى لهم * اسرى هوى أيسوا من الاطلاق
(وعلى الثانى) مصارع العاشقين صرعهم * هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صدره تصونه * عن كشف مافى الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه * والقلب قد تاه منه فى الطرق
(وعلى الثالث) مصارع العشاق مجموعة * فيها لمن يقرؤها عبره
جمع عفيف الحب يطوى الهوى * لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناء مقيم وان * اعدمه يوم النوى صبره
(وعلى الرابع) كتاب مصارع اهل الهوى * ومن فتكت فيه ايدى النوى
تكلف تصنيفه عاشق * عفيف الضمائر جم الجوى
اضل برمل اللوى قلبه * فهل ناشد قلبه باللوى
(وعلى الخامس) مصارع قتلى من العاشقين ما لدمائهم طالب
تكلف جمع أحاديثهم * عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه * فأصبح سكران الشارب

بحرمة الصوم الكبير الاعظم
وما حوى مفرق راس مريم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقى
بالذهب الابريز فى الاوراق
بالفصيح يا مهذب الاخلاق
الا رغبت فى رضا اديب
باعده الحب عن الحبيب
قد ذاب من شوق الى المذيب
أعلى مناه أيسر القريب
فانظر أميرى فى صلاح أمرى
محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا فى جميل الشكر
فى نثر ألفاظ ونظم در
قيل ثم ان مدركا وسوس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عائدا مع جماعة من أصحابه فقال ألست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم احد يسعدنى بنظرة الى وجه عمرو قال فمضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو واخذ بيده وقال كيف تجدك ياسيدى فنظر اليه ثم أغمى عليه ثم أفاق وهو يقول

أنا فى عافية الا * من الشوق اليكا
أيها العائد مابى * منك لا يخفى عليكا
لا تعدن جسما وعذقا * بارهينا فى يديكا
كيف لا يهلك مرشوق * بسهمى مقلتيكا

ثم انه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فبرحنا حتى دفناه رحمه اللّه تعالى (ومنهم قتيل) قال العلامة أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزى فى كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب وشاهدت امراة كانت من أهل شيرز تزوجت

(وعلى السادس) كتاب صرعى الهوى وقتلاه * ومن صحامنهم وسكراه
تصنيف من كادان يشاركهم * لكن وقاه بفضله الله
فضم ما سنوا به طرفا * يعجب قاريه حين يقراه

(وعلى السابع)

مصارع من جارت يد البين والنوى * عليهم فاضحوا في ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد اباحها * لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة * فجاءت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن) كتاب مصارع قوم سقوا * كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج * فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا احاديث صرعاهم * وسكراهم فيه لامن افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع ابناء الهوى جمع عاشق * تجرع من راح الهوى ماتجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيهما الـ * ـمشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحى مصيخا للنذير الذى علا * مفارقه ينعى الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى * عليه صرفا ليس فيها امزاج
فصرعتهم اذحسوها فهم * مرضى بها دون ألام من علاج
تصنيف من شاركهم فى الهوى * فليته مما لقى اليوم ناج

(وعلى الحادى عشر)

مصارع اللابسين قص الهوى * ضفت عليهم كل يجر جرها
تصنيف من ذاق من سلافته * الصفو ومافاته مكدرها
يطوى احاديث وجده ودمو * ع العين فى فيضهن تنشرها

(وعلى الثانى عشر)

كتاب تضمن اخبار من * اطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه * اعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق * سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع اقوام توالت عليهم * كؤس هوى ممزوجة بفراق
فمالوا سكارى مالهم من افاقة * الى حين شمل جامع وتلاق
فرقاهم مما لقوا عاشق أبت * تحف له بعد الفراق أماق

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت * بظلم اليه النوى جندها
جمعناه لما سقينا الهوى * افاويق لم نستطع ردها
وسقنا احاديث من جاوزت * به فجعات النوى حدها

(وعلى الخامس عشر)

رجلا جنديا اعجميا وكانت تجد به وجدا شديدا حتى كانت لا تصبر لحظة وكان اذا مشى الى نوبته الى القلعة تأتزر وتظل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيسكن بعض ماتجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل ارادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع طرفه اليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك ان غضبه لاجلها فرجعت وجعلت فى رقبتها حبلا وشدته فى السقف فاختنقت به وماتت (ومنهم شهيد) قال الوداعى حكى الامير شهاب الدين أحمد العقيلى ان شرف العلا هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزى الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين نمى بحاله فبينما هو يتصيد فى نواحى حلب قيل له ان شرف العلا فى هذه الارض فارسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان فى مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا وألق شرف العلا به فلما رأى القدح أخذه بيده وشربه وأنشد فى الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملى * فالله يجمع شملك
بحق رأسك دعنى * حتى أقبل نعلك

(ومنهم قتيل) وهو مما رأته عيناى وسمعته اذناى ووعاه قلبى وذلك انى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة اتفق ان شابا من أبناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله أنكر فعراه ليضربه بالسياط فتقدم انسان كان يعشق ذلك الشاب وقال للوالى

كتاب مصارع العشا * ق من عرب ومن عجم * ليعتبر الخلي بما
لقوا شكرا على النعم * مصنفه عفيف هوى * مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع ابناء الهوى كل عاشق * رماه الهوى عن قوسه فأصابا
رثى لهم من خاف يلقى الذى لقوا * فألف فيما قد لقوه كتابا
وجمع من اخبارهم فى هواهم * احاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن ابوابه * مصارع قتلى من العاشقين * سقاهم سلافته مازجا
هواهم فالوا به خاضعين * غرام تلوم العيون القلو * ب فيه وتلحى القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانيين * مصارع من قتل الحب صبرا * اذا ما تصفحه سالم
من الحب اخلص لله شكرا * جمعناه صاحين حتى اذا * خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت * لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل اعجوبة * وكيف تفانوا باآجالهم
فلوذقت ماذاق اهل الهوى * لكنت لحقت بامثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما * تفرق من قصص العاشقين
وكنت الومهم عاذلا * فصرت لهم احد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى * وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادى والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم * سلافته يسقونها اصافيا صرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده * فنم عليه ماء اجفانه وكفا
جمعت كتابا فى مصارعهم اذا * تصفحه ذو اللب رق تألفا

(وعلى الثانى والعشرين)

قد صنف الناس حقا فى الهوى كتبا * فيمن صحا بعد سكر منه اوعطبا
واكثروا غير انى قد جمعت لهم * وما اختصرت كتابا راق عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم * عما وجدتهم فى الناس اوعربا

ونظائر ذلك كثيرة لامطمع فى استقصائها ولاقدرة على احصائها فلنختم الكلام الذى اقتطفناه من هذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه اذهوا كرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤوب اليه الآيب قائلا

كتبت وقد ايقنت ان جوارحى * ستبلى ويبقى كل ما انا عامله
فان كان خيرا سوف احمد غبه * وان كان شرا او بقتنى غوائله
فاستغفر الله العظيم من الذى * كتبت وما قلت او انا قائله
فيارب بالهادى النبى محمد * نبى على كل الورى فاض نائله

نشر

لاتضربه فانه ماقتله وانما قتلته انا فاحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل واطلق الشاب وكان ايتمش نائب دمشق يومئذ فاما حكيت له هذه القصة واطلع على باطنها توقف فى قتله وأمر بحبسه فلم تمض الأيام قلائل حتى حضر ارغون الكاملى من حلب عوضا عن ايتمش فى نيابته بدمشق فكان أول شئ حكم فيه من الدماء فشنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها وأخبرنى عن القاضى زين الدين ابن السفاح وأخيه القاضى شمس الدين وجماعة من أهل حلب الموجودين الآن انهم أخبروا ان ناصر الدين محمد بن يكتوب أحد كتاب المنسوب المعروف بالقلندرى انه كان يهوى مغنية لاتزال ذرموزتها معه فى كيس حرير أطلس معلق فى رقبته تحت ثيابه فاذا حضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه أخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم يتفق له بكاء شديد أنشد

لامتعت عين محب بما
يسرها ان هى لم تسجم

ثم انه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكى انتهى ما أخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهى ما حكاه المسترد عن النميرى أن رجلا قدم على الملك كسرى أنوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال أخلاقه المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فشكا اليه غلبة الوجد وطول الكمد بالف فارقه فى بلده

وبالآل والاصحاب ترحم عاجزا * كليلا من الذنب الذى هو حامله
أتى تائبا من غفلة اللهو قائلا * (صحا القلب عن سلمى واقصر باطله)
ولم لا وجل العمر قد فات وانقضى * (وعرى أفراس الصبا ورواحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله * وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أردنا تحريره وانهى نهاية ما أردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما أسلفنا في صدر الكتاب تقريره فليتق الناظر فيه بانا لم ندع من اصله شيأ يعتد به الا وقد أودعناه في مطاويه للفهم الآن يأتي غبي يتكل على المباني دون المعاني ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الابواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطئ وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تميز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى اصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه

*(قال مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الاربعاء خامس عشر
شوال وايار الموافق لعشرين بشنس وخامسة الجوزاء للشمس
من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية
نبوية على مشرفها أفضل الصلاة
والسلام والتحية

(ترجمة المؤلف رحمه الله مختصرة من خلاصة الاثر في ذكر أعيان القرن الحادي عشر)

هو داود بن عمر البصير الانطاكي نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء في زمانه شيخ العلوم الحكمية وأعجوبة الدهر وقد أطال في توصيفه ابو المعالي الطالوي في سانحاته ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه فقال ان مولدي بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم في الاعصاب يمنع قوائمي من حركة الانتصاب وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطا للواردين فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب له رواتب وكنت احمل كل يوم الى صحن الرباط حتى حفظت القرآن ولقنت مقدمات تثقف اللسان الى ان نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى محمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه فابتدأ في بعض العلوم الالهية فكنت أسابقه اليه فلما رأى ما رأى مني استخبر عن هنالك عني فاجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لي دهنا مدني به في حر الشمس ولفني بلفافة من فرقي الى قدمي حتى كدت أفقد من الحس وكرر ذلك فثبتت الحرارة الغريزية في كبريات الحمى في المفاصل ثم شد وثاقي وفصدني من عضدي وساقي فقمت بقدرة الواحد الاحد بنفسي لا بمعونة احد ودخلت المنزل على والدي ففرح بي وضمني الى صدره وسألني فحدثته بالقصة فذهب الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزل عطيته فقبل منه شكره واستعفاه بره ثم قرأت عليه المنطق واتبعته بالرياضي ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنا اخباره وخلت الديار من اهلها وأقفرت بتنكرها على

لانقلاب

بقتله كسرى بالاذن وحمله على التسويف فبينما هو على هذه الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده ونعى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت لكسرى فاذا هي كلام موزون بالموسيقى يشاكل من الشعر العربي

لامتعت عين محب بما
يسرها ان هي لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه
من التباريح ولم يضرم

فلما قرأها هالك نفسه خوفا وجزعا فاسعدته عينه اليسرى ولم تسعده اليمنى فاقسم أن لا ينظر بها ما عاش في الدنيا ان لم تسعده بالبكا على حبيبه وهي أقوى حاسة من اليسرى فكان يسمى الصابر (قلت) ومن غريب ما يحكى أن ناصر الدين القاندزي المتقدم ذكره كان يضع المحبرة في يده الشمال والمجلد من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغني ويضرب برجله الارض ويكتب في هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن وأخبرني بعض من كتب عليه ان من غريب ما شاهد من حاله أنه كان يهوى شابا من أولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسي فعذبها
ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق

قلت وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبي حجلة حين سقط بمصر أوطار وكيف لا وقد سقطت منه على الخبير وأتيت من أخبار من غفر الله لنا ولهم بالجم الغفير فشهداؤهم من أعيان المشاهد وقتلاه وان اختلفت أسباب موتهم فداؤهم واحد في ذلك والحمد لله كفاية وان كان التقصير قصر اصير

لانقلاب أبوي فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال ابو الطيب ملاعب جنة غيرانها تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال نبو فتيانهم الحسان عن حي شيب القذال ينفر احدهم عن كماله السرمدنفرة الظليم رأى الظلام فعودتم تمثل بقول المتنبي

ما مقامي بدار نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود

انا في امة تداركها الله * غريب كصالح في ثمود

وكان اذا سئل عن شيء من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية املى على السامع ما يبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فاملى عليه رسالة عظيمة في ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الادوية المجربة وله رسالة في الحمام الفها باسم الاستاذ البكري وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التي أولها

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تودع وتمنع

(وله) منظومة في هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها على الشيخ الرئيس واولها

من بحر انوار اليقين بحسنها * فلو صل او فصل تنوب كما دهى

وكان كثيرا ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل ابي علي الحسين بن سطراء البغدادي التي خاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا اولها مع ابيات منها

بربك أيها الفلك المدار * اقصدذا المسير ام اضطرار

مسيرك قل لنا في اي شيء * ففي افهامنا منه انبهار

وفيك نرى الفضاء فهل فضاء * سوى هذا الفضاء به تدار

وعندك ترفع الارواح ام هل * مع الاجساد يدركها البوار

وموج ذي المجرة ام فرند * على لجج الدروع له أوار

وفيك الشمس رافعة شعاعا * بأجنحة قوادمها قصار

الى آخرها قال (وله) غاية المرام في تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الاذهان في اصلاح الابدان وزينة الطروس في احكام العقول والنفوس والفية في الطب ونظم قانونجة وشرح عليه وله تآليف كثيرة لا نطيل بذكرها ومن العجب ما يحكى عنه في قوة معرفته بعلامات الامراض ما اخبرني به من اثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لاجتماعه بالناس ومداواة أصحاب الباس فورد عليه في بعض الايام رجل من الاجناد جاهرا بالسلام فلما سمع سلامه عرف حرامه وقال اذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد الله لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الامر حتى يحدث لك هذا الداء وتأتي الضر بتروم منه الدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعدما اشفاه وما فهم كنه علته الامن تحرك شفته وعجائبه في هذا الباب لاتحصى وغرائبه لا تستقصى واذا أردت تفاصيل أحواله ومعتقداته وأقواله فعليك بكتاب خلاصة الاثر المذكورة تجد أوصافه فيها مسطورة

مقصودة من الغاية على أن في رحلتي تشرف العلمين في زيارة الحرمين ما هو كفص الخاتم لهذه الخاتمة والامواج العظيمة لهذه الابحر المتلاطمة لاجرم اني لم اذكر من أخبار أهل الحجاز الا ما أشار اليه هذا الكتاب ببنان بيانه و بدامن ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه فكم في الرحلة المذكورة في ذكر من مات على هذه الصورة من أخبار متيم امتنع من هجوعه وأصبح غريقا بسحاب دموعه لدى سمرات الحي برق بسامره

يذكره بالشعر ما هو ذاكره

يذكره عهد العذيب وما حوى

على حاجرسالت عليه محاجره

اذا ما بدا البرق اليماني لعينه

فآه و الاوشيه وحبائره

سقى السفح من ذيل القطام عارض

تعارضه من دمع عيني مواطره

فكم فيه من صب قضى وغرامه

أوائله لا تنقضي وأواخره

تطاول ليلي في هواه ولو يشا

لقصره من هجره مقاصره

فيا للهوى العذري ما العذر عندما

تغادر يومي مثل ليلى غدائره

صحا ما صحا من زال في الحب عقله

بسكرة حب لا تزال تخامره

أيبرد ما القاه يا جارتي وقد

سباني ظبي فاتن الطرف فاتره

أحاول منه وصله كل ساعة

فتمنعني استاره وستائره

ولو لم يكن سلطان حسن لماسرى

بمصر وكل العاشقين عساكره

يجود عليهم حين يسري جواده

فيحضر في قلب المتيم حافره

فلولاه ما أمضى أمير ذوي الهوى

ولا نفذت في العاشقين أوامره

ولولا سطا السلطان في مصر ما مشى

مع الذئب ظبي كان قبل يحاذره

(يقول راجي عفو القريب المجيب محمد عبد اللطيف الخطيب)

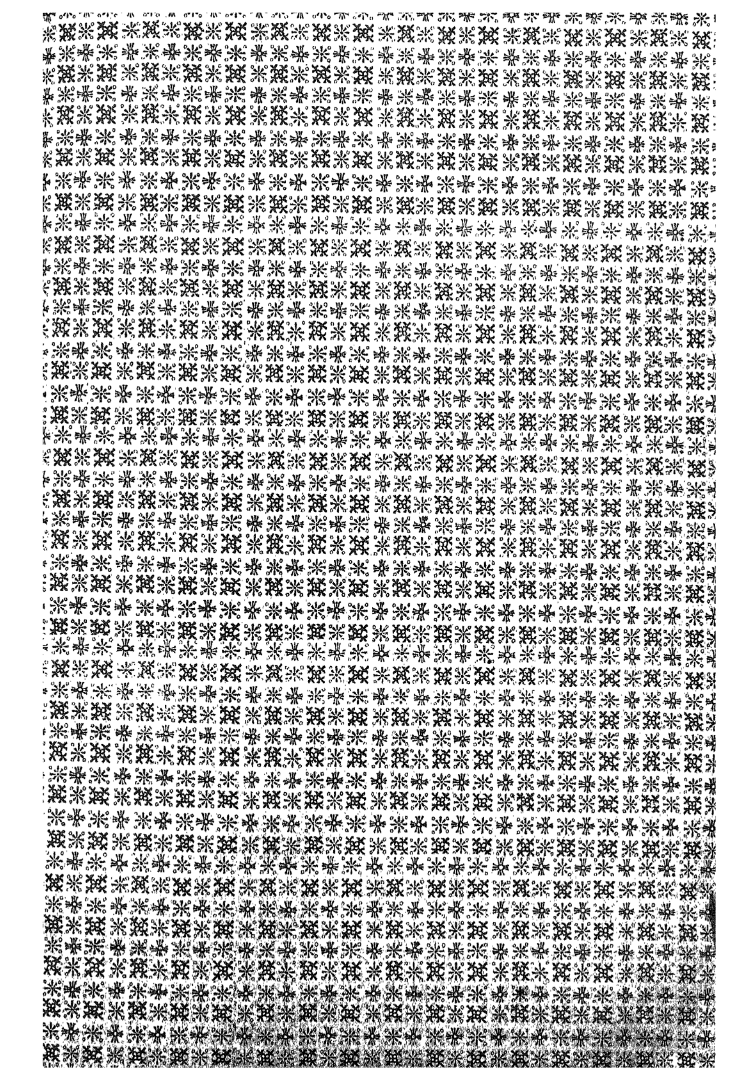
الحمد لله الذي زين بالادب اهل محبته ورفع لهم منابر العز في دار كرامته سبحانه نحمده بالغدو والآصال وهو الموصوف بالكمال والجمال والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله واصحابه الذين أسسوا قواعد الدين ومن بهم اقتدى وبهديهم اهتدى (وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع هذا الكتاب المستطاب المسمى بتزيين الاسواق في تفصيل اشواق العشاق للامام الجليل والحبر النبيل والكوكب المنير العلامة الشهير داود الانطاكي وهو كتاب قد كشف قناعه عن العشق بسائر انواعه مطرزا هامشه بديوان الصبابه للحبر البارع والاديب البازغ اللامع شهاب الدين احمد بن ابي حجلة المغربي ولعمري انهما الكتابين ظريفين جديرين بان يكتبا بالتبر على صفحات اللجين فرحم الله مؤلفيهما وجعل الفردوس مقرهما وذلك الطبع الزاهي والوضع الباهي بالمطبعة الازهرية المصريه الكائنة بخان جعفر بجوار الساحة الحسينية ادارة الراجي من الله الغفران

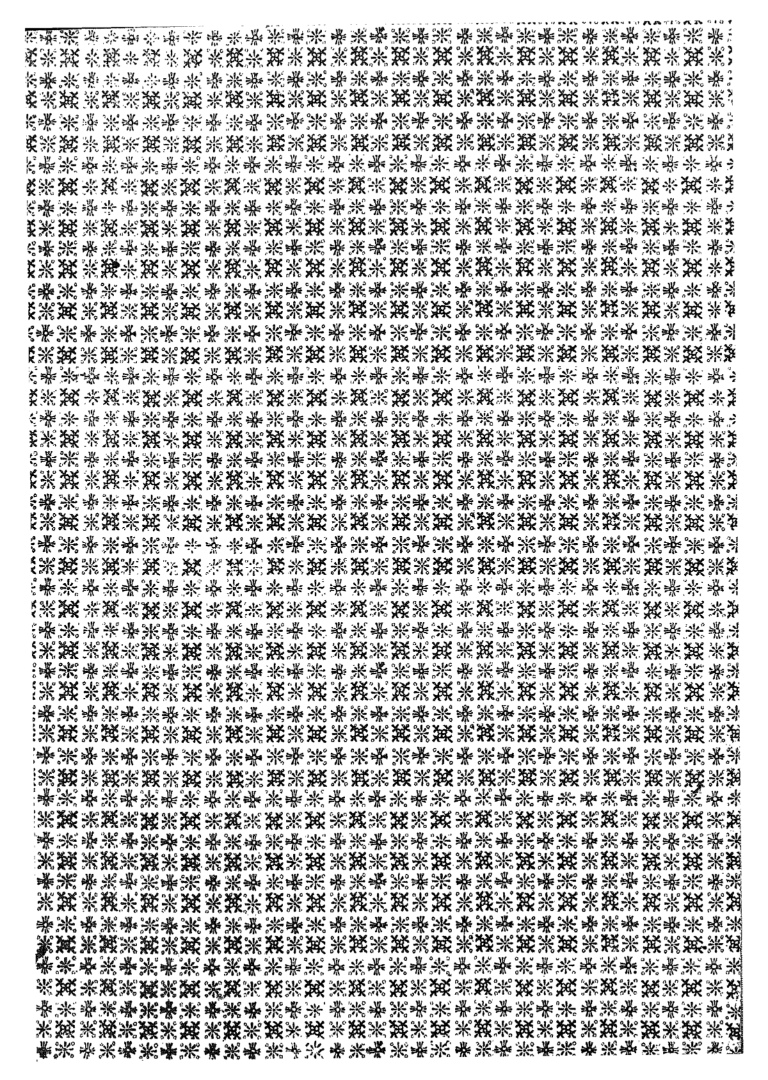
(حضرة السيد محمد رمضان) وفاح مسك الختام وتم سلك النظام أواخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣١٩ هجريه على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحيه

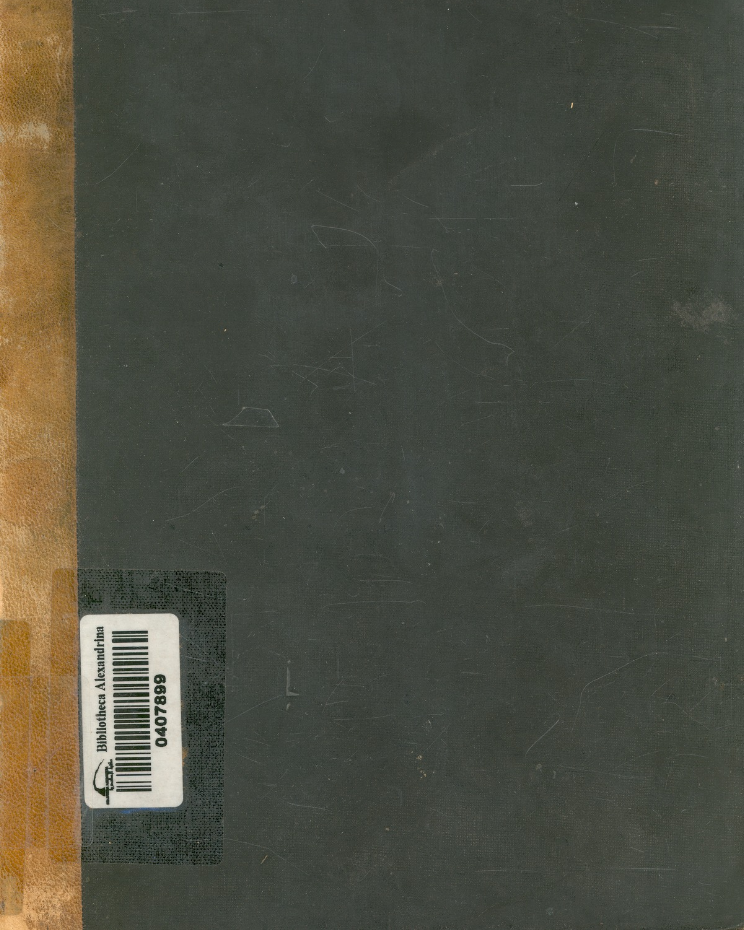
هو الناصر المنصور والعادل الذي
بباطنه ما جار في الملك ظاهره
له في سبيل الله خير ذخيرة
وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودر ياقه في الثغر أقرب نيله
وسمر عواليه بمصر نواشره
يجزي الله عنه مصر ما هو أهله
فكم امنت في قطرها من يجاوره
يجواد غدت نعماه منا قريبة
وان بعدت في السبق عنا ضوامره
فاعابه أن الجنود جنائب
وماضره ان البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل ادهم
وأشهب كالبازي ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر
ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر في علاه لاجل ذا
تباهى به فوق السرور سرائره
وتستقبل الآمال كعبة جوده
كما استقبل البيت المعظم زائره
فأي نوال ما اضاءت شموسه
وما هي ان حققت الا دنانره
هو البحر الا أن منهل جوده
موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحري ونظمي دره
لما عرضت يوما عليه جواهره
أجود فيه المدح كل عشية
واذ كار فكري بالثناء تباكره
اذا تاه مدحي في دجى ليل نفسه
عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعرى العبور فأومأت
الي وقالت أنت والله شاعره
فدحي له مدح المحب حبيبه
اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحي له ما ان يقاس بغيره
لاني قيس الحب فيه وعامره
وقدمات قلبي أول الحب وانقضى
ولومت أمسى الحب قدمات آخره
وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء والمرسلين
والحمد لله رب العالمين

(فهرسة تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق)

(تمت)






Bibliotheca Alexandrina
04407899